الرقم الدولي /ISSN
2394-6628
معامل التأثير العربي
1.34

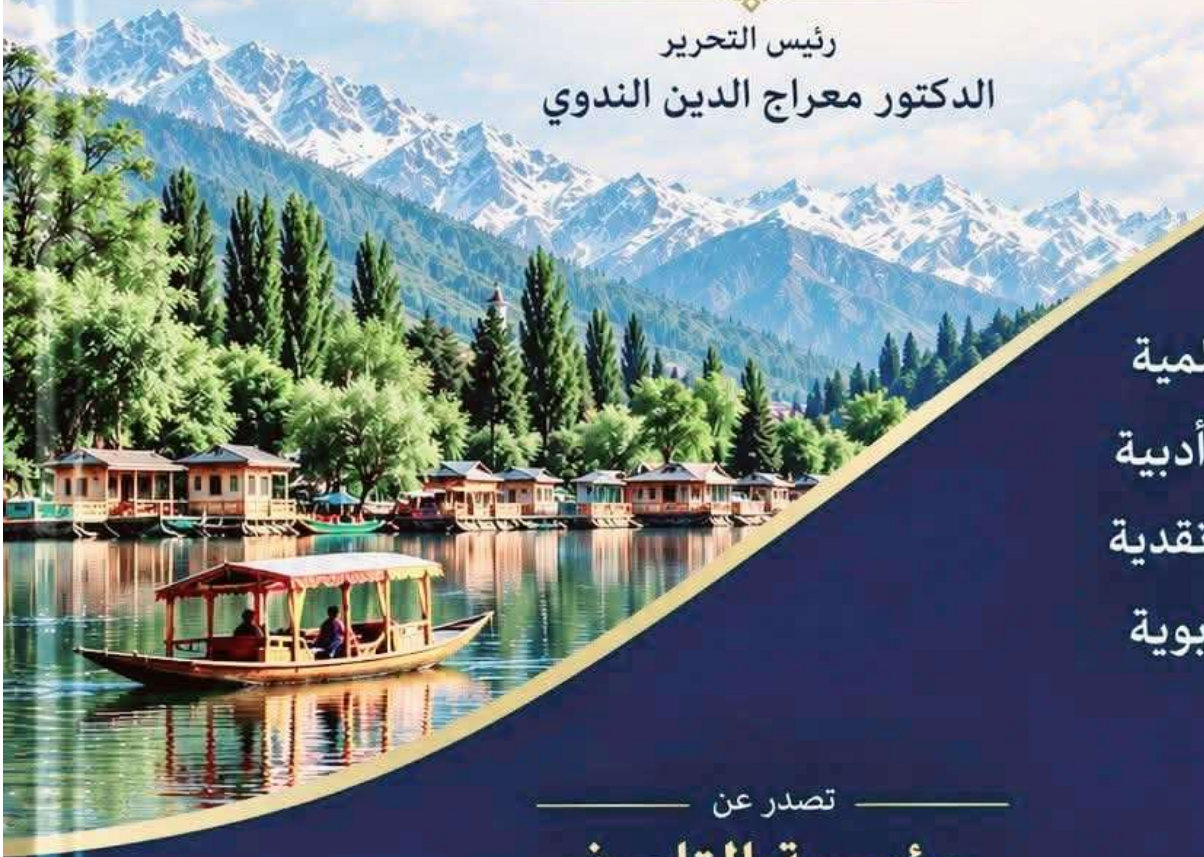
بالعلم نبني جيلاً
والوطن نصنع أملاً

عدد سبتمبر / أكتوبر 2026
September / October Issue

# مجلة التلميذ

## مجلة أدبية محكمة دولية

رئيس التحرير
الدكتور معراج الدين الندوي



- بحوث علمية
- دراسات أدبية
- تحليلات نقدية
- قضايا تربوية

تصدر عن
مؤسسة التلميذ
سريناغر - كشمير - الهند
191101

Al-Tilmeez Trust
Srinagar, Jammu & Kashmir, India



**Cultural and Lingual Ambassador**
**Dr Asgar Hassan Samoon**
Retd. IAS Officer



**Vice Chief Patron**
**Prof. Mohd. Sanaullah al-Nadawi**
Ex-Chairman Department of Arabic(AMU)

# مجلّة التّلميذ

# AL-TILMEEZ

**ISSN 2394 -6628**

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

سجّلوا انتصاركم بمداد الفخر



**Director of Journal**
Prof. M.Muzaffar Husain Nadvi



**Editor in Chief**
**Dr.Meraj ud Din Para Nadvi**

# أعضاء لجنة التحكيم

تضم مجلة التلميذ الدولية المحكمة لنشر البحوث والدراسات كوكبةً من الأساتذة و النقاد و الدكاترة والأدباءالمتخصصين في تحكيم البحوث والأوراق الأدبية و العلمية من مختلف الجامعات العربية العالمية:



**مشرفة لجنة التحكيم**
وفـــاء عبـــد الـــرزاق
شاعرة و روائية و قاصة
المملكة المتحدة – لندن



**رئيس لجنة التحكيم**
أ.د.سيد جهانغير
أستاذ الأدب العربي بجامعةالإنجليزية بالهند و اللغات الأجنبية، حيدرآباد



**مدير لجنة التحكيم**
البروفيسور عبد الماجد القاضي
رئيس قسم اللغة العربية و آدابها
الجامعة الملية الإسلامية بالهند



**مستشار لجنة التحكيم**
الدكتور شمس كمال أنجم
اللغة العربية بجامعة رئيس قسم
كشمير بالهند بابا غلام شاه بادشاه



**من أعضاء لجنة التحكيم**
د. كريمة نور عيساوي
أستاذة تاريخ الأديان،
جامعة عبد المالك السعدي، تطوان



**من أعضاء لجنة التحكيم**
البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي
مدير المركز الثقافي الهندي العربي
بالجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي بالهند



**من أعضاء لجنة التحكيم**
د. سيد بشير أحمد
اللغات الأجنبية ـ الشعبة الإنجليزية
كلية العلوم والآداب
جامعة نزوى، سلطنة عمان



**من أعضاء لجنة التحكيم**
أ. مجيب الرحمن االندوي
رئيس القسم بمركزالدراسات العربية و
بجامعة جواهرلال نهرو،نيو دلهي بالهند الإفريقية



**من أعضاء لجنة التحكيم**
أ.د. محمد الأمين خلادي
أستاذ التعليم العالي بقسم اللغة
و الأدب العربي
بجامعة أحمد دراية، ادرار الجزائر



**من أعضاء لجنة التحكيم**
د.عبدالمنعم عبدالله
استاذ في جامعة تكريت بالعراق
(النحو واللسانيات)



**من أعضاء لجنة التحكيم**
د. أورنك زيب الأعظمي
مدير تحرير "مجلة الهند"
والأستاذ المساعد
بالهند الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي



***من أعضاء لجنة التحكيم***
*أ. د.عبيد الرحمن الطيب*
الأستاذ المشارك بمركزالدراسات العربية و
الإفريقية بجامعة *جواهرلال نهرو*،نيو دلهي بالهند



**من أعضاء لجنة التحكيم**
د.ناصر سليم محمد على الحميدي
أستاذ الأدب و النقد المشارك جامعة تبوك
الكلية الجامعية بأملج المملكة العربية السعودية



**من أعضاء لجنة التحكيم**
د.حسن عبد العليم عبد الجواد يوسف
جامعة قناة السويس مصر



**من أعضاء لجنة التحكيم**
د. إرشاد أحمد مير
الأستاذ المساعد ب*الجامعة الإسلامية* للعلوم
والتكنولوجيا*أونتي بوره كشمير بالهند*



**من أعضاء لجنة التحكيم**
د. معراج أحمد معراج الندوي
الأستاذ المساعد بالجامعة العالية،الهند

| | |
|---|---|
| اسم المجله بالانجليزيه | AL-Tilmeez |
| ISSN | 2394-6628 |
| الدوله | الهند |
| اصدارات المجله | اضغط هنا |
| معامل التاثير لسنه 2019 | 1.18 |
| معامل التاثير لسنه 2020 | 1.2 |
| معامل التاثير لسنه 2021 | 1.29 |
| معامل التاثير لسنه 2022 | 1.31 |
| معامل التاثير لسنه 2023 | 1.33 |
| معامل التاثير لسنه 2024 | 1.34 |

مجلةٌ عربيةٌ علميةٌ أدبيةٌ مُحكّمة. تُعنى بنشر البحوث والدراسات الأصيلة في مجالات اللغة والأدب والنقد والفكر.

تصدر عن مؤسسة التلميذ، سرينجر، جامو وكشمير، الهند-191101.

# مجلس التحرير

Editorial Board

الرئيس العام

نائب الرئيس العام البروفيسور محمد ثناء الله الندوي

مدير التحرير البروفيسور محمد مظفرحسين الندوي

رئيس التحرير الدكتور معراج الدين الندوي

## مساعدو رئيس التحرير:

| | |
|---|---|
| البروفيسورة دنيا باڤل | (الجزائر) |
| الدكتورة نور أفشاں | جامعة كشمير بالهند |
| الدكتور محمودعالم الصديقي | الأستاذ المساعد بجامعة كشمير بالهند |
| الدكتور عناية الله واني الندوي | وزاة التعليم العالي كشمير بالهند |
| الدكتور فاروق أحمد ميرالقاسمي | جامعة كشمير بالهند |
| الدكتور محمد ريحان الندوي | جامعة جواهر لال نهرو بالهند |
| الدكتورمحسن عتيق خان | جامعة جواهر لال نهرو بالهند |
| الدكتورة زهراء علي دخيل | (لبنان) |
| الدكتور جابر كيه. تي | استاذ مشارك – كلية تونجان الحكومية - ترور الهند |
| د.نور عائشة/Dr. Noor Aisha | جامعة أنديرا غاندي الوطنية المفتوحة |

## Advisory Board / الهـيـئــة الاستشارية

| | |
|---|---|
| الدكتور أصغر حسن ساموں (Ex- IAS) | موظف مدني من الخدمة الإدارية الهندية سابقا |
| البروفيسور محمد صلاح الدين العمري | رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية |
| البروفيسور كفيل أحمد القاسمي | عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية |
| البروفيسور يسين أحمد شاه | مدير الكليات الحكومية سابقا بكشمير سرينجر |
| البروفيسور محمد سميع أختر | رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية |
| البروفيسور محمد فيضان بك | الأستاذ بقسم اللغة العربية بجامعةعليكرة الإسلامية |
| البروفيسور مسعود أنور علوي | رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية |
| البروفيسور رضوان الرحمن | رئيس مركزالدراسات العربيةوالإفريقيةبجامعةجواهرلال نهرو |
| الدكتور ريحان أختر القاسمي | الأستاذ المساعد بقسم علم اللاهوت السني عليكرة بالهند |
| البروفيسورة سلوى جرجيس سلمان النجار | رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة كركوك بالعراق |
| البروفيسور السيد جهانكير | جامعة اللغة الإنجليزية و اللغات الأجنبية بحيدرآباد |
| البروفيسور حبيب الله خان | رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية |
| البروفيسور عبد الرحمن وار | رئيس معهد اللغة العربية بصورة سرينجر،كشمير |
| البروفيسورة تسنيم كوثر | قسم العربية و آدابها بجامعةعليكرة الإسلامية بالهند |
| الدكتور عنايت رسول | رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا كشمير |
| الدكتور زكريا السرتي المغربي | المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب |
| الدكتورة عرفاني رحيم | الأستاذة المساعدة بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية للعلوم و التكنولوجيا كشمير |
| الدكتورهاني يوسف أبو عليون | كاتب فصص قصيرة جدا ،القويسمة/عمان الأردن |
| الدكتور شمس كمال أنجم | رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه |
| د. تيسير محمد أحمد الزيادات | المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية |
| الدكتور رضوان بلخيري | رئيس تحرير مجلة الرسـالة الدولية للدراسـات والبحوث ومحاضر بقسـم علوم الإعلام والاتصال و نائب عميد كلية العلوم الإنسانية والإجتماعيةبجامعة العربي التبسي الجزائر. |
| الدكتور قاضي عبدالرشيد الندوي | الباحث الأكاديمي بالدوحة دولة قطر |
| الدكتور شكيل أحمد الشفائي | الباحث الأكاديمي و المحاضر بالمدرسة الحكومية بكشمير |
| الأستاذ عبدالقادر سلامي | جامعة تلمسان بالجزائر |
| الدكتورة زرنغار | الأستاذة المساعدة بجامعة جواهرلال نهرو،الهند |
| الدكتور مأمون على خلف الله حسن | الباحث الأكاديمي في البلاغة القرآنية بالقاهرة ، مصر |
| أ.د. محمد قاسم لعيبي | جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية |
| د. إدريس مقبول | أكاديمي وباحث مغربي، و أستاذ في المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين فاس مكناس. |
| د. هجيرة عدلاني | المحاضرة بجامعة معسكر- الجزائر |

# محتويات العدد


| | | |
|---|---|---|
| كلمة العدد | رئيس التحرير | 0 7 |
| صلات الفعل "أشار يشير إشارة" | د.أورنك زيب الأعظمي | 11 |
| تعدد الوظيفة الإعرابية لاتساع معنى الوحدة المعجمية | د.بدر بن سالم بن جميل السناني | 19 |
| دور كتاب "استمع بحياتك"..... | د.محمد رافع سي / رفاء وي. بي | 45 |
| محمد مكين الصيني و الأزهري وإسهاماته في إثراء اللغة.. | د.عبد العزيز اللداخي | 52 |
| حكمة الشعر و شعر الحكمة ..... | د.محمد بشير سي ك | 70 |
| البعد الأسطوري في موسوعة الكائنات .... | د. محي الدين كوتي كلارا | 78 |
| انعكاسات الصراع التاريخي بين الشرق و الغرب... | د.عبد الرب .يم | 83 |
| الملامح الفنية في أشعار أديب كمال الدين | د.محي الدين كوتي مدتل | 101 |
| القضايا النسوية في روايات رضوى عاشور و قرة العين | توصيف حميد بت | 109 |
| اليوم الأخير للوسواس الخناس | د.محمود عالم الصديقي | 120 |
| المسيحيون و المقاومة السياسية الفلسطينية في... | عبد الحليم على | 127 |
| تصوير القضايا الاجتماعية للمرأة في رواية ... | هادية.بي | 135 |
| إسهامات العرب المسلمين في الأندلس... | د. أنصار أحمد | 144 |
| القضايا الإنسانية و الاجتماعية في رواية موسم... | السيد إقبال أحمد الرحمانى | 164 |
| العلمانية و المسلمون في بعض دول أوربا | محمد معاذ خان الندوي | 175 |
| حياة محمود الريماوي و إنتاجاته العربية | محمد عامر | 182 |
| تجليات القيم الدينية في كتابات محمد جمال عمرو | شير محمد | 190 |
| القصص القرآني:جمال الأسلوب و وظيفة الهداية | د.عبد الناصر .تي | 204 |
| الأبعاد النفسية و الاجتماعية و بنية الشخصيات... | عبدالرشيد/د.يونس سليم | 211 |
| صورة المرأة في الرواية العربية السعودية نظرة إلى .... | وزيرة جان | 222 |
| الشيخ أحمد كمال عبدالرحمن و جهوده العلمية | د.عبدالحكيم | 229 |
| تمثيلات الموت في روايات بشير مفتي الجزائري | فوزية موڑين | 236 |
| قضاياالمرأة في أدب أحمد شوقي | واصف على | 246 |
| الرؤية القرآنية للنفس الإنسانية .... | د.علي أكبر | 255 |
| جهود الشيخ زين الدين المخدوم الكبيرفي... | د.إسماعيل ب.ك | 269 |
| اللغة العربية في الهند عند الدكتور مقتدى حسن... | د. طلحة فرحان الندوي | 279 |


AL-TILMEEZ
A Peer-Reviewed International Arabic Research Journal,
published by Al-Tilmeez Trust, Srinagar, Jammu & Kashmir, India 191101



# بسم الله الرحمن الرحيم

## من آفاق اللغة إلى رحاب الحضارة

كلمة التحرير

مجلة التلميذ الدولية

العدد الثامن والستون — المجلد السابع

سبتمبر/ أكتوبر 2026م

الحمد لله الذي علم بالقلم، وأودَع في الأسرار ما تعجز عنه العبارات، فجعل البيان سراجاً للقلوب، والحرف صلة بين الروح وبارئها، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الأطهارومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن إشر اقَة عدد جديد من منابر العلم الرصين ليست حروفاً تنتظم في صفحات، ولا سطوراً تضاف إلى سجل النشر ثم تطويها يد الزمن؛ بل هو عهد يتجدد مع الفكر، ورسالَة تتوهج بنور المعرفة، و أفق رحب تتلاقى عنده الرؤى، وتتشابك في فضائه خيوط التأمل والاستبصار. إنها إعلان عن يقظة العقل الذي لا تستوقفه ظواهر الأشياء، ولا ترضيه معارف السطح، بل يمضي نافذ البصيرة إلى أعماق المعاني، يستنطق كنوز التراث، ويستنير بتجارب الحياة، ويقتفي أثر الأسئلة المضمرة في ثنايا الفكروالوجود؛ ليفتح من مغاليق المعرفة أبو اباً، ويستولد من رحم التأمل آفاقاً جديدة للبحث والفهم، ويجعل من طلب الحقيقة رحلة لا تنقضى، ومن الاكتشاف أملًا يتجدد مع كل إشر اقة علمية.

ويسُرنا في هذه اللحظة المفعمة بعبق المعرفة أن نضع بين أيدي الباحثين والنقاد سفيرنا الأدبي والعلمي: العدد الثامن والستين من مجلة التلميذ الدولية. ويأتي هذا السفر العظيم امتداداً لدرب طويل من العطاء والألق في خدمة الضاد الساحرة، وآدابها العميقة، ونقودها وفكرها الخالد، ليغدوواحة ظليلة يستظل بفيئها الباحثون من مختلف البقاع والجامعات، ينهلون من معينها، ويختبرون أدواتهم المنهجية، ليسهموا بآراء سديدة ومقاربات علمية رصينة تفريد المكتبة العربية وتثري قضايا اللغة والمجتمع والحضارة.

إننا نؤمن أشد الإيمان بأن البحث الرصين لا يرتفع بنيانه بالشعارانت الرنانة ولا العناوين البر اقة، بل يشاد على قواعد صلبة من عمق السؤال، وصرامة المنهج، ونزاهة التوثيق، ودقة التحليل الذي يرتفع بالمادة من مجرد التجميع إلى مصاف الإبداع و إنتاج المعرفة. من هنا جاءت بحوث هذا العدد متفرقة المسارب متحدة المصب، لتلتقي عند غاية نبيلة: جعل المعرفة

مفتاحاً لفهم الإنسان، وموروثه، ولغته، وإعادة قراءة النصوص بروح واعية لمتطلبات العصر وأسئلة الوجود.

تظل لغة الضاد بحراً زخاراً لا ينضب مغيثه، وملاذاً دائماً للباحثين؛ فهي لا تقتصر على كونها قواعد نحوية مصمتة، بل كائن حي تتنفس فيه الأبنية وتتفاعل السياقات. ومن هذا المنطلق انطلقت رحلة هذا العدد مع باقة من الدراسات اللغوية الرصينة:

أولاً: اللغة العربية وثراء الدلالة وتعدد الوظائف:

يفتتح الدكتور أورنك زيب الأعظمي هذا الباب ببحثه السامق "صلات الفعل: أشار يشير إشارة" في ضوء القرآن وكلام العرب والحديث، متتبعاً دقة الانتقال الدلالي بتغير حروف الجر، ومستشهداً بنصوص الوحي والشعر العربي ليؤكد أن السياق هو حارس المعنى. ويليه الدكتور بدر بن سالم بن جميل السناني دراسته "تعدد الوظيفة الإعرابية لاتساع معنى الوحدة المعجمية" ليبرز التلاحم العضوي بين المعنى المعجمي والإعراب النحوي، رافضاً فصل البنية عن دلالتها الحية. وفي رحَاب التواصل الإنساني، يغوص الدكتور محمد رافع سي ورفاء وِي. بي في كتابات التربية والسلوك عبر بحثهما "دور كتاب استمتع بحيَاتك في تنمية مهارات التعامل مع الآخرين"، مستجلين أبعاد بناء العلاقات وإدارة الخلافات. ويطوف بنا الدكتور عبد العزيز اللداخي في آفاق الترجمة والتواصل الحضاري من خلال بحثه "محمد مكين الصيني والأزهري وإسهاماته في إثراء اللغة العربية في الصين في القرن العشرين" كاشفاً عن جهود الأعلام في مد الجُسور الثقافية خارج موطن العربية. أما الدكتور محمد بشير سي ك فيقدم قراءة أدبية واجتماعية عميقة في بحثه "حكمة الشعر وشعر الحكمة: قراءة في اجتماعيات العشماوي" مبكناً كيف يكون الشعر مرآة للقيم وسيلة لتقويم السلوك البشري. وفي عمق التراث والرمز، يكتب الدكتور محيي الدين كوتي كلارا عن "البُعد الأسطوري في موسوعة الكائنات الخرافية للدكتور عبد العزيز المسلم: قراءة في الأبعاد الأنثروبولوجية والرمزية" نافذاً إلى أعماق المخيال الشعبي ومخاوفه وتصوراته للعالم.

ثانياً: الأدب العربي وتمثيلات الصراع والهوية:

يمثل الأدب المرآة الصافية التي تنعكس عليها صراعات التاريخ وأشواق الهوية؛ حيث تتجسد في النصوص الرواية والشعرية تحولات النفس البشرية وسط أمواج الواقع: يستهل الدكتور عبد الرب يم هذا القسم ببحثه "انعكاسات الصراع التاريخي بين الشرق والغرب في رواية واحة الغروب" مفككاً شبكات التوترات الاستعمارية والنفسية في أدب بهاء طاهر. ويستكشف الدكتور محيي الدين كوتي مدتِل جماليات النص الحديث في "الملامح الفنية في أشعار أديب كمال الدين" متتبعاً توظيف الرمز والحرف والميثولوجيا في بناء المعمار الشعري. ويدرس الباحث توصيف حميد بت "القضايا النسوية في روايات رضوى عاشور وقرة العين حيدر" مقارناً بين بيئتين ثقافيتين لتجلية صورة المرأة ومعاناتها وصوتها المستقل. وفي السرد القصصي

القصير، يحلل الدكتور محمود عالم الصديقي نص زكريا تامر في بحثه "اليوم الأخير للوسواس الخناس" (The Last Day of Satan)، متأملاً آليات البناء الفني والإيحاءات الفكرية. ويتناول عبد الحليم علي موضوع "المسيحيون والمقاومة السياسية الفلسطينية في رواية دبابة تحت شجرة عيد الميلاد" مظهراً كيف يحفظ الأدب ذاكرة الوطن والانتماء تحت سياط الاحتلال. وتعالج هادية بي قضايا المجتمع الجزائري عبر بحث "تصوير القضايا الاجتماعية للمرأة في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة" مسلطة الضوء على القيود والكرامة والاختيار. ويطوف بنا الدكتور أنصار أحمد عبر التاريخ في بحثه "إسهامات العرب المسلمين في الأندلس وأثر حضارتهم في قيام النهضة الأوروبية الحديثة" مذعناً بأثر التفاعل الحضاري في مسيرة المعرفة. ويختتم هذا المدار السيد إقبال أحمد الرحماني بقراءة واعية في "القضايا الإنسانية والاجتماعية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، مستجلياً أزمة الهوية والاغتراب بين الشرق والغرب.

ثالثاً: الفكر والدين والمجتمع:

تتسع دائرة البحث لتلامس أشواق الروح وقضايا الفكر والاجتماع التي تصوغ وعي الإنسان المعاصر: يفتتح هذا القسم محمد معاذ خان الندوي ببحثه الجريء "العلمانية والمسلمون في بعض دول أوروبا" متناولاً إشكالية الهوية والحرية والتعايش في المهجر. ويوثق محمد عامر سيرة علمية وإبداعية عريقة في بحثه "حياة محمود الريماوي ونتجاته العربية" صائناً الذاكرة الأدبية من النسيان. وتحت إشراف البريفيسور محمد مسيح الرحمن، يدرس شير محمد "تجليات القيم الدينية في كتابات محمد جمال عمرو" مبيناً دور أدب الطفل في غرس الفضيلة وبناء الوعي. ويضيء الدكتور عبد الناصر تي جماليات الخطاب الإلهي في بحثه "القصص القرآني: جمال الأسلوب ووظيفة الهداية" متأملاً في التناغم البديع بين روعة البيان وعمق المقاصد.

رابعاً: الرواية والمرأة والتحليل النفسي والاجتماعي:

تتعمق الدراسات هنا في مخابئ النفس الإنسانية وتعقيدات التجربة الاجتماعية والروائية: يدرس عبد الرشيد، بإشراف الدكتور يونس سليم "الأبعاد النفسية والاجتماعية وبنية الشخصيات في رواية سقف الكفاية لمحمد حسن علوان" مدمجاً التحليل السردي بالدافع النفسي. وتغوص وزيرة جان في عالم السرد النسوي عبر بحثها "صورة المرأة في الرواية العربية السعودية: نظرة إلى أثير عبد الله النشمي". وتقارب فوزية موزين ثيمة الفناء في "تمثيلات الموت في روايات بشير مفتي الجزائري" باعتبارها تجربة وجودية ورَمزاً للذاكرة. ويستجلي واصف علي الجانب الإصلاحي في أدب أمير الشعراء عبر بحث "قضايا المرأة في أدب أحمد شوقي: دراسة تحليلية". ويسبر الدكتور علي أكبر غور الرُّوح الإنسانية في بحثه العميقة "الرؤية القرآنية للنفس الإنسانية: دراسة في مفاهيم النفس وأحوالها".

خامساً: أعلام العلم والتراث العربي الإسلامي في الهند:

وفاء لجذور المعرفة وامتدادها في شبه القارة الهندية، يلتفت هذا العدد إلى سير الأعلام والمصلحين: يقدم الدكتور عبد الحكيم إضاءة على منارة من منارات التربية في بحث "الشيخ أحمد كمال عبد الرحمن الندوي المدني وجهوده العلمية والتربوية في شرق أتر ابراديش الهند". ويختتم الدكتور إسماعيل ب ك هذا الميدان بتعريف واف في بحثه "جهود الشيخ زين الدين المخدوم الكبير في خدمة الأدب العربي" مستعرضاً مؤلفاته الخالدة في كيرلا وجنوب الهند.

ويضمّ هذا العدد كذلك دراسةً للدكتور طلحة فرحان الندوي بعنوان "اللغة العربية في الهند عند الدكتور مقتدى حسن الأزهري: دراسة في رؤيته اللغوية والأدبية" تستجلي جهود الأزهري في خدمة العربية، وتبرز مكانة التراث العربي الهندي، ودور المؤسسات التعليمية والصحافة العربية في نهضة اللغة، مع الوقوف على تحديات تعليمها و آفاق مستقبلها. وتأتي هذه الدراسة وفاءً لأعلام العربية، واستحضارًا لعطائهم العلمي والفكري، وصلًا بين أصالة التراث ومتطلبات التجديد.

إن هذا الطيف المتنوع من الدراسات، بدءاً من الدقة النحوية ومروراً بالسرد الروائي والنقد الاجتماعي وصولاً إلى التراث والتفسير، لا يعبر عن تشتت، بل يجسد سعة الأفق اللغوي وقدرته على استيعاب شتى علوم المعرفة. ويبقى الميزان الدقيق لكل هذه الجهود هو سلامة المنهج، وأمانة النقل، وصدق البحث الذي يبتغي وجه الحقيقة.

تزجي هيئة التحرير أطرى عبارات العرفان لكل باحث أفنى وقته في سبك المعرفة، ولكل محكم سهر على تقويم الأفكار وتهذيبها، وللمؤسسات الأكاديمية التي ترعى هذا النبت الطيب. ونمد أيدينا لكل الأقلام الجادة لتواصل المسير، مؤكدين أن الكلمة المسؤولة هي وحدها التي تبني العقول وتضيء دروب الحضارة.

تجدد مجلة التلميذ الدولية عهدها بأن تبقى منبراً وضاءً للكلمة الصادقة، حافظة للتراث، واعية بالحاضر، مستشرفة للمستقبل بعزم و إيمان. ونسأل الله أن يجعل هذا العدد غيثاً نافعاً يروي ظمأ الشغوفين، وأن يكلل الجهود الخالصة بالقبول والرضا.

والله ولي التوفيق.

الدكتور معراج الدين الندوي

رئيس التحرير

مجلة التلميذ الدولية

مدينة العلوم العربية – سرينغر، كشمير- الهند

العدد الثامن والستون — المجلد السابع

سبتمبر–أكتوبر 2026م

رئيس التحرير
مجلة التلميذ
مجلة أدبية علمية محكّمة دولية
ISSN 2394 - 6628
وزارة التعليم العالي بولاية جامو و كشمير بالهند
The Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

# صلات الفعل (أشَارَ يُشِيرُ إشَارَةً)

(في ضوء القرآن وكلام العرب والحديث)



د. أورنك زيب الأعظمي

مديرتحرير"مجلة الهند"

و أستاذ مساعد،قسم اللغة العربية وآدابها،

الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

## Abstract

**Like some other foreign languages Arabic enjoys with peculiar use of prepositions for a single verb. For example, '*alima ya'lamu 'ilman* which is used with three different prepositions (bā, fī and min) as it is used without prepositions. Simiraly *balagha yablughu bulūghan* which has different prepositions '*ilá*' is one of it. These prepositions, when used, bring a significant change into the original meanings of the verbs. Such useages are called '*taḍmīn*' or '*ikhtilāf al-ṣilah wa al-fi'l*' as named by the great scholar of India 'Abdul Ḥamīd Farāhī (d. 1930).**

**In the following short article different prepositions of the verb '*ashāra yushīru ishāratan'* is discussed in the light of the Arabic poetry, the Qur'ān and the Ḥadīth.**

**الملخص:**

اللغة العربية كمثل بعض اللغات العالمية تتمتع من تعددية الصلات ومن هنا بتعددية المعاني والمدلولات فخذ- مثلًا- فعل عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا يأتي متعدّيًا بنفسه كما يأتي لازمًا يتعدّى بثلاثة أحرف جرّ وهي: الباء وفِيْ ومِنْ وكذا يستعمل متعدّيًا لمفعولين يدخل على مفعوله الثاني (مِنْ) وهو كذلك خلاف العلم كما قال النابغة الذبياني:

ينبيكِ ذو عرضهم عني وعالمهم، وليس جاهلُ شيء مثلَ من علِما[1]

وقال عوف بن الأبرص:

فهل لك في بني جحر بن عمرو فتعلمه وأجهله، ولاء[2]

وسنتاوله بالبحث في مقالة أخرى إنْ شاء الله تعالى.

[1] ديوانه، ص 112

[2] ديوان المفضليات، ص 175

وفي هذه العجالة نودّ أنْ نلقي بعض الأضواء على مختلف أحرف الجر الداخلة على الفعل (أشَارَ يُشِيْرُ إشَارَةً) في ضوء كلام العرب والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

**الكلمات الدلالية:** الإشارة، أحرف الجرّ، المعاجم، كلام العرب، القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

**المدخل:**

اللغة العربية، كمثل اللغات العالمية الأخرى، تتغيّر معاني الأفعال فيها بتغيّر حروف الجرّ مثل فعل "رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبَةً" فإذا دخلت عليه "إلى" دلّ على معنى الميل والهوى، وإذا دخلت عليه "عَنْ" دلّ على معنى التنفّر والإعراض، وإذا دخلت عليه "فِيْ" دلّ على معنى الرغبة والطمع، وحتى إذا دخلت عليه "الباء" و"عَنْ" معًا دلّ على معنًى آخر يختلف عن هذه المعاني كلها. وقد كثر استخدام هذا الأسلوب في كلام العرب والقرآن الكريم والأحاديث النبوي حتى ادّعى بعض اللغويين أنهم يتمكّنون من تقديم مجلّد ضخم يجمع أمثلة هذا الأسلوب. يسمّيها معظمهم بـ"التضمين" بينما سمّاها الإمام عبد الحميد الفراهي (1930م) بـ"اختلاف الصلة والفعل".[3]

ومن مثل هذه الأفعال فعل "أشَارَ يُشِيْرُ إشَارَةً" الذي نودّ أن نتحدّث عنه في ضوء كلام العرب والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

**معنى الفعل (أشَارَ):**

أشَارَه يُشِيْرُ إشَارَةً يعني: أعانه في جَنْبِه وأومأ إليه كما قال عدي بن زيد العبادي:

| | |
|---|---|
| ربّ دهرٍ قد تمتّعتُ بها | وقصرتُ اليومَ في بيتِ عذاري |
| بسَمَاعٍ يأذنُ الشيخُ له | وحديثٍ مثلِ ماذيٍّ مُشار |
| وقضينا حاجةً من لذّةٍ | وحياةُ المرء كالشيء المُعار[4] |

وأنشد ثعلب:

| | |
|---|---|
| نُسِرُّ الهوى إلا إشارةَ حاجبٍ | هناك، وإلا أن تشير الأصابع[5] |

ففي الشاهد الأول تعني الإشارة جني النحل بينما تعني في الشاهد الثاني الإيماء.

**لزوم الفعل وتعدّيه:** وهو يأتي لازمًا ومتعدّيًا بنفسه فاللازم منه يتعدّى بخمسة أحرف جرّ وهي: إلى والباء وعلى وفي واللام فأشَارَ إليه، وهو شائع جدًا، يعني: أومأ إليه كما قال عنترة بن شدّاد العبسي:

| | |
|---|---|
| أشارتْ إليها الشمس عند غروبها | تقول إذا اسودّ الدجى فاطلعي بعدي[6] |

[3] رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، 199/1 ومجلة الهند، 603-594/4/9

[4] ديوانه، ص 95، ويروى: "وملاءٍ قد تلهّيتُ بها" و"في سماعٍ"، لسان العرب: شور

[5] لسان العرب: شور

[6] شرح ديوانه، ص 61

وقال الكميت الأسدي:

| | |
|---|---|
| لنا قمرا السماء وكلُّ نجمٍ | تشير إليه أيدي المهتدينا[7] |

وقال الأخطل:

| | |
|---|---|
| إليه أشار الناظرون، كأنه | هلالٌ بدا من قُتمة وغيوب[8] |

وقال كثيّر عزة:

| | |
|---|---|
| إليك تشير أيديهم إذاما | رضوا أو غالهم أمرٌ جليل[9] |

وقال العجير السلولي:

| | |
|---|---|
| أيا ربِّ لا تغفر لعثمة ذنبَها | وإن لم يعاقبها العجيرُ فعاقبِ |
| أشارتْ وعقد الله بيني وبينها | إلى راكبٍ من دونه ألفُ راكب |
| حرامٌ عليكِ الحجُّ لا تقربنّه | إذا حاج حجُّ المسلمات التوائب[10] |

وقال إبراهيم بن هرمة:

| | |
|---|---|
| إذا قيل أيَّ فتًى تعلمون | أهشَّ إلى الطعن بالذابل |
| وأضربَ للقِرن يوم الوغى | وأطعمَ في الزمن الماحل |
| أشارتْ إليك أكفُّ الورى | إشارةَ غرقى إلى الساحل[11] |

وقال ابن هرمة أيضًا:

| | |
|---|---|
| إذا قيل مَن خيرُ مَن يُرتَجى | لمعترّ فهرٍ ومحتاجها |
| ومن يُعجِلُ الخيلَ يوم الوغى | بإلجامها قبل إسراجها |
| أشارتْ نساءُ بني غالبٍ | إليك به قبلَ أزواجها[12] |

وقال آخر:

---

[7] ديوانه، ص 436

[8] ديوانه، ص 47، قتمة: غبار.

[9] ديوانه، ص 123

[10] مجلة المورد، 1979/1/8م/ص 215

[11] شعره، ص 174-175

[12] شعره، ص 85-86

| | |
|---|---|
| وكأنّ الهلالَ شطرُ سِوارٍ | والثريّا كفٌّ تشير إليه[13] |

وقال تعالى: "يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩". (سورة مريم)

وأشَارَ به يعني: رفعه وأومأ به وأمر به كما قال عبدة بن الطبيب:

| | |
|---|---|
| فعدِّ عنها ولا تشغلْك عن عملٍ | إن الصبابة بعد الشيب تضليل |
| بجسرةٍ كعلاة القين دوسرةٍ | فيها على الأين إرقالٌ وتبغيل |
| عنسٍ تشير بقِنوانٍ إذا زُجِرتْ | من خَصبَة بقيتْ فيها شماليل[14] |

وقال العباس بن مرداس:

| | |
|---|---|
| ولكنّ الرياسةَ عُمِّموها | على يُمنٍ أشار به المشير[15] |

وقال الفرزدق:

| | |
|---|---|
| وبالله لولا أن تقولوا: تكاثرتْ | علينا تميمٌ ظالمين، وأسرفوا |
| لما تُرِكتْ كفٌّ تشير بأصبع | ولا تُرِكتْ عينٌ على الأرض تطرِف |
| لنا العزة الغلباءُ والعدد الذي | عليه إذا عُدّ الحصى يُتَحَلَّف[16] |

وقال وضّاح اليمن:

| | |
|---|---|
| أشارتْ بطرف العين أهلًا ومرحبًا | ستُعطى الذي تهوى على رغمِ مَنْ حسَد[17] |

وجاء في الحديث: "كان إذا أشار بكفّه أشار بها كلّها".[18]

وكذا قال مروان بن أبي حفصة:

| | |
|---|---|
| وزيرٌ إذا ناب الخليفةَ حادثٌ | أشار بما عنه الخليفةُ يصدر[19] |

وقال الفرزدق:

---

[13] الحماسة الشجرية، ص 735

[14] ديوان المفضليات، ص 136

[15] ديوانه، ص 70

[16] ديوانه، ص 392

[17] ديوانه، ص 43

[18] لسان العرب: شور

[19] ديوانه، ص 51

| | |
|---|---|
| صدع الفؤادَ غداةَ بانتْ ظعنُها | وأشار بالبين المُشِتِّ مشير[20] |

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

| | |
|---|---|
| ليس الخديعة من سرّي ومن خُلُقي | وإنْ يُشار بأدنى الأمر يَمتنِع[21] |

وهكذا يعني: أشار بواسطته كما قال بشر بن أبي خازم:

| | |
|---|---|
| وينصره قومٌ غضابٌ عليكم، | متى تدعُهم، يومًا، إلى الروع، يركبوا |
| أشار بهم، لمعَ الأصمّ، فأقبلوا | عرانينَ لا يأتيه، للنصر، مُحلِبُ[22] |

وأما أشار باليد إليه فيعني: أشارت اليد إليه كما قال الكميت الأسدي:

| | |
|---|---|
| يُشيرون بالأيدي إليّ وقولُهم | ألا خاب هذا والمشيرون أخيب[23] |

وأشَارَ به عليه: أمره بأنْ يفعل كذلك فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "وقد عزمنا على المسير إلى عدوّنا وعدوّكم، فأشيروا علينا برأيكم".[24]

ومنه ما جاء في الحديث بين عليّ وبعض صحابته: "هذا جزاء لمن نظر لكم، وأشار عليكم بالرأي فيما بينكم وبين عدوّكم؟".[25]

ومنه ما قال عثمان رضي الله عنه ردًّا على عليّ رضي الله عنه: "إنما كان رأيًا أشرتُ به فمن شاء أخذ به ومن شاء تركه".[26]

وأشَارَ عليه يعني: أمره به كما قال خليفة بن حَمَل:

| | |
|---|---|
| أشار عليها بالإياد وحاجبٌ | من الشمس دانٍ قد ألمّ يغيبُ |
| فما بركتْ حتى تعرّض دونها | من الرمل رملِ القُصرَيَينِ كثيب[27] |

وجاء في الحديث أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "إذا استشار أحدُكم أخاه فلْيُشِرْ عليه".[28]

ومنه أشار عليه به كما قال العباس بن الأحنف:

---

[20] ديوانه، ص 260

[21] ديوانه، ص 345

[22] لسان العرب: حلب

[23] ديوانه، ص 519

[24] جمهرة خطب العرب، 140/1

[25] المصدر نفسه، 145/1

[26] مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث: 707

[27] نوادر أبي زيد، ص 413

[28] سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3747

| | |
|---|---|
| فلعمري لقد علمتُ التي كا | نت أشارتْ عليكم باعتزالي[29] |

وأمّا أشَارَ فيه ففي هنا ظرفية كما جاء في الحديث: "كان يشير في الصلاة".[30]

وأشَارَ له يعني: أشار إليه كما قالت امرأة من بني أسد:

| | |
|---|---|
| أشار له ملكٌ فوقه | هلمّ فأمّ إلى ما أشارا[31] |

وقال سويد بن الحارث:

| | |
|---|---|
| أشارتْ له الحربُ العوانُ فجاءها | سريعًا غداةَ الروع أوّلَ مَنْ أتى[32] |

وقال زبان بن سيّار الفزاري:

| | |
|---|---|
| تخبّر طيرَة فيها زياد | لتخبره وما فيها خبير |
| أقام كأنّ لقمان بن عاد | أشار له بحكمته مشير[33] |

وقال الشاعر:

| | |
|---|---|
| أشارتْ لإنسانٍ بإنسانِ كفّها، | لتقتلَ إنسانًا بإنسانِ عينها[34] |

وأما أشَارَ له إليه فيعني: دلّه عليه كما جاء في حديث قتل أبي جهل: "يا عمِّ أرِني أبا جهل ... فأشرتُ لهما إليه".[35]

وأما المتعدّي فيتعدّى لمفعولين، كذلك، تدخل على المفعول الثاني (على) فقال ابن الدمينة:

| | |
|---|---|
| خليليّ ليس الرأي في صدرِ واحدٍ | أشيرا عليّ اليومَ ما تريان[36] |

أي أعطاه مشورة كذا.

وجاء في كتاب عليّ إلى جرير بن عبد الله: "وقد كان المغيرة بن شعبة أشار عليّ وأنا بالمدينة أن أستعمله على الشأم فأبيتُ ذلك عليه".[37]

---

[29] ديوانه، ص 220

[30] لسان العرب: شور

[31] الحماسة الشجرية، ص 776

[32] كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، 130/2

[33] البيان والتبيين، 304/3

[34] لسان العرب: أنس

[35] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3988

[36] كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، 67/2

[37] جمهرة رسائل العرب، 344/2

**ملخّص القول:**

الفعل (أشَارَ) يعني: أعان أحدًا في جني النحل وكذلك أومأ إلى شيء. وهو يأتي لازمًا ومتعدّيًا بنفسه فاللازم يتعدّى بخمسة أحرف جرّ وهي: إلى والباء وعلى وفي واللام كما أنّ المتعدّي يتعدّى لمفعولين تدخل على مفعوله الثاني (على). ولكل هذه الأحرف دلالات يختلف بعضها عن الآخر.

ونحمد الله جلّ جلاله أنه وفّقنا لخدمة لغة كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

## المصادر والمراجع


1. القرآن الكريم
2. أسلوب التضمين وأثره في التفسير للدكتور زيد عمر عبد الله، د.ت.
3. البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م
4. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1933م
5. جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
6. الحماسة الشجرية لابن الشجري، تحقيق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحميصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1970م
7. خير المقال في صلات الأفعال للدكتور أورنك زيب الأعظمي، جمع وترتيب: د. محمد معتصم الأعظمي، مركزي ببليكيشنز، نيو دلهي، يناير، 2022م
8. ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمّد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م
9. ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1954م
10. ديوان العباس بن مرداس السلمي، جمع وتحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط1، 1991م
11. ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م
12. ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
13. ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6
14. ديوان النابغة الذبياني بشرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م
15. ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق وجمع: محمد جبار المعيبد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، 1965م
16. ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
17. ديوان كُثَيِّر عَزّة، جمع وشرح: د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م
18. ديوان مروان بن أبي حفصة، جمع وتحقيق وتقديم: د. حسين عطوان، دار المعارف، ط3، 1982م
19. ديوان وضاح اليمن، جمع وتقديم وشرح: د. محمد خير الدين البقاعي، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م

20. رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن لعبد الحميد، الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، 1991م
21. سنن ابن ماجة للإمام الحافظ أبي عبد الله محمّد بن يزيد الرَبعي ابن ماجه القَزويني، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، أبريل 1999م
22. شرح ديوان عنترة بن شداد العبسي، للعلامة التبريزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م
23. شعر إبراهيم بن هرَمة القرشي، تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1869م
24. صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 2002م
25. كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، تحقيق: د. السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
26. لسان العرب لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، د.ت.
27. مجلة المورد الفصلية الصادرة عن وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ للنشر، العراق
28. مجلة الهند الفصلية المحكّمة الصادرة عن مولانا أبو الكلام آزاد إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية
29. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995م
30. النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1981م

# تعدد الوظيفة الإعرابية؛ لاتساع معنى الوحدة المعجمية



**الدكتور بدر بن سالم بن جميل السناني.**
جامعة التقنية والعلوم التطبيقية بالرستاق
سلطنة عمان.
**bader.alsinani@utas.edu.om**

**Abstract:** **Linguistic studies consider the traditional term "word" an obstacle to many linguistic studies due to the inability to establish clear boundaries for it, such as the limitations of its spelling and function, the inadequacy of linear definitions for compound expressions (coined phrases), and the overlap between linguistic levels in dealing with a single word. Therefore, the term "lexical unit" emerged as a sound scientific alternative, bridging Arabic grammatical thought with modern linguistics. This term aims to define the lexical unit semantically and convey the information that characterizes its actual behaviour in the text, moving beyond the constraints of rigid linear forms.**

**Early Arab scholars recognized the significance of the lexical unit and addressed it in their studies. They understood that the breadth of its meaning and the suitability of its surface structure for multiple interpretations are among the reasons for the multiplicity of grammatical functions. This multiplicity grants Arabic a wide range of structures and a rich lexicon, transforming surface structures into expansive semantic spaces that efficiently serve the purposes of discourse.**

**The relationship between inflection and meaning is dialectical; just as inflection requires meaning, meaning requires inflection. Grammatical analysis is a semantic morpheme whose function is to ensure clarity and reveal the speaker's underlying psychological intentions. However, some instances remain ambiguous, allowing for multiple interpretations. Perhaps the most significant reason for this multiplicity of grammatical functions is the shared grammatical function of a lexical unit, and the fact that a lexical unit can be treated as a separate entity when a word conveys the meaning of two words simultaneously.**

**The lexical meaning is the essential guide to grammatical analysis. The broader the semantic range of a unit and the more its surface structure can accommodate multiple meanings, the more grammatical interpretations become, transforming concise structures into expansive semantic spaces that encompass the most subtle intentions of the discourse.**

**Key Words:** **Grammatical function, Inflection, meaning, Lexeme, lexicon.**

**ملخص البحث :** ترى الدراسات اللسانية أن مصطلح الكلمة التقليدي يمثل عائقا أمام الكثير من الدراسات اللسانية؛ لعدم القدرة على وضع حدود واضحة له كقصور الشكل الإملائي والوظيفة، وعجز التعريف الخطي أمام التعبيرات المركبة (المركبات المسكوكة)، فضلا عن التداخل بين المستويات اللغوية في تناول الكلمة الواحدة، فجاء مكانه مصطلح الوحدة المعجمية بديلا علميا رصينا يربط بين الفكر

النحوي العربي واللسانيات الحديثة؛ لضبط الوحدة المعجمة دلاليا وحملها المعلومات التي تميز سلوكها الفعلي في النص بعيدا عن قيود الشكل الخطي الجامد.

فطن علماء العربية قديما إلى دلالة الوحدة المعجمة وتناولها في دراستهم، وكانوا مدركين أن اتساع دلالة هذه الوحدة وصلاحية بنيتها السطحية لأكثر من معنى هو من أسباب تعدد الوظيفة الإعرابية التي تمنح العربية سعة في تراكيبها وثراء في معجمها اللغوي، محوّلةً البنى السطحية فضاءات دلالية رحبة تخدم أغراض الخطاب بكفاءة عالية.

إن العلاقة بين الإعراب والمعنى جدلية فبقدر ما يحتاج الإعراب إلى المعنى، يحتاج المعنى إلى الإعراب؛ فالإعراب هو مورفيم دلالي، ترتكز وظيفته في تحقيق أمن اللبس والكشف عن المقاصد النفسية الكامنة في ذهن المتكلم، لكن تبقى بعض المواطن ملبسة فتحتمل بنيتها أكثر من قراءة، ولعل من أهم الأسباب الباعثة على تعدد الوظيفة الإعرابية اشتراك الوحدة المعجمية في أكثر من وظيفة إعرابية وإعطاء الوحدة المعجمية حكم غيرها حين يمنح اللفظ مؤدى كلمتين في آن واحد.

إن المعنى المعجمي هو موجه الإعراب الجوهري؛ فبقدر اتساع دلالة الوحدة وصلاحية بنيتها السطحية لاحتمال أكثر من معنى، تتعدد التوجيهات النحوية لتتحول الأبنية الموجزة فضاءات دلالية رحبة تستوعب أدق مقاصد الخطاب.

**الكلمات المفتاحية:** الوظيفة الإعرابية، الإعراب، المعنى، الوحدة المعجمية، المعجم.

**مقدمة البحث:** تُعد ظاهرة الإعراب من السمات البارزة التي تميزت بها اللغة العربية بين اللغات السامية، فهي ميزان العربية والقانون الذي يحكم تراكيبها، ويربط بين البنية اللفظية والمقاصد الدلالية، ويخلص من جمود ترتيب ألفاظها؛ فيمنحها الثراء البلاغي والتركيبي بامتلاكها مرونة فائقة للتعبير عن أدق المعاني والمقاصد.

ليس الإعراب وسيلة للتخلص من التقاء الساكنين أو تسهيل وصل الكلمات، مؤكدين أنه ترجمة للمعاني الكامنة في النفس، فهو مورفيم دلالي ووظيفي يربط بين البنية اللفظية والمقاصد الدلالية، يحمي الكلام من فوضى التعبير، ويضمن سلامة التواصل والتمايز بين المعاني المتكافئة، والعلاقة بينه وبين المعنى علاقة جدلية؛ كلٌّ منهما يحتاج إلى الآخر.

تستوعب بنية الوحدة المعجمية أكثر من دلالة منطوقة في آن واحد، مما يفتح آفاقاً واسعة للتأويل، ولا سيما في النص القرآني، فاتساع دلالة الوحدة المعجمية وصلاحية بنيتها السطحية لأكثر من قراءة من البواعث الرئيسة لظاهرة تعدد وظيفة المكون النحوية في تراكيب العربية، ولا سيما في النص القرآني؛ إذ يسمح للكلمة الواحدة بحمل دلالات متكاملة وتوجيهات نحوية متعددة، وهي ظاهرة شائعة في تراكيب العربية، فلا تنكر.

من أهم بواعث تعدد أوجه الإعراب اشـــتراك الوحدة المعجمية في أكثر من وظيفة نحوية، أو إعطاء الوحدة المعجمية حكم غيرها (التضـمين النحوي)، مما يمنح التركيب سـعة في المعنى وتعدداً في التوجيه الإعرابي، وقد يشـــترك مســـتويان أو أكثر في تعدد توجيه تركيب ما، وهي قيمة جمالية وعلمية تمنح العربية قدرة فائقة على استيعاب المعاني الدقيقة والعميقة ضمن أبنية موجزة.

## أهداف البحث:

يهدف البحث إلى اســـتجلاء العلاقة الجدلية بين الإعراب والمعنى بوصـــف الإعراب مورفيما دلاليا وظيفته الرئيسة تحقيق أمن اللبس والكشف عن المقاصد النفسية للمتكلم، ويتخذ البحث من مفهوم الوحدة المعجمية أنموذجا بديلا عن مصـــطلح الكلمة التقليدي؛ ليتجاوز قصـــور تعريفات الكلمة الإملائية والخطية وتداخل المستويات اللغوية.

يسـعى البحث إلى بيان أثر اتسـاع دلالة الوحدة المعجمية وصلاحية بنيتها السـطحية لاحتمل أكثر من معنى في تعدد وظيفة المكونات الإعرابية؛ لذا يجيب البحث عن السـؤال الرئيس الآتي: كيف يؤثر اتسـاع دلالة الوحدة المعجمية في تعدد الأوجه الإعرابية ؟

## منهجية البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي مع تطعيمه بالمنهج المقارن الذي تجلى في الموازنة بين العقلية اللغوية العربية القديمة والنظريات اللسانية الحديثة لبيان مفهوم الوحدة المعجمية، وتأكيد أوجه التكامل بين التراث اللغوي الأصيل والمفاهيم اللسانية المعاصرة؛ رغبة في تجاوز قصور تعريف الكلمة التقليدي والبحث في سعة الاحتمال الدلالي.

أفاد البحث من المنهج التطبيقي الاستقرائي باتخاذ النص القرآني ونصوص الشعر العربي أنموذجا؛ لبيان أثر اتســـاع دلالة الوحدة المعجمية في توجيه الكلمة إعرابيا لأكثر من وظيفة نحوية ودور ذلك في تحقيق مقاصد المتكلم وإثراء المعنى.

## محاور البحث:

يُقسـم البحث إلى مقدّمة وثلاثة مباحث، فخاتمة تضـم الخلاصـة فالتوصـيات، أما خلاصـة المباحث فالآتي:

أصَّل المبحث الأول الأطر النظرية للوظيفة الإعرابية وماهية الإعراب، مبينا أنه ميزان العربية والقانون الذي يربط بين البنية اللفظية والمقاصد الدلالية، ويستعرض المبحث الإعراب بوصفه مورفيما وظيفيا، يحقق أمن اللبس ويمنع فوضى التعبير، مؤكدا العلاقة الجدلية بين الإعراب والمعنى في مستويي الإنتاج (المتكلم) والتلقي (السامع).

استعرض المبحث الثاني مفهوم الوحدة المعجمية موازنا بين التراث النحوي العربي واللسانيات الحديثة ومحلل قصور مصطلح الكلمة التقليدي، مؤكدا فطنة العلماء القدامى لجوهر الوحدة المعجمية.

أما المبحث الثالث فركز على دور القرينة المعجمية في توجيه الوظيفة النحوية وحسم الأوجه الإعرابية المتعددة التي تفرضها بنية التركيب وتستجيب للقصد النفسي للمتكلم، ويحلل أسباب تعدد الوظيفة الإعرابية مركزا على سببين رئيسين:

الأول: اشتراك الوحدة المعجمية في أكثر من وظيفة إعرابية لصلاحية تتردد بعض الأدوات بين أكثر من وظيفة نحوية.

الآخر: التضمين النحوي وإعطاء الوحدة المعجمية حكم غيرها؛ لتؤدي الكلمة الواحدة مؤدى كلمتين في آن واحد.

## المبحث الأول: الأطر النظرية للوظيفة الإعر ابية والوحدة المعجمية

### 1.1. ماهية الإعراب.

تعد ظاهرة الإعراب من أبرز خصائص اللغة العربية وسمة تميزها عن غيرها من اللغات (السيوطي. 1998. ج 1 ص 327)، وهي ظاهرة قديمة وُجدت في أصول اللغات السامية (البابلية والأكادية)، لكن العربية الفصحى تميزت بكونها اللغة الوحيدة التي حافظت على هذا النظام كاملا طوال تاريخها، إذ تكد الدراسات اللغوية أن العربية « احتفظت بظاهرة التصرف الإعرابي بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية، باستثناء البابلية القديمة، قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي» (يوهان فك. د. ت. ص 15).

فقدت اللغات السامية الأخرى كالعبرية والحبشية والسريانية هذه السمة وتحولت لغات غير معربة، أو بقيت فيها مجرد رواسب غير مؤثرة، إذ تؤكد الدراسات المقارنة أن «الإعراب سامي الأصل، تشترك فيه اللغة الأكادية، وفي بعضه الحبشية، وبجد أثارا منه في غيرها، غير أن العربية ابتدعت شيئين، الأول: إعراب الخبر والمضاف، وتتفق في ذلك مع بعض أخواتها، والثاني: عدم الانصراف في بعض الأسماء، وتنفرد بذلك عن غيرها» (برجشتراسر. 1994. ص 116).

إن الإعراب ميزان العربية والقانون الذي يحكم تراكيبها، ويربط بين البنية اللفظية والمقاصد الدلالية، وهو الفارق بين اللغات الإعرابية (التأليفية أو التصريفية) واللغات التحليلية كالإنجليزية، فاللغات الإعرابية التأليفية تعتمد على تغيير أواخر الكلم، والإعراب في العربية مورفيم يؤدي معنى وظيفيًا؛ لبيان العلاقات النحوية، مما يمنحها حرية الرتب في تراكيبها ومرونة في التقديم والتأخير دون ضياع المعنى.

أما اللغات غير الإعرابية (التحليلية أو العازلة) فتلتزم فيها الكلمة رتبة واحدة ثابتة (موقع محدد)، فإذا أراد المتحدث في هذه اللغات تحديد العلاقة بين المبتدأ والخبر أو المضاف والمضاف إليه، فإنه يضطر لاستخدام عنصر لغوي ثالث (كأفعال الكينونة أو أدوات الربط)، وهو ما تؤديه حركة الإعراب في العربية بشكل مستقل وموجز.

إن اللغات البشرية تختلف من حيث ترتيب عناصرها، فمنها من يسلك نظاما صارما في ترتيب عناصره، ومنها من يتمتع بحرية في ترتيب هذه العناصر، يقول فندريس: « تختلف اللغات اختلافا ملحوظا من جهة حريتها في ترتيب الكلمات، من هذه الوجهة يفرق غالبا بين نوعين من اللغات: اللغات ذات الترتيب الحر، واللغات ذات الترتيب الثابت، وهو تفريق لا تبرره الوقائع، فالحقيقة أنَّه لا توجد لغة واحدة تسير في ترتيب الكلمات على حرية مطلقة، كما لا توجد لغة واحدة ترتيب الكلمات فيها جامد لا يتحرك» (1950. ص 187).

يبقى نظام العربية أكثر مرونة من غيره، تخضع فيه كلمات اللغة العربية لنظام مخصوص، ويراعى في بناء الجملة وصياغة التركيب، حيث تعد اللغة العربية لغة مترددة بين المنزلتين (وجيه. 1998. ص 293)، فهي حافلة بكثير من التراكيب التي يمكن تصنيفها على أنها تراكيب حرة الترتيب، وتوصف مكوناتها بأنها غير محفوظة الرتبة، وتحفل اللغة العربية أيضا بعدد من التراكيب التي يمكن تصنيفها على أنها تراكيب ثابتة الترتيب، وتوصف مكوناتها بأنها محفوظة الرتبة حيث يلتزم فيها التركيب بنمط تركيبي ثابت لا يقبل.

إن الرتب غير المحفوظة متروكة لتصرُّف المتكلِّم حسب مقتضيات السِّياق، فقد تأذن أحيانًا بالتقديم أو التأخير، فهي رتب مرنة يعضدها الإعراب الذي يفارق اللغات الأخرى بكونه أداة لإيجاز الكلم وتوسيع المعنى؛ فالحركة الواحدة تغني عن جملة من الشرح، ويضفي نغما موسيقيا وجرسا للألفاظ يمنح الشعر والنثر العربي رونقا لا يوجد في اللغات المبنية التي تفتقر لتنوع أواخر الكلم، فالإعراب هو الصفة التي نقلت العربية من مجرد رصّ للألفاظ إلى نظام بياني معجز، وهو الذي جعلها لغة مطواعة تستوعب المعاني الدقيقة بمرونة تفقدها اللغات التي تعتمد على جمود الترتيب.

يدور معنى الإعراب اللغوي في فلك البيان والإبانة والإفصاح، فالإعراب لغة « الْبَيَان والتغيير والتحسين، يُقَال: أعرب عَن حَاجته؛ إِذا أبان عَنْهَا» (الكفوي. 1998. ص 143)، والإعراب في الاصطلاح هو « الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه وشكر سعيدًا أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام شرجًا واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه » (ابن جني. 2012. ح 1 ص 36)، جاء في لسان العرب «الإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، وإنما سمي الإعراب إعرابا؛ لأنه يبين المعاني» (ابن منظور. 1994. مادة ع. ر. ب).

**2.1. العلاقة بين الإعراب والمعنى.**

تمثل علاقة الإعراب بالمعنى علاقة جدلية بين الدراسين، وهي علاقة وثيقة لا يمكن أن نفصل بينهما، حيث يمثل الإعراب في العربية نظاما دقيقا يتجاوز مجرد ضبط الألفاظ الشكلي، فالإعراب هو المسؤول عن أمن اللبس في التراكيب اللغوية والضمانة التي تحمي الكلام من اختلاط الفاعلية بالمفعولية أو التعجب بالاستفهام عند تشابه المباني، فهو ليس زيادة صوتية أو حركات عبثية جيء بها للسرعة في الكلام، وللتخلص من التقاء الساكنين عند اتصال الكلام كما يرى قطرب (الزَّجَّاجي. 1986. ص 70، والسيوطي. 1997. ج 1 ص 79).

بمذهب قطرب (محمد بن المستنير) قال إبراهيم أنيس الذي يرى أنه ليس للحركة الإعرابية مدلول، جاء في الفصل الثالث المعنون (قصة الإعراب) من كتابه من أسرار اللغة « لم تكن تلك الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض» (أنيس. 1978، ص 237).

ردَّ العلماء على نظرية قطرب التي زعمت أنَّ الإعراب مجرد ظاهرة صوتية جيء به للتخلص من التقاء الساكنين وتسهيل وصل الكلمات، وليس للدلالة على المعاني؛ لذا يكاد يجمع الدراسون قديما وحديثا أن الإعراب ترجمة للمعاني الكامنة في نفس المتكلم والوسيلة التي تفتح الألفاظ المغلقة؛ لتكشف عن المقاصد المختبئة وراءها، فعلاقة الإعراب بالمعنى علاقة وطيدة، تبرز في اتجاهين متكاملين:

**1.2.1. الإعراب فرعُ المعنى (مرحلة الإنتاج ووجهة نظر المتكلم).**

يُعدُّ المعنى هو الأصل، والإعراب خادم وتابع له؛ فالمتكلم يراعي المعنى أولا وهو ينسج كلماته، ثم يأتي الإعراب تعبيرا عن ذلك القصد، فقرروا أن « كل مَا صلح بِهِ الْمَعْنى فَهُوَ جيد، وكل مَا فسد بِهِ الْمَعْنى فمردود » (المبرد. 1994. ج 4 ص 311)؛ اعتمد أبو العباس المعنى حكمًا فيصلا في تصحيح النحو، وهذا الأمر الذي كان عليه أكثر نحاة العربية، فجعلوا أول الشروط التي يجب تحققها في المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفردًا أو مركبا قبل الإعراب؛ لأنه فرع المعنى (ابن هشام. 1985. ج 2 ص 527).

يؤكد هذه الحقيقة اعتناء سيبويه بالمعنى قبل الإعراب، حيث كان يحرص على أن يصحح المعنى قبل أن يصحح الإعراب، فالأولى عنده المعنى ثم الإعراب، فهو يتلمس المعنى الذي ينساق له الكلام، وعاب على النحويين حرصهم على الإعراب أولا، وإن فسد به المعنى والحامل له على ذكر المعنى هو أن يظهره الإعراب، وذلك من أجل قيام المعنى في ذهنه أولا (عبده. 1982. ج 1 ص 307)، وعقد ابن جنى في كتابه الخصائص بابا للرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني، فهو يرى أن العرب تحلى ألفاظها، وتدبجها، وتشيها، وتزخرفها؛ عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها إلى إدراك مطالبها، فالألفاظ خدم للمعاني، والمخدوم -لا شك- أشرف من الخادم (ابن جني. 2012. ح 1 ص 221)

**2.1.2. المعنى فرعُ الإعراب (مرحلة الفهم ووجهة نظر المتلقي).**

يعد « الإعراب من أهم خصـائص العربية وأبرزها، فيه تعرف المعاني، وعليه يوقف على قصـد المتكلم من كلامه، وبه يميز السامع بين المعاني، وعليه يتوقف فهم كلام العرب؛ لما له من فوائد دلالية وإيقاعية وتأثيرية في فهم المتلقي » (علوش.1997. ص 56)

إن أصحاب هذا القول ينطلقون من جهة السـامع أن الإعراب هو الطريق الموصـل إلى المعنى والمفتاح الذي يفتح الألفاظ المغلقة فبمعرفة حقيقة الإعراب تظهر الفوائد، ويفهم الخطاب، وتصـح معرفة المقاصـد؛ لأن «الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المسـتخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبيّن نقصـان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سـقيم حتى يرجع إليه، لا ينكر ذلك إلّا من ينكر حسّه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه» (الجرجاني. 2001. ص 30).

القول إن الإعراب هو للدلالة على المعاني المختلفة حقيقة لغوية ليس فيها شـك فيما نرى، فالإعراب هو المقياس الضابط لسلامة التركيب والضامن الوحيد لبلوغ المعنى المراد، وبدونه تظل الألفاظ مغلقة على معانيها، وهو المقياس الأدق للكشـف عن العلائق بين عناصـر الخطاب الذي يتبين به الفضـل، وإلا فمن ينكر أن قولنا « أرهب الناس سلمان، إذا كان غفلا احتمل معاني عدة، ولا يتضح المعنى المراد إلا بالإعراب؟ وذلك نحو: أَرْهَبَ النَّاسُ سَلْمَانَ، أَرْهَبَ النَّاسَ سَلْمَانُ، أَرْهَبُ النَّاسِ سَلْمَانُ، أَرْهِبِ النَّاسَ سَلْمَانُ» (السامرائي. 2007. ص 34).

يذهب أكثر الدارسـين إلى أن الإعراب فرع المعنى؛ لأن المعنى أسـبق في الوجود من اللفظ، إذ يقع المعنى في خاطر المتكلم وذهنه أولا، ثم يسـوقه، ويعبر عنه لفظا، ولعل المتكلم يجتهد في تقويم لفظه وضـبطه؛ ليعبر عن المعنى الذي يريده أفضـل تعبير، لكنه حين يُقَوِّم ويضـبط إنما يفعل ذلك باللفظ، وليس بالمعنى، فالفكرة قائمة في الذهن، ويبقى التعبير عنها، فإنْ قَصَـر عن التعبير عنها، فإنما ذلك يرجع إلى قدرته اللغوية التعبيرية، وليس إلى قصـور المعنى (الجبالي. 2021).

إن الإعراب هو ميزان العربية والضـمانة الوحيدة لسـلامة الفهم ومنع فسـاد المعاني، وهذا التلاحم بين الإعراب والمعنى يجعلهما صـنوين لا ينفصـلان؛ فبقدر ما يحتاج المعنى إلى الإعراب؛ ليتحقق أمن اللبس، يحتاج الإعراب إلى المعنى؛ ليكون له مدلول وظيفي يخرجه من دائرة الشكلية الصرفة إلى آفاق البيان الإعجازي، وهذا ما تؤكده وظائف الإعراب الدلالية.

**3.1. وظائف الإعراب الدلالية.**

يعد الإعراب المورفيم الذي يدل المستمع على علاقة اللفظ بلفظ آخر في التركيب، ويربط أجزاء الكلام، ويجعلها ملتحمة لتؤدي وظيفتها الإبلاغية، ويتجاوز الإعراب بنية الكلام التركيبية إلى ربطه بالتواصل والكفاية النمطية

والتداولية؛ لتحقيق توازن بين القواعد اللغوية وكيفية استخدامها في السياقات الاجتماعية والعملية، فالإعراب أداة دقيقة لتمييز المعاني وتوجيهها في الجملة.

تتركز أهم وظائف الإعراب الدلالية في تفصيل الخطاب؛ لكونه النظام الذي ينقل اللغة من دائرة الأصوات المجردة إلى آفاق المعاني الدقيقة، وتتجلى أبرز هذه الوظائف في الآتي:

**3.1. 1. تحقيق أمن اللبس وتمييز المعاني المتكافئة.**

« من العلوم الجليلة الَّتِي خصت بِهَا العرب الإعرابُ الَّذِي هو الفارق بَيْنَ المعاني المتكافِئَة فِي اللفظ، وبه يعرف الخبر الَّذِي هو أصل الكلام، ولولاه مَا مُيّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من مَنْعوت، ولا تَعَجُّبٌ من استفهام، ولا صَدْر من مصدَر، ولا نعتٌ من تأكيد » (ابن فارس. 1997. ص 43).

يفرق الإعراب بين المعاني التي قد تشتبه في اللفظ، فوظيفة الإعراب المركزية فك انغلاق الألفاظ ومنع اختلاط المعاني المحتملة التي قد تتطابق في المباني، وتختلف في القصد والدلالة؛ فبدون الإعراب قد يُشْتبهم الفاعل من المفعول والمنعوت من المضاف والتعجب من الاستفهام. فالإعراب هو الضمانة التي تحمي الخطاب من فوضى التعبير والإبهام والغموض، مما يجعله المعيار والمقياس الذي لا يُعرف صحيح المعنى من سقيمه إلا بالرجوع إليه.

ثمة روايات في التشريع والفقه يتعلق المعنى فيها بحركة اللفظة، ومن أمثلة هذا ما دار بين الكسائي وأبي يوسف في حضور الرشيد؛ حين سأل الكسائي أبا يوسف في رجلين اتُّهما بقتل عبد لرجل، فقدمهما إلى قاض، فادعى عليهما قَتْل عبده. فسأل أحدهما، فقال: أنا قاتلُ عَبْدِه، وسأل الآخر فقال: أنا قاتلٌ عَبْدَه، أيهما القاتل؟ فقال أبو يوسف: جميعا. فقال الكسائي: بئس ما قلت، أنعِم النظر. فقال: الذي قال: أنا قاتلٌ عبدَه. فقال: وهذا أيضا خطأ. فقال الرشيد: أما علمت أن الذي قال: أنا قاتلٌ عبدَه، قد وعد بقتله، ولم يقتله، وأن من قال: أنا قاتلُ عبدِه قد أقر بالقتل؟ فانتبه أبو يوسف (العَوْتبي. 1999. ج 1 ص 20)

مثل هذا في العربية كثير، مثله لو قلت: الرجل سعيدٌ بلقاء صديقه وابنه، فضبط ( ابن ) يحدد هل هو ابن الرجل (وابنُه)، أو هو ابن الصديق (وابنِه).

**3.1. 2. توليد تعدد الأوجه وتوسيع الدلالة.**

يؤدي الإعراب وظيفة جوهرية في إثراء المعنى وتوليد دلالات متعددة من مبنى لفظي واحد؛ فاحتمال الكلمة لأكثر من وجه إعرابي يفتح آفاقا واسعة للتأويل، خاصة في النص القرآني، وهي كثيرة منها للتمثيل قراءة ( يقول ) في قوله تعالى: ﴿ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ (سورة البقرة: 214)، فـ( حَتَّى ) على النصب بمعنى ( إلى )، ويكون ما قبل ( حَتَّى ) وما بعدها قد وجدا ومضيا، والتقدير: وزلزلوا إلى أن يقول الرسول، والزلزلة والقول قد وجدا، وهذا كقولك: سرت حتى أدخلها، أي: إلى أن أدخلها، فالسير والدخول قد وجدا ومضيا.

أما الرفع فيكون على سبيل الحال المحكية التي وجدت، والمعنى: وزلزلوا فيما مضى، حتى أن الرسول يقول الآن: متى نصر الله، فهي حال ماضية محكية، كما يقال: شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه، والمعنى: شربت الإبل حتى إن من حضر هناك يقال: يجيء البعير يجر بطنه.

يبرز -أيضا- أثر الإعراب في قوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ ( سورة الأعراف: 26) حيث قرئ بالرفع والنصب؛ فمن قرأ بالرفع جعل (اللباس) مبتدأ وخبره (خير)، أو خبرا لمبتدأ مضمر؛ ليكون التركيز على فضل لباس التقوى ورفعة شأنه.

أما من قرأ بالنصب فقد عطف (اللباس) على المفاعيل السابقة (لباسا وريشا)؛ ليدخل في حيز المنّة والإنزال؛ فالمعنى: (وأنزلنا عليكم لباس التقوى).

يدل رفع (اللباس) على الإخبار بفضيلته، ونصبه يدل على نعمة إنزاله، لذا يُعِدُّ تعدد الأوجه الإعرابية إثراء للمعاني، وهذا التعدد ليس نقصا في التحديد، بل هو أداة تحليلية دقيقة، ونوع من الاتساع الذي يثري المعنى يحمل أكثر من دلالة صحيحة في آن واحد، ويسمح للنص باستيعاب مقاصد المتكلم المتنوعة، ويشكل دلالات جديدة تكاملية مع غيرها بناءً على الموقع النحوي المختار.

**3.1. 3. منح حرية التركيب والمرونة البنائية.**

إن تحريك عناصر التركيب ميزة في النظام النحوي العربي، جعلته يتسم بالمرونة، وهذه المرونة هي التي أتاحت للمنشئ العربي فرصا كثيرة للتعبير عن الأغراض والمشاعر المختلفة إذ يعطي الإعراب في العربية المتكلم حرية التصرف في بناء الجملة التركيبي، ويمنحه سعة في التقديم والتأخير إذا اقتضى المقام البلاغي ذلك مع احتفاظ كل كلمة من ذلك البناء بمعناها الذي تؤديه، ولا يكفي في ذلك رتبة الكلمة ما لم تمنح الحركة الإعرابية التي تضفي عليها المعنى، إذ يمنح الإعراب المتكلم حرية هائلة في التقديم والتأخير دون فقدان وظيفة الكلمة النحوية؛ فالإعراب هو الذي يكفل مرونة الجملة العربية وتنوعها. ومعه يمكن تقديم المفعول على الفاعل؛ لتحقيق أغراض بلاغية (الاهتمام أو التخصيص) مع بقاء المعنى مؤمنا من اللبس، وهو ما تفتقر إليه اللغات غير المعربة التي تلتزم برتبة واحدة ثابتة، و« تدور هذه الظاهرة في اللغة العربية على نطاق واسع؛ وذلك لأنها تقع ضمن اللغات التي لا يحدد موقع الكلمة صفتها النحوية، وتعتمد الإعراب في تحديد تلك الصفة، لذلك كان لها قدر وافر من حرية الحركة داخل الجملة؛ لأن الكلمة في أثنائها تحمل ما يدل على صفتها الإعرابية فلها - تبعا لذلك - من الحرية في التنقل» (أمين. 2009. ص 52).

**3.1. 4. الإيجاز البياني والاختصار الوظيفي.**

يعد الإعراب أداة لتحقيق أقصى درجات الإيجاز واختزال جمل كاملة من الشرح، فالحركة الإعرابية الواحدة تؤدي وظيفة جمل كاملة دون الحاجة إلى استخدام روابط خارجية معقدة لبيان من قام بالفعل ومن وقع عليه، ويمكن أن

تختزل المعاني العميقة في حركات بسيطة، مما يغني اللغة عن التوسع اللفظي والحشو، إذ تكتفي العربية بالحركة؛ لتكون أقصر طريق لمعرفة المعاني، مما يضفي على الخطاب دقة وجمالا وسرعة في الإدراك.

يأتي الإعراب قرينة كاشفة عن الاختزالات والكلمات المحذوفة، مما يحقق أعلى درجات الاختصار الوظيفي كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ ( سورة البقرة: 127 )، فقد دلَّ رفع ( إسماعيلُ ) على أنه مشارك في الفعل مع ( إبراهيم ) دون الحاجة إلى تكرار الفعل ( يرفع )، فالواو عاطفة، وثمة محذوف في التركيب، وهو ( يقولان ) الذي يشغل محل نصب حال، والتقدير العام: وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت. يقولان ربنا تقبل منا، قال أبو زكريا: « يريد: يقولان ربنا، وهي في قراءة عبد الله (يَقُولَانِ رَبَّنَا)» (الفراء .2003. ج 1 ص 66).

يسمح الإعراب بزيادة المعنى دون زيادة في اللفظ؛ فالمفردة الواحدة في النص ولا سيما النص القرآني قد تحتمل أوجهًا إعرابية متعددة، وكل وجه يفتح أفقا تفسيريا جديدا، وهذا التعدد يجعل المتلقي وكأنه يقرأ آيات في آية واحدة، وهو ضرب من ضروب البلاغة والإعجاز المتمثل في الإيجاز الذي يجمع كثرة المعاني في أضعاف مقدار الألفاظ.

**3.1. 5. تجسيد العلاقة الجدلية بين المبنى والمعنى.**

تتركز وظيفة الإعراب في كونه قيادة صوتية صانعة للاتساق بين مكونات الجملة؛ لتؤدي غرضها البياني، وتترجم المعاني النفسية المختلجة في نفس المتكلم، وتحول هذه المعاني الخفية الكامنة في ذهنه علامات وحركات صوتية ملموسة، وهو ما يفسر جوهر العلاقة بين النحو والفكر، فاللفظ ما هو إلا قالب صوتي لترجمة المعاني في نفس المتكلم.

ليس الإعراب زيادة صوتية، فهو صانع للاتساق بين مكونات الجملة، ومن هنا تنبع العلاقة التبادلية بين الإعراب والمعنى؛ فالمتكلم يبني إعرابه بناءً على المعنى (الإعراب فرع المعنى)، بينما يكتشف المتلقي المعنى بالإعراب (المعنى فرع الإعراب)، وهذا يجعل الإعراب بوابة الوصول إلى مراد الخطاب.

تُعد العلاقة بين الإعراب والوحدة المعجمية علاقة تكاملية؛ فالمعجم يمدنا بالمادة اللغوية، وينظم الإعراب هذه المادة بتحديد العلاقات الدلالية والوظيفية بين الكلمات داخل الجملة، ويمثل هذا التكامل بين المعجم والإعراب ركيزة مهمة في هندسة المعنى داخل البنية الجمليّة، فالوحدة المعجمية المقياس الذي يجعل اللغة العربية تتسم بالمرونة والقدرة على استيعاب المعاني العميقة ضمن أبنية موجزة أو مركبة، وتفتح الباب لتعدد الوظائف الإعرابية بناءً على اتساع دلالتها وانفتاح معناها.

يقودنا فهم كُنه هذا التفاعل ومحدداته إلى رصد التطور المعرفي للمفهوم الوحدة المعجمية، وهذا ما سيكون عليه المبحث الثاني من هذا العمل؛ لنقف فيه أمام مقارنة خصبة يتجلى فيها مبحث الوحدة المعجمية بين التراث واللسانيات الحديثة؛ باستجلاء كيف قاربت العقلية اللغوية العربية القديمة هذه الوحدة بعبقريتها التراثية، وكيف أعادت النظريات اللسانية المعاصرة صياغتها وتحديد أبعادها متخطية معنى الكلمة التلقيدي.

## المبحث الثاني: مفهوم الوحدة المعجمية بين التراث واللسانيات الحديثة.

يُعدُّ مَفهوم الوحدة المعجمية ركيزة رئيسة تربط بين الفكر النحوي العربي واللسانيات الحديثة، وقد جاء مَفهوم الوحدة المعجمية بديلا عن مفهوم الكلمة الذي ظل عائقا أمام الكثير من الدراسات لعدم قدرته على وضع حدود واضحة له؛ نظرا لتداخل المستويات اللغوية في تناول الكلمة الواحدة التي قد تتعدد صورها اللفظية (بلقاسم. 2022. ص 494)، مما يسبب خلطا في الإحصاء والدراسة المعجمية والحاسوبية، كالخلط الصوتي لنطق الكلمة بنيةً واحدة، لكنها - حقيقة - تؤدي وظيفة جملة كاملة، نحو: ( أسقيناكُمُوهُ ) فهي كلمة واحدة في الصورة البصرية والنطقية، لكنها تتكون من فعل وفاعل ومفعولين.

الكلمة الواحدة هي الوحدة البصرية التي نراها، وتظهر بهيئة متصلة، أي متتالية مكتوبة دون مسافات في وسطها، لكن قد يحدث الخلط بين الكلمة إملائيا، إذ تتكون في حقيقتها من كلمات وظيفية عدة، نحو ( ذلك ) تتكون من اسم إشارة ( ذا ) ولام البعد وحرف الخطاب، هذا ما أثبت قصور تعريف الكلمة بناءً على شكلها الخطي.

يفشل التعريف بالكلمة خطيا أيضا أمام المركبات المسكوكة المعجمية التي تعطي المعنى باجتماع الكلمات، كالكناية في العربية، فهي أكثر من كلمة، لكنها دلاليا تمثل وحدة واحدة، كقولك: ( يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ) و( قَلَبَ له ظَهْرَ المِجَنِّ ) هي كلمات إملائية متعددة، لكنها وحدة معجمية واحدة من حيث المعنى.

يطرح التداخل بين مفهوم الكلمة ومفهوم الوحدة المعجمية لبسا على النظرية الدلالية أن تتخذ موقفا منه، ولو بصورة ضمنية، والعلة « كلاهما مجموعة غير متجانسة من المعلومات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وأحيانا يتطابقان، وأحيانا لا يتطابقان، لأن المشكل يرتبط بالمعيار الذي يحدد الفرق بين الكلمة والوحدة المعجمية هل هو صرفي أو تركيبي أو معجمي أو دلالي أو من طبيعة أخرى » (الساحلي. 2017. ص 93).

يظهر هذا الفرق جليا في كلمة ( الساعة ) في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ ( سورة الروم: 55)، فـ( الساعة وساعة) من منظور الكلمة بمفهومها التقليدي (السطحي/الشكلي) تشتركان في التطابق اللفظي والصرفي، فهما كلمة واحدة تكررت مرتين، عُرِّفت في المرة الأولى بـ( أل )، وجاءت في المرة الأخرى نكرة منونة مع تغير موقعها الإعرابي.

لا تقف اللسانيات الحديثة عند حدود شكل الكلمة الخارجي، فنحن في الآية الكريمة أمام وحدتين معجميتين مختلفتين، وليست كلمة واحدة مكررة، فالوحدة المعجمية الأولى: ( السَّاعَةُ ) اسم معرف بـ( أل ) العهدية الذهنية، ولم تعد دلالتها المعجمية تدل على الوقت أو الزمن العام، بل معناها الدلالي المعرفي هو ( يوم القيامة / الحساب )، فأصبحت هذه الوحدة مصطلحا علميا بالغلبة داخل المعجم الديني والقرآني، ولها شحنة دلالية مهيبة ترتبط بنهاية الكون والبعث.

أما الوحدة المعجمية الأخرى ( سَاعَةٍ ) فاسم نكرة منون، يدل على مطلق الوقت أو جزء يسير ومحدود من الزمن، وهي تدل هنا على دهر الدنيا القصير جدا مقارنة بالآخرة.

يتلخص الفرق بين (الساعة وساعة) من منظوري الكلمة والوحدة المعجمية في الآتي:

| وجه المقارنة | منظور الكلمة (الشكلي) | منظور الوحدة المعجمية (الدلالي/السياقي) |
|---|---|---|
| التوصيف | هما كلمة واحدة تكررت مرتين (مع فارق التعريف والتنكير). | هما وحدتان معجميتان مختلفتان تماما ومستقلتان دلاليا. |
| العلاقة | علاقة اشتقاقية صرفية (الحروف والوزن نفسهما). | علاقة تباين دلالي حاد (يوم القيامة ≠ برهة من الزمن) |
| الوظيفة في المعجم | تندرجان تحت المادة اللغوية نفس في المعجم القديم (س و ع). | يجب أن تُفردا بمدخلين دلاليين منفصلين تماماً في المعجم الحديث؛ لتجنب الخلط. |

جاء في البيان والتبين (الجاحظ. 1998. ج 3 ص 167) قول سعيد المخزومي:

« حدق الآجال آجال ... والهوى للمرء قتَّال »

( الآجال ) هنا كلمة واحدة، لكنها تمثل وحدتين معجميتين: الأولى جمع والمفرد ( إِجْل ) بكسر الهمزة وهو البقر الوحشي، والأخرى جمع والمفرد ( أجَل ) وهو العمر، وفي القرآن أمثلة كثيرة كاستعمالات الوحدة المعجمية ( الأمة ) بمعانٍ مختلفة حسب السياق، وقد جاءت بمعنى:

- الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الأكثر مجيئا في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾ (سورة يونس: 47).
- البرهة من الزمن والمدة الزمنية، كقوله تعالى: ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (سورة يوسف: 45).
- الرجل المقتدى به والإنسان الجامع لخصال الخير الذي يأتم به الناس في الهدى، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ (سورة النحل: 120).
- الشريعة والطريقة والدين والمذهب، أو المنهج الذي يسير عليه الناس، كقوله تعالى:﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ (سورة الزخرف: 22).

قد تكون الوحدة المعجمية أصغر من الكلمة كالجذر، أو تكون مساوية لها، أو تأتي أكبر منها كالتركيب المسكوك الذي يتميز بميزتين رئيستين تجعلانه وحدة معجمية واحدة مع تعدد كلماته، وهما:

1- عدم قابليته للتجزئة الدلالية فمعنى التركيب ككل لا يساوي مجموع معاني كلماته المفردة، ولو تُرجمت الكلمات حرفيا لضاع المعنى تماما، كقولك: فلان كثير الرماد، فدلالة الكلمات منفردة: ( فلان ) + ( التركيب الإضافي )، ودلالة التركيب المسكوكة ( الكرم ).

2- ثبات التركيب وجموده فلا تتغير عناصر التركيب، ولا يستبدل بمفردة مرادفها، كقولك: ( ذهبَ أدراجَ الرياح )، أي: أي ضاع سدى، فلا يمكن لغويا أن تقول: مشى أدراج الرياح، أو ذهب خطوات الرياح، فالقالب اللفظي تجمد تاريخيا على هذه الهيئة حصرا.

ينقل عادل ساحلي (2017. ص 94) عن جاكندوف أن الوحدة المعجمية تمتاز بمجموعة من الخصائص، وهي:

- أصغر أو أكبر من الكلمات النحوية.
- ليست كل الكلمات النحوية وحدات معجمية.
- هناك وحدات معجمية مركبة، لكنها بدون محتوى صوتي.

إن مصطلح الوحدة المعجمية حديث النشأة علميا، إلا أن جوهره الفلسفي والتطبيقي كان حاضرا في وعي الفكر النحوي والمعجمي العربي القديم، وتجلى تطبيقيا في أبواب عدة، فقد فطنوا أن أسماء الإشارة والموصولات لا تستقل بمعناها، بل تحتاج إلى ما يلحق بها؛ لتحقق الوحدة الدلالية المقصودة.

كان علماء العربية مدركين أنَّ دلالة الكلمة وتأثيرها التأثير الدقيق لا يتجلى وهي بمعزل عن أخواتها، ولا يتحدد إلا في ضوء وضع الكلمة في سياق ما، وفي ضوء تجاورها مع كلمات أخرى، فدلالة أي كلمة مفردة هي دلالة معجمية، لكن تكتسب دلالة جديدة بتغير السياق، فاختلاف نظم المفردات مع بعضها أو تغيير السياق، كل ذلك يؤدي إلى تغيير المعنى، فالكلمة تستمد قيمتها الوظيفية والجمالية من خلال السياق الذي ترد فيه؛ لأنَّ فهم الكلمة الحقيقي مستمد من الخبرة الفعلية والمعرفة بمظاهر الواقع الذي تنتمي إليه (فرج. 2007. ص 40).

يؤكد هذا ما قاله دي سوسير:« إن علامة ما هي قبل كل شيء ما تكونه العلامات الأخرى، فاللغة منظومة لا قيمة لمكوناتها إلا بالعلاقات القائمة فيما بينها» (1984. ص 89)، فهو ينظر إلى اللغة على أنها « نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة المواضعات التي يتبناها الكيان الاجتماعي؛ ليتمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة » (دي سوسير. 1984. ص 21)

أدرك علماؤنا ما أدركته الدراسات اللغوية الحديثة، فهم يرون أن الكلمة تحيا بين أخواتها على رأي علمائنا العرب القدماء، وقد قالوا: « لكل مقام مقال » و«لكل كلمة مع صاحبتها مقام» (السكاكي. 1983. ص 169، والقزويني. د. ت. ص 12)؛ لأن معنى الكلمة يتعدد تبعا لتعدد السياق الذي تقع فيه، أو بعبارة أخرى تبعا لتوزعها اللغوي (عمر. 1993. ص 69)

إن تعدد التوجيه وقابلية اللفظ الواحد لكي يحقق مستويات لغوية مختلفة خاصية جوهرية في الألسن البشرية المختلفة، فلم تشذ العربية عن هذه القاعدة، فلو تأملنا الأمثلة الآتية:

1- أقام الفتى.

2- قال الرجل الظهرَ.

3- صار الأب حنانا.

4- ما أحسن الفتى.

إن هذه التراكيب محتملة القراءة؛ فالمحلل يجد نفسه أمام قراءتين في الأمثلة الثلاثة الأولى، وأمام ثلاث قراءات في المثال الرابع، والعلة في هذا التعدد ناشئة من تداخل المستويات اللغوية، ففي التركيب ( 1 ) يتردد المحلل بين الإخبار والإنشاء، و( الفتى ) على الإخبار مفعول به، وعلى الإنشاء يشغل محل الفاعل.

في المثال ( 2 ) يجوز في ( الظهر ) قراءتان، هما:

أ- مفعول فيه، فيكون الفعل: قال من يقيل، فيكون الظهر وقت القيلولة.

ب- مفعول به، فيكون الكلام مخرجا على الإغراء فيكون الفعل: قال من يقول، فيكون الظهر واقعا في حيز جملة، محذوفة الصدر كأن يكون التقدير: الزم الظهر فهو ( مفعول به ).

أو يكون على المعنى ( نم الظهر )، والأصل: نم وقت الظهر؛ فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه، وأخذ إعرابه وهذا عربي كثير الوقوع.

يجوز توجيه ( حنانا ) في المثال ( 3 ) وجهان، هما:

أ- خبر الناسخ الفعلي، إمَّا على تقدير محذوف أي: صار ذا حنان وإما على المبالغة والادعاء، فالفعل صار من يصير بمعنى يتحول، فيكون الفعل تحويليا.

ب- مفعول لأجله، والفعل لازم بمعنى مال، وعَطَف، ومضارعه يصور، فينتصب ( حنانا ) مفعولا لأجله مبينا العلة.

أما المثال الرابع فالتعدد لغياب الحركة الإعرابية ومسرح الأحداث وعلامات الترقيم، إذ يجوز فيها ثلاث قراءات:

أ- (التعجب) ما أحسنَ الفتى ! (بنصب الفتى)، ليعبر المتكلم عن دهشته من حسن الفتى.

ب- (النفي): ما أحسنَ الفتى (برفع الفتى)، وهنا يخبر المتكلم أن الفتى لم يفعل الحسنى.

ج- (الاستفهام) ما أحسنُ الفتى ؟ (بجر الفتى وضم أحسن)، وهنا يسأل المتكلم عن أي شيء هو الحسن في الفتى.

من هذا ما تلحظه في قوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ (سورة المسد: 2)، إذ يتباين المعنى المكتنف هذا التركيب الشريف بتباين التنغيم، وغياب العلامة الإعرابية مما أشكل على المعربين؛ فترددوا في تخريج ( مَا ) في هذا السياق بين وجهين متباينين:

أ- هي استفهامية، والمعنى المتعين من هذه الآية: أيُّ شيء أغناه عنه ماله يوم القيامة ؟

ب- هي نافية، كقولنا: ما جاء محمد، والمعنى: لم يغنِ عنه ماله وما كسب، والمعنى لمحض النفي، وقد أخبر بذلك متأسفا على ماله الذي لم ينفعه، و( مَا ) نافية لا موضع لها.

يمكن لمتتبع تراكيب العربية الملبسة أن يلحظ ضربين من اللبس، هما:

الأول: اللبس القائم على مستند لفظي.

الآخر: اللبس القائم على معنى الجملة الصرف.

يحدث تعدد توجيه الوظيفة الإعرابية في تراكيب العربية؛ لاحتمال لفظة ما أكثر من قراءة، فالتعدد يعود إلى المفردة لا إلى الجملة، كقوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ (سورة الأعلى: 5)، فموطن الشاهد لفظة ( أحوى ) حيث تندرج تحت مظلة المشترك اللفظي، فهي تحمل دلالتين إمَّا أن تكون بمعنى الأسود من الجفاف واليبس، وإمَّا أن تكون بمعنى الأسود من شدة الخضرة، وعلى هذا فالتركيب في مثل هذا يعود إلى بنيتين عميقتين، هما:

أ- الأصل أخرج الله الزرع، فجعل الله الزرع ( غثاء أحوى )، فيوجه على أنه نعتٌ لغثاء.

ب- الأصل: أخرج الله الزرع أَحْوى فجعله غثاءً، فيكون حالا من الزرع.

يقول القيسي: « فَجعله غثاء أحوى الْهَاء وغثاء مفعولان لجعل لِأَنَّهُ بِمَعْنى صير وأحوى نعت للغثاء بِمَعْنى أسود وَقيل أحوى حَال من المرعى وأحوى بِمَعْنى أَخْضَر أَي أخرج خضرته فَجعله غثاء والغثاء الهشيم كغثاء السَّيْل » (1985. ح 2 ص 813)

أما السبب الآخر المنشئ لتعدد توجيه الوظيفة الإعرابية فينشأ من اللبس القائم على معنى الجملة الصرف، فهو لبس لا يقوم على مستند لفظي، أي: أن التعدد يكون ناتجا من احتمال الجملة أكثر من قراءة، كقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (سورة الشعراء: الآية 22).

يتردد معنى الآية بين الاستفهام والإخبار، مما يؤدي إلى تعدد التوجيه، إذ يجوز فيها قراءتان، تكون النغمة الخطابيّة في الأولى مستوية هادئةً لا انفعال فيها، فالمعنى على الإقرار، فهو خبر على سبيل التهكم؛ أي: إن كانَ ثَمَّ نعمةٌ فليسَتْ إلا أنَّك جَعَلْتَ قومي عبيدًا لك، فتكون (أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) منصوبة بإضمار أعني، أو هي خبر مبتدأ مضمر؛ أي: هي أن عَبَّدْتَ، والجملة منفصلة عن سابقتها؛ لما بينهما من كمال الاتصال، فالثانية جاءت بيانا للأولى.

قد تحمل الآية على الإقرار فتشير إلى اجتزاء من السياق البنيوي، فكأن موسى (ʊ) عدَّها نعمة؛ حيثُ ربَّاه، ولم يستعبده، والمعنى: هي نِعْمَةٌ؛ إذ ربَّيتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل؛ فـ( أَنْ ) تدل على المحذوف، كقولك: أن تَضرب بعض عبيدك، وتترك الآخر، فيقول المتروك: هذه نعمة عليَّ أن ضربتَ فلانًا، وتركتني، ثم تحذف (وتركتني)؛ لأن المعنى معروف.

أمَّا القراءة الأخرى فالنغمة الخطابيّة فيها مرتفعة، وهذا يعني أنّ في الكلام حذفًا لهمزة الاستفهام، والكلامُ إنشائيٌّ بالاستفهام، على الخلاف بين النحاة في هذا الموضع، فالتّقدير« أَوَتِلْكَ نعمةٌ تمنُّها عليَّ، فحرف الاستفهام محذوف لفهم المعنى، أي: كيف تمنُّ عليَّ بالتربية وقد استعبدت قومي؟! ومن أُهين قومُه فقد ذَلَّ، فحَبِط إحسانُك إليَّ بتعبيدك

قومي، فتكون جملة (أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) مجرورة بباء مقدرة، أي: بأَنْ عَبَّدْتَ، أو هي بدل من هاء (تَمُنُّها) » (الأخفش. 1985. ج 2 ص 426).

إنَّ الضرب الأول من اللبس يعالجه النحو بتحليل المفردات واختلاف قراءاتها، أما الضرب الثاني فيعالجه النحو بتحليل السياق وقرائن المعنى التي تفرق بين الأغراض النفسية والمقاصد التواصلية للمتكلم، وسنسلط الضوء في المبحث الثالث من هذا العمل على تعدد الأوجه الإعرابية في المستوى المعجمي، لصلاحية الوحدة المعجمية لأكثر من دلالة مما يسوق إلى تعدد التوجيه.

## المبحث الثالث: القرينة المعجمية ودورها في توجيه الوظيفة النحوية.

ترتبط ظاهرة تعدد الأوجه الإعرابية بتوجيه الدلالة، وتُعدُّ من أبرز ملامح مرونة اللغة العربية واتساع أساليبها بتوليد دلالات متنوعة من مبنى لفظي واحد، مما يُمكّن اللغة من زيادة معانيها دون الحاجة إلى زيادة ألفاظها، فالأوجه الإعرابيّة هي صور لأوجه دلاليّة متعددة (السامرائي. 2000. ص 9)، فهي ليست ترفا عقليا بل ضرورة تفرضها بنية التركيب اللغوي، لارتباطها بالقصد النفسي واستجابة لاختلاف قصد المتكلم، فكل وجه يحدد صورة لدلالة معينة، واختلاف الإعراب يؤدي بالضرورة إلى تباين في المعنى المفهوم.

أدرج اللغويون تعدد حكم المكون الواحد الإعرابي تحت ظاهرة عامة هي ظاهرة اللبس اللغوي، ويمثل اللبس اللغوي في جوهره مشكلة محتملة في تحليل النصوص اللغوية، وقد أثبت علما اللغة التقابلي والمقارن حقيقة أن لغات البشر عموما لا تخلو من اللبس في تراكيبها المختلفة، فثمة -على حد تعبير تشومسكي- كثير من الجمل سواء في اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات التي لا تقل غموضا عن المعادلة الرياضية (ص × ع + س) إن لم تفوقها في الغموض أحيانا (ليونز. 1985. ص 118).

إن اللبس الحاصل في العبارة الإنجليزية (old men and women) لا يمكن أن يكشف بالاعتماد على اختلاف تراكيب المكونات المباشرة أو الاختلاف في تركيبها الطولي، فهي تحتمل قراءتين:

أ- (old men) and women)، فهي تشبه في ذلك المعادلة (ص × ع) + س، وبناء على هذه المعادلة تكون (old) صفة لكلمة (men).

ب- old (men and women)، فهي تشبه في ذلك المعادلة ص (ع + س)، وعلى هذه المعادلة تكون (old) صفة للكلمتين (men and women).

لم تكن اللغة العربية بمنأى عن هذه الظاهرة، فتعدد المعنى بتعدد أوجه الإعراب ظاهرة تشيع في النصوص الأدبية عامة، والآيات القرآنية خاصة، « والأدب العربي مليء بأمثال هذه العبارات المحتملة، والنحو العربي مليء بالشواهد والأمثلة التي فيها إعرابان أو أكثر، أي: لها معنيان أو أكثر» (حسان. 1982. ص 340)

تعود موجبات هذا التعدد في تراكيب العربية إلى أسباب متنوعة، منها ما هو لغوي مرتبط ببنية الكلمة كغياب العلامة الإعرابية، ومنها ما هو خارجي ناتج عن اختلاف القراءات القرآنية، ومنها تعدد المذاهب النحوية، أو يكون السبب تباين الأفهام في إدراك المقاصد، كتعدد توجيه كلمة ( الأَعْلَى ) في قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ( سورة الأعلى: 1 )، إذ يحتمل الموقع الذي يشغله التابع ﴿ الأعلى ﴾ قراءتين؛ لتداخل فرعين في أصل واحد هو لأحدهما دون الأخر، وقد نتج هذا التداخل لتعذر ظهور الحركة على الاسم مما ساق إلى تنازع المركب بالإضافة هذا التابع، فكل مكون منهما - أي: المضاف والمضاف إليه - يدعي تسلطه عليه، هو لأحدهما دون الأخر، فإن ملأ التابع محل النصب، كان المنعوت هو مجموع المركب بالإضافة، والتقدير: اذكر ( اسْمَ ربك ) الأعلى، ويجوز في القراءة الأخرى أن يكون المتبوع هو المضاف إليه دون سواه، أي: اذكر اسم ( ربك الأعلى )؛ فيملأ التابع محل الجر.

تبرز القرينة المعجمية (أو قرينة المعنى المعجمي) ركيزة رئيسة وموجها جوهريا للوظيفة النحوية وسط هذا التعدد؛ إذ يقرر العلماء أن الإعراب يرتكز على المعنى المعجمي، فكيفما وُجِّه هذا المعنى توجّه الإعراب تَباعا؛ لما بينهما من ترابط، ومع كل الإمكانات التي يمتلكها المعجم لرفع اللبس ومنع تعدد المعنى إلا أنه يظل - في بعض الأحيان - موطنا مرشحا لوجود اللبس، وسنكتفي هنا بثلاثة أمثلة، والأمثلة في القرآن الكريم خاصة كثيرة فحسبنا الآتي:

1- قال تعالى:﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾. (سورة البقرة: 49).

2- قال تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (سورة البقرة: 144).

3- قال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ (سورة النساء: 5).

الشاهد في المثال ( 1 ) لفظة ( سُوءَ )، وفيها فيه أربعة أوجه (السمين الحلبي .1986. ج 1 ص 345)، هذا التعدد ناتج من تعدد معنى الوحدة المعجمية ( يَسُومُونَ ) وتفصيلها كالآتي:

أ- أن يكون ( يَسُومُونَكُمْ ) بمعنى ألزموكم وكلفوكم، فيتعدى الفعل إلى اثنين كأعطى ومنح، فينتصب ( سُوءَ الْعَذَابِ ) على أنَّه مفعول به ثان.

ب- أن يكون (يَسُومُونَكُمْ) بمعنى يعلمونكم، أي: من السيماء وهي العلامة، فينتصب (سُوءَ الْعَذَابِ) بنزع الخافض، أي: يعلمونكم بسوء العذاب، فيجعلونه لكم علامةً.

ج- أن يكون بمعنى يرسلونكم إلى، فهو مأخوذ من قولهم: إرسال الإبل إلى المرعى (الهائم المصري. 1992. ج 1 ص 84)، وعلى هذا يصبح ( سُوءَ الْعَذَابِ ) منتصبا بنزع الخافض، أي: يرسلونكم إلى سوء العذاب، كما ترسل الإبل إلى المرعى.

د- أن يكون بمعني يعذبونكم فمعنى الآية: يسومنكم سوما سيئا، فيكون ( سُوءَ الْعَذَابِ ) صفة لمصدر محذوف، وقد جيء به بيانا لهذا السوم، أو يكون يسومونكم سوء العذاب، كقولك: قعدت جلوسا؛ لأنَّ سوء العذاب نوع من العذاب، فيكون نائبا عن المصدر.

الشاهد في المثال ( 2 ) تعدد توجيه ( شَطْرَ )؛ إذ يجوز فيه وجهان، نتيجة تعدد القول في معنى الوحدة المعجمية ( وَلِّ ) ولها معنيان: (السمين الحلبي .1986. ج 2 ص 161)

أ- ( وَلِّ ) بمعنى اجعل وجهك، أو صيّره، فيكون ( شَطْرَ ) المفعول به الثاني، أو ينتصب على نزع الخافض، أي: وَلِّ وجهَك إلى القبلة.

ب- ( وَلِّ ) بمعنى اصرف أو أقبل، فيكون المفعول فيه، أي: أنَّه منتصب على الظرفية المكانية، والفعل ( وَلِّ ) متعدٍ إلى مفعول واحد، أي: اصرف وجهك.

أما الشاهد في المثال ( 3 ) فتعدد توجيه ( قِيَامًا )، وفيه وجهان إعرابيان: (السمين الحلبي .1986. ج 3 ص 580) أن تكون المفعولَ به الثاني، ويكون (جَعَلَ) بمعنى (صَيَّرَ)، أي: صَيرها الله لكم قياما، ويكون تقدير الكلام: جعلها الله شيئا تقومون به، فلو ضيعتموه لضعتم.

يجوز فيها أن تكون حالا لمفعولِ الفعل ( جَعَلَ ) المضمن معنى ( خَلَقَ )، أي: خلقها اللَّهُ لَكُم قِيَامًا، فتكون الأموال على هذا الوجه من جنس ما جَعلَه اللَّهُ لَكُم قِيَامًا، وزِيد في المبالغة حتى جُعل ما به القيام قِيامًا، فكأنها في أنفسها قِيامكم وَانْتِعَاشكم.

يدل الوجه الأول على التحول بعد الخلق، أما الآخر فإنه يدل على الإيجادِ والخلقِ، وعلى هذه الحالة ( قِيَامًا )، أي: تَقُومونَ بها، هذا إلى جانب الخلاف في قراءة ( قِيَامًا ).

ما قيل في توجيه ( قِيَامًا ) يقال في توجيه ( ضَعِيفًا ) في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾، فإنه يوجه على تضمين ( خُلِقَ ) معنى ( جُعِلَ )، فتكون ( ضَعِيفًا ) انتصبت على المفعول الثاني (ابن عطية. 2001 ج 2 ص 41).

يجون أن يكون ( خُلِقَ ) على بابه، ويجوز في ( ضَعِيفًا ) ثلاثة أوجه: (أبو حيان. 2001. ج 3 ص 228، والسمين الحلبي .1986. ج 3 ص 228)

أ– أن تكون منصوبة حالا مؤكدة من الإنسان.

ب– أن تكون منصوبة تمييزا.

ج – أن تكون منصوبة على بنزع الخافض، فهي مجرورة في الأصل، ثم حذف حرف الجر، فأصبحت منصوبة.

إن تعدد توجيه ( شَطْرَ وقِيَامًا وضعيفا ) الإعرابي يرجع إلى المستوى المعجمي فهو المسؤول عن هذا التعدد، وهذا يؤكد اشتراكية هذا المستوى في وقوع اللبس، وحسبنا بعض الأمثلة لما سيأتي، فالهدف الاستشهاد لا الاستقصاء. ويمكن أن نرصد سببين رئيسين إلى التعدد الحاصل في الوحدة المعجمية، وهما:

3. 1. اشتراك الوحدة المعجمية في أكثر من وظيفة إعرابية.

3. 2. إعطاء الوحدة المعجمية حكم غيرها.

**3. 1. اشتراك الوحدة المعجمية في أكثر من وظيفة إعرابية.**

يؤدي لَبس الأدوات النحوية الناتج عن اشتراكها اللفظي في أداء أكثر من وظيفة إعرابية دورا جوهريا في تعدد الأوجه الإعرابية، ويعد هذا الاشتراك مصدرا من مصادر السعة والمرونة في اللسان العربي، حيث يسمح للمبنى اللفظي الواحد بأن يحمل دلالات متنوعة تخدم مقاصد المتكلم، وهو أداة طيّعة تمنح اللغة العربية قدرتها الفائقة على الجمع بين دقة النظام النحوي وسعة الاحتمال الدلالي، وسنكتفي بخمسة أمثلة، وهي الآتي:

1- قال تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة: 38).

2- قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ ﴾ (سورة البقرة: 285).

3- قال تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا اليَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ (سورة النساء: 6).

4- قابلت أصدقائي عدا حمزةَ.

5- كم فتى قابلت.

الشاهد في المثال ( 1 ) لفظة ( مَن ) التي تتردد بين الشرطية والموصولية، ولكن الموصولية ترجح بالنظر إلى تتابع السياق، فتكون مناظرة ومقابلة للموصول في الآية التالية، وهي قول الحق: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُوا ﴾، ويرجح السمين الحلبي شرطيتها، يقول: « يجوزُ أَنْ تكونَ شرطيةً وهو الظاهرُ، ويجوز أَنْ تكونَ موصولةً، ودَخَلَت الفاءُ في خبرِها تشبيهاً لها بالشرطِ، ولا حاجةَ إلى هذا » (1986. ج 1 ص 302)، فإن كانتْ شرطيةً كان ( تبع ) في محل جزم، وكذا ( فلا خَوْفٌ )؛ لكونهما شرطا وجزاء، وإنْ كانت موصولةً فلا محلَّ لـ( تَبِع ).

في المثال ( 2 ) تتردد ( الواو ) في قوله تعالى: ( وَالْمُؤْمِنُونَ ) أن تكون عاطفة أو استئنافية؛ ويجوز في ( الْمُؤْمِنُونَ ) أن تشارك ( الرَّسُولُ ) في الحكم والإعراب، وجملة ( كُلٌّ آمَنَ ) مكونة من مبتدأ وخبر، يدل على أنَّ جميع من تقدم ذكره آمن بما ذكر، ويجوز فيها أن تكون ( واو ) الاستئنافية، ويرتفع ( الْمُؤْمِنُونَ ) على الابتداء، فهو مبتدأ أول، و( كُلٌّ آمَنَ ) جملة صغرى خبر للمبتدأ، والرابط محذوف، أي: كل منهم.

الشاهد في المثال ( 3 ) جملة ( إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ )، وباعث تعدد التوجيه هنا هو الاختلاف في وظيفة ( حَتَّى ) الداخلة على ( إِذَا )، فقد ذُكِر أن في ( حَتَّى ) الداخلة على ( إِذَا ) وجهين إعرابيين (السمين الحلبي .1986. ج 3 ص 583) باختلافهما التوجيه يختلف المعنى، إذ يجوز أن تكون ( حَتَّى ) حرف ابتداء، ودخلت على الشرط وجوابه، أي: وابتلوا اليتامى إلى وقتِ بلوغِهم، واستحقاقِهم دفع أموالِهم بشرط إيناس الرشدِ.

أجاز المعربون في ( حَتَّى ) أن تكون حرف جر وغاية، وما بعدها مجرور بها، وعلى هذا القول « ( إِذَا ) تتمحض للظرفية، ولا يكون فيها معنى الشرط »، ذكره أبو حيان (2001. ج 3 ص 172)، وكلامه يدل على أنها ظرف مجرد ليس فيها معنى الشرط، وسبقه في ذلك ابن عطية (2001 ج 2 ص 10).

الشاهد في المثال ( 4 ) كلمة ( حمزة )، يجوز فيها الجر، وتجري ( عدا ) على الحرفية، وما بعدها مجرور لفظا، منصوب محلا على الاستثناء، ومن قرأ ( حمزة ) بالنصب فـ( عدا ) معه فعل، والنصب إشارة إلى فعليتها.

أما الشاهد في المثال ( 5 ) فكلمة ( فتى ) يجوز أن تكون تمييزا منصوبا أو مضافا إليه مجرورا، وهذا التعدد ناشئ من اشتراك ( كم ) بين الإنشائية والخبرية، فعلى الإنشائية تنصبه فيكون تمييزا لها، وعلى قراءة الخبرية تجره فيكون مضافا إليه، ولعل غياب القرائن المائزة بين التراكيب يسهم في تردد العمل اللغوي بين القوى، ومن أهم هذه القرائن غياب التنغيم والحركة الإعراب (أو تغيب علامات الترقيم)، فالتنغيم لا ينشئ علاقات نحوية ليست موجودة، لكنّه يختار بعض العلاقات النحوية القابعة تحت السّطح المنطوق، ويظهر تأثيرها في مواطن كثيرة، كهجاء الفرزدق جريرًا (ديوانه، ص 312):

« كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٍ . . . فَدْعاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي »

جاء في كتاب تحصيل عين الذهب: « يَجوزُ في قولِهِ: ( كَمْ عَمَّةٍ ) الرَفْعُ والنَصْبُ والجَرُّ، فالرَفْعُ على الابتداءِ، وتكونُ ( كَمْ ) لتكثيرِ المِرارِ، والتقديرُ كَمْ مَرّةً حَلَبَتْ عليَّ عِشاري عَمَّةٌ لكَ وخالَةٌ. والنَصْبُ على أنْ تجعَلَ ( كمْ ) استفهامًا أو خبرًا في لغة مَنْ ينصبُ بها في الخبرِ. والجَرُّ على أنْ تكونَ ( كمْ ) خبرًا بمنزلة ( رُبَّ ) » (الشنتمري. 1994. ص 298)

إن دلالة التنغيم تظهر في (كَمْ عمة)، وقد روي (عَمَّة) بالحركات الثلاث؛ فالرفع على معنى (كم مرة قد حلبت عشارى علي عماتك) والنصب على الاستفهام، والجرُّ على الخبرية، وثَمَّ بون بين دلالة الاستفهام والخبر، والذي يحدد ذلك هو النغمات الصوتية التي يؤدَّى بها، فالاستفهام للعلم بما يجهله المتكلم، ويُعْلِمُهُ السامع المخاطب، والإخبار الذي يعلمه المتكلم علم اليقين، ويجهله السامع أو المخاطب، أو إخبار السامع بمعرفة المتكلم القضية المطروحة.

إن الفرق بين كم الاستفهامية وكم الخبرية - بعيدا عن الاحتكام إلى الحركة الإعرابية - إنما يتأتى بكون كل واحدة منهما تحتوي على أداء معين بها تتميز، وفيها نغمتان:

أ- مستوية إخبارية، أي: كَمْ عَمَّةٍ ← نغمة مستوية ← خبرية.

ب- صاعدة استفهامية تهكمية، أي: كَمْ عَمَّةً ← نغمة مرتفعة ← استفهامية.

**3. 2. إعطاء الوحدة المعجمية حكم غيرها.**

ينتج هذا اللبس من اشتراك معهود في الوحدات المعجمية ومتأصل فيها فلا يكون للمتكلم مسؤولية في هذا التعدد والاشتراك، وقد ينشأ هذا اللبس بالتضمين النحوي؛ حين تشرب لفظة معينة معنى لفظة أخرى، فتكتسب وظيفتها

النحوية المضمنة مع بقاء معناها الأصلي، وهذا يسهم في تعدد قراءة الجملة، جاء في مغني اللبيب « قد يُشربون لفظا معنى لفظ آخر، فيعطونه حُكمه، ويسمّون ذلك تضمينا، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين » (ابن هشام. 1985. ج 2 ص 446)، وقيل: هو « أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدى فعل آخر أو ما في معناه، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم » (حسن. د. ت. ج 2 ص ص 169 - 170).

إن ظاهرة التضمين النحوي في العربية كثيرة، ولا سيما القرآن الكريم، ومنه ما تلحظه في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَاقَ ﴾ ( سورة البقرة: 227 )، إذ تعددت أقوال المعربين، وأجازوا في الطلاق وجهين (أبو البقاء. 1986. ص 57)، أن يكون منصوبا على نزع الخافض؛ لأنَّ الفعل ( عَزَم ) يتعدى بحرف الجر ( على )، أو أن يكون ( الطَّلَاقَ ) مفعولا به، وهذا الوجه على تضمين ( عَزَم ) معنى نوى، فيكون قد جمع بين معنى الإرادة والجدة في تنفيذه.

من أمثلة هذه الظاهرة الفعل ( سَمِعَ ) الذي في أصله فعل متعد بنفسه، ولكن قد يعدل عن هذا الأصل فيرد الفعل ( سمع ) قاصرا، ويتعدى بحرف جر، فنقول بعد الرفع من الركوع: سمِع اللهُ لمن حمِده، حيث تعدي الفعل باللام، وقد يتعدى بـ( إلى ) كقوله تعالى: ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى ﴾ ( سورة الصافات: 8 ).

إن الفعل ( سمع ) في الأول فارق أصله، ذلك أنه جاء مضمنا معنى ( استجاب ) فأخذ حكمه، فتعدى بتعديته؛ لأن الفعل استجاب يتعدى بـ( اللام )، تقول: استجاب للأمر، وبهذا التضمين يكون الفعل سمع جمع بين معنى السماع والاستجابة؛ لأنك تطلب من الله السماع والإجابة، فليس كل سماع استجابة، فأنا قد أسمعك، ولا أستجيب لك، بخلاف أسمع لك، أي: أستمع، وأجيب، لأَن غرض السائل الإجابة والقبول.

أما في الآية فقد ضُمِّن الفعل ( يَسَّمَّعُونَ ) معنى ( يصغون )؛ لأن السمع هو إدراك المسموع والسمع - أيضا - اسم الآلة التي يسمع بها، والإصغاء هو طلب إدراك المسموع بإمالة، فهو في الآية يقطع عنهم طلب الاستماع، لأنه يقال: صغا يصغو إذا مال وأصغى غيره.

يرى مجمع اللغة العربية أن التضمين قياسي لا سماعي، وهو يقع بشروط ثلاثة: (فاضل. 2005. ج 1 ص 204)

الأول: تحقق المناسبة بين الفعلين أو ما في معناهما.

الثاني: وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس.

الثالث: ملاءمة التضمين للذوق العربي.

يوصي مجمع اللغة العربية بألَّا يُلجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغي، فهو لا يأتي إلا لأمر بلاغي مراد، وهذا ما أكده صاحب الكشاف عند تفسيره قول الحق: ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ (سورة الكهف: 28)، يقول: « فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين، وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك، أو لا تعد عيناك عنهم؟ قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذٍّ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم، ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ (سورة النساء: 2)، أي: ولا تضموها إليها آكلين لها» (الزمخشري. 2006. ج 2 ص 481).

سنكتفي للتمثيل على هذه الظاهرة بثلاثة أمثلة، وهي شائعة كثيرة، والشواهد هي الآتي:

1- قال تعالى: ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ (سورة النساء: 95)

2- قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (سورة الأعراف: 16).

3- قال تعالى: ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ (سورة الإنسان: 6)

الشاهد في المثال ( 1 ) لفظة ( أَجْرًا )، أجاز المعربون أن تكون مفعولا به ثانيا، وهذا على تضمين (التَفْضيل) معنى الإعطاء، والمعنى: أَعْطَى اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ أَجْرًا (السمين الحلبي .1986. ج 4 ص 77)، ويجوز أن تبقى لفظة ( فَضَّلَ ) على أصلها، ويجوز في ( أَجْرًا ) أوجه، وهي أن تكون منصوبة على المصدرية من معنى الفعل الذي قبله لا من لفظه وهو (فَضَّل)؛ لأن الفضل بمعنى: الأجر، فيكون المعنى: آجَرَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا.

يصح في ( أَجْرًا ) أن تكون حالا من النكرة ( دَرَجَاتٍ )، وقد كانت صفة لـ( دَرَجَاتٍ )، وهي مصدر موصوف به، كما تقول: هذا رجل عدل، فلما تقدمت الصفة على الموصوف النكرة نصبت على الحالية. وهذا تخريج الزمخشري الذي يرى أن: « نصب ( أَجْرًا عَظِيمًا ) على أنه حال من النكرة التي هي ( دَرَجَات ) مقدمة عليها» (الزمخشري. 2006. ج 1 ص 554).

الشاهد في المثال ( 2 ) لفظة ( صِرَاطَكَ )، وفيها تخريجان يرتبطان بمعنى ( لَأَقْعُدَنَّ )، إذ يجوز أن يكون الفعل مستخدما على أصل وضعه، ويكون ( صِرَاطَكَ ) منصوبا على إسقاط الخافض، والمعنى الكلي: لأقعدن لهم على صراطك المستقيم، كما تقول: ضُرِب زيدٌ الظهرَ والبطنَ، أي: على الظهر والبطن.

يجوز في ( لَأَقْعُدَنَّ ) أن يضمن معنى فعل متعدٍّ، والتقدير: لألزمَنَّ صِراطك المستقيم بقعودي عليه، ويوجه ( صِرَاطَكَ ) على أنه منصوب على المفعول به، والعلة في هذا العدول أن القعود هو الثبوت في مكان، لكنه قد يزول، لهذا احترس بهذا العدول؛ ليفيد معنى اللزوم، أي سألزمه لا أنصرف عنهم.

الشاهد في المثال ( 3 ) لفظة ( يَشْرَبُ )، ويجوز أن يكون على أصل وضعه أو مضمنا معنى الفعل يتلذذ (السمين الحلبي. 1986. ج 6 ص 441)، فإن كان على أصله وضعه، فيجوز في ( الباء ) أن تكون مزيدة، أي: يَشْرَبُها، ويقويه قراءة ابن أبي عبلة ( يَشْرَبُها ) مُعَدًّى إلى الضمير بنفسِه، أو تكون ( الباء ) بمعنى ( مِنْ )، أي: يشرب منها.

أما على تضمين ( يَشْرَبُ ) بمعنى: يتلذذ، فالمعنى: يَلْتَذُّون بها شاربين، أو يكون مضمنا معنى ( يروى )، وتكون الباء على أصل وضعها، أي: يروى بها عبادُ اللَّهِ؛ لأن يَشْرَبُ في أصل وضعه لا يتعدى بالباء، ولعل سر التضمين ليأتي المعنى جامعا بين الشرب والتلذذ أو الشرب والري؛ لأنك قد تشرب ولا تتلذذ، كما أنك تشرب ولا ترتوي، فعدل عن الأصل إلى التضمين ليجمع بين الحقيقة والمجاز بلفظ واحد، وفي ذلك اختصار في اللفظ، وتوسيع في المعنى.

إن مبعث التعدد في الأمثلة السابقة من هذه المباحثة ناشئ من صلاحية بنية الوحدة المعجمية السطحية لأكثر من دلالة منطوقة، وليس في التركيب ما يرجح دلالة على أخرى؛ مما ساق إلى تعدد احتمال الدلالة، في ضوئها يتعدد التوجيه الإعرابي.

هذا وتبقى قضية تعدد الوظيفة الإعرابية في تراكيب العربية ملمحا لغويا يشيع في نصوص العربية عامة، والنص القرآني خاصة، وهي ظاهرة حاصلة على مستويات اللغة بشكل مقصود أو غير مقصود، وقد يشترك مستويان أو أكثر في تعدد توجيه تركيب ما، مما يمنح اللسان العربي المرونة والاتساع، ويضمن ثراء المعجم وسعة التركيب، محولا البنى السطحية فضاءات دلالية رحبة تخدم أغراض الخطاب بكفاءة عالية.

**خاتمة البحث وتوصياته:** الإعراب ميزان العربية والقانون الحاكم لتراكيبها، وهو ليس مجرد حركات صوتية عبثية، بل مورفيم دلالي يربط بين البنية اللفظية والمقاصد النفسية الكامنة في ذهن المتكلم، وتعد ظاهرة تعدد الأوجه الإعرابية مظهرا من مظاهر المرونة والاتساع في اللسان العربي، إذ تمنح النص قدرة فائقة على استيعاب معانٍ متعددة ضمن أبنية موجزة، مما يجعله أداة طيعة للاختصار الوظيفي والإيجاز البياني، ولا سيما في النص القرآني.

جاء مفهوم الوحدة المعجمية في الدراسات اللسانية الحديثة بديلا علميا دقيقا لمفهوم الكلمة التقليدي؛ إذ تبين أنَّ التكامل بين المعجم والنحو هو الركيزة الرئيسة في هندسة المعنى داخل الجملة، فالتعدد الإعرابي ينبع في أصله من صلاحية بنية الوحدة المعجمية السطحية لأكثر من دلالة؛ مما يجعل الإعراب هو المفتاح الذي يفك انغلاق الألفاظ، ويحقق أمن اللبس، محولا اللغة نظاما بيانيا معجزا.

لمزيد من الإثراء المعرفي لبيان الوظيفة الإعرابية لاتساع معنى الوحدة المعجمية؛ يوصي العمل بالآتي:

أولا: تبني مفهوم الوحدة المعجمية في الدراسات النحوية لتجاوز مفهوم الكلمة الإملائية الجامد والاعتماد على مصطلح الوحدة المعجمية ركيزة رئيسة لربط المستويات اللغوية بدلالة النص الكلية.

ثانيا: تفعيل دور القرينة المعجمية في التحليل النحوي والتأكيد أنَّ الإعراب فرع المعنى المعجمي؛ لذا يجب على الباحثين والمُعربين استنطاق دلالة المفردات أولا لتحديد وظائفها النحوية بدقة ولا سيما حالات غياب العلامة الإعرابية، وغياب مسرح الأحداث.

ثالثا: استثمار تعدد الأوجه الإعرابية في التفسير والبيان بالاتكاء على تعدد الإعراب؛ لكونه إثراءً دلاليا، وليس اضطرابا في القاعدة، واستخدامه أداة لفتح آفاق واسعة لتأويل النصوص العميقة وفهم مقاصدها المتنوعة.

رابعا: تكامل القرائن لرفع اللبس وعدم الاكتفاء بالعلامة الإعرابية وحدها، واستصحاب القرائن الصوتية (التنغيم) وقرائن السياق والمقام؛ لحسم التوجيه الإعرابي في التراكيب الملتبسة.

خامسا: المزاوجة بين التراث واللسانيات الحديثة لتربط البحوث بين نضج الفكر النحوي العربي القديم ودقة النظريات اللسانية المعاصرة؛ رغبة في تطوير أدوات تحليل الخطاب العربي.

## المراجع

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (2012). الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. ط 1. بيروت: عالم الكتب.

- ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن. (2001). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق عبد السلام عبد الشافي. ط 1. لبنان: دار الكتب العلمية.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء. (1997). الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1994). لسان العرب. ط 3. بيروت: دار صادر.

- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد. (1985). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. ط 6. دمشق: دار الفكر.

- أبو حيان، محمد بن يوسف. (2001). تفسير البحر المحيط. تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية.

- الأخفش، سعيد بن مسعدة. (1985). معاني القرآن. تحقيق عبد الأمير الورد. ط 1. بيروت: عالم الكتب.

- الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى. (1994). تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب. (1998). البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. ط 7. القاهرة: مكتبة الخانجي.

- الجبالي، محمد. (2021). الإعراب فرع المعنى أم المعنى فرع الإعراب. مقال منشور بتاريخ 11 أبريل 2021 في ملتقى أهل التفسير: https://mtafsir.net/threads/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D8%B1%D8%A7

- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. (2001). دلائل الإعجاز. تحقيق عبد الحميد هنداوي. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية.

- الزَّجَّاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. (1986). الإيضاح في علل النحو. تحقيق مازن المبارك. ط 5. بيروت: دار النفائس.

- الزمخشري، محمود بن عمر. (2006). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ضبط وتوثيق أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي. ط 1. بيروت: دار الكتاب العربي.

- الساحلي، عادل. (2017). ثلاث قضايا في الدلالة التصورية. أبحاث لسانية مجلة معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. العدد 33.

- السامرائي، فَاضل صالح. (2007). الجملة العربية والمعنى. ط1. عمَّان: دار الفكر.

- السامرائي، فاضل صالح. (2000). معاني النحو . ط 2. الأردن: دار فكر.

- السكاكي، يوسف بن محمد (1983). مفتاح العلوم. ضبطه وشرحه نعيم زرزور. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية.

- السمين الحلبي، أبو العباس أحمد بن يوسف. (1986). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق أحمد محمد الخراط. ط 1. دمشق: دار القلم.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (1997). الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية. ط 3. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1998). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق فؤاد علي منصور ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية.

- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين. (1986) إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن. ط 1. بيروت: دار الفكر.

- العَوْتبي، سَلَمة بن مُسْلِم الصُحَاري. (1999). الإبانة في اللغة العربية. تحقيق عبد الكريم خليفة وآخرين. ط 1. سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

- الفراء، يحيى بن زياد. (2003). معاني القرآن. اعتنى به فائق محمد خليل. ط 1. بيروتق: دار إحياء التراث العربي.

-الفرزدق، همام بن غالب. ( 1984). ديوان شعر. ط 1. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

- القزويني، الخطيب. (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع. ، د. ط. بيروت: دار الكتب العلمية.

- القيسي، مكي بن أبي طالب. (1985). مشكل إعراب القرآن. تحقيق حاتم صالح الضامن. ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (1998). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- المبرد. محمد بن يزيد. (1994). المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة. ط 1. القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- الهائم المصري، أحمد بن محمد. (1992). التبيان في تفسير غريب القرآن. تحقيق فتحي أنور الدابولي. ط 1. القاهرة: دار الصحابة للتراث.

- أمين، إسماعيل حميد. (2009). التراكيب التوليدية التحويلية(شعر الراعي النميري)ز. ط 1. الأردن: دار الراية.

- أنيس، إبراهيم. (1978). من أسرار اللغة. ط 6. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- برجشتراسر. (1994). التطور النحوي للغة العربية. أخرجة وعلق عليه رمضان عبد التواب. ط 2. القاهرة: مكتبة الخانجي.

- بلقاسم، إيمان فاطمة الزهراء. (2022). مصطلح الكلمة في المدارس اللغوية الحديثة. مجلة دراسات معاصرة تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت. الجزائر. المجلد: 06 العدد 01 جوان 2022.

- حسان، تمام حسان. (1982). الأصول. د. ط. القاهرة: عالم مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- حسن، عباس. (. د. ت). النحو الوافي. ط 5. القاهرة: دار المعارف.

- دي سوسير، فردينان. (1984). محاضرات في الألسنية العامة. ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر. ط 1. لبنان: دار نعمان للثقافة بجونيه.

- عبده، عبد العزيز أبو عبد الله. (1982). المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل. ط 1. طرابلس، ليبيا: منشـــورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع.

- علوش، جميل. (1997). الإعراب والبناء دراسة في نظرية النحو العربي. ط 1. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

- عمر، أحمد مختار. (1993). علم الدلالة. ط 4. القاهرة: عالم الكتب.

- فاضل، محمد نديم. (2005). التضمين النحوي في القرآن الكريم. ط 1. المدينة المنورة: دار الزمان.

- فرج، حسام أحمد. (2007). نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري. ط 1. القاهرة: مكتبة الآداب.

- ڤندريس، جوزيف. (1950). اللغة. ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. د. ط. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- ليونز، جون. (1985). نظرية تشومسكي اللغوية. ترجمة وتعليق حلمي خليل. ط 1. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

- وجيه، مأمون عبد الحليم. (1998). ظواهر الغموض ووسائل رفع اللبس في التراكيب العربية دراسة في ضوء التراث النحوي. مجلة علوم اللغة. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. المجلد 1. العدد 2.

- يوهان فك. (د. ت). العربية دراسات في اللغة واللهجات والأسلوب. ترجمة رمضان عبد التواب. د. ط. القاهرة: مكتبة الخانجي.

# دور كتاب استمتع بحياتك لمحمد العريفي في تنمية مهارات التعامل مع الآخرين

(مقال مشترك)



رفاء . وي. بي

باحثة دكتوراه كلية الأنصار العربية فلافتور



د. محمد رافع . سي

أستاذ مساعد، كلية الأنصار العربية فلافتور، كيرالا

**Abstract:** **This study examines the role of Enjoy Your Life by Dr. Muhammad Al-Arifi in developing interpersonal communication and social interaction skills. The book focuses on the art of dealing with people through practical guidance, personal experiences, and examples drawn from the Prophetic biography. The study aims to identify the main interpersonal skills presented in the book and explore their potential contribution to improving communication, empathy, positive interaction, and relationship-building. It adopts a descriptive-analytical approach by examining selected themes and principles presented by the author, particularly those related to understanding others, effective communication, kindness, patience, listening, and adapting one's approach according to individual differences. The study concludes that Enjoy Your Life provides a practical framework for developing interpersonal skills by combining self-development principles with Islamic ethical values and examples from the life of Prophet Muhammad. The book therefore has potential educational value in promoting positive social relationships, enhancing communication abilities, and encouraging individuals to adopt more constructive and respectful ways of interacting with others.**

Keywords: **Enjoy Your Life, Muhammad Al-Arifi, interpersonal skills, communication skills, social interaction, self-development, Prophetic biography.**

**ملخص البحث:**

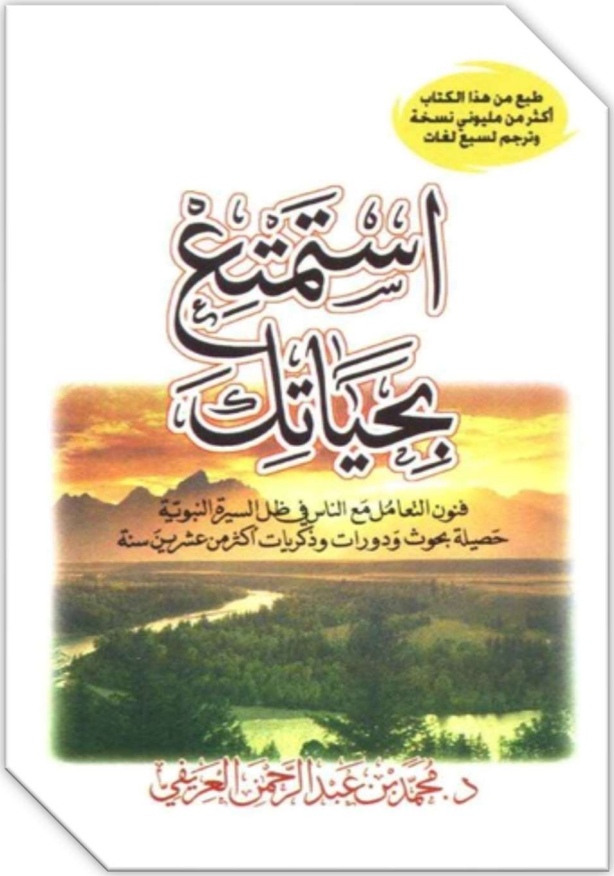
يتناول هذا البحث دور كتاب «استمتع بحياتك» للدكتور محمد بن عبد الرحمن العريفي في تنمية مهارات التعامل مع الآخرين، وذلك من خلال تحليل أبرز المبادئ والمهارات الاجتماعية والتواصلية التي يقدمها المؤلف. ويُعد الكتاب من المؤلفات التي تجمع بين التنمية الذاتية والقيم الأخلاقية الإسلامية، حيث يستند المؤلف إلى نماذج من السيرة النبوية ومواقف الرسول ﷺ في التعامل مع مختلف فئات المجتمع، إلى جانب الاستفادة من التجارب الشخصية

والعملية. وتشمل المهارات التي يركز عليها الكتاب حسن التواصل، والاستماع إلى الآخرين، وفهم مشاعرهم واحتياجاتهم، واحترام آرائهم، واختيار الأسلوب المناسب في التعامل، وتجنب النقد الجارح، والاهتمام بالآخرين. ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة الأفكار والمبادئ الواردة في الكتاب وربطها بمفهوم مهارات التعامل مع الآخرين. ويخلص البحث إلى أن الكتاب يقدم إطارًا عمليًا وأخلاقيًا يمكن أن يسهم في تعزيز مهارات التواصل وبناء العلاقات الإيجابية، كما يربط بين نجاح العلاقات الإنسانية وحسن الخلق والوعي باختلاف طبيعة الأفراد واحتياجاتهم.

**الكلمات المفتاحية:** استمتع بحياتك، محمد العريفي، مهارات التعامل مع الآخرين، مهارات التواصل، العلاقات الإنسانية، التنمية الذاتية، السيرة النبوية.

## مفهوم مهارات التعامل مع الآخرين:

يقصد بمهارات التعامل مع الآخرين مجموعة القدرات والسلوكيات التي يستخدمها الفرد في التواصل والتفاعل مع الأشخاص المحيطين به بطريقة تحقق الفهم المتبادل والاحترام والتعاون.ولا تقتصر هذه المهارات على الكلام، وإنما تشمل مجموعة واسعة من السلوكيات، مثل القدرة على الاستماع، وفهم مشاعر الآخرين، واحترام آرائهم، وضبط الانفعالات، والتعبير عن الأفكار بطريقة مناسبة. وتزداد أهمية هذه المهارات بسبب اختلاف الناس في شخصياتهم واحتياجاتهم وطريقة تفكيرهم. ولذلك فإن التعامل الناجح يتطلب قدرة الفرد على اختيار الأسلوب المناسب لكل شخص وموقف.وهذا المعنى حاضر بصورة واضحة في كتاب «استمتع بحياتك»، حيث يعرض المؤلف نماذج متنوعة للتعامل مع الناس، ويؤكد أهمية معرفة طبيعة الشخص الذي يتعامل معه الفرد قبل اختيار طريقة التعامل المناسبة.



## مهارات التواصل في كتاب «استمتع بحياتك»:

يمثل التواصل أحد المحاور الأساسية في بناء العلاقات الإنسانية. ويعرض الكتاب مجموعة من المبادئ التي يمكن أن تساعد الفرد على تطوير طريقة تواصله مع الآخرين.

1. اختيار الكلام المناسب

يؤكد الكتاب أهمية اختيار الكلمات والأسلوب المناسبين عند الحديث مع الآخرين. فالكلمة يمكن أن تكون سببًا في بناء علاقة جيدة، كما يمكن أن تكون سببًا في إفساد العلاقة إذا استُخدمت بطريقة غير مناسبة.ومن هنا فإن التواصل الفعال لا يعتمد فقط على مضمون الكلام، وإنما يعتمد كذلك على طريقة التعبير ونبرة الصوت ومراعاة مشاعر الطرف الآخر.

2. الاهتمام بالآخرين

من المبادئ المهمة التي تظهر في الكتاب الاهتمام بالآخرين وعدم جعل التواصل قائمًا على الحديث عن الذات فقط.فالإنسان يميل بطبيعته إلى الشخص الذي يشعره بالتقدير والاهتمام، ولذلك فإن السؤال عن الآخرين والاستماع إليهم ومشاركتهم مشاعرهم يمكن أن يؤدي إلى تقوية العلاقات الاجتماعية.

3. احترام الاختلاف

يتعامل الناس مع الحياة بطرق مختلفة، ولذلك فإن نجاح التواصل يتطلب تقبل الاختلاف وعدم افتراض أن جميع الأشخاص يفكرون بالطريقة نفسها. ويقدم الكتاب نماذج للتعامل مع أشخاص مختلفين في الطباع والآراء، ومن بينها التعامل مع المخالفين، وهو ما يعكس أهمية ضبط أسلوب الحوار وعدم تحويل الاختلاف إلى صراع. وتشير المواد التعريفية بمحتوى الكتاب إلى موضوعات مثل «مع المخالفين» و«الرأي الآخر».

**الاستماع وفهم الآخرين**

يعد الاستماع من أهم المهارات التي يحتاج إليها الفرد في علاقاته الاجتماعية. فالتواصل الناجح لا يقوم على الكلام فقط، وإنما يتطلب قدرة على الاستماع وفهم ما يريد الطرف الآخر التعبير عنه.

ويبرز في الكتاب الاهتمام بفهم الناس ومراعاة اختلاف شخصياتهم. ومن المبادئ التي يمكن استخلاصها من محتواه أن التعامل المناسب يبدأ بفهم الشخص الآخر قبل إصدار الأحكام عليه.

وتساعد مهارة الاستماع على:

- ✓ فهم احتياجات الآخرين.
- ✓ تقليل سوء الفهم.
- ✓ اكتشاف أسباب المشكلات.

- ✓ بناء الثقة.
- ✓ اختيار الرد المناسب.
- ✓ تعزيز الشعور بالتقدير لدى الطرف الآخر.

وقد أشارت بعض العروض التحليلية لمحتوى الكتاب إلى تركيزه على طريقة التعامل مع الناس، وفهم أفكارهم، والاستماع الجيد إليهم بوصفها عناصر مهمة في التواصل.

الأخلاق وأثرها في التعامل مع الآخرينمن أبرز ما يميز كتاب «استمتع بحياتك» أنه لا يفصل مهارات التعامل عن الجانب الأخلاقي. فالتواصل الناجح، من منظور الكتاب، لا يعني القدرة على إقناع الآخرين فقط، وإنما يتطلب حسن الخلق والاحترام والرحمة والرفق.ويستحضر المؤلف السيرة النبوية بوصفها مصدرًا للنماذج العملية في التعامل مع الناس. وتوضح البيانات التعريفية للكتاب أن هدفه هو عرض مهارات وفنون التعامل مع الناس في ضوء السيرة النبوية.

ومن أهم القيم التي يمكن ربطها بموضوع التعامل مع الآخرين:

أ. الاحترام

احترام الآخرين يمثل أساسًا للعلاقات الإنسانية السليمة، ويشمل احترام آرائهم ومشاعرهم وكرامتهم.

ب. الرفق

يساعد الرفق في تقليل التوتر أثناء الحوار، ويجعل النصيحة والتوجيه أكثر قبولًا.

ج. الصبر

تتطلب العلاقات الإنسانية قدرًا من الصبر، لأن اختلاف الشخصيات والمواقف قد يؤدي إلى سوء الفهم أو الخلاف.

د. التسامح

يساعد التسامح على تجاوز الأخطاء والمحافظة على العلاقات بدلًا من تحويل كل خطأ إلى نزاع.

**التعامل مع النقد والخلاف**

من المشكلات الشائعة في العلاقات الإنسانية عدم القدرة على التعامل مع النقد أو الاختلاف في الرأي.

ويقدم الكتاب مجموعة من الأفكار المتعلقة بتجنب الأساليب التي تؤدي إلى نفور الآخرين، ومن الموضوعات التي تظهر ضمن محتواه: «لا تنتقد»، و«الرأي الآخر»، و«تأكد من الخطأ قبل النصيحة»، وهي موضوعات ترتبط بصورة مباشرة بإدارة الخلاف والتواصل الإيجابي.ويمكن الاستفادة من هذه المبادئ في الحياة اليومية من خلال:

- التأكد من حقيقة الخطأ قبل الحكم على الآخرين.
- تجنب الإهانة أو التقليل من شأن الطرف الآخر.
- تقديم النصيحة بطريقة تحفظ كرامة الإنسان.

- الاستماع إلى وجهة النظر الأخرى.
- التفريق بين نقد السلوك والحكم على شخصية الإنسان.
- اختيار الوقت والمكان المناسبين للحوار.

وهذه المبادئ يمكن أن تساعد في تحويل الاختلاف من مصدر للصراع إلى فرصة للفهم والتواصل.

**دور الكتاب في تنمية العلاقات الاجتماعية**

يمكن أن يسهم كتاب «استمتع بحياتك» في تنمية العلاقات الاجتماعية من خلال تقديمه مجموعة من المهارات العملية التي يمكن تطبيقها في الحياة اليومية.

فالكتاب لا يكتفي بالحديث النظري عن العلاقات الإنسانية، وإنما يعتمد على مواقف وقصص وأمثلة بهدف تقريب الفكرة إلى القارئ. وتشير البيانات التعريفية للكتاب إلى أنه يتضمن ذكريات شخصية وتجارب واقعية إلى جانب نماذج من السيرة النبوية.

ومن أبرز الجوانب التي يمكن أن تسهم في تحسين العلاقات:

زيادة الوعي بالذات:

فالفرد يحتاج إلى معرفة نقاط القوة والضعف في أسلوبه في التعامل مع الآخرين.

فهم طبيعة الآخرين:

اختلاف الناس يتطلب اختلاف أساليب التعامل معهم.

تحسين التواصل:

استخدام الكلمات المناسبة والاستماع الجيد يساعدان على تقليل سوء الفهم.

تطوير الذكاء الاجتماعي:

فهم مشاعر الآخرين واحتياجاتهم يساعد الفرد على اتخاذ قرارات اجتماعية أكثر نجاحًا.

تعزيز السلوك الأخلاقي:

ربط المهارات الاجتماعية بالقيم يجعل التعامل مع الآخرين أكثر استقرارًا واستمرارية.

**القيمة التربوية للكتاب**

يمكن النظر إلى كتاب «استمتع بحياتك» بوصفه مادة ذات قيمة تربوية؛ لأنه يربط بين تطوير شخصية الفرد وتحسين علاقاته مع الآخرين.وتتمثل القيمة التربوية للكتاب في قدرته على تقديم مفاهيم مثل التعاون، والاحترام، والتسامح، والاستماع، والحوار، وضبط النفس في صورة عملية مرتبطة بمواقف واقعية.كما أن استحضار السيرة النبوية يمنح المهارات المطروحة إطارًا قيميًا وأخلاقيًا. وتوضح مصادر وصف الكتاب أنه يركز على التعامل مع أنواع مختلفة من

الناس، مع الاستفادة من مواقف الرسول ﷺ وتجارب المؤلف. ومن الناحية التعليمية، يمكن الاستفادة من هذه الأفكار في برامج تنمية مهارات التواصل لدى الطلاب والشباب، مع مراعاة تقديمها ضمن منهج تدريبي يجمع بين القراءة والتطبيق والممارسة.يربط المؤلف بين مهارات التواصل والقيم الأخلاقية، ولا يقدم المهارات الاجتماعية بمعزل عن الأخلاق.يقدم الكتاب نماذج متعددة للتعامل مع اختلاف الشخصيات والآراء.يمكن أن تساعد المبادئ التي يقدمها الكتاب في تطوير مهارات مثل الحوار، والاستماع، والتسامح، واحترام الآخرين.يمثل استخدام مواقف السيرة النبوية عنصرًا أساسيًا في بناء الجانب القيمي والتربوي للكتاب.تتميز موضوعات الكتاب بطابع عملي يجعل كثيرًا من مبادئه قابلة للتطبيق في الحياة اليومية.

**التوصيات**

الاستفادة من موضوعات الكتاب في برامج تنمية مهارات التواصل لدى الشباب.

إدخال أنشطة تطبيقية مرتبطة بالاستماع والحوار وإدارة الخلاف ضمن البرامج التعليمية.

تشجيع الدراسات الأكاديمية التي تحلل كتب التنمية الذاتية من منظور تربوي ونفسي.

دراسة العلاقة بين القيم الإسلامية ومهارات التواصل الحديثة.

إجراء دراسات ميدانية لقياس أثر قراءة الكتاب وتطبيق مبادئه على مهارات التواصل لدى الطلاب.

عدم الاكتفاء بالقراءة النظرية، وإنما تحويل المبادئ الواردة في الكتاب إلى ممارسات وسلوكيات يومية.

## الخاتمة

يتضح من خلال هذا البحث أن كتاب «استمتع بحياتك» لمحمد العريفي يقدم تصورًا متكاملًا نسبيًا لمهارات التعامل مع الآخرين، من خلال الجمع بين مهارات التواصل والتنمية الذاتية والقيم الأخلاقية المستمدة من السيرة النبوية. وقد ركز الكتاب على عدد من المهارات المهمة، مثل حسن التواصل، والاستماع، وفهم الآخرين، واحترام الاختلاف، والاهتمام بالناس، وتجنب النقد الجارح، والتعامل مع المشكلات والخلافات بطريقة أكثر حكمةومن ثم يمكن القول إن قيمة الكتاب لا تكمن في تقديم نصائح اجتماعية منفردة فحسب، بل في محاولته ربط مهارات التعامل بالسلوك الأخلاقي والقدوة النبوية. ومع ذلك، فإن الحكم العلمي على «دور» الكتاب في تنمية المهارات بصورة سببية يتطلب دراسات ميدانية تقيس التغير في مهارات القراء قبل القراءة وبعدها، وليس الاكتفاء بتحليل محتوى الكتاب.وبذلك يشكل «استمتع بحياتك» مادة مناسبة للدراسة في مجالات التربية، والتنمية الذاتية، ومهارات الاتصال، والعلاقات الإنسانية، خاصة فيما يتعلق بالجانب القيمي والأخلاقي في التعامل مع الآخرين.

# المصادر والمراجع

العريفي، محمد بن عبد الرحمن. استمتع بحياتك. دار البدر للنشر والتوزيع،2007م

د. أحمد عكاشة و د. طارق عكاشة ط١٧ الطب النفسي المعاصر. القاهرة مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠١٨م.

د. جودي ويليس. تعليم الدماغ القراءة الرياض: العبيكان، ٢٠١٨م.

د. حبيب يوسف مغنية الأدب الحديث والثقافة. بيروت: دار مكتبة الهلال، ٢٠١٠م.

د. حسين علي محمد. في الأدب السعودي الحديث. ط٢. الرياض: دار النشر الدولي، ٢٠٠٩م.

د. حسين علي محمد مراجعات في الأدب السعودي الاسكندرية: دار الوفاء ٢٠٠٠م.

د. شعبان عبد العزيز خليفة العلاج بالقراءة أو البيبليوثيرابيا. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠م.

# محمد مكين الصيني والأزهري وإسهاماته في إثراء اللغة العربية في الصين في القرن العشرين



**الدكتور عبد العزيز اللداخي الندوي**
باحث أكاديمي في الدراسات العربية والإسلامية
متخصص في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية
حاصل على درجة الدكتوراه له عناية بالبحث العلمي والتأليف والتحقيق

**Abstract:** **This study examines the life and scholarly contributions of Professor Muhammad Makīn (Ma Jian, 1906–1978), a prominent Chinese Muslim scholar, educator, translator, and pioneer of Arabic language education in twentieth-century China. It traces his intellectual formation from his early education in Yunnan through his studies in China, Al-Azhar University, and Dar al-Ulum in Cairo. The study focuses on his pioneering role in developing modern Arabic language education in China, particularly his contribution to establishing the Department of Arabic at Peking University, developing curricula and teaching materials, and training generations of Arabic specialists. It also highlights his major contribution to translating the meanings of the Holy Qur'an into Chinese, with particular attention to accuracy, clarity, and faithfulness to the intended meanings. Furthermore, the study examines his efforts to reform Islamic education and strengthen intellectual and cultural exchange between China and the Arab world. It concludes that Muhammad Makīn played a significant role in advancing Arabic and Islamic studies in China and in fostering Sino-Arab intellectual and cultural relations.**

**Keywords:** **Muhammad Makīn; Ma Jian; Arabic Language in China; Arabic Language Education; Peking University; Al-Azhar University; Dar al-Ulum; Translation of the Meanings of the Qur'an; Islamic Culture; Sino-Arab Relations.**

الملخص: يتناول هذا البحث شخصية الأستاذ محمد مكين (ماجيان) (1906–1978م)، العالم والمربّي والمترجم الصيني المسلم، وإسهاماته البارزة في إثراء اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الصين خلال القرن العشرين. ويستعرض البحث مسيرته العلمية والتربوية التي بدأت في بيئة إسلامية متواضعة، ثم تطورت من خلال دراسته في المؤسسات التعليمية الإسلامية بالصين، ورحلته العلمية إلى مصر، والتحاقه بجامعة الأزهر وكلية دار العلوم بالقاهرة، حيث تعمّق في علوم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وأسهم في الوقت نفسه في التعريف بالثقافة الصينية لدى العرب.

ويركز البحث على دوره الريادي في تأسيس التعليم الأكاديمي الحديث للغة العربية في الصين، ولا سيما إسهامه في إنشاء قسم اللغة العربية بجامعة بكين، ووضع المناهج والمواد التعليمية وتأليف الكتب والمعاجم وترجمة بعض

المؤلفات العربية إلى اللغة الصينية. كما يبرز جهوده في إصلاح التعليم الإسلامي في الصين، ودعوته إلى الجمع بين التعليم الديني والتعليم العام الحديث، وإعداد الكفاءات العلمية والمهنية القادرة على خدمة المجتمع.

ويتناول البحث كذلك أعظم إنجازاته العلمية، المتمثل في ترجمته الكاملة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، وما اتسمت به ترجمته من الدقة والوضوح والسلاسة والأمانة في نقل المعاني. كما يتطرق إلى دوره في إعداد أجيال من المتخصصين في اللغة العربية، الذين أسهموا في مجالات التعليم والبحث والترجمة والدبلوماسية والإعلام والعلاقات الصينية العربية.

ويخلص البحث إلى أن محمد مكين يمثل نموذجًا فريدًا للعالم والمترجم والمربي الذي جمع بين إتقان اللغتين والثقافتين الصينية والعربية، وأسهم بصورة مؤثرة في بناء جسور التواصل الحضاري والفكري بين الصين والعالم العربي، وأن آثاره العلمية والتربوية والترجمية أسست لمرحلة مهمة في تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في الصين خلال القرن العشرين.

**الكلمات المفتاحية :**محمد مكين؛ ماجيان؛ اللغة العربية في الصين؛ التعليم العربي؛ جامعة بكين؛ جامعة الأزهر؛ دار العلوم؛ ترجمة معاني القرآن الكريم؛ الثقافة الإسلامية؛ العلاقات الصينية العربية.

الأستاذ ماجيان (١٩٠٦–١٩٧٨م)، واسمه الديني محمد مكين، هو عالم صيني مسلم ومترجم وتربوي مشهور، قدّم مساهمات بارزة في تعريف الصينيين بالعالم العربي من خلال الكمّ الهائل من الكتب التي ترجمها، وطلابه المتخصصين في اللغة العربية، الذين أصبحوا أعلامًا في مجالات الشؤون الخارجية والتعليم والثقافة وغيرها. بذل محمد مكين جهودًا عظيمة في تطوير الصداقة الصينية-العربية، وتعزيز التبادلات الأكاديمية بين الجانبين. تصادف هذه السنة الذكرى السنوية الأربعين لوفاة السيد ماجيان، الذي ستظل مساهماته خالدة في التاريخ.

في مقدمة ترجمته العربية لكتاب "الحوار" لكونفوشيوس، كتب السيد ماجيان تعريفًا بسيطًا لشخصه: "أنا صيني ومسلم، على عاتقي التزامان، التزام المواطن والالتزام الديني. يجب عليّ أن أبذل كل جهودي في مساعدة شعوب الدول الأخرى التي لا تفهم اللغة الصينية على معرفة فلسفة وأدب الصين، بينما يجب عليّ أن أبذل كل جهودي في تعريف الصينيين بالكتب الكلاسيكية للدين الإسلامي، سعيًا إلى فهم الصينيين المسلمين وغير المسلمين لجوهر الدين الإسلامي". ويبدو أن الأستاذ ماجيان كرّس مجهوداته طوال العمر لإنجاز هذين الالتزامين.

وقال البروفيسور تشونغجي كون، رئيس جمعية بحوث الأدب العربي في الصين، إنه عندما زار الأديب المصري نجيب محفوظ في عام ١٩٨٠، سمعه يقول إنه قرأ كتاب "الحوار" الذي ترجمه أحد الطلاب الصينيين، وأبدى إعجابه بمحتواه.

"إنه رائد تعليم اللغة العربية في الصين، وسفير ثقافي للتبادلات الفكرية بين الأمتين الصينية والعربية، وعاشق لوطنه، ظل يدعو طوال حياته إلى التناغم والتضافر بين مختلف القوميات الصينية". هكذا جاءت انطباعات المستعربين وممثلي الأوساط الإسلامية تجاه شخصية العالم المسلم الصيني الكبير الراحل ماجيان (اسمه الإسلامي محمد مكين). واتفق المشاركون في ملتقى أكاديمي أُقيم عام ٢٠١٦ في العاصمة الصينية بكين، بمناسبة الذكرى المئوية العاشرة لميلاد الأستاذ محمد مكين، وذكرى مرور ٧٠ عامًا على إنشاء تخصص اللغة العربية بجامعة بكين، على أن محمد مكين، بمنجزاته الأكاديمية البارزة، وأخلاقه السامية، وشخصيته المحترمة، سيبقى دومًا في ذاكرة المسلمين والمستعربين الصينيين.

**نبذة من أقوال سفير الثقافة والتبادلات الفكرية بين الصين والعالم العربي.**

وُلِد الأستاذ محمد مكين في أسرة مسلمة فقيرة وعادية من قومية هوي، في قرية شاديان الواقعة بولاية يونان، في ٦ يونيو عام ١٩٠٦م، وتوفي في ١٦ أغسطس عام ١٩٧٨م في بكين. وكان يحب المعرفة والدراسة والكتابة والقصص حتى قبل دخوله المدرسة الابتدائية، عندما بلغ ست سنوات من عمره. وتفوّق في المدرسة، كما كان أيضًا يدرس اللغة الصينية بعد الفراغ من المدرسة على يد أستاذ للغة الصينية. وكان يحضر دروسًا مسائية في اللغة العربية والقرآن الكريم بالمسجد على يد الأستاذ ماماينغ فو. وبعد وفاة أستاذه ماماينغ فو، واصل دراسة القرآن الكريم واللغة العربية على يد الأستاذ وان شينغ يي.

بعد المرحلة الابتدائية في مسقط رأسه، لم يكتفِ الأستاذ محمد مكين بالدراسة في المسجد، وتوجّه إلى كون مينغ في ولاية يونان للالتحاق بالمدرسة العربية الصينية، التي أسستها جمعية التقدم الإسلامية في يونان. ودرس هناك اللغة الصينية القديمة والحديثة، إلى جانب العلوم الدينية من حديث وفقه وتفسير وتلاوة، واللغة العربية وقواعدها. كما درس العلوم الدينية الأصيلة والقرآن الكريم في المساجد مساءً حتى وقت صلاة العشاء.

التحق محمد مكين بعد ذلك بمدرسة ثانوية أهلية في كون مينغ نفسها، وهي مدرسة للتربية الإسلامية الثانوية، التي تأسست عام ١٩٢٩م، وتشمل أيضًا المرحلة الابتدائية والإعدادية، وهناك قسم خاص لدراسة اللغة العربية. أما المقررات الدراسية، فتشمل التاريخ والرياضيات والفيزياء واللغة الإنجليزية والكيمياء واللغة الصينية، بالإضافة إلى علوم التربية الإسلامية. وتفوّق محمد مكين في دراسة هذه المواد، ونجح بدرجة ممتازة.

وبهذا التفوق، نال محمد مكين ثقة إدارة المدرسة، التي أرادت ابتعاثه إلى أوروبا أو أمريكا، لكن والده أراد له مواصلة الدراسات الإسلامية، وجلب له العديد من كتب الثقافة الإسلامية من مكة المكرمة عندما عاد من الحج، وتطورت لدى محمد مكين رغبة في الدراسة في البلاد العربية.

وكان محمد مكين طالبًا مجتهدًا ومحبًّا للعلم والمعرفة ومتطلعًا إلى التفوق، وقد وضح ذلك عندما كان طالبًا في مدرسة الأخلاق الإسلامية، حيث سأله الأستاذ ياي ليانغ شينغ، أثناء العطلة الدراسية، عمّا يريد أن يكون في المستقبل، فقال محمد مكين إنه يرغب في أن يكون عالمًا من العلماء المسلمين.

تخرّج محمد مكين من مدرسة الأخلاق الإسلامية بمدينة كون مينغ بعد ثلاث سنوات من الدراسة، وأراد التقديم للامتحان لدخول جامعة بكين من أجل دراسة الفلسفة الإسلامية في المستقبل، ولكن وفاة والدته في ذات العام، وعدم قدرة أسرته الفقيرة على تحمّل النفقات، حالا دون تحقيق أمنيته في دراسة الفلسفة الإسلامية بجامعة بكين.

بعد تأسيس مدرسة يويفِنغ في مسقط رأس محمد مكين بقرية شاديان، ونظرًا إلى الحاجة الماسة إلى الأساتذة، طُلب من الأستاذ محمد مكين شغل منصب عميد شؤون المدرسة. وفي عام ١٩٢٨م، غادر محمد مكين مدرسة قريته، وتوجّه إلى شمال غربي الصين.

ويقول الأستاذ محمد مكين إنه دعا صديقه ما يوان سينغ في عام ١٩٢٨م للسفر إلى مصر من أجل الدراسة، فوافق، وقررا الذهاب إلى شنغهاي وتيان جينغ وبكين لزيارة بعض المدارس الحديثة وتدريس اللغة العربية فيها قبل السفر إلى مصر. ولكن عند وصولهما إلى ناكين، لم يتمكنا من الذهاب إلى تيان جينغ بسبب الحرب، فتوجها إلى شمال غربي الصين، ودرسا تفسير القرآن الكريم وكتاب "شرح الوقاية" على يد الأستاذ هو شونغشان.

ولكن بسبب مجاعة كبيرة في شمال غربي الصين، لم يدرس محمد مكين أكثر من ستة أشهر في نينغ شيا، فتوجّه إلى شنغهاي للدراسة مع صديقه ما يوان سينغ. ومع وصولهما، بدأت المرحلة الدراسية الجديدة في مدرسة المعلمين الإسلامية، والتحقا بالمدرسة بعد النجاح في اختبار القبول. وبعد عدة أشهر، عاد صديقه ما يوان سينغ إلى أهله بسبب مرضه، فواصل محمد مكين دراسته في شنغهاي لمدة ثلاث سنوات، تفوّق فيها، وحظي بتقدير المدرسة، التي قامت باختياره للذهاب إلى مصر للدراسة.

وفي عام ١٩٣١م، توجّه وفد البعثة الصينية، بمن فيهم الأستاذ محمد مكين، إلى مصر من أجل الدراسة في جامعة الأزهر. وهناك، قام محمد مكين، بالإضافة إلى التعليم، بجهد كبير في نشر الثقافة الصينية بين العرب، حيث ترجم بعض الكتب الصينية إلى اللغة العربية، مثل "الحوار" للحكيم الصيني كونفوشيوس، و"الأساطير الصينية"، و"الحكم والأمثال الصينية".

أكمل الأستاذ محمد مكين دراسته عام ١٩٣٥م، حيث تخرّج من جامعة الأزهر، والتحق بكلية دار العلوم بالقاهرة ليواصل دراسته لعلوم اللغة العربية. ومع متابعة الدراسة في دار العلوم، قام الأستاذ محمد مكين، بمساعدة وتوجيه الأستاذ إبراهيم الجبالي، بترجمة كتاب "حقائق دين الإسلام" للكاتب حسين الجسر إلى اللغة الصينية.

وفي يوم العشرين من شهر مارس عام ١٩٣٩م، تخرّج الأستاذ محمد مكين من كلية دار العلوم في القاهرة بدرجة امتياز، وغادر مصر مسافرًا عبر البحر إلى الصين، بعد أن قضى فيها ثماني سنوات.

**رائد تعليم اللغة العربية في الصين:**

يُعتبر الأستاذ ماجيان من رواد إعداد الكفاءات في اللغة العربية في الصين، وواضع أساس تعليم اللغة العربية للصينيين بطريقة علمية. وهو مؤسس قسم اللغة العربية في كلية اللغات الشرقية بجامعة بكين. وفي نهاية صيف عام ١٩٤٦م، استدعته جامعة بكين ليشارك في تأسيس كلية اللغات الشرقية بالجامعة، وأُدرجت اللغة العربية رسميًا في منهج التعليم العالي في الصين لأول مرة في تاريخ التعليم الصيني، فبدأ عصر جديد لتعليم اللغة العربية في الصين.

وفي خريف عام ١٩٤٦م، استقبل الأستاذ ماجيان الدفعة الأولى من طلاب اللغة العربية، وكان عددهم بضعة عشر طالبًا، وكان الأستاذ ماجيان المعلم الوحيد في قسم اللغة العربية. فأنشأ جميع مواد التدريس، مثل اللغة العربية للمبتدئين، واللغة العربية للمستوى المتقدم، وتاريخ الدين الإسلامي، وبحوث القرآن الكريم وغيرها، وتحمّل مسؤولية إعداد وطباعة المواد الدراسية، في حين ركّز جهوده على بناء تخصص اللغة العربية، مثل وضع مناهج التدريس واختيار المواد الدراسية وتأليفها.

وجدير بالذكر أنه أنجز تأليف مجموعة من المواد التعليمية لقواعد اللغة العربية، لخّص فيها أحكام وخصائص قواعد اللغة العربية بشكل منظّم، وحدّد الأسماء الصينية الكاملة لمصطلحات قواعد اللغة العربية بطريقة علمية. وتلك هي المساهمة الكبيرة التي قدّمها الأستاذ ماجيان في مجال تعليم اللغة العربية في الصين.

أما "معجم العربية-الصينية"، الذي تحمّل الأستاذ ماجيان مسؤولية الإشراف على تحريره، وراجع جميع أوراقه، فما زال مرجعًا ضروريًا للدارسين والعاملين باللغة العربية.

ظل الأستاذ ماجيان يشجّع الطلاب على الاجتهاد في دراسة اللغة العربية ليكونوا خبراء، وليخدموا الوطن والشعب، بينما اهتم بإعداد الأساتذة ورفع مستواهم في التعليم. وكان يقول دائمًا: "إن المعلم يشبه بئرًا، علينا أن نحفر هذه البئر إلى مستوى أعمق لجمع مزيد من المياه، وبذلك يمكن للطلاب أن يأخذوا كثيرًا من المياه. فإذا أردنا أن يأخذ الطلاب برميلًا من المياه، فلا بد أن نجمع عشرة براميل منها على الأقل. أما إذا بقينا على برميل واحد من المياه، فلا يمكن للطلاب أن يأخذوا غير الطين من البئر".

عمل الأستاذ ماجيان في جامعة بكين أكثر من ثلاثين سنة، وقد انتشر تلاميذه في مختلف مجالات الشؤون الخارجية والثقافة والتعليم والنشر والأبحاث، حيث يعملون من أجل تطوير القضية الثقافية للبلاد وتعزيز الصداقة بين الشعبين الصيني والعربي، وأصبحوا قوةً ركيزةً لتطوير العلاقات الصينية-العربية وقضية البحوث في الثقافة الإسلامية والعربية.

**١ .مساهمته في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية:**

**الإصلاح التعليمي في الصين:**

دخل تدريس علوم الثقافة العربية والإسلامية إلى الصين منذ دخول الإسلام إليها وإنشاء المساجد والزوايا، التي كانت مقرًّا ثابتًا لتعليم المسلمين، وانتشرت في أنحاء الصين مع تزايد عدد المسلمين وانتشار الإسلام. وكانت بداية التعليم المسجدي في الصين خلال فترة حكم أسرة مينغ (١٣٦٨–١٦٤٤م)، ولعب هذا النوع من التعليم دورًا بارزًا في تاريخ التعليم العربي الإسلامي في الصين، حيث تخرّج منها وتدرّب فيها آلاف العلماء المسلمين والأئمة.

ولكن هذا النظام التعليمي لم يلبِّ المتطلبات المتغيرة مع تطور الزمن، وكانت به قصورات كثيرة منذ البداية. ولذلك دعا بعض المسلمين، ومن بينهم الأستاذ محمد مكين، إلى التغيير وإصلاح النظام التعليمي، وطالب بإصلاح التعليم المسجدي التقليدي، بإدخال التعليم النظامي الحديث. وأشار محمد مكين إلى عيوب هذا النظام، وطالب بإصلاحه قائلًا:

"إن التعليم المسجدي في الصين يهتم بتدريس العلوم الدينية دون العلوم العصرية العامة، ويدرس الطلبة اللغة العربية دون اللغة الصينية، وهذا الأسلوب له أنواع من العيوب. وإن المجتمع المسلم يحتاج إلى الناس الذين يجيدون العلوم الدينية لإقامة الشؤون الدينية وليكونوا أئمة للمسلمين، ولكن إعداد هؤلاء الأئمة ليس أمرًا سهلًا، فلا بد من اختيار الطلبة الأذكياء الصالحين، ثم تربيتهم وتدريبهم بالعلوم الخاصة حتى يكونوا علماء وأئمة للمسلمين. ولو أصبح كل طالب إمامًا، لكان العرض فاق الطلب، وسيتعطل أكثر الخريجين عن العمل".

أوضح محمد مكين أهمية إعداد أئمة وقيادات مسلمة في المجتمع الصيني من أجل حماية الشعائر الدينية وإقامتها، وعدم جدوى تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية فقط، دون الاهتمام بالمواد العامة الحديثة واللغة الصينية. وأشار إلى أهمية تعلم المواد الأخرى غير الدينية أيضًا بالنسبة لمسلمي الصين، وذلك لمعالجة عيوب نظام التعليم بينهم. وطالب بإصلاحات في التعليم، حيث قال:

"لا يحتاج المجتمع المسلم إلى الأئمة في الدين فحسب، بل يحتاج إلى المدرسين والأطباء والقضاة والحُكّام والمحامين والخياطين والنجارين والحجارين والمهندسين وغيرهم، وكل منصب ووظيفة تحتاج إلى موظف لسد حاجات المجتمع المسلم".

ومن أقواله أيضًا: "إذا كان المجتمع المسلم يفتقر إلى مؤهل في مجال ما، يجب على المسلمين جميعًا تربية وتعليم البعض منهم لتوفير المؤهل في ذلك المجال، وإلا فقد أذنب كل مسلم في المجتمع". ولجهل المسلمين بهذا الأمر، لا يهتمون بالتربية العامة والتربية المنهجية، ولا يدعمونها معنويًا أو ماديًا، ويعتقدون أن التربية العامة والتربية المنهجية ليست من

النشاطات الدينية، وليس فيها أجر للقائم بها. وهكذا يجبر الآباء أبناءهم على اتباع نظام التعليم المسجدي، حتى ولو لم يناسب هذا النظام أبناءهم في أن يصبحوا أئمة أو دعاة في المستقبل.

لذلك، لم يواصل العديد من أبناء المسلمين دراستهم، حيث يتوقفون قبل التخرج، وبالتالي لا يمكنهم العمل كأئمة أو علماء دين، كما لا يمكنهم شغل الوظائف الأخرى لعدم قدرتهم وخبرتهم فيها. ونعلم أن واجب المسلم عامة هو معرفة التوحيد والعبادات والتاريخ الإسلامي وغيرها، ولكن لا يلزم أو يفرض عليه بأي حال أن يتعمق في دراستها، ولا يلزم أن يدرس العلوم الإسلامية باللغتين العربية والفارسية.

وفي هذا السياق، يقول الأستاذ محمد مكين: "يجب على عامة المسلمين الصينيين معرفة التوحيد والشريعة والتاريخ الإسلامي وغيره من العلوم الدينية، التي لا يلزم على عامة المسلمين التعمق في دراستها؛ لأن التعمق في دراستها من أمر العلماء، ولا يلزم عليهم معرفة هذه العلوم باللغة العربية أو اللغة الفارسية فقط؛ لأن الهدف هو مضمونها لا لغتها. فعلى المسلمين الصينيين أن يدرسوا اللغة الصينية والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم الاجتماعية. والواقع أن اللغتين الفارسية والعربية تُدرّسان في المدارس الدينية بالصين، ولكن اللغة الصينية والعلوم الاجتماعية الأخرى لا تُدرّس، حتى الذين يعرفون علوم الدين لا يستطيعون تبليغها باللغة الصينية للآخرين بطريقة جيدة، وهذا يؤدي إلى التأخر وعدم التطور".

إن التعليم المسجدي التقليدي المتقيد بتدريس العلوم الإسلامية فقط لم يسد متطلبات العصر الحديث، لذلك قام بعض المسلمين الصينيين بتأسيس المدارس الابتدائية الحديثة في عهد الصين الوطنية، ولكنها أيضًا كانت قاصرة؛ لأنها لم تشمل تدريس مواد التربية والثقافة الإسلامية في نظامها، وهو ما يُعتبر أيضًا عيبًا من عيوب نظام التربية والتعليم الحديث لمسلمي الصين. فأوضح الأستاذ محمد مكين هذا القصور، ودعا إلى الإصلاح فيما يلي:

"في عهد الصين الوطنية، رأى بعض المسلمين أن التعليم المسجدي التقليدي لا يسد حاجة المتطلبات العصرية، فأسسوا المدارس الابتدائية الحديثة العامة، ولكن لم تُدرّس العلوم الدينية في المدارس، ولا يهتمون بالتخلّق بالدين والعبادة، فالمتخرجون من هذه المدارس لا يعرفون عن الدين شيئًا، فيدخنون ويشربون الخمر ويلعبون الميسر وغير ذلك من المحرمات. وهذا أصبح حجة لمعارضة تأسيس المدارس الحديثة العامة، حتى قال بعضهم: "من درس اللغة الصينية فقد كفر".

فعلى المسلمين في الصين تأسيس المدارس التي تناسب بيئة الصين ومجتمعها لتربية أبناء المسلمين، وهي مدارس تجمع بين شعبتين دراسيتين معًا: الدينية والأكاديمية العصرية. والمواد العصرية هي نفس المواد التي تُدرّس في المدارس الحكومية، والمواد الدينية تُدرّس باللغة الصينية. أما اللغة العربية فلا تُدرّس إلا أساسياتها، وحفظ بعض السور القرآنية القصيرة والأذكار والأدعية، وكذلك حثّ وتشجيع التلاميذ على أداء الصلاة والصيام وغيرها من الفرائض والعبادات.

وإذا كان عدم استطاعة تأسيس مدارس إسلامية بهذا النظام لقلة المال والتلاميذ، فلا بأس من إرسال أبناء المسلمين إلى المدارس الحكومية والمدارس الأهلية، ثم تُجمع التبرعات من المسلمين لمساعدة التلاميذ كمنحة دراسية، وفتح الصفوف الدراسية في أثناء الإجازات لتعليم العلوم الدينية، وإنشاء المكتبات في المساجد".

**٢ .تعليم محمد مكين في مدرسة يو فينغ:**

في عام ١٩٢٥م، تخرّج محمد مكين من مدرسة مينغ دا (مدرسة الأخلاق الإسلامية الثانوية الأهلية). وفي ذات الوقت، كانت مدرسة يو فينغ قد أُسست في مسقط رأسه بقرية شاديان، فعمل بها عميدًا لشؤون التعليم، نظرًا إلى حاجتها الماسّة إلى الأساتذة. وعمل بجهد مع مجلس الإدارة والأساتذة على تطوير المدرسة وتنميتها والتخطيط لها، حيث قسّم المدرسة إلى المرحلة الابتدائية الأساسية والمرحلة الابتدائية العليا، كما قسّم الطلبة، وعددهم نحو خمسة وثمانين تلميذًا وتلميذة، إلى صفوف دراسية مختلفة.

وتُعتبر المدرسة الصينية العربية الابتدائية في قرية شاديان نقطة تحوّل كبيرة ومؤثرة في تاريخ التعليم بها؛ لأنها انتقلت من نظام المناهج القديمة إلى نظام المناهج الجديدة أو التعليم الحديث، وتُعتبر أيضًا معلمًا بارزًا في مجال تطوير التربية الإسلامية بشاديان، حيث تلقّى الكثيرون فيها تعليمًا شاملًا. وشملت المقررات الدراسية في المدرسة، إلى جانب اللغة العربية واللغة الصينية، مواد الحساب والرياضة والفن والرسم والإنشاء، من خلال كتب دراسية جديدة.

وضع الأستاذ محمد مكين برامج المدرسة وأهدافها وفقًا لظروف الطلبة، كما قام برعاية النشاطات المختلفة وتنظيمها وفقًا لأعمار التلاميذ والتلميذات وهواياتهم، وشَيّد مكتبة بالمدرسة، لكي يتعوّد التلاميذ على ارتياد المكتبات والاطلاع منذ سن مبكرة. ومع مرور الزمن وارتفاع عدد الطلبة وتطور مستوياتهم، لم تعد المكتبة تكفي حاجات الطلاب من مواد الاطلاع والكتب، فقام الأستاذ محمد مكين بجمع التبرعات من المسلمين وتوسيع المكتبة وإضافة عدد كبير من الكتب، بما يلبي حاجة الطلاب إلى المعرفة.

ومن أساليب التربية الأخرى التي اتبعها الأستاذ محمد مكين أنه كان يدرّب التلاميذ عمليًا وميدانيًا على حب العمل؛ حيث كان يذهب مع التلاميذ إلى ضفاف النهر في مواسم الإنتاج بالقرية، وزيارة مقابر المسلمين وتشجيرها، وفي أحيان أخرى كان يذهب بهم لترميم الطرق والمسالك في القرية.

وحظي أبناء المسلمين من التلاميذ في المدرسة الصينية العربية بتعليم وتربية شاملة واهتمام كبير، ولذلك تطوروا ونجحوا في دراستهم، وكانت المدرسة تحفّزهم من خلال تنظيم إعلان النتائج بحضور أولياء أمور الطلبة في أجواء احتفالية. كما كانت المدرسة الصينية العربية تعقد لقاءات دورية منتظمة مع أولياء أمور التلاميذ لأخذ آرائهم واقتراحاتهم فيما يتعلق بشؤون تطوير المدرسة.

وقضى الأستاذ محمد مكين عامين بالمدرسة الصينية العربية، ولمس مدى أهمية التربية والتعليم، حيث قال: "أعتقد أن ما يحتاج إليه وطننا هو التربية والتعليم، وما من إنقاذ للوطن إلا بالتربية، ولا نهوض للدين إلا بالتربية. وأعتقد أنه

إذا لم تُدرّس مواد العلوم الإسلامية بالمدارس التي أسسها المسلمون، فإن أبناءهم لن يكونوا من المتدينين مستقبلًا، جاهلين بواجباتهم وحقوقهم الدينية. أما المدارس الدينية، فلا بد لها من تغيير الكتب الدراسية وأساليب التعليم".

**٣ .عمل محمد مكين بمدرسة مينغ دا الثانوية بكون مينغ:**

كان محمد مكين قد عُيّن مديرًا للشؤون التعليمية بمدرسة مينغ دا الثانوية الأهلية عام ١٩٣٩م، وذلك بعد عودته من مصر، التي قضى فيها نحو ثماني سنوات دارسًا في جامعة الأزهر وكلية دار العلوم. كما شغل منصب رئيس تحرير إحدى أهم المجلات الإسلامية في الصين، وهي مجلة "المنبّه الإسلامي" العلمية، التي كانت تصدر كل شهر.

وعمل الأستاذ محمد مكين في هذه المدرسة لمدة عام واحد فقط، حيث توجّه من هناك إلى شنغهاي، وذلك لإتمام ترجمة معاني القرآن الكريم.

**٤ .عمل محمد مكين في مدرسة يانغ شينغ بشاديان:**

أقام الأستاذ محمد مكين في شنغهاي مع الجماعة العلمية الإسلامية الصينية عند قيامه بترجمة معاني القرآن الكريم، ولكنه عاد في عام ١٩٤٢م إلى مسقط رأسه شاديان بولاية يونان، لعدم استقرار شنغهاي أمنيًا بسبب الحرب. وهناك واصل عمله في إتمام ترجمة معاني القرآن الكريم، بالإضافة إلى قيامه بالتدريس في مدرسة شانغ شينغ الأهلية، التي أسسها باي لیانغ شينغ.

واتبع الأستاذ مكين النظام التعليمي الجديد بدلًا من التقليدي المسجدي، كما أن بعض كتب المقررات الدراسية كانت من تأليفه، والبعض الآخر من أعمال ترجمته من اللغة العربية. وشملت المقررات الدراسية التي قام الأستاذ محمد مكين بتدريسها اللغة العربية وفروعها من نحو وقواعد ومطالعة، بالإضافة إلى العقائد في التربية الإسلامية.

ومن أجل تطوير مستوى تعليم اللغة الصينية في المدرسة، قدّم الأستاذ محمد مكين الدعوة لبعض أساتذة جامعة جنوب غرب الصين المتحدة للقيام بتدريس مواد الرياضيات والفلسفة والفيزياء واللغة الإنجليزية واللغة الصينية. وبعد عامين دراسيين، ارتفعت مستويات تحصيل التلاميذ في جميع المقررات والمواد الدراسية المختلفة.

وفي هذه الفترة، قام المؤرخ الإسلامي الشهير باي شو يي بزيارة إلى قرية شاديان لاستطلاع أوضاع المسلمين وتاريخهم، وقام بزيارة المدرسة تلبيةً لدعوة الأستاذ محمد مكين.

**عمل محمد مكين بجامعة يونان:**

عمل الأستاذ محمد مكين أستاذًا في جامعة يونان، حيث عُيّن عام ١٩٤٤م، وواصل التدريس فيها حتى عام ١٩٤٦م، حيث لبّى دعوة جامعة بكين له من أجل تأسيس شعبة اللغة العربية في قسم اللغات الشرقية بها.

**٥ .تأسيسه لقسم اللغة العربية والتدريس بجامعة بكين:**

اعتمد تعليم اللغة العربية عامةً، منذ دخولها إلى الصين، على الطرق التقليدية المتمثلة في المساجد والمدارس الإسلامية الأهلية، التي لم تُغطِّ حاجة الدولة إلى إعداد كفاءات عالية القدرة في اللغة العربية. ويرجع ذلك إلى اتباع النظم

التعليمية القديمة، حتى جاء عصر جيل محمد مكين، الذي كان يخطط للتغيير منذ أن كان طالبًا، ويعمل على تطوير مجال تعليم اللغة العربية ونشرها في الصين.

في عام ١٩٤٩م، وجد محمد مكين الفرصة لتطبيق ما حلم به منذ شبابه، عندما عُيّن أستاذًا في جامعة بكين، حيث شارك بنشاط كبير في تأسيس كلية اللغات الشرقية بالجامعة، وأنشأ فيها قسم اللغة العربية، وأدخل النظم الحديثة المعاصرة في تعليم اللغة العربية وقواعدها، وقام بتطبيقها في عملية التدريس، بالتوافق مع أصول اللغة العربية ومقارنتها مع مميزات اللغة الصينية. وأدى ذلك إلى وضع أساس قوي لتعليم اللغة العربية في الصين، وإدخالها لأول مرة ضمن المنهج الرسمي للتعليم العالي في الصين.

كانت بداية عمل قسم اللغة العربية بجامعة بكين متعثرة بسبب عدم إقبال الطلبة الجدد على التسجيل، فقدم الأستاذ محمد مكين اقتراحًا لعلماء المسلمين، من ضمنهم نور محمد وما سونغ تينغ، بأن ترسل مدرسة شينغ دا للمعلمين التي يعملون بها بعض طلبتها إلى جامعة بكين، وتمت الموافقة على طلبه.

ومن المشكلات التي واجهت قسم اللغة العربية أيضًا عدم توفر مواد وكتب للتدريس، وقواميس ومراجع للغة العربية، بالإضافة إلى عدم خبرته في التدريس. ولكن الأستاذ محمد مكين قام بجهود كبيرة في البحث عن قواميس اللغة العربية وتوفيرها، كما قام بتأليف وطبع وإصدار مواد ومقررات دراسية لقسم اللغة العربية. ورغم عدم خبرته في التدريس، فإن محمد مكين بذل جهودًا جبارة للقيام بمسؤولية التدريس، ونجح بجرأته واجتهاده ورغبته في ذلك، وأنجز أولى خطواته في سبيل المساهمة في إحياء ونشر تعليم اللغة العربية في الصين.

ويقول "ما شينغ ها"، أحد تلاميذ الأستاذ محمد مكين، إن محمد مكين كان أول أستاذ درّسهم في الصف الأول بقسم اللغة العربية في جامعة بكين عام ١٩٤٩م، وبذل جهدًا كبيرًا لسد النقص في الكتب، كما قام بتأليف كتب كمواد دراسية في تعليم اللغة العربية، وتدريسها لطلابه بكل دقة وتمحّص. وكان يطلب من التلاميذ ترجمة بعض المجلات التي كان يعطيها لهم للمطالعة إلى اللغة الصينية، ويصحح الأخطاء في الترجمة وينشرها في مجلة "نور الهلال" الأسبوعية، واتبع الأستاذ مكين طريقة التطبيق العملي فيما يقوم بتدريسه للطلبة.

ويصف طالب آخر الأستاذ محمد مكين في فترة تدريسه بجامعة بكين، ويقول إنه بعد مئة عام من مولده، وحوالي ثلاثين عامًا على رحيل الأستاذ محمد مكين، فإنه يتذكر العالم المسلم الذي ينتمي إلى قومية هوي، ووهب حياته لقضية التعليم، وحقق إنجازات كبيرة في البحث الأكاديمي والترجمة، ويعتبره رائد تعليم اللغة العربية في الصين. ويضيف بأنه تعلّم على يديه اللغة العربية في كلية اللغات الشرقية بجامعة بكين، حيث إنه لا يزال يتذكر تفاصيل أيام تدريسه، وحتى صوته وحركاته ووجهه المنشرح.

وفي سنة ١٩٤٩م، أنشأت جامعة بكين كلية اللغات الشرقية، واستدعت الأستاذ محمد مكين للعمل في مجال التدريس بكلية اللغات، فقبل الدعوة، وفيما بعد أسس قسم اللغة العربية في كلية اللغات وقام بتدريس اللغة العربية. وعندما

توجهت مجموعة من أساتذة جامعة بكين إلى تايوان برئاسة مدير الجامعة هو شي في عام ١٩٤٩م، فضّل الأستاذ محمد مكين البقاء في وطنه وتعليم طلابه حب الوطن والتحصيل العلمي.

ويقول شي فو هاو إنه بدأ دراسة اللغة العربية في عام ١٩٦٠م، ويتذكر أن الأستاذ محمد مكين ومعلمين آخرين أتوا إلى الفصل لرؤية الطلبة، وأنه ألقى كلمة حماسية باللغة العربية تُرجمت إلى الصينية لاحقًا، ويقول: "أتذكرها إلى يومنا هذا".

وقال الأستاذ مكين: "إن بلادنا تنفق مالًا كثيرًا لتعليمنا، والصين تحتاج إلى متخصصين في اللغة العربية، فلا ينبغي أن نُخيّب أمل الوطن. واليوم تحسنت الظروف الدراسية كثيرًا، ولذلك يجب علينا أن ندرس هذه اللغة بجد واجتهاد ونتقنها".

وكان الرئيس ماو تسي تونغ قد أصدر توجيهات بضرورة تطوير دراسات حول أوضاع كل الأقاليم في الصين، وذلك من أجل حجز موقع دولي بين الأمم والشعوب وتعزيز العلاقات مع مختلف الدول. وكان أن تأسست عدد من هيئات الأبحاث، ومن بينها كلية اللغات الشرقية.

وهكذا وافق جسد ما قاله الأستاذ محمد مكين ما قاله الرئيس ماو تسي تونغ.

وكان الأستاذ مكين معلمًا في كل الأوقات، ويحفز الناس والطلبة على العلم والمعرفة، كما أن أسلوبه كان مبسطًا في التدريس، وتمتع بروح طيبة وأسلوب مرح في التعليم.

ويقول أحد تلاميذه في هذا السياق: إنه قد زار الأستاذ محمد مكين في بيته، وكان برفقته زملاؤه بالصف الأول الدراسي، وشاهدوا في مكان الاستقبال صورة تجمع الأستاذ مكين والرئيس ماو تسي تونغ، أُخذت عندما كان محمد مكين مترجمًا للرئيس. وإن هذه الصورة زادت من احترامهم وإعجابهم بأستاذهم محمد مكين.

وعندما انتهت زيارتنا وهممنا بالمغادرة، أردت أن أعبر عن أمنياتي له بالصحة الجيدة، فقلت باللغة العربية: "صحتك عافية". وكان أن أشار الأستاذ مكين إلى الخطأ الذي ارتكبته بالقول: "كلا! لأن كلمتي الصحة والعافية اسمان، ولهما ذات المعنى، فلا يمكنك أن تستخدمهما معًا. والصواب أن تقول: "أنت بالعافية" أو "صحتك جيدة."

(1) عند صدور ترجمة كتاب "تاريخ الأدب العربي" لمؤلفه اللبناني حنا الفاخوري، عام 1987م، باللغة الصينية، قال شي فاو هاو إن نجاحه في ترجمة كتاب "تاريخ الأدب العربي" إلى اللغة الصينية يرجع إلى تشجيع الأستاذ محمد مكين، الذي كان يدرّسه الأدب العربي في المستوى الثاني.

حيث كان أسلوبه في التدريس بالتدرج، وكان كتاب الأدب العربي كتابًا كبيرًا يحتوي على أكثر من نصف مليون كلمة. درسنا أجزاءً من كتاب الأدب العربي؛ لأن الأستاذ محمد مكين كان من رأيه أن دراسة أجزاء من الكتاب تكفي لطلاب المستوى الثاني، لأن بعض الأجزاء بها صعوبة للطلبة في هذه المرحلة وستُدرّس في مرحلة لاحقة.

وكانت طريقة الأستاذ محمد مكين في الشرح مفصلة ودقيقة، مما سهّل المادة وفهمها، وأصبحت مادة محببة لي، لدرجة أنني قررت ترجمة الكتاب بأكمله إلى اللغة الصينية.

وعندما ذهبت إلى سوريا لمواصلة دراستي في عام 1964م، كان أول ما اقتنيت هذا الكتاب. وبعد الفراغ من دراستي في سوريا والعودة إلى الصين، كنت أغتنم أوقات الفراغ لترجمة كتاب الأدب العربي، إلى أن أكملت العمل فيه عام 1976م، بعد ثلاث سنوات من عمل الترجمة غير المنتظم.

وهذا الكتاب أصبح بالنسبة لي رمزًا للأستاذ محمد مكين؛ وذلك لأنني في كل مرة أفتح فيها الكتاب أتذكر هيئة وصوت الأستاذ مكين.

ولا أشك في أن كل من يستعمل اللغة العربية في عمله، كما أفعل أنا، يتذكر الأستاذ محمد مكين...

وكان الأستاذ محمد مكين إنسانًا متفائلًا، ووضح ذلك عند حدوث الكوارث الطبيعية. ويقول شي فو هاو: "إن الأستاذ محمد مكين ترك في ذهنه انطباعًا عميقًا بتفاؤله وحماسه وإقباله على الحياة. وشهدت سنوات دراستي الثلاث بجامعة بكين حدوث كوارث طبيعية، وكانت الحياة المادية للشعب صعبة للغاية، إلا أن مستوى حياة المثقفين كان معقولًا. وقد عمل كل الصينيين بمثابرة ونشاط، وتغلبوا على الصعوبات من أجل مستقبل أفضل، وكان الأستاذ مكين واحدًا منهم، فقد كان يهتم بقضية إعداد متخصصين أكفاء في اللغة العربية من أجل الوطن".

شهدت شعبة اللغة العربية بجامعة بكين تطورًا كبيرًا في الفترة ما بين تأسيس الصين الشعبية إلى عام 1966م، حيث بلغ عدد الدفعات المقبولة بقسم اللغة العربية أكثر من عشرين دفعة دراسية، من ضمنهم طلبة من كوريا الشمالية وفيتنام.

وكان الأستاذ محمد مكين يولي اهتمامًا خاصًا بتنمية أفكار الطلبة وتشجيعهم على التحصيل العلمي. ويذكر أحد تلاميذه أنه حضر حفلًا أقامه طلاب اللغة العربية، اشتمل على أشعار وأغانٍ باللغة العربية، واستعرض الطلبة مهاراتهم اللغوية التي اكتسبوها من دراستهم. وأنه كان يعلّق عليهم آماله، ووضحت جاذبية اللغة العربية للطلبة، وألقى الأستاذ مكين كلمة حماسية، وأشاد بنتائج الطلبة، وحفزهم لمزيد من الاجتهاد.

كان تأسيس الصين الشعبية نقطة تحول كبيرة في نشر اللغة العربية، وبدأ الأستاذ محمد مكين يرى آماله تتحقق، حيث شهدت الصين الجديدة إدخال اللغة العربية ضمن تخصصات جامعة الدراسات الأجنبية في بكين، وجامعة شنغهاي للغات الأجنبية، ومعهد اللغات في بكين، وجامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية، وجامعة بكين للدراسات الدولية، ومعهد لو هيانغ للغات الأجنبية.

وكان أساتذة اللغة العربية في هذه الجامعات لديهم علاقات بجامعة بكين والأستاذ محمد مكين.

وتطور قسم اللغة العربية بجامعة بكين بفضل مجهودات محمد مكين، الذي بحث عن أساتذة لسد حاجة قسم اللغة العربية، من أمثال الأستاذ والعالم الإسلامي الشهير محمد أمين، الذي لبّى طلب الأستاذ مكين لينضم إلى هيئة التدريس بقسم اللغة العربية.

وقام مكين بتنظيم وتشكيل هيئة البحوث والتدريس، التي شملت كلًا من الأساتذة وانغ شي شينغ، ويانغ يو يشي، وماجين بينغ، ومحمد أمين.

ويمكن القول بأن جامعة بكين هي أول جامعة في الصين الشعبية تقوم بتأسيس قسم للغة العربية ودراسة الثقافة العربية، وقام قسم اللغة العربية بجهود كبيرة جدًا تحت إشراف وإدارة الأستاذ محمد مكين، وأهمها المؤلفات والمراجع والكتب الدراسية التي وفرها محمد مكين بجهده، بالإضافة إلى تأليفه أول قاموس صيني-عربي وعربي-صيني.

وقام محمد مكين، الذي عمل في تدريس اللغة العربية لأكثر من ثلاثين عامًا، بتعليم وتخريج أعداد كبيرة من المتخصصين في اللغة العربية، يعملون في مختلف المجالات؛ فمنهم الأساتذة والباحثون والمترجمون والدبلوماسيون والصحافيون، وموظفون في أقسام ودوائر حكومية وغير حكومية مختلفة.

وساهمت هذه الطبقة المستنيرة في تأسيس وتعزيز علاقات الصداقة بين الصين والدول العربية.

ويقول الأستاذ محمد الصاوي، الخبير بجامعة بكين للدراسات الدولية – قسم اللغة العربية: "ما إن تُذكر اللغة العربية في الصين إلا وتُذكر معها ثلة من الأولين الذين شيدوا صرحها، ووضعوا اللبنات الأولى لسور ثقافي عظيم، لا يقل عظمة – في أعين المسلمين عامة، والعرب والمصريين على وجه الخصوص – عن سور الصين العظيم الذي أبهر العالم ببنائه.

أولئك الأفذاذ الذين تفاخر بهم مصر الأزهر، وأعني بهم محمدًا وصحبه، إنه العلامة محمد مكين ورفاقه الذين نهلوا من معين الأزهر العذب، واغترفوا من بحره الذاخر، ففهموا الإسلام فهمًا صحيحًا لا غلو فيه ولا تطرف، وتعلموا فيه من علوم اللغة العربية، مما جعلهم أئمة ومصابيح هداية لمن جاء بعدهم من الأجيال الصينية العاشقة للغة الضاد.

تلك النخبة، وأقصد بها العلامة محمد مكين وصحبه، كانت أول بعثة وطئت أرض الكنانة لدراسة لغتنا الجميلة، فكانوا بعد أن تخرجوا من الأزهر الشريف العروة الوثقى التي تربط أرض النيل والحضارة ببلاد كنفوشيوس العظيمة".

**٦ .تأليفه كتب مناهج تدريس اللغة العربية:**

برغم عدم إجادته اللغة العربية في ذلك الوقت، حاول الأستاذ محمد مكين، أثناء تدريسه اللغة العربية في مدرسة يو فينغ الابتدائية بقريته شاديان، أن يصلح نظم تعليم اللغة العربية وتأليف الكتب المدرسية.

ولكن بعد تأسيسه لشعبة اللغة العربية في جامعة بكين، بدأ الأستاذ مكين في العمل بجهد في اختيار المواد والمنهج الدراسي، وتأليف المراجع والكتب والقواميس، مثل: "اللغة العربية للمبتدئين"، و"اللغة العربية للمتقدمين"، و"مختارات من أدب اللغة العربية"، و"تاريخ أدب اللغة العربية"، وغيرها.

كما ترجم كتاب "النحو الواضح" وكتاب "توضيح قواعد اللغة العربية" إلى اللغة الصينية.

وهذه الكتب الدراسية، رغم جودتها وصلاحيتها وجمعها لخصائص اللغتين العربية والصينية، إلا أنها لم تصدر رسميًا لأسباب كثيرة.

وابتكر محمد مكين طريقة قام من خلالها بتسمية مصطلحات قواعد اللغة العربية، مثل: المبتدأ والخبر، والمضاف والمضاف إليه، وحركات الكسر والفتح والضم والسكون والنصب وغيرها، بأسماء صينية.

وتُستخدم هذه المصطلحات من قبل دارسي اللغة العربية إلى وقتنا الحاضر، وكل ذلك يوضح الدور الفعال والمؤثر للأستاذ محمد مكين في تعليم ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الصين.

**٧ .ترجمة معاني القرآن الكريم:**

العمل الأهم والأكثر تأثيرًا من بين الكم الكبير من الكتب الدينية التي ترجمها ونشرها الأستاذ ماجيان هو الترجمة الكاملة لمعاني القرآن الكريم. لقد كرّس حياته لدراسة وبحث القرآن الكريم، هادفًا إلى نشر العقيدة الإسلامية ومساعدة المسلمين الصينيين على تجاوز حاجز اللغة حتى يدركوا المعاني الحقيقية للقرآن الكريم.

بعد عودته من مصر إلى الصين في عام 1939م، عكف على ترجمة المصحف الشريف، حتى أصدر المجلد الأول الذي يضم النصوص المترجمة من السور وتفاسير الآيات في الأجزاء الثمانية الأولى منه.

بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 1949م، غير أنه لم يستطع مواصلة أعمال التنقيح وإضافة الملاحظات والتفاسير خلال العشرين عامًا التي تلت ذلك، لانشغاله بأعمال تطوير تعليم اللغة العربية، ولأسباب أخرى اكتنفت هذه الفترة، نتيجة الاضطرابات الداخلية في الصين، التي دامت عشر سنوات. فلم يتيسر له أن يستأنف عمله في ترجمة معاني القرآن الكريم، ولم يتمكن من إنجاز ترجمته كاملة إلا في أيامه الأخيرة.

وقد أثنى المؤرخ الصيني المشهور باي شو يي على ترجمة الأستاذ ماجيان للقرآن الكريم، بأنها تتميز بالدقة والأمانة والوضوح والسلاسة في التعبير عن المعنى، فلقيت إقبالًا كبيرًا وتقديرًا عظيمًا من قبل المسلمين الصينيين.

ولقد كان العمل الأعظم تأثيرًا بين القدر الكبير من الكتب الدينية التي ترجمها ونشرها الأستاذ مكين هو الترجمة الكاملة لمعاني القرآن الكريم، حيث كرّس كل حياته لهذا العمل.

ورغم اشتداد مرض السكري عليه في المرحلة الأخيرة من حياته وفقده معظم بصره، إلا أنه أكمل ترجمته قبل رحيله عام 1978م، ثم تمّت طباعتها في الصين بعدها بثلاث سنوات.والآن أصبحت ترجمته النسخة الصينية الوحيدة المعترف بها لدى مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.وسبق أن أثنى المؤرخ الصيني الكبير باي شو يي، من قومية هوي، على ترجمة مكين لمعاني القرآن الكريم، قائلًا: "إنها تتسم بالدقة والوضوح والسلاسة، ومستواها يتجاوز مستويات جميع النسخ السابقة باللغة الصينية".

وبدوره، قال ما جونغ بينغ، نائب الأمين العام للجمعية الإسلامية الصينية: "إننا كمسلمين صينيين، كلما استشهدنا بآيات من القرآن الكريم، نتذكر فضيلة السيد مكين، وندعو له بالرحمة من أعماق قلوبنا".

وتابع بقوله: "لقد صار السيد مكين علمًا من أعلام المسلمين في الصين بمجرد ترجمته لمعاني القرآن الكريم وكتاب الحديث، معربًا عن ثقته بأن التاريخ سيكتب اسمه بحروف من ذهب، تكريمًا لإسهاماته البارزة في تعزيز التبادل الصيني ـ الإسلامي".

**نبذة من أقوال مؤسس النظام الحديث لتعليم اللغة العربية في الصين.**

كانت دراسة تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه أمنية الأستاذ محمد مكين الكبرى منذ صغره، والذي عمل من أجل تحقيق هدفه الأسمى بكل جهد، فتعلّم اللغة العربية، وواظب على دراسة الكتب الإسلامية والعربية لكي يستعد للترجمة في المستقبل.

وعندما كان في جامعة الأزهر في مصر، جمع الأستاذ محمد مكين معلومات كثيرة عن تفسير القرآن الكريم، وقام بتدوينها يدويًا في عشرات من الدفاتر، لعدم توفر خدمات المطابع.

وبدأ في ترجمة معاني القرآن الكريم وتفاسيره، مستفيدًا من تفاسير البيضاوي، والجو، والجوهري، والمنار.

بعد أن عاد من رحلة الدراسة في مصر، عمل في التدريس في كون مينغ، ومنها ذهب إلى شنغهاي للقيام بترجمة معاني القرآن الكريم، لكنه لم يستقر فيها لعدم الأمن بسبب الحرب، وتوجه إلى يونان للدراسة والترجمة أيضًا.

وخلال فترة عمله بالتدريس في جامعة بكين، داوم على الترجمة، وقام بقراءة ومراجعة ترجمة معاني القرآن الكريم للعالم الهندي محمد علي، وأيضًا ترجمة العالم يوسف علي إلى اللغة الإنجليزية، وصدر في دار النشر بجامعة بكين عامي 1949م و1950م أول طبعة لمجلد يشمل النصوص المترجمة من السور القرآنية وتفسير الآيات في الأجزاء الثمانية الأولى من القرآن الكريم.

وأصدرت دار العلوم الاجتماعية الصينية ترجمة الأستاذ محمد مكين الكاملة لمعاني القرآن الكريم، فبعد وفاة الأستاذ بثلاث سنوات، في عام 1981م، علّق المؤرخ المسلم الشهير باي شو يي أن إصدار هذه الترجمة يعتبر حدثًا كبيرًا وهامًا في تاريخ الإسلام بالصين.

وأصدرت مطابع الملك فهد، خادم الحرمين الشريفين بالمملكة العربية السعودية، طبعة المصحف الشريف وترجمة معانيه باللغة الصينية للأستاذ محمد مكين، وذلك بعلم وموافقة المؤتمر الإسلامي العالمي والجمعية الإسلامية الصينية.

وكان أكبر عمل أنجزه الأستاذ محمد مكين هو الترجمة الكاملة لمعاني القرآن الكريم، الذي بذل فيه مجهودًا كبيرًا طوال فترة حياته لتحقيق هدفه في نشر الإسلام ومساعدة مسلمي الصين في التعامل مع الصعوبات اللغوية، وذلك من أجل الفهم الحقيقي لمعاني القرآن الكريم.

ونالت أعمال الأستاذ محمد مكين في ترجمة معاني القرآن رضا المسلمين واستحسانهم في الصين، باعتبارها الأجود بين كل الترجمات الأخرى لمعاني القرآن، حيث كانت دقيقة وموجزة وسلسة، قريبة من نصوصه الأصلية، واتسمت بالأمانة في أداء المعنى.

٨ .**محبٌّ للوطن وحارسٌ للسلام:**

الأستاذ ماجيان ليس بئرًا عميقة فحسب، وإنما لعب أيضًا دور الجسر بين الشعبين الصيني والعربي، وبين الحزب وجماهير الشعب من أبناء قومية هوي، وبين المسلمين وغير المسلمين، من خلال المؤلفات التي ترجمها، والنشاطات الأكاديمية والسياسية التي شارك فيها.

خلال فترة دراسته في مصر، وقع حادث 7 يوليو للاعتداء الياباني على الصين في عام 1939م. وبرغم أن الطلاب الصينيين كانوا بعيدين عن الوطن، دفعهم حبهم لوطنهم إلى تأسيس رابطة لتقديم المعونات إلى المنكوبين في مناطق الصراع داخل الصين.

تولى الأستاذ ماجيان منصب سكرتير هذه الرابطة، وشرح للأصدقاء العرب حقائق مقاومة الشعب الصيني ضد الغزو الياباني، وجمع التبرعات لدعم مقاومة الشعب الصيني ضد الغزو الياباني.

في عام 1949م، اختير الأستاذ ماجيان عضوًا للمجلس الوطني للمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني، باعتباره ممثلًا بارزًا للمسلمين. ثم انتُخب نائبًا بالمؤتمر الوطني لنواب الشعب منذ دورته الأولى حتى دورته الخامسة، ابتداءً من عام 1954م حتى آخر أيام حياته.

وقد كان أحد الدعاة إلى إنشاء الجمعية الإسلامية الصينية، وعضوًا باللجنة الدائمة لهذه الجمعية بعد إنشائها.

في بداية تأسيس الصين الجديدة، كان الأستاذ ماجيان مترجمًا لماو تسي تونغ، وليو شاو تشي، وتشو إن لاي، وغيرهم من الزعماء الصينيين، خلال محادثاتهم مع الضيوف العرب.

في الأول من نوفمبر عام 1956م، عندما تجمع مائة ألف صيني في ميدان تيان آن من في العاصمة بكين لدعم مقاومة الشعب المصري ضد العدوان الثلاثي، كان الأستاذ ماجيان يترجم بيان حكومة الصين الذي تمت إذاعته في العالم العربي مباشرة.

وفي عام 1958م، عندما تجمع مائة ألف صيني في ميدان تيان آن من لدعم نضال الشعبين اللبناني والأردني ضد الاستعمار، كان الأستاذ ماجيان يترجم بيان حكومة الصين الذي تمت إذاعته في العالم العربي مباشرة أيضًا.

علاوة عن ذلك، حضر الأستاذ ماجيان الدورة العاشرة لمؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية والأفريقية في القاهرة باعتباره عضوًا في الوفد الصيني، وزار العراق باعتباره عضوًا في الوفد الثقافي الصيني.

في حديث عن محمد مكين، قال هو تشياو مو، السياسي وخبير العلوم الاجتماعية: "عندما قرأ الرئيس ماو تسي تونغ مقالة "لماذا لا يأكل أبناء قومية هوي الخنزير؟" ومقالة "سيف محمد عليه الصلاة والسلام" للأستاذ ماجيان، قال إنهما جيدتان وتعززان التضامن بين قوميتي هان وهوي، وطلب الرئيس مني أن أبلغ شكره إلى الأستاذ ما".

وفي عام 1959م، استقبل الرئيس ماو تسي تونغ وفد الشباب الدولي، وكان ماجيان مترجمًا له. أثناء المقابلة، قال الرئيس ماو للضيوف: "السيد ماجيان يعتنق الإسلام، فهو ليس شيوعيًا، وأنا أعتنق الماركسية، فأنا شيوعي، ولكن الاختلاف في العقيدة لا يعرقل تعاوننا وعملنا معًا. لم أكن لأفهم كلامكم باللغة العربية، ولا أنتم تفهمون كلامي باللغة الصينية، إن لم يكن موجودًا. والآن، نتفاهم مع بعضنا البعض جيدًا، ذلك يعني أن التعاون بيني وبين السيد ماجيان جيد!".

كان محمد مكين وطنيًا يدعو إلى التناغم والتضافر بين مختلف القوميات في الصين. وكان طالبًا بعيدًا عن المسرح السياسي، إذ إنه ظل منكبًّا على دراسة العربية والدين الإسلامي أثناء مرحلته الدراسية.

ولكن عندما شنّ الغزاة اليابانيون حربًا عدوانية شاملة على الصين في أواخر ثلاثينيات القرن الماضي، تأججت الحماسة الوطنية في وجدان هذا الطالب المجتهد.

فبادر مع زملائه المسلمين الصينيين الدارسين في القاهرة إلى جمع التبرعات لإرسالها إلى الوطن لدعم المقاومة ضد الغزاة اليابانيين.

وخلال حجه في فبراير عام 1939م، وزّع مكين مع زملائه منشورات على الحجاج من أنحاء العالم، واستخدموا كل المناسبات لفضح العدوان الياباني أمامهم.

ومن أقواله المأثورة: "الدفاع عن الوطن واجب على كل مواطن، وصون السلم العالمي مسؤولية كل مسلم".

ونالت وطنية مكين وأخلاقه السامية الإشادة من قبل قيادات الصين وأبناء شعبها. فانتُخب نائبًا في المؤتمر الوطني لنواب الشعب الصيني على التوالي منذ عام 1954م حتى رحيله عام 1978م.

وفي عام 1959م، قال الرئيس الصيني آنذاك ماو تسي تونغ، أثناء لقائه وفدًا من الشباب الدولي، حيث كان الأستاذ مكين مترجمًا له: "السيد مكين يعتنق الدين الإسلامي، وليس شيوعيًا، وأنا شيوعي وأعتنق الماركسية، ولكن ذلك لم يكن عائقًا لعملنا وتعاوننا"، مضيفًا: "إننا نتواصل بشكل سلس، وذلك يبرهن على أننا نعمل كنسيج واحد".

وفي الواقع، لم يدخر مكين جهدًا لدفع التناغم والتضافر بين القوميات المسلمة وغير المسلمة في الصين. وكان من الرواد المسلمين الذين ناشدوا بإقامة الجمعية الإسلامية الصينية، التي تم إنشاؤها في عام 1953م، "وهو الأمر الذي يمثل حدثًا تاريخيًا كبيرًا؛ لأنه حقق، ولأول مرة، تضامنًا بين أبناء القوميات المسلمة العشر في الصين"، هكذا قال ما تشونغ بينغ.

وتابع يقول إن الأستاذ مكين كتب أيضًا عددًا كبيرًا من المقالات حول الأعراف والعادات الإسلامية لتفسير سياسات الحزب والدولة من الناحية الشرعية. ولعب بذلك دورًا لا غنى عنه في دفع التضامن القومي والتناغم الاجتماعي.

إن الأستاذ محمد مكين، عاشق اللغتين الصينية والعربية والمستوعب لثقافتيهما، كان جسرًا قويًا للتواصل بين حضارتين عريقتين، واستطاع من خلال تفانيه في خدمة قضية البحوث الأكاديمية أن يحقق إنجازات فائقة ستظل حاضرة، تلهم جيلًا بعد جيل.

## المصادر و المراجع

1- دراسات حوّل تعليم اللغة العربية في الصين قديما و حديثا ،الناشر : دار العلوم الاجتماعية، بكين ٢٠٠٦م.

2- مختارات دراسة الأديان في الصين في العصر الحديث، الناشر دار القومية، بكين الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

3- موجز احوال الصين ؛ الناشر : دار النشر باللغات الأجنبية، الطبعة الأولى بكين ١٩٩٠.

4- تاريخ الإسلام الموجز ؛ الشيخ ما مينغ ليانغ الصيني

5- دراستي الميدانية الي الصين و المقابلات الشخصية عام ٢٠١٤

# حِكمة الشعر وشعر الحكمة: قراءة في اجتماعيات العشماوي

**الدكتور محمد بشير سي ك**

أستاذ مشارك ومرشد بحوث، القسم العربي

بكلية مدينة العلوم العربية،

بوليكل كيرالا الهند

drckmbasheermua@gmail.com



**ABSTRACT :This article examines social insight in the poetry of Dr. Abdulrahman Al-Ashmawi, a contemporary Saudi poet who bridges tradition and modernity. Though loyal to classical vertical poetry, he infuses it with a contemporary spirit, addressing family, society, and youth. His aphorisms, drawn from Arab heritage and personal reflection, form the essence of his poetic message. The article analyses his timeless wisdom: distinguishing appearance from essence, condemning greed, urging fidelity, warning against hypocrisy, and affirming that human worth lies in principles, not wealth. It highlights his emphasis on patience, faith, unity, and action over words. Ultimately, his poetry emerges as an ethical constitution and a guiding light for troubled times.**

**الملخّص:** يجمع الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي في شعره بين الأصالة القديمة والحداثة، فهو يكتب بالطريقة التقليدية لكنه يضفي عليها روحا عصرية في المعنى، متجاوزا الموضوعات القديمة إلى قضايا الأسرة والمجتمع والشباب. ورغم انتشار الشعر الحر في العراق ومصر ولبنان، يظل العشماوي مخلصا للشعر العمودي، لكنه يضخ فيه من روح الحياة ما يجعله قريبا من الناس، معبرا عن هموم العصر بلغة قوية، ومحتوى مليء بالوعي والإنسانية. وتُعدّ الحِكَمُ والأمثال في شعره جوهرَ رسالته الشعرية، فهي ليست مجرد كلمات مزخرفة، بل أداة قوية ينير بها أفكاره، ويوصل بها رسائله إلى الناس، مستمدا إياها من تراث الأمة وتجاربه في الحياة. وهي تعكس تجارب الأجيال السابقة، وتُقرّب المعاني إلى الأذهان، وتُهذّب النفوس، وتُعزّز الأخلاق الفاضلة، مما يجعلها عنصرا مهما في بناء الشخصية والمجتمع، خاصة في زمننا المضطرب الذي يحتاج إلى كل كلمة حكيمة توقظ الضمير وتُرشد العقول.

**الكلمات المفتاحية:** العشماوي - الشعر السعودي - الحكمة الاجتماعية - الشعر العمودي - الأمثال - التجديد - التراث - القيم الأخلاقية - النقد الاجتماعي - الوعي الإنساني

**الحِكَم الاجتماعية في شعر العشماوي**

يُعدّ الشعر مرآةً صادقةً تعكس هموم المجتمع، وشعر العشماوي خير شاهد، إذ يقدم رؤى ناقدة وحلولا عملية. وقد حفلت قصائده بحِكَمٍ ناضجة وأمثالٍ رائقة تنساب طبيعياً، مزجا بين جمال اللفظ وعمق الفكرة .وفيما يلي عرضٌ لأبلغ ما قاله من حِكَمٍ اجتماعيةٍ مستخدما مبادئ مفهومة لكل محب للغة والأدب مع شروحها:

**التمييز بين الحقائق**

"شتانَ بين الماء يشرب صافيا والماء يشرب بالقذى والطُحْلُبِ

شتانَ بين الشمس لَمَّا أَشْرَقتْ والشمسِ حينَ تَلَفَّعَتْ بالمـغرِبِ

شتـانَ بـــين مُـسَافِرٍ مـتزَوّدٍ ومُسَافِرٍ يَقْـــتَاتُ عُـودَ العُثْرُبِ"[38]

وفي هذا البيت يُقرّر الشاعر أن الأشياء المتشابهة ظاهريا قد تختلف جوهريا، فالماء الصافي يختلف عن الملوّث، والشمس المشرقة تختلف عن الغاربة، والمسافر المتزوّد لا يساوي المنكوب. إنها دعوة إلى التمييز بين الظاهر والمضمون، وتنبيهٌ إلى أن المظاهر قد تخدع، فليس كلُّ ما يلمع ذهبا، وليس كلُّ ما يبدو جميلا خيرا. فالحكمة الحقيقية تكمن في قدرة الإنسان على النفاذ إلى جوهر الأشياء، والوقوف على حقائقها المجرّدة من زيف المظاهر وخداعها.

**القناعة وذم الطمع**

"و كم طامع يسعى إلى كسب مغنم فتُرْجِعُهُ أَطماعُهُ حاملا غُرْما"[39]

يلوم الشاعر الجشعين الذين لا يشبعون من المال، ويؤكد أن القناعة تنقذ الإنسان من الخسارة، بينما الطمع يوقعه في الندم والهلاك. فكم من طامع ظن أنه يبني مجده بماله فإذا به يهدم مستقبله، وكم من جشع أعمى بصيرة صاحبه فأنزله من الأمن إلى الفاقة. فالطمع بذرة الدمار، والقناعة ملاذ الآمن، وهي قوة روحية تمنح الإنسان راحة البال وتجنبه الحرام. وفي البيت دعوة إلى منهج حياة متوازن.

**الوفاء بالعهود**

"وما كلُّ من أعطاك عهدا يصُونُهُ وما كل مَن زَلَّتْ به رجله يَدْمَى"[40]

يحذّر الشاعر من الانخداع بالوعود البرّاقة، فليس كل من وعد يفي، وليس كل عهد يُصان، فالنفوس تتفاوت في الصدق والوفاء كما تتفاوت في غير ذلك من الصفات. ويُذكّر بأن الوفاء بالعهود من مكارم الأخلاق التي أمر بها الله

[38] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "يا أُختَ فاطمةَ" ، ديوان "تَسْأَلُنِي لَيْلَى"، ص –23،24 ، الطبعة الأولى 2015م، دار عالم الكتب للنشر و التوزيع، الرياض

[39] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "وقفة على شرفة التأمّل" ، ديوان "إلى أمّتي"، ص – 248 ، الطبعة الأولى 2002م، مكتبة العبيكان، الرياض

[40] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "وقفة على شرفة التأمّل" ، ديوان "إلى أمّتي"، ص – 248 ، الطبعة الأولى 2002م، مكتبة العبيكان، الرياض

ورسوله، فهو عنوان الكرامة الإنسانية، وأساس الثقة بين الناس، وعمود العلاقات المتينة في المجتمع. أما نقض العهود والغدر بالمواثيق، فإنه يؤدي إلى الفساد وتنافر القلوب، ويزرع الشكوك ويحطم أواصر المحبة بين الناس.

**الأصالة لا المظاهر**

"كثيرٌ مَنْ يَقُولُ: أَبِي وجَدِّي ولكن قَلَّ مَنْ بالحَزْمِ قاما"[41]

ينتقد الشاعر أولئك الذين يتخذون من آبائهم وأجدادهم وسيلةً للفخر والتباهي، فيلهجون بذكر ماضيهم المجيد وأسلافهم النبلاء، لكنهم لا يحملون من صفاتهم شيئا، ولا يسيرون على دربهم خطوة. فالمجد الحقيقي ليس في الانتساب إلى الآباء، بل في العمل الجاد والالتزام بالقيم النبيلة التي صنعت مجد الأسلاف، فالشرف يورث بالأخلاق لا بالأنساب، ويُكتسب بالعطاء لا بالادعاء. وما أسهل أن يفتخر المرء بغيره، وما أصعب أن يكون هو مصدر الفخر بنفسه، ولذلك كان السلف الصالح يخشون أن يُسألوا عن حسبهم قبل أن يُسألوا عن عملهم، لأن العمل هو الذي يرفع الرتب، لا الأحساب والنسب.

**تمييز الحقيقة من الزيف**

"ما كلُّ ذي لبدٍ بليثٍ كاسرٍ وإن ارتدى ثوبَ الأسودِ وزَمْجَرا
ما كلُّ منتصرٍ ينال بنصره عِزًّا وإن شربَ الدماءَ و أهدَرَا
يستخدمُ الشيطانُ كلَّ وسيلةٍ لكنه يَبْقَى الأذَلَّ الأصغرَا "[42]

يؤكد الشاعر أن المظاهر خداعة، فليس كل من ارتدى ثوب الأسود وزمجَر يكون أسدا، وليس كل من ظفر بقوة عابرة يكون عزيزا، فالقوة الحقيقية ليست في المظهر ولا في العنف، بل في الثبات على المبادئ. ويضرب مثلاً بالشيطان الذي يملك من وسائل الإغواء ما يملك، ويستخدم من الحيل والخداع ما لا يُحصى، ومع ذلك يبقى في النهاية الأذل الأصغر، مقهوراً بعظمة الحق مهما تكبر وتجبر.

**طهارة النفس**

"ضَلَّ مَنْ حَوْلَهُ اليَنابيعُ تَجْرِي صافياتٍ وهَمُّهُ الأوحالُ"[43]

هنا يقرر الشاعر أن من كان قلبه ملوثاً بالأفكار الدنيئة والأخلاق الرديئة، فلن تنفعه ينابيع الماء الصافي التي تجري من حوله، تماما كما لا ينفع الدواء من لم يرد الشفاء .فالتغيير الحقيقي لا يأتي من تحسين المظهر الخارجي أو تجميل البيئة المحيطة، بل يبدأ من أعماق النفس، بتطهير العقل من الأدران، وتنقية الروح من الحقد والحسد والضغائن.

---

[41] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "ضيوف الله" ، ديوان "قوافل الراحلين"، ص -44، الطبعة الأولى 2007م، مكتبة العبيكان، الرياض

[42] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "يا أمة الإسلام، إشراقة يقين في ليل الشدائد" ، ديوان "يا أمة الإسلام"، ص – 17 ، الطبعة الثانية2002م، مكتبة العبيكان، الرياض

[43] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "وقفة أمام بوابة الشموخ" ، ديوان "خارطة المدى"، ص – 51 ، الطبعة الثالثة2006م، مكتبة العبيكان، الرياض

ومن يظن أن الجمال الظاهر يكفي لإصلاح باطن فاسد، فهو واهم، لأن الجوهر الفاسد يفسد كل ما يحيط به، مهما تزينت المظاهر.

**النقد والتعامل مع الناس**

"أَيَا لائِـمِي مَـهْـلًا فـمـا كلُّ لائِـمٍ مُصِيبًا ولا كلُّ المُجِدِّينَ حَصَّلُوا

وما كل مَنْ يَبْكِي على فَقْدِ صاحِبٍ وَفِـيًّا ولا كلُّ المـوازِيـنِ تَـعْدِلُ"[44]

يضع الشاعر أمامنا أربع حقائق اجتماعية ناصعة، ليقرر أن الحياة ليست أبيض وأسود، فليس كل ناقد مصيبا، فقد يكون الانتقاد صادرا عن هوى أو جهل أو حسد، كما أن الاجتهاد وحده لا يكفي للنجاح، إذ يحتاج إلى توفيق الله وإلى صواب التوجه. ويضيف أن البكاء على الميت قد يكون عادة أو تصنعا، وليس دليلا على عمق الوفاء، ثم يختم بأن الموازين التي نزن بها الناس قد تكون معوجة، فلا نأخذها على أنها حقائق مطلقة.

**الرغبات وخداع النفس**

"ما كلُّ ما يُغْرِي يَسُرُّ وإنما تَشْقَى النفوسُ بنيلِ ما يُغْرِيها"[45]

يقرر الشاعر حقيقة نفسية عميقة، وهي أن ما تشتهيه النفس وتنزع إليه قد لا يكون خيرا لها في واقع الأمر، فكثير من الرغبات التي نحلم بتحقيقها تتحول حين تتحقق إلى كوابيس تثقِّل الروح وتُثقل القلب، بدلا من أن تكون منارات سعادة. فالإنسان قد يسعى بكل جوارحه إلى غاية يظنها قمة النجاح، فإذا هي قمة الخيبة، وقد يعشق فكرة يظنها خلاصه، فإذا هي حبل المشنقة، لأن النفس إذا أطلقت لشهواتها ولم تحكمها موازين العقل والدين، تدحرجت إلى الهاوية.

**قيمة المبادئ لا المال**

"قد يعشقُ المرءُ مَن لا مالَ في يده ويَكرهُ القلبُ مَن في كَـفِّهِ الذهبُ

حقيقةٌ لو وعـاها الجـاهلـونَ لَمَا تَنَافَسُـوا في معانيها ولا احتـَرَبُوا

مـا قـيمةُ الـنـاسِ إلّا في مـبادئهـم لا المـالُ يَبْقى ولا الألقابُ والرُّتَبُ"[46]

يضع الشاعر حقيقة جريئة في مواجهة مجتمعات المظاهر، حيث يعلن أن قيمة الناس ليست في ما يملكون من أموال ولا في ما يحملون من ألقاب، بل في مبادئهم التي يقومون عليها وأخلاقهم التي يتعاملون بها، فالثروة سلعة زائلة، والجاه

---

[44] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "غراب – و بلبل" ، ديوان "نُقوش على واجهة القرن الخامس عشر "، ص – 35 ، الطبعة الثانية2002م، مكتبة العبيكان، الرياض

[45] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "القدس أنتِ" ، ديوان "القدس أنتِ "، ص – 13 ، الطبعة الأولى2003م، مكتبة العبيكان، الرياض

[46] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "ريحانة القلب" ، ديوان "مراكب ذكرياتي"، ص – 38 ، الطبعة الثانية2004م، مكتبة العبيكان، الرياض

زينة عابرة، أما الأخلاق فهي الرصيد الباقي الذي يرافق صاحبه في كل أحواله. فكم من غني تجرد من ماله بعد غناه، وكم من صاحب منصب سقط عن عرشه، وبقي هو كما هو، لا يزداد إلا وهناً، لأنه قام على غير أساس من الفضيلة. أما ذو المبادئ، فإن فقد كل شيء، بقي ملكا بقلبه، وعزيزا بخلقه، لأنه يملك ما لا يملكه الأثرياء والمتنفذون: طمأنينة الضمير، ونقاء السريرة، ورضا الله ثم رضا النفس.

"وكيف يعيشُ في البستان غرسٌ إذا ما عطلتْ عنهُ السواقي" [47]

في هذا البيت، يشير الشاعر إلى حقيقة كونية واضحة، وهي أن سوء التغذية وغياب الانضباط هما السبب الجذري لكل انحطاط في الحياة، سواء كان على مستوى الفرد أو الأسرة أو المجتمع، فكما أن النباتات لا تنمو ولا تثمر إلا بتوفّر الماء والغذاء والرعاية المنتظمة، كذلك الإنسان لا يزدهر ولا يحقق نجاحا حقيقيا دون تغذية روحية وفكرية متوازنة، ودون نظام يُنظّم حياته ويضبط مساره. فالإنسان الذي يهمل تغذية عقله بالعلم، وقلبه بالإيمان، وروحه بالأخلاق، ويترك حياته للفوضى والعشوائية، لا يمكنه أن يبلغ أي منزلة راقية، بل يظل أسير الضعف والفشل، مهما كانت طاقاته وإمكاناته.

**القول والعمل**

"القول سهل باللسان وإنما بالفعل يُمتَحَنُ الفتى ويُصَنَّفُ"[48]

يُشير الشاعر إلى مشكلة كبيرة في سلوك الناس، حين يفضح الفرق بين الكلام الجميل والأفعال السيئة، وهذا التناقض هو النفاق بعينه، وهو من أخطر ما يضرّ الناس والمجتمعات، لأنه يُحدث فجوة بين ما يقوله الإنسان وما يفعله. وقد أنزل الله القرآن يوبخ هذه الصفة القبيحة في آية واضحة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ"[49]، لتكون تذكيراً بأن الإيمان ليس مجرد كلمات تتردد على اللسان، بل حياة تُعاش بالأفعال، ومواقف تُختبر بالصدق. والإنسان الصادق هو من تتساوى أقواله وأفعاله، فيكون عمله دليلاً صادقاً على كلامه، أما من يقول شيئاً ويفعل ضده، فقد يفقد ثقة الناس فيه، ويخسر مكانته عند الله وعند الناس.

**الصبر**

" كل قلب له نصيبٌ مِنَ الحزنِ فطوبَى للصابِرِ الميْمُونِ
لو أَطْعنا جراحَنَا ما انتَهَيْنَا مِنْ عذابٍ وحرقَةٍ وأنينِ "[50]

[47] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "متى يا فجر؟؟" ، ديوان "يا أمة الإسلام"، ص -100 ، الطبعة الثانية 2002م، مكتبة العبيكان، الرياض

[48] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "رسالة إلى طائر مغترب" ، ديوان "عناقيد الضياء"، ص – 99 ، الطبعة الثانية2003م، مكتبة العبيكان، الرياض

[49] سورة الحجرات الآية 2

[50] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "لو أطعْنَا جراحنا" ، ديوان "مراكب ذكرياتي"، ص -78 ، الطبعة الثانية2004م، مكتبة العبيكان، الرياض

يؤكد الشاعر حقيقة يعرفها الجميع، وهي أن الحياة مليئة بالأحزان، والأيام لا تمرّ على وتيرة واحدة، لكن المهم ليس في وقوع المصائب، بل في طريقة التعامل معها. فالصبر هو المفتاح الذي يفتح أبواب النجاة، والسلاح الذي يحوّل الصعاب إلى فرص، والأخطاء إلى دروس مستفادة .ورغم أن طعم الصبر قد يكون مرا في بدايته، إلا أن نتائجه دائما حلوة وجميلة، لأن الله لا يضيع أجر الصابرين، ولا يخيب من وثق به واحتسب عنده. وقد أضاء النبي ﷺ الطريق بقوله العظيم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير... إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"[51]، ليكون المؤمن في كل أحواله رابحا، شاكرا في الفرح، صابرا في الحزن، راضيا بقضاء الله، واثقا بحكمته.

**تقييم الأمور بجوهرها**

"و هل يستوي عِقدٌ من الطين والحصى وعِقْدٌ بأصناف الحليّ مُرَصَّعُ"[52]

يضرب الشاعر مثلا جميلا يوضح المعنى المعنوي بالشيء المحسوس، حين يقول أن الأشياء لا تُقيم بشكلها الخارجي، بل بمادتها الحقيقية، فالعقد المصنوع من الطين، مهما كان مزخرفا، لا يساوي عقداً من الذهب، لأن القيمة الحقيقية في المادة الأساسية، وليس في الزينة والشكل. ثم ينتقل الشاعر إلى الناس، ليقول إن الإنسان يُقيم بجوهره الأخلاقي، وليس بمظهره الجميل أو ملابسه الفاخرة. فكم من شخص يبدو في مظهره رائعا كالقمر، لكنه في حقيقته كالفحم، وكم من إنسان مظهره بسيط، لكنه في جوهره كنز لا يقدر بثمن، لأن الكنز الحقيقي هو في نقاء القلب، وصفاء النفس، وجمال الأخلاق.

**الخيانة والخداع**

"يظنُّ خداعَ الناس رمزَ شجاعة وليس شجاعاً مَنْ يخونُ ويَخْدَعُ"[53]

يُصحح الشاعر الأفكار الخاطئة التي يروّجها بعض الضعفاء، حين يؤكد أن الخداع والمكر ليسا من الشجاعة في شيء، بل هما دليل على الجبن والضعف، لأن الشجاع الحقيقي لا يحتاج إلى خيانة أو خداع، فالشجاعة هي مواجهة الحقائق بصراحة، لا الهروب منها بحيل واهية. والمخادع يظن أنه يُظهر قوته، لكنه في الحقيقة يفضح ضعفه وهوان نفسه، لأنه لا يلجأ إلى الخديعة إلا من عجز عن المواجهة الصريحة، واستحى من الصراع النزيه الشريف.

**الدنيا أرجوحة**

"ما هذه الدنيا سوى أرجوحة لا تستقرُّ ولا يَقِرُّ بها البشر"[54]

---

[51] صحيح مسلم، كتاب الزهد و الرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم : 2999 عن صهيب رضي الله عنه

[52] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "يقولون" ، ديوان "إلى أمّتي"، ص – 238 ، الطبعة الأولى 2002م، مكتبة العبيكان، الرياض

[53] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "يقولون" ، ديوان "إلى أمّتي"، ص – 236 ، الطبعة الأولى 2002م، مكتبة العبيكان، الرياض

[54] العشماوي، عبد الرحمن صالح، قصيدة "يا أم وجداني" ، ديوان "هي أمي"، ص – 33 ، الطبعة الأولى 2007م، مكتبة العبيكان، الرياض

يصف الشاعر الحياة بأجمل صورة حين يشبهها بالأرجوحة التي تتحرك بين الصعود والهبوط، فما إن يرتفع الإنسان في الفرح والبهجة حتى ينزل إلى الألم والحزن، وهكذا تمر الأيام؛ يوم لنا ويوم علينا، ويوم فرح ويوم حزن. ومن حكمة الإنسان أن يعرف أن الفرح الدائم ليس طبيعيا، ولا الحزن المستمر قدرا محتما، بل هي تقلبات تحدث للجميع، تعلّم الإنسان الاتزان والهدوء النفسي. فلا نبالغ في الفرح فننسى شكر الله، ولا نيأس من الحزن فنفقد الأمل، فالإفراط في الفرح أو الحزن مذموم، وخير الأمور هو الوسط والاعتدال في كل شيء.

**الخاتمة**

يُعد شعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي نموذجا فريدا في الشعر السعودي المعاصر، حيث استطاع أن يوازن بين الالتزام بالشعر العربي القديم، والانفتاح على روح العصر ومتطلباته، فجاء شعره جسرا يصل بين الماضي والحاضر، وبين الأصالة والتجديد. ولم تكن حِكَمُه الاجتماعية مجرد كلمات جميلة، بل كانت رؤى عميقة في النفس البشرية، تعكس فهما واسعا لطبيعة الإنسان، وتكشف عن معرفة كبيرة بمشاكل المجتمع وعلاجها، مستمدة قوتها من تراث الأمة ومن تعاليم الدين والحكمة النبوية، مما جعلها ترتقي إلى قيم إنسانية خالدة.

وهكذا، يخرج القارئ من رحلة التأمل في حِكَمِ العشماوي وقد ارتاحت روحه، واستنار عقله، وتطهرت نفسه، مدركا أن الشعر الحقيقي ليس مجرد متعة عابرة، بل رسالة أخلاقية وتربية روحية تُوجّه السلوك، وتُشكّل الوعي، وتبني المجتمعات على أسس من الفضيلة والصدق والعدل. لقد قدّم الشاعر دروسا حياتية تشبه دستورا أخلاقيا متكاملا، يدعو إلى التمييز بين الجوهر والمظهر، والتمسك بالمبادئ، والوفاء بالعهود، والتحلي بالصبر، والارتفاع عن الرغبات الدنيوية، كل ذلك بأسلوب شعري رصين، يكشف عن عقل متقد، وقلب مليء بالإنسانية، وضمير حيّ يدرك مسؤولية الكلمة في زمن كثرت فيه الفوضى وتضاربت فيه القيم، ليكون شعره منارةً تنير الطريق، ونورا يبدد ظلمات الجهل والانحطاط.

## المصادروالمراجع


1. الرشيدي، فهد فريح. تجربة عبد الرحمن العشماوي الشعرية. 2009. جامعة مؤتة، رسالة ماجستير.
2. السلمي،سليم ساعد."بنائية اللغة الشعرية عند العشماوي."حوليات كلية اللغة العربية بجرجا،العدد 1،مارس 2025،
3. العتيبي، سارة نجز ساير. "التعالقي النصي مع القرآن الكريم في شعر العشماوي (دراسة نقدية)." مجلة كلية التربية بالمراحمية - جامعة شقراء.
4. سالم، محمد إبراهيم، محرر. الحكم والأمثال في شعر المتنبي. القاهرة، 2014. مركز المعرفة الرقمي
5. العشماوي، عبد الرحمن صالح. إلى أمتي. الرياض، 1400هـ
6. ---. ورقة من مذكرات مدمن تائب. مكتبة العبيكان ، الرياض، 1412هـ
7. ---. نقوش على واجهة القرن الخامس عشر. مكتبة العبيكان ، الرياض، 1407هـ
8. ---. عندما يعزف الرصاص. مكتبة العبيكان، 1420هـ/1999م.
9. ---. مشاهد من يوم القيامة. مكتبة العبيكان ، الرياض، 1412هـ
10. ---. من القدس إلى سراييفو. مكتبة العبيكان ، الرياض، 1413هـ
11. ---. عندما تشرق الشمس. مكتبة العبيكان ، الرياض،1413هـ
12. ---. يا أمة الإسلام. مكتبة العبيكان ، الرياض، 1412هـ
13. ---. صراع مع النفس. مكتبة العبيكان ، الرياض، 1402هـ
14. ---. شموخ في زمن الانكسار. مكتبة العبيكان ، الرياض، 1410هـ
15. ---. إلى حواء: شعر. مكتبة العبيكان، 2002م.
16. ---. بائعة الريحان. مكتبة العبيكان ، الرياض، 1405هـ
17. ---. القدس أنتِ. مكتبة العبيكان، 2007م.
18. ---. بلادنا والتميز. مكتبة العبيكان ، الرياض، 2003م
19. ---. جولة في عربات الحزن. مكتبة العبيكان ، الرياض، 2005م
20. ---. حوار فوق شراع الزمن. مكتبة العبيكان ، الرياض، 2004م
21. ---. حليمة والصوت والصدى. مكتبة العبيكان ، الرياض، 2002م
22. ---. قصائد إلى لبنان. مكتبة العبيكان ، الرياض، 2002م
23. ---. قوافل الراحلين. مكتبة العبيكان ، الرياض، 2007م
24. ---. مراكب ذكرياتي. مكتبة العبيكان ، الرياض، 2006م
25. ---. هي أمي. مكتبة العبيكان ، الرياض، 2007م
26. ---. يا ساكنة القلب. مكتبة العبيكان ، الرياض، 1992م
27. ---. عندما يئن العفاف. مكتبة العبيكان ، الرياض، 2006م
28. ---. عناقيد الضياء. مكتبة العبيكان ، الرياض، 2018م

# البعد الأسطوري في موسوعة الكائنات الخرافية للدكتور عبد العزيز المسلّم:

## قراءة في الأبعاد الأنثروبولوجية والرمزية



**د. محي الدين كوتي كلارا**
أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة العربية
الكلية الحكومية للبنات ، تروونانداپورام ،كيرالام

**الملخّص:** تُعدّ موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي للدكتور عبد العزيز المسلّم علامة بارزة في مسار الدراسات التراثية العربية الحديثة، إذ تجاوزت حدود الجمع والتوثيق إلى فضاء التحليل الأنثروبولوجي والقراءة الرمزية للأسطورة. جمعت الموسوعة بين الحس الأدبي المرهف والدراسة الميدانية الدقيقة، فوثّقت مئات الكائنات المتخيلة التي عاشت في الذاكرة الشعبية الإماراتية، وشرحت دلالاتها النفسية والاجتماعية والثقافية. تحاول هذه الدراسة استكشاف البعد الأسطوري في هذه الموسوعة، من خلال تحليل الرموز والمضامين الأنثروبولوجية التي تعكسها الخرافات الإماراتية، بوصفها مرآةً للوعي الجمعي والوجدان الشعبي.

**Abstract: Dr. Abdulaziz Al-Musallam's Encyclopedia of Mythical Creatures in Emirati Heritage marks a prominent milestone in the trajectory of modern Arab heritage studies. It transcends the boundaries of mere collection and documentation to enter the realm of anthropological analysis and symbolic interpretation of myth. Combining a refined literary sense with meticulous fieldwork, the encyclopedia documents hundreds of imaginary creatures that lived in the Emirati collective memory, elucidating their psychological, social, and cultural significance. This study aims to explore the mythical dimension within this encyclopedia by analyzing the symbols and anthropological contents reflected in Emirati folklore as a mirror of collective consciousness and popular sentiment.**

**الكلمات المفتاحية :** موسوعة الكائنات الخرافية، عبد العزيز المسلّم، التراث الإماراتي، الأسطورة، الأنثروبولوجيا الرمزية، الوعي الجمعي، التراث الشفهي.

**مقدمة:** إن التراث الشفهي الإماراتي غنيّ بالحكايات والأساطير التي شكّلت عبر قرون طويلة أحد أهم روافد الذاكرة الثقافية في المجتمع الخليجي. وقد أولى الدكتور عبد العزيز المسلّم هذا الجانب اهتمامًا فريدًا في مشروعه الثقافي، وخاصة في موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي، التي تُعدّ أول موسوعة عربية متكاملة في توثيق وتصنيف وتحليل الكائنات المتخيلة في الثقافة الشعبية الإماراتية[55]

[55] عبد العزيز المسلّم، *موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي*، معهد الشارقة للتراث، 2018، ص 11

يرى المسلّم أنّ هذه الكائنات ليست مجرد نتاج خيال بدويّ أو بحريّ، بل هي تمثيل رمزي لأعماق النفس الجماعية التي تفسّر الوجود والخطر والنجاة بلغةٍ أسطورية. ومن هنا فإنّ دراسته للكائنات الخرافية تندرج ضمن منظور أنثروبولوجي يسعى إلى فهم الإنسان الإماراتي في علاقته بالبيئة، والدين، والمقدّس، والمجهول.

**الأسطورة بوصفها ذاكرة جماعية**

تؤدي الأسطورة، في المجتمعات التقليدية، وظيفة مزدوجة: فهي وسيلة تفسير للظواهر الطبيعية والاجتماعية، وأداة تربوية لحماية النظام الأخلاقي. وفي الإمارات، كما يوضح المسلّم، نشأت الخرافات في بيئات متباينة — بحرية، صحراوية، جبلية، وزراعية — ولكل منها رموزها الخاصة[56].

فالخرافات البحرية مثل بو درياه تعكس علاقة الإنسان بالبحر، مصدر الرزق والخطر في آنٍ واحد. كان الصيادون يروون حكايات عن هذا الكائن الذي يظهر ليلاً في هيأة بشرية أو حيوان بحري، يغوي البحّارة ويغرقهم إن عصوا العادات. وتُظهر هذه الأسطورة، من منظور أنثروبولوجي، خوف المجتمع من قوة الطبيعة ورغبته في تفسير الغرق والضياع بلغة رمزية[57].

أما الخرافات الصحراوية، مثل الطنطل وأم الهيلان، فتمثل الخوف من الظلمة والعزلة والمجهول. وتُستخدم قصصها لتخويف الأطفال ومنعهم من الخروج ليلاً، مما يجعلها وسيلة اجتماعية لضبط السلوك.

ويشير المسلّم إلى أن الأسطورة الإماراتية، على اختلاف بيئاتها، تؤدي دورًا في حفظ النظام الأخلاقي، وترسيخ مفهوم الجزاء والعقاب، وتنمية الحذر من العصيان والتجاوز[58]. وهكذا تتحوّل الخرافة إلى ذاكرة جمعية تحفظ القيم وتنقلها بين الأجيال.

**الأنثروبولوجيا الرمزية في الكائنات الخرافية**

ونرى في الموسوعة، الكائنات الخرافية من أقسام دقيقة:

1. **كائنات بشرية متحولة** مثل أم الدويس وأم الصبيان، وهي رموز لأنثى مفترسة تمثل الإغواء والانحراف الأخلاقي.
2. **كائنات في هيئة الحيوانات** مثل الهبّانة وأم السعف والليف، تجسّد علاقة الإنسان بالكائنات الطبيعية التي كان يهابها.
3. **كائنات في صورة الطيور أو النباتات أو الجمادات**، تعبّر عن روح الطبيعة في المخيال الشعبي الإماراتي.

---

[56] المرجع نفسه، ص 19.

[57] المرجع نفسه، ص 47.

[58] المسلّم، *خراريف: دراسة في الكائنات الخرافية في السرد الشفاهي الإماراتي*، 2015، ص 29.

هذا التصنيف لم يكن مجرد عمل توثيقي، بل يحمل رؤية أنثروبولوجية متكاملة؛ فكل كائن عند المسلّم هو "علامة دلالية" تشير إلى موقف الإنسان من الطبيعة والمجتمع والمقدّس[59].

فعلى سبيل المثال، ترمز أم الصبيان إلى الخوف من فقدان الأطفال والنساء الحوامل في الماضي، إذ تُروى عنها حكايات تهاجم فيها النساء أثناء الولادة، مما جعلها في وعي المجتمع رمزًا للألم والأمومة المهددة[60] .

أما الهبّانة، فهي كائن يُسمع صوته في المقابر أو الوديان، تمثل الخوف من الموت والمكان المجهول، فيتحوّل الصوت الطبيعي إلى رمزٍ غيبي في المخيلة الجماعية.

بهذا، تُصبح الخرافة وثيقة أنثروبولوجية تعبّر عن تجربة الإنسان الإماراتي في صراعه مع الخطر، ومحاولته لتفسير ما يتجاوز قدرته على الفهم العلمي.

**البعد الميتافيزيقي والرمزي**

تحمل الأسطورة الإماراتية، كما يصوّرها المسلّم، بنية ميتافيزيقية عميقة، حيث تلتقي فيها ثنائية الخير والشر، النور والظلام، الحياة والموت[61].ف أم الدويس، ذات الجمال الفاتن والعطر القاتل، ليست مجرد امرأة خرافية، بل رمزٌ للغواية والفتنة التي تفضي إلى الهلاك. تمثّل في الوعي الجمعي نموذجًا للخطأ الأخلاقي الذي يعاقب عليه المجتمع عبر الخرافة.

أما بو درياه فهو الوجه الآخر للطبيعة — البحر الذي يمنح الرزق ويبتلع الأرواح. فيه يختزل المسلّم الصراع بين الإنسان والبحر، بين الأمل والخوف، بين الحياة والمجهول.

هذه الرموز تتقاطع مع مفاهيم ميتافيزيقية عالمية، إذ تشبه "الليليث" في التراث السامي، و"عشتار" في الأسطورة البابلية، حيث الأنثى تجمع بين الجمال والهلاك[62].إنها استعارة كونية لتناقضات الحياة، تجعل من الأسطورة لغةً للفكر الفلسفي بلغةٍ شعبية بسيطة.

**اللغة السردية وبنية التوثيق**

ما يميز أسلوب المسلّم هو أنه يجمع بين دقة العالم وحسّ الراوي الشعبي. فهو يسجل القصة باللهجة المحلية، ثم يشرح معناها بالفصحى، ويضيف تحليلًا لغويًا وثقافيًا يربطها بسياقها الاجتماعي[63].

ففي حديثه عن أم الدويس، يورد نصوصًا شفوية قالها الرواة من مناطق مختلفة، ثم يعلّق قائلاً:

---

[59] المرجع نفسه، ص 41.

[60] موسوعة الكائنات الخرافية، ص 103.

[61] المرجع نفسه، ص 112.

[62] كلود ليفي شتراوس، الأسطورة والمعنى، ترجمة عيسى علي العاكوب، دمشق، 1998، ص 23

[63] المسلّم، موسوعة الكائنات الخرافية، ص 120.

"قد تختلف التفاصيل، ولكن الثابت أن الصورة واحدة: امرأة جميلة تغوي الرجال وتقتلهم. وهي رمزٌ للخطيئة والعقوبة في المخيال الشعبي[64]".

بهذا الأسلوب، لا تبقى الموسوعة مجرد فهرس للكائنات، بل تتحول إلى أرشيف لغوي وثقافي يوثّق اللهجات والمصطلحات والأمثال والأغاني الشعبية.كما يُبرز المسلّم العلاقة بين الكلمة الشعبية والذاكرة الجمعية، إذ يرى أن "اللغة هي الوعاء الأول للأسطورة"، وأن اندثار اللهجة يعني ضياع قسم من الذاكرة الثقافية.

**المقارنة الثقافية والأسطورة العالمية**

يمارس المسلّم في موسوعته مقارنة دقيقة بين الأساطير الإماراتية ونظيراتها العربية والعالمية. فهو يربط أم الدويس بأسطورة "ليليث" في التراث العبري، وبو درياه بحوريات البحر في الموروث الغربي، والطنطل بعفريت الليل في الأدب الفارسي[65].من خلال هذه المقارنات، يبرهن على وحدة المخيال الإنساني، وعلى أن الأسطورة نتاجٌ طبيعي لبيئة الخوف والرغبة في تفسير المجهول.

إنّ هذه المقاربة المقارنة تمنح الخرافة الإماراتية بعدًا إنسانيًا عالميًا، وتؤكد أن الثقافة الشعبية ليست انعزالًا، بل تفاعل مستمر بين الذاكرة المحلية والرموز الكونية.

**الوظيفة الاجتماعية والنفسية للأسطورة**

لا يقتصر البعد الأسطوري في الموسوعة على الجانب الجمالي، بل يمتد إلى وظائف اجتماعية ونفسية. فالخرافة، كما يوضح المسلّم، وسيلة لضبط السلوك الجمعي، وحماية الأطفال، وترسيخ القيم[66].

في المجتمعات القديمة، كانت الأمهات يرددن قصص الطنطل أو أم الدويس لتخويف الأطفال من الخروج ليلاً. هذه الحكايات، وإن بدت خرافية، كانت تؤدي وظيفة تربوية فعالة.

وعلى المستوى النفسي، تعبّر الأسطورة عن القلق الجمعي تجاه الظواهر الغامضة. فالموت، والعزلة، والعواصف، والغرق — كلها تحولت إلى رموز أسطورية تُروى لتخفيف الرعب النفسي. هكذا تصبح الخرافة وسيلة للعلاج النفسي الجمعي، تمنح الإنسان القدرة على "ترويض المجهول" عبر الحكاية.

**البعد الجمالي والأنثروبولوجي في التوثيق**

تمثل الموسوعة نموذجًا فريدًا للجمع بين الجمال الفني والدراسة العلمية .من الناحية الجمالية، تمتاز بثراء لغوي وصور بلاغية مستمدة من الشعر الشعبي .ومن الناحية العلمية، تعتمد على المقابلات الميدانية، حيث التقى المسلّم عشرات الرواة من مناطق مختلفة، وسجّل رواياتهم صوتيًا، ثم قام بتحليلها وتصنيفها[67].

---

[64] المرجع نفسه، ص 125

[65] المرجع نفسه، ص 208.

[66] خرايف، ص 88

[67] موسوعة الكائنات الخرافية، ص 219.

إن هذا الجمع بين المنهج الوصفي والتحليل الأنثروبولوجي يجعل من العمل وثيقة ثقافية تُدرَس في الجامعات كمصدر رئيسي لفهم الخيال الشعبي الإماراتي.

## الخاتمة

تكشف موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي عن عبقرية الدكتور عبد العزيز المسلّم في تحويل المادة الشعبية إلى مشروع بحثي علمي متكامل.لقد استطاع أن يقدّم قراءة جديدة للأسطورة باعتبارها نصًّا ثقافيًا وإنسانيًا، لا مجرد خرافة، وربطها بالتحليل النفسي والاجتماعي والبيئي .ويمكن القول إنّ المسلّم أسّس عبر هذا العمل مدرسة إماراتية في الدراسات الأنثروبولوجية للتراث، تمزج بين الحسّ الميداني والوعي الأكاديمي .إنّ هذا الجهد لا يُسهم فقط في حفظ الذاكرة الشعبية، بل يعيد للأسطورة مكانتها بوصفها لغة رمزية تعبّر عن الإنسان في جميع أزمنته، وتمنحنا مفاتيح لفهم الذات والمجتمع والكون.

## المراجع :

1. عبد العزيز المسلّم، موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، 2018.
2. عبد العزيز المسلّم، خراريف: دراسة في الكائنات الخرافية في السرد الشفاهي الإماراتي، الشارقة، 2015.
3. كلود ليفي شتراوس، الأسطورة والمعنى، ترجمة عيسى علي العاكوب، دمشق، 1998.
4. جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة، 1985.
5. صالح الهويدي، قراءات نقدية في التراث الشعبي الإماراتي، معهد الشارقة للتراث، 2021.
6. مقابلة مع الدكتور عبد العزيز المسلّم في مجلة «الموروث»، العدد 14، الشارقة، 2020.

# انعكاسات الصراع التاريخي بين الشرق والغرب في رواية "واحة الغروب"

**د/عبد الرب يم**

أستاذ مساعد في كلية الأنصار العربية

تحت جامعة كالكوت



**Abstract: This study examines the reflections of the conflict between East and West in the novel Sunset Oasis by the Egyptian novelist Bahaa Taher, published in 2007. The novel is set in Egypt in the late nineteenth century, particularly in the oasis of Siwa, within the historical context of the British occupation of Egypt. It reveals a complex relationship between East and West that is not based solely on civilizational differences, but is shaped by interconnected historical, political, religious, psychological, and social factors.**

**The study aims to analyze the way Bahaa Taher portrays the effects of Western colonial presence in Egypt, the forms of resistance and rejection within Eastern society, as well as the internal conflicts that emerge as a result of cultural contact between the two societies. It also focuses on the religious dimension of the novel and examines the presence of beliefs, symbols, and narratives related to religious heritage in shaping the consciousness of the characters and the local community.**

**The study is based on the fundamental premise that the novel does not present the conflict between East and West as a simple confrontation between two opposing sides. Rather, it reveals a complex network of interconnected relationships. The West appears, on the one hand, as a colonial power, while on the other hand, it is represented through Western characters who are capable of communication and interaction with the East. Similarly, the East is not portrayed as a homogeneous entity; instead, the novel reveals internal differences between conservatism and openness, and between adherence to inherited traditions and the desire for change. Therefore, the study seeks to highlight the multiple dimensions of conflict in the novel and demonstrate how the colonial, cultural, religious, and social dimensions intersect in shaping the experiences of the characters and the development of events.**

**Keywords: Sunset Oasis; Bahaa Taher; East–West Conflict; Egyptian Literature; British Occupation; Colonialism; Cultural Conflict; Religious Heritage; Cultural Encounter; Identity; Resistance; Eastern Society; Western Presence; Siwa Oasis; Cultural Identity.**

**ملخص البحث:**تتناول هذه الدراسة انعكاسات الصراع بين الشرق والغرب في رواية «واحة الغروب» للروائي المصري بهاء طاهر، الصادرة عام ٢٠٠٧، والتي تدور أحداثها في مصر في أواخر القرن التاسع عشر، ولا سيما في واحة سيوة، في سياق الاحتلال البريطاني لمصر. وتكشف الرواية عن علاقة معقدة بين الشرق والغرب، لا تقوم على الاختلاف

الحضاري وحده، بل تتداخل فيها عوامل تاريخية وسياسية ودينية ونفسية واجتماعيةوتسعى الدراسة إلى تحليل الطريقة التي يصور بها بهاء طاهر آثار الوجود الاستعماري الغربي في مصر، ومظاهر المقاومة والرفض لدى المجتمع الشرقي، فضلًا عن الصراعات الداخلية التي تنشأ نتيجة الاحتكاك بين الثقافتين. كما تركز الدراسة على البعد الديني في الرواية، وعلى حضور المعتقدات والرموز والأساطير ذات الصلة بالموروث الديني في تشكيل وعي الشخصيات والمجتمع المحلي.وتنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن الرواية لا تقدم الصراع بين الشرق والغرب باعتباره مواجهة بسيطة بين طرفين متناقضين، وإنما تكشف عن شبكة من العلاقات المتداخلة والمعقدة؛ فالغرب يظهر بوصفه قوة استعمارية من جهة، لكنه يظهر أيضًا من خلال شخصيات غربية قادرة على التواصل والتفاعل مع الشرق. وفي المقابل، لا يصور الشرق بوصفه كيانًا متجانسًا، بل يكشف عن اختلافات داخلية بين المحافظة والانفتاح، وبين التمسك بالموروث والرغبة في التغيير. ومن ثم، تسعى الدراسة إلى إبراز تعدد مستويات الصراع في الرواية، وبيان كيفية تداخل البعد الاستعماري والثقافي والديني والاجتماعي في تشكيل تجربة الشخصيات ومسار الأحداث.

**الكلمات المفتاحية:** بهاء طاهر، واحة الغروب، الشرق، الغرب، الصراع التاريخي، الصراع الديني، الاستعمار، سيوة، الهوية، الحوار الحضاري

## مفهوم الصراع:

**المفهوم اللغوي**: جاء في لسان العرب أن الصراع من الجذر اللغوي (ص, ر, ع) والصرع الطرح بالأرض وخصه في التهذيب بالإنسان, صارعه بصرعه صرعا, وصرعا بالفتح لتميم والكسر لقيس عن يعقوب فهو مصروع وصريع والجمع صرعى, والمصارعة والصراع معالجتهما أيهما يصرع صاحبه ,وفي الحديث مثل المؤمن كالخامة في الزرع ,تصرعها الريح مرة وتعدلها أخرى والمصرع موضوع ,وصريع شديد الصرع وان لم يكن معروفا بذلك وصرعه كثير الصرع لأقرانه يصرع الناس وصرعه يصرع كثيرا يطرد على هذين باب وفي الحديث انه صرع عن دابة فجحش شقه اي سقط عن ظاهرها[68] . وقد جاءت لفظة صرعى في القرآن الكريم في قوله تعالى "سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية". [69]

فصرعى في الآية الكريمة أفادت معنى الطرح على الأرض والموت كذلك. وفي قاموس المحيط ورد الصراع على انه من الصرع وهو "علة تمنع الأعضاء التنفسية من أفعالها منعا غير تاما"[70]

[68] ابن منظور, لسان العرب ,دار صادر , مادة (ص ر ع ) بيروت , لبنان د,ط,ج, 8 ص 396

[69] سورة الحاقة 7

[70] الفيروز أبادي, القاموس المحيط , دار الكتاب العلمية , بيروت , لبنان ج 3 ط 1 1991 ض 56

**المفهوم الاصطلاحي**: الصراع هو حالة سببها تعارض حقيقي أو متخيل للاحتياجات والقيم والمصالح. يمكن أن يكون الصراع داخليا الشخص أو خارجيا (بين اثنين أو أكثر من الأفراد).[71]

## التباين التاريخي بين الغرب والشرق

خلال العصور الوسطى، تشاركت الحضارات المتعددة في الشرق والغرب خصائص مشتركة في بعض الجوانب، بينما في أوجه أخرى، كانت تباييناتها صارخة.كانت الاختلافات في نظام الطبقات الاجتماعية أحد المشاكل الرئيسية التي أثرت على العديد من جوانب الحياة عندما تفاعل المجتمعان. أدى الفصل بين الإقطاعية والنظام الاجتماعي الشرقي، الطرق المتنافسة للتجارة والزراعة، الاستقرار المتفاوت للحكومات إلى فجوة متسعة أكثر من أي وقت مضى بين طريقتي الحياة هاتين. الحضارات الشرقية والغربية ليست مختلفة فقط بسبب موقعها، ولكن أيضا بسبب نظام الطبقة الاجتماعية لديهم، طرق جنيهم للمال، وأساليب القيادة.[72]

اختلفت الحياة اليومية للناس العاديين في الشرق والغرب بشكل كبير على أساس طريقة سائدة في مجتمعهم. كانت الإقطاعية والمانورالية أحد أكبر الاختلافات بين الحضارات الغربية والشرقية. شَّكل كل منهما التدرج الاجتماعي وحياة الشخص العادي في الشرق بصورة عامة. أُنشأ النظام المانورالي ليكون فيه رب عمل يملك مساحة كبيرة من الأرض. كان لديه أقنان وفلاحين يعملون لديه، الفلاحين في مقابل الأرض التي لديهم، للعمل، ولدفع إيجار المحصول إلى رب العمل. كان هذا المجتمع الإقطاعي كل رجل لنفسه ولم يساعد في توسع الحضارة.

## تاريخ الصراع بين الشرق والغرب

في التاريخ شواهد أزلية الصراع بين الشرق والغرب، الذى وصل إلى قوته في زمن الحملات الصليبية، ولكنه قبل هذه الفترة كان قويا أيضا ومتغيرا في أهدافه، ففي البداية كان من أجل الاقتصاد وفى النهاية صار من أجل الدين .يقول كتاب "موجز تاريخ الحروب الصليبيّة في المشرق الإسلامى وشرق حوض المتوسّط" للمؤرخ الفرنسي رنيه جروسيه، تمثّل فترة الحروب الصليبية مرحلة من مراحل الصّراع الأوروبي الطويل ضد آسيا، بدأ هذا الصراع منذ أن وجدت أوروبا في نفسها، متمثلة بالحضارة الهيلينية، القدرة على مواجهة العالم الشرقي المتمثّل آنذاك بالإمبراطورية الفارسية، وهذا ما أدى إلى قيام الحروب الميدية التي تم من خلالها إحكام السيطرة الإغريقية على آسيا (490-469ق.م).

---

[71] عبد القادر صالح، الدين والإعنف Press Prismasophie Jogjakarta (Kekerasan Agama) (2003) ص: 57

[72]William Stubbs. The Constitutional History of England. Oxford: 1875.

تحت قيادة الإسكندر الأكبر (336-323ق.م) استمر الهيلينيون قدما في حملاتهم التوسعية فأخضعوا الإمبراطورية الفارسية، حتى تجاوزت حدود النّفوذ الأوروبي نهر الهندوس. وأعقب ذلك ردّة فعل آسيوية قام بها البارثيون فردّوا الهيلينيين على أعقابهم إلى غربي نهر الفرات (129ق.م). وخلال أربعة قرون ونصف منذ عام 64ق.م حتى 395م أخذت روما، وريثة الولايات الإغريقية والوصيّة على الحضارة الهيلينية، على عاتقها مهمّة الدفاع عن هذه الحدود ضد إيران الفارسية، ثم (بدءاً من عام 224م) ضد إيران الساسانية.

ثم أخذ الصراع بين روما والعالم الإيراني منحى خاصا، فقد تغير وجه المسألة الشرقية كليا عندما قام الإمبراطور قسطنطينعام 325م باعتناق الديانة المسيحية قطعيا، وازداد عمق هذا التغيير بدءا من عام 395م عندما تحوّلت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطورية بيزنطية،واكتسبت بوضوح طابعا دينيا. وصارت عبارة "الرومية" بالمفهوم البيزنطي لهذه الكلمة، مرادفة لمعنى الأرثوذوكسية المسيحية، فيما صارت إيران من جهة أخرى، منذ الإصلاحات الساسانية بها عام 224م، مقترنة بالعقيدة المزدكية[73].

قد أضحت المسألة الشرقية نزاعا دينيامن حال كونه مجرد نزاع عرقي وحضاري. وهذا ما أدى بالنتيجة إلى اندلاع حرب مقدسة بين الطرفين، كالحرب التي شنها إمبراطور الشرق هرقلبين عامي 622-628م على الملك الساساني خسرو الثاني. وقد كان الفرس قبل ذلك قد استولوا على أورشليم عام (614م) وانتزعوا منها صليب المسيح الأصلي. ثم في عام 630م تمكن هراكليوس المنتصر من استرجاع الصليب وإعادته باحتفال مهيب إلى كنيسة القبر المقدّس بالقدس. لقد كانت هذه في الواقع باكورة ما يسمى بالحملات الصليبية.

بينما كانت فارس وبيزنطة تنهكان نفسيهما في أوار الحروب الطويلة الطاحنة قام النبي محمد (570-632م) بتوحيد قبائل العرب تحت عقيدة جديدة (الإسلام)، أفضت إلى حثّ العرب لغزو هاتين الإمبراطوريتين في آن واحد.

**بهاء طاهر**

ولد في 13 يناير 1935بمحافظة الجيزة في مصر.تخرج في كلية الآداب في جامعة القاهرة في قسم التاريخ عام 1956.حصل على دبلوم الدراسات العليا في الإعلام في شعبة الإذاعة والتلفزيون سنة 1973.عمل مترجما في الهيئة العامة للاستعلامات بين عامي 1956 و1957.عمل مخرجا للدراما، ومذيعا في البرنامج الثاني الثقافي الذي كان من مؤسسيه حتى عام 1975.عمل مترجما للأمم المتحدةفي جنيففي الفترة بين عام 1981 وحتى 1995

[73] أحمد إبراهيم الشريف ، تاريخ الصراع بين الشرق والغرب قبل الحملات الصليبية.. من الاقتصاد إلى الدين، الإثنين، 07 سبتمبر 2020 م

فاز بجائزة الزياتور الإيطالية عن روايته "الحب في المنفى" بعد أن ترجمتها إلى الإيطالية "باولا فيفياتي"، وتعد الجائزة من أرفع الجوائز التي تمنحا مدينة كاليار تكريما للأديب الإيطالي " فرنشيسكو البزاتور." وهو أول عربي يفوز بهذه الجوائز بعد وصول روايته إلي التصفيات، إذ اختيرت رواية "الحب في المنفى" لتصويرها المأساة الفلسطينية خصوصا مجزرة "صبرا وشتيلا" في لبنان عام 1982 ، والوضع العربي المتردي.

أصدر أول مجموعاته القصصية عام 1972 بعنوان "الخطوبة"، بعدها توالت أعماله بين مجموعة قصصية مثل: "بالأمس حلمت بك"، "أنا الملك جئت"، "ذهبت إلى شلال"، و"لم أكن أعرف أن الطوواويس تطير".

له خمس روايات هي:"شرق النخيل" ، "قالت ضحى" ، "خالتي صفية والدير" ، "الحب في المنفى"، "نقطة النور"، "واحة الغروب. "

ترجمت أعماله الأدبية إلى لغات كثيرة.ومنها:

"خالتي صفية والدير"، ترجمت لأكثر من عشر لغاتمن بينها الإنجليزية بواسطة "باربرا رومِان" في 1996.

الحب في المنفى" ، ترجمت للإنجليزية ونشرت بواسطة الجامعة الأمريكية بالقاهرة في 2001.

قالت ضحى "، تم ترجمتها للإنجليزية بواسطة بيتر دانيالز ونشرت بواسطة الجامعة الأمريكية بالقاهرة في 2008

.واحة الغروب" ، تم ترجمتها للإنجليزية بواسطة همفري ديفيز في 2009

جوائز حصل عليها:

جائزة أفضل رواية لعام 1995 بمعرض القاهرة الدولي للكتاب عن رواية "الحب في المنفى".

جائزة الدولة التقديرية في الآداب ، عام 1997.

جائزة جوزيبي اكيربي الإيطالية عن رواية "خالتي صفية والدير" عام 2000.

الجائزة العالمية للرواية العربية عن رواية واحة الغروب , عام 2008.

جائزة مبارك في الآداب ، عام 2009 .

## واحة الغروب

نشرت رواية "واحة الغروب" عام 2008. بدأ في كتابة الرواية قبل 4 سنوات من صدورها وسطر معظم فصولها في جنيف السويسرية.حصلت رواية "واحة الغروب" على الجائزة العالمية للرواية العربية "البوكر" في دورتها الأولى في عام 2008، وتعد واحدة من أشهر الروايات التي صدرت في السنوات الأخيرة وقد طبع منها أكثر من 13 طبعة.تتنقل أحداث الرواية بين عصور تاريخية مختلفة لكنها تركز على نهايات القرن التاسع عشر، وبالتحديد منذ بداية الاحتلال البريطاني لمصر، إذ تتبع حياة ضابط مصري يدعى "محمود عبد الظاهر"، كان من بين المتعاطفين مع الثورة العرابية، ودفع ثمن ذلك عن طريق تجميد ترقياته لفترة طويلة وإسناد مهمات بسيطة له مثل حراسة المنشآت ومرافقة الوفود، حتى ينتهي

به الحال مأمورا لواحة سيوة.[74] ويصطحب معه في رحلته الشاقة المحفوفة بالكثير من المخاطر زوجته الأيرلندية "كاثرين" التي تعشق الآثار والتاريخ، وتنظر إلى هذه الرحلة على اعتبارها بداية جديدة لحياتهما معا، وتتوالى الأحداث.

محمود عبد الظاهر رجل وطني حر عاشق لأرضه وبلاده، وبطل من أنصار قضية عادلة، هي قضية الوطن وحلم الثورة على الظلم، واستقلال الأرض والإرادة، حتى تصبح مصر للمصريين، ويصبح على أرضها ما يستحق الحياة لأبنائها، وهو الحلم الذي تجسد في قيام الثورة العرابية.وفي عام 2017، تحولت الرواية لمسلسل يحمل نفس اسمها، من بطولة خالد النبوي ومنة شلبي، وكتب السيناريو والحوار مريم نعوم وهالة الزغندي، ومن إخراج كاملة أبو ذكري .أسلوبه الرواية كلاسيكي مباشر،زادت المخرجة على هذه الكلاسيكية كلاسيكية الدراما والحوار المباشر والتمثيل الذي فيه كثير من الإلقاء الخطابي خاصة في الحلقات الأولى.

وعلى الرغم من أن المخرجة اختارت هذا التكنيك التقليدي، إلا أن المَشاهد منذ الحلقة الأولى كللتها حرفية الإخراج والإنتاج الضخم، كلقطات دك الإسكندرية، فيصبح هذا أسلوبها طوال المسلسل بتكوين لوحات تصوير إبداعية، وإشباع كل مشهد إلى أقصى حد، أكثر بكثير مما تفعله الرواية التي تمر مروراً على الأحداث لكنها تهتم بأرواح الشخصيات وصراعها الداخلي.

انطلقت واحة الغروب من محنة عرابي الذي جبن البعض من زملائه عن نصرته وباعوا الحقيقة بالطعام والوفاء بالوظيفة وشرف الشجاعة بذل السكوت. وحمل محمود عبد الظاهر هذه اللعنة في قلبه بل في روحه؛ وشاء له السرد الزواج من أيرلندية عرف وطنها بمعاداة أولئك الذين اشتروا حريته ونخوته حين شهد لهم على الزعيم الوطني. ونقله السرد إلى واحة الأساطير في غرب مصر حيث رائحة الملك الأسطوري الإسكندر الأكبر... ما كل هذا الزخم! وما هذا الصوت المتفرد للسرد حين ترك المسرح للإسكندر المقدوني يعبر عن فلسفته بجوار الضابط البائس خائن عرابي والمرأة الأيرلندية عدوة الإنجليز، وقبائل سيوة أهل الحضارة الخاصة والحياة الخاصة واللغة الخاصة أيضا. شمس المأمور المخنوقة طوال الوقت غربت في الواحة البعيدة بعدما جمع السرد تلك الأعاجيب من التاريخ والأنثروبولوجيا في لغة عذبة قيمة لروائي كبير أصيل متفرد.[75]

[74]أماني ربيع، مقالة غضب رواد التواصل الاجتماعي لطريقة بث "واحة الغروب" ، جريدة رؤية الإخبارية، 1 يونيو 2017

[75]د. محمد أبو السعود الخيارى،مقالة الرواية التاريخية بين «نافورة» بهاء طاهر و«طاحونة» إبراهيم عيسى ، جريدة المصري اليوم، 1 نوفمبر 2020

## ملخص الرواية

تعد رواية واحة الغروب للروائي المصري بهاء طاهر أحد أهم الروايات الحضارية التي صورت واقع مصر فترة المعنقد الانجليزي خلال أواخر القرن التاسع عشر. لتكشف عن الصراع الاجتماعي الداخلي المتمثل في صراع الأنا مع الآخر، والصراع السياسي ممثلا فيصراع أنا العربي والآخر الإنجليزي. فلا تنفك الرواية الحضارية تغترف من التاريخ لتبيان الحقائق المتناثرة عبر ثناياه حيث يرى أحمد أمين العالم أن التاريخ "ينبغي استحضاره كي تؤكد على وجود ذواتنا، إذ باستطاعته احتواء الأمة التي تمتد جذورها من الماضي إلى الحاضر" فواحة الغروب رواية متشعبة الأوجه جمعت بين التاريخ والسياسة والمجتمع والدين لذلك نسعى إلى كشف الاختلاف الحضاري بين الأنا والآخر مع كشف النسق المضمر وتحليله عبر آليات المنهج النقدي الثقافي"نقف في رواية واحة الغروب على فكرة جوهرية مفادها أن الصراع الأول فيها ورد بين الشرق والغرب بسبب جشع الانجليز ومطامعهم الاستعمارية الغاشمة، أما الصراع الثاني.[76]

يعود بهاء طاهر في روايته الجديدة والبديعة "واحة الغروب" والتى لاقت نجاحا جماهيريا واستحسانا نقديا كبيرا، إلى نهايات القرن التاسع عشر، وبداية الاحتلال البريطانى لمصر، حيث يُرسل ضابط البوليس المصرى محمود عبدالظاهر

تدور أحداث الرواية في نهايات القرن التاسع عشر مع بداية الاحتلال البريطاني لمصر، بطل الرواية هو ضابط البوليس المصري محمود عبد الظاهر الذي يتم إرساله إلى واحة سيوة كعقاب له بعد شك السلطات في تعاطفه مع الأفكار الثورية لجمال الدين الأفغاني والزعيم أحمد عرابي. ويصطحب الضابط معه زوجته الأيرلندية كاثرين الشغوفة بالآثار التي تبحث عن مقبرة الإسكندر الأكبر، لينغمسا في عالم جديد شديد الثراء يمزج بين الماضي والحاضر، ويقدم تجربة للعلاقة بين الشرق والغرب على المستويين الإنساني والحضاري.[77]

ينقسم أهل سيوة إلى شرقيين وغربيين، وقد عرفت القبيلتين الصراع والاقتتال لسنوات عديدة دون سبب منطقي إلا الاحتكام للمعتقد الراسخ في وعي كل فرد منهم، وهو تحقيق نبوءة الشيخ "صابر "شيخ الشرقيين الذي يزعم فيها أن السلم لن يعرف طريقه إلى الواحة إلا إن أبادت إحدى القبيلتين الأخرى، فنبوءة الموت والفناء لا بد أن تتحقق مهما من دماء. تعيش القبيلتين معا في وفاق إلى أن يقرر اجتماع مجلس الأجواد اندلاع الحرب بينهما يضم المجلس كبار القوم وحكماء هم من شرقيين وغربيين للفصل في شؤون الواحة وهو المعلن للحرب والهدنة في الآن نفسه.

---

خوالدي أمال زمالي نسيمة الصراع، الحضاري والاختلافات الثقافية في الرواية العربية (رواية واحة الغروب لبهاء طاهر موذجا) مجلة النص العدد 1 ، 2021، مخبر الدراسات الانسانية والأدبية جامعة العربي تبسي ،الجزائر ،ص 228[76]

[77] **محمد عبد الرحمن روايات بهاء طاهر.. أولها شرق النخيل وأشهرها واحة الغروب وقالت ضحى أيقونة اليوم السابع ،الجمعة، 13 يناير 2023**

الرواية تتحدث عن الصراع القائم بين قبيلتين، الشرقيين والغربيين، في واحة سيوة، وذلك بسبب اعتماد كل قبيلة على المعتقدات دون العقل. على الرغم من وجود ائتلاف فكري وثقافي بينهما، يظهر الصراع الانساني بين الطرفين وتأثيره على السلام والتفاهم. العبارة تسلط الضوء على أهمية التسامح والحوار رغم التباين الثقافي، وتشدد على أن السعي لمصلحة الإنسانية بشكل عام يشكل أفضل إسهام يمكن أن يقدمه الفرد. يتحدث النص أيضا عن أهمية خلق فضاء يسمح بفتح الأنا على الآخر، مما يشير إلى أهمية التفاهم والتعايش السلمي في بناء علاقات إنسانية صحية. وتتعايش معه متجنبة كل مظاهر الاستبداد والتجبر والصراع. لقد صورت الروايةالمشرقية الصراع مع الغرب عن طريق العلاقة التي يقيمها أبطال هذه الروايات مع نساء الغرب، وقد اختلفت حدة هذا الصراع من رواية لأخرى[78].يستعين الروائي في تشكيل الأحداث وذكر التفاصيل، ببعض الأعلام الذين شاركوا بالفعل في الثورة سلبا أو إيجابا يقول محمود عن خيانة سلطان باشا للعرابيين " كنت هناك في بيت سلطان باشا رئيس النواب مع اليوزباشي سعيد والملازم طلعت نحرس الاجتماع، كانت مصر كلها هناك كنت قريبا ورأيت الضابط الفلاح الوسيم طويل القامة يقف محتقن الوجه وعضلات وجهه ترتجف وهو يشهر سيفه"[79]

**الشخصيات الرئيسية**

تدور الأحداث في رواية واحة الغروب بين عدد من الشخصيات الرئيسية، وهي:

**محمود عبد الظاهر**: أن شخصية تدعى "محمود" في رواية واحة الغروب. الشخصية تظهر بشكل معقد ومليء بالتناقضات والألغاز والرموز، وهو يبتعد عن النمط الذي يعتمده معظم كتاب القصص الذين يقدمون أبطالا يسلكون مسارا مستقيما وآمنا.

يتبين أن محمود ليس ببطل تقليدي، بل يظهر كإنسان يعيش في عالم معقد ويواجه تحديات ومشاكل. تطور شخصيته يعكس تغيرات القصة ويظهر مدى تأثير الأحداث على شخصيته. الطريق الملتوي الذي يسلكه يشير إلى العديد من المحن والمفاجآت التي تشكل جزءًا من رحلته.

باختصار، يبدو أن محمود هو شخصية معقدة وواقعية، وتطور شخصيته يعكس تعقيدات الحياة وتغيرات القصة،الذي يبعث الى واحة سيوة لتحصيل الضرائب من أهلها فى ظاهر الأمر لكن الأمر فى حقيقته كان قد أرسل في عقوبة تأديبة إلى هذه الصحراء البعيدة لأشتراكه فى الثورة العرابية. أن محمود قادر على مواجهة نفسه رغم شعوره الطاغي بالانهزام، والتخاذل لقد تدرجت شخصيته فى مراحل متعددة تنقلت مابين حياة اللهو و عشقه. كان قد تربى

[78]خوالدي أمال زمالي نسيمة الصراع، الحضاري والاختلافات الثقافية في الرواية العربية (رواية واحة الغروب لبهاء طاهر موذجا) مجلة النص العدد 1 ، 2021، مخبر الدراسات الانسانية والأدبية جامعة العربي تبسي ،الجزائر ،ص 228

[79] يراجع عبد الرحمن الرافعي الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي ص ٤٥٩ تحت مكافأة سلطان باشا

فى أسرة ميسورة غارقا في اللهو والسهر والنساء وحضور لأناشيد الطريقة الصوفية، لطالما عاش الأزدواجية الطهر والفسق، والحب والخيانة، ومعرفة أنه . مزيج من المتناقضات ففيه كل ملامح التقلبات الأنسانية لعل الكاتب كا يريد أن يعرى الإنسان،[80] ويريه بواطن نفسه تباهى أمام نفسى بماض بطولى وأتعمد نسيان لحظة الخزى أعتبر نفسى فى الشرطة مظلوما وشهيدا ولعلى أسوأ الجميع الضابط المتمرد، المغضوب عليه بسبب ماضيه الوطنى أيام الثورة أعجبني الدور فصدقت نفسي لجاريته نعمة السمراء وحكايتها التي احبها، مرتبط تاريخيا بهزائم الأنسان العربي خلال تارخ طويل من الهزائم، وما بين تجربته الفاشلة فى فرض سيطرته على البدو أو حتى إيجاد فرصة للتقارب معهم، الأمر الذى أفشل كل محالاوته فى جمع الضرائب فقد كان لا يحبذ العنف ويكره الدم مع عدو يحب العنف ويمارسه وفقا لما أورثته طبيعته الصحراوية من قسوة وأن الكفر بقضية بطبيعة الحال ما لا يؤمن لها النجاح، أنه يمثل معاناة الإنسان المصرى المستعمر آنذاك. أنه شخص حالم جدا يعيش في عالم منفصل عن الواقع مثلما يعيش الحاكم في واقع منفصل عن شعبه ها هو يصنع لنفسه أحلام يقظة ومنام مع نعمة السمراء وحكاياتها المشوقة وملمس جلدها الأسمر الشهى ومن ثمة يصنع أحلاما أخرى مع فيونا شقيقة زوجته الذي قلبت حياته رأسا على عقب وخلفت له مزيدا من الألم. أما زوجته كاثرين الأيرلندية الأصل المتخصصة في تاريخ الحضارات القديمة والآثار ، تصاحبه في هذه الرحالة لإيجاد حالة من التشويق تضفى على علاقتهما مزيدا من الحب، ورغبتها العارمة فى كشف أسرار الرسومات على جدران المعبد وحالة النفور والاستعلاء التي يكنها البدو لهذه الآثار زاد الأمر سوءا وعقد العلاقة بينهم وأثر سلبا في علاقتها مع زوجها ووسع الفجوة بينهما، النار على البدو بعد أن أطلقوا هم النار عليك؟ ما الذي كان يمكن لأي إنسان آخر أن يفعله غير ذلك؟ أصابتك الحرب برصاصة؟ لم تأتك الرصاصة وأنت تحارب العدو الذي يغزو بلدك (١) ، محمود شخصية صادقة مع نفسها، شخصية متشائمة، دفعته الظروف والأحداث ليكون شخصًا يكره نفسه، ويكره كل شيء يكره محمود الاحتلال والاستعباد والتجبر والطغيان، ويكره الملكية والخديوي والأتراك والشراكسة من هم بالضبط أجدادك المصريون الذين تدرس آثارهم يا حضرة اليوزباشي الشركسي الأشقر ؟ قابلت أثناء الثورة قلة من شراكسة طيبين يحبون مصر كوطن لهم، لكن معظم الشراكسة كانوا يعتبرون أنفسهم السادة وتأمروا أكثر من مرة لقتل عرابي الفلاح وفرحوا لهزيمته مثلما تفرح أنت إذن فيم تهمك آثار أجداد هؤلاء الفلاحين الذين تريد أن تسترد مجدهم

**كاثرين**: تمثل الشخصية المحورية في الرواية، وهي امرأة إيرلندية جاءت إلى مصر وتعرفت على محمود وتزوجته، وتحمل الكثير من الصفات المعنوية؛ فهي شجاعة ومثقفة، ومولعة بشخصية الإسكندر. أهمّ عناصر الفكرة و حجر الأساس في الرواية هو العلاقة بين الشرق و الغرب و تقابلهما في علاقة ثنائية بين رجل مصري و إمرأة إيرلندية بكل ما يحمله الطرفان هنا من تركمات ثقافية و حضارية و سيمات نفسية تبدو في البداية في مرحلة الإكتشاف ساحرة

[80] ص 147 واحة

لتنتهي كالعادة بأن تكون السبب الرئيسي في الصراع بين محمود المصري و كاثرين الإيرلندية أي رمزيا بين الشرق و الغرب.

إن عدم اصطناعية العلاقة وعدم تضخيم الصراعات يعززان إيمانية القصة ويجعلانها أكثر جاذبية للقارئ. يظهر أن الكاتب قد نجح في رسم صورة واقعية للعلاقة بين "محمود" و "كاثرين" دون الحاجة إلى جهد كبير لإقناع القارئ، حيث يعكس ذلك تمكنًا فنيًا في تقديم الشخصيات وتطور علاقتهم

**الشيخ يحيى**: ذلك العجوز الصلب العارف بحقيقة الأمور وحقيقة نفوس من حوله المحايد والحكيم، عجوز فى الثمانين من عمره نجده مختلفا عن باقي أعضاء مجلس الأجواد الذي يحكم القرية أنه ينبذ العنف والدم الذى طالما كبد أفراد قبيلته الكثير من الحزن. لذا فإنه يشبه محمود فى أمرين، الأول حبه للحرية ونبذ العنف فقد ترك القرية سنوات طوال كما يعارض الشقاق والحرب الأهلية، والثانى التأمل في الذات والحي التي تفضى للعزلة والتي حافظت في نهاية الأمر على احترامه لنفسه وبقيت على احترام الآخرين لهالشخصيات الثانوية

تدور أحداث رواية واحة الغروب بين عدد من الشخصيات الثانوية، وهي:

الشاويش إبراهيم رجل عجوز تجاوز عمره الستين عاما لكنه مضطر للعمل من أجل الإنفاق على أحفاده وذلك بعد وفاة أولاده بسبب مرض الكوليرا. يعمل جندي المراسلة في الواحة ويكتسب ثقة المأمور سريعًا وذلك لأنه رشح له من قبل أحد أصدقائه، كما أنه يعرف بعض الأشياء عن واحة سيوة نظرًا لأنه زارها قبل 20 عاما في حملة عسكرية.

**فيونا:** هي شقيقة كاثرين الصغرى، جاءت من إيرلندا إلى "واحة سيوة" لأنها مريضة وتحتاج إلى جو دافئ، وهي فتاة جميلة ولديها ابتسامة عذبة، وتمتاز بالهدوء والحضور الطاغي. يونا شقيقة كاثرين المصابة بداء عضال، استطاعت أن تجد طريقا لقلوب أهل القرية بسلاسة روحها وطبيعتها العذبة وتلقائيتها الجميلة. لقد استطاعت أن تستجلب عطف الشيخ يحيى والعجوز زبيدة اللذان قاما بمحاولة مداواتها من المرض، ثم أنها قلبت احوال محمود وأحيت به المشاعر الميته لقد ذكرته بمحبوبته نعمة. فيمكن للمرأة من وجهة نظر الكاتب أن تحيي قلب الرجل حينما تناجى أعماقه الطفولية، كما فعلت شهرزاد فى حكايتها التى روتها الشهريار أشباعاً شهوة الاستماع للحكايات والعوالم الخيالية. تظهر فيونا أخت كاثرين زوجة محمود، والتي تشارك محمود في كرهها للاحتلال والإنجليز كرها مغايرا لموقف أختها كاثرين والتي تكره الاحتلال كذلك وهذا ما جمع بينها وبين محمود، تكرهه عندما مس بلدها ومقاطعتها، لكنها لا تجد شرا في مذابح الإسكندر ، ويظهر في شخصية فيونا اختلاف منظور الناس بتوجهاتهم المختلفة ناحية الثورات والاحتلال، تقول كاثرين في حوار جمع بينها ومحمود وفيونا واليوزباشي وصفي : استمر" محمود في إلحاحه

**مايكل:** هو زوج كاثرين الأول وصديق والدها، يهتم باللغة والحضارة اليونانية، وهو بخيل ماديًا ومعنويا.

**الشيخ صابر:** الشيخ صابر ذلك الوجيه الغامض والغير مريح والمتملق لمن حوله يؤمن بالنبوءات، والذي يدير كل الأمور لمصلحته الشخصية ولصالح قبيلته. إنه يشكل خط بداية النهاية للمأمور محمود حينما تحالف مع الضابط

وصفى ضده وزاد من إحساس الهزيمة لدى محمود أنه يمثل الشر والطابور الخامس الذي يشيع الفوضى.**الإسكندر**: هو ابن آمون أحد ملوك الإغريق، وأشهر القادة العسكريين والفاتحين، شغفت كاثرين به وكان سبب قدومها إلى "واحة سيوة".

**مليكة:** هي بنت شقيق الشيخ يحيى، تمتاز بالحذاقة والذكاء والجمال، وتمتلك شخصية متمردة وعنيدة منذ صغرها. مليكة تلك الفتاة الحرة التى تنشد الأمان والكرامة كأنثى وهى تمثل الجيل الواعي من هؤلاء النسوة الخاضعات لقوانين القبيلة الصارم وجنونها الذى يمثل تمرد الإنسان على القيود والقهر والظلم.

**نعمة**: هي جارية في بيت محمود، قدمه والده هدية له، ولم تكن جارية فقط؛ فقد أحبها محمود لكنها لم تكن من نصيبه بسبب خوفه وضعفه.[81] والمفارقة أن محمود بزواجه من كاثرين، عاش غربته عن «نعيمة» وهي الجارية السمراء بلون بشرتها الناعمة الخمري الرائق كلون النيل أيام الفيضان[82]، والتي كانت تحكي له الحكايات عن الملوك والمشردين، ويمارس معها العشق بجنون، وعندما سألته: هل تحبني؟ أجاب بنبرة الضابط المتعجرف: لو قلت كلاماً عن الحب سأرميك في الشارع. ولكنها رحلت بدون أي أذن أو علم. إلا أنها ظلت تزوره في أحلام النوم واليقظة، وكانت سبباً في تدمير زواجه، لأنها كانت تمثل الدفء والحميمية والرابط العاطفي الحقيقي

**الزمان والمكان**

رتبط مصر شأن كل بلدان الشرق الأوسط بهذا التقاطب المهم بين الصحراء والمدينة، واندماج أشكال الاقتصاد المحلي في دينامية عالمية من خلال ظاهرة التوسع الحضري تحديدا. وتعتبر مدينة القاهرة وفق هذا المنحى قطب الفاعلية والكثافة الديمغرافية. ويمثل ذلك نوعا من الوجود في المكان يسبغ طابعا ثانويا على أنماط الوجود والعيش الأخرى في المكان، من قبيل السكن في الواحة، على الرغم من الإرادة الحكومية الراغبة في إسباغ القيمة على الفضاء الصحراوي وواحاته. ويعبّر بعض الروائيين بوضوح عن أهمية فضاء المدينة في المعيش المصري والقلق المترتب على الخروج من المدينة. تعتبر الصحراء فضاء غير قابل للسكن، وحيث يكون مصري المدينة منذورا داخله لموت محقق، إن لم يكن ثمة وجود لنقاط اتصال وطريق واصل ذي طابع تجاري. بيد أن بعض الروايات التاريخية وذات الحمولة المجازية، التي ترجمت مؤخرا تجلي بشكل بدهي مظهرا آخر للواحات، وأقصد هنا أهميتها الوجودية وغير الوظيفية، بما يستدعيه ذلك من إحالتها إلى شكلٍ آخر للحضور في الفضاء يتسم بهامشيته وثانويته وهشاشته. وتشكل

[81] سمر سدر خير جليس نُشر في 28 يوليو 2021 ، آخر تحديث 20 نوفمبر 2022

[82] مروان عبد الرزاق ،رواية «واحة الغروب» أظافر طويلة تنحت في جسد «اللامعقول» والتاريخ السوداوي,القدس العربي

9 - فبراير - 2020

هذه الصحراء القابلة للإقامة بديلا للسكن الحضري، وربما نوعا من اليوتوبيا أو الجحيم السياسي، وحيث يتمظهر تارة الحنين وتارة أخرى يأس وإحباط الكتاب الذين يشكلون الوعي السياسي لشعوبهم. وفي مواجهة الرعب والعنف السياسيين اللذين يمتدان لمئات السنين، فإن الكتّاب باعتبارهم ضحايا مباشرين يجيبون باللجوء إلى الكتابة الروائية وتوظيف فضاء الصحراء، وتخصيصا واحة سيوة الأكثر نأيا عن مركز الثقل في البلاد، باعتبارها بديلا طوباويا، أو تمثيلا مجازيا للاضطراب السياسي والاجتماعي في مصر.

أسهم بهاء طاهر بشكل بارع في الأدب بقصص وروايات تحمل بين طياتها العمق والإلهام. رغم التحديات والابتعاد الجغرافي، نجح في نقل جوهر التجربة المصرية بدقة، وابتكار شخصياته بطريقة تفاعلية مع المكان، سواء بالعودة إلى الماضي أو تأمل الواقع بأسلوب محاولة إعادة تشكيله بوساطة الكتابة.

رواية "واحة الغروب" تمثل لوحة تفصيلية للحياة في واحة سيوة في القرن التاسع عشر، حيث يتجلى ملمح الإنسان وتأثير المكان بشكل بارز. يتناول الضابط الإنجليزي وزوجته رحلة غوص في أعماق النفس البشرية والواقع البعيد عن محيطهم الأصلي. يبرز الصراع في الواحة كفضاء مكاني وصراع بين أطراف مختلفة، حيث يتحكم كل طرف في تصرفاته بميوله وتوجهاته التاريخية والفكرية والسياسية

يبدو أن استخدام الفترة الزمنية التي تعود إلى القرن التاسع عشر في رواية "واحة الغروب" يعكس توجه الكاتب بهاء طاهر نحو التأمل في التاريخ والتفكير في المصائر والتحولات الاجتماعية والسياسية في مصر. على الرغم من صدور الرواية في عام 2007، إلا أن اختيار الفترة التاريخية السابقة لا يعني بالضرورة أنه يرتبط بالتطورات الراهنة. بدلاً من ذلك، يمكن أن يكون قد تم اختيار هذه الفترة لإلقاء الضوء على القضايا البشرية الأبدية والتحليل العميق للعلاقات الاجتماعية والفردية.إضافة إلى ذلك، يمكن أن يكون اختيار الفترة التاريخية مقارنة بين الأحداث التاريخية السابقة والتحولات الحديثة. خاصة بفرد ما في زمان و مكان بعينه.و هو أمر عسير و شائك للصراحة.في نهاية الرواية و في واحة "سيوة" المنعزلة يسقط قناع "كاثرين" و نبدأ كقراء نكتشف بأنها هي الآخرى ساحة لصراع نفسي وحشي بين الأنانية و السعي الأعمى وراء المجد الشخصي و بين رغبة حقّة في مساعدة نساء و أهالي الواحة. و نبدأ بالتساؤل هل جاءت الواحة رغبة في مساعدة أهلها أم أن هدفها كان فقط مقبرة الإسكندر؟ و هو سؤال رمزي يمكننا اسقاطه على التاريخ العربي عموما متسائلين عن الغايات المعلنة و المخفية لعلاقة الغرب بالشرق

تعتبر واحة سيوه من الأماكن ذات الطابع التاريخي والثقافي العميق، ويظهر هذا التاريخ في رواية طاهر من خلال سرده للأحداث والتفاصيل التي تشكل تراث الواحة. يمتزج الكاتب بين الوقائع التاريخية والخيال الأدبي ليخلق صورة شاملة وعميقة للواحة وسكانها. ، يتناول الكاتب موضوع الحدود العشائرية التي تقسم المجتمع إلى عشيرتين

كبيرتين، وهما الشرقيين والغربيين، مما يعكس التعقيدات والتشدد في التفاعلات الاجتماعية. يظهر كيف أن هذه الحدود تؤثر على العلاقات الشخصية وتؤدي إلى التوترات والتناقضات داخل المجتمع[83].

تنعكس الحدود الطبقية في انقسام المجتمع إلى فئات اقتصادية واجتماعية متفاوتة، حيث يحتكر الطبقة الأعلى مقدار الأرض والسلطة، بينما يتعاون الطبقة الدنيا في العمل الزراعي ويتم حظر دخولها للمدينة بعد غروب الشمس. يُظهر هذا التقسيم الفارق الكبير في الحقوق والفرص بين الفئات المختلفة، مما يشجع على توترات مستمرة وصراعات.

اختار الكاتب أن يفصل بين الأزمنة التاريخية المختلفة والمرجعيات الثقافية عن طريق الفصل بين الأصوات الساردة وأن يستحضر تاريخ الإسكندر ومعابد وآثار الواحة من خلال كاثرين الشغوفة بالتاريخ وبالآثار والتي تعلمت ذلك من أبيها الموهوبة في اللغات التي علمت نفسها اللغة الهيروغليفية القديمة والتي تذهب مع زوجها إلى واحة سيوة لتبحث عن آثار الإسكندر الأكبر ولتثبت وجود مقبرة الإسكندر المفقودة التي لم يعثر عليها ولا على إشارة لمكان وجودها حتى الآن في واحة سيوة تقول: " حلمت أن أرى الواحة التي خطا فوق رمالها الإسكندر الكبير وعاش فيها قصته المثيرة التي لازمته حتى الموت " (1).[84]

المكان

اختار الكاتب مكانا يمتاز بالاختلاف والغموض ؛ ليبني حوله النص الروائي وهو واحة سيوة لأن الفضاء المكاني يمثل: "مبدا فاعلا في بناء النص، ويؤسس لشبكة تنطلق منها الأحداث، وتبرز نتائج الحكاية، من أجل بلورة المتخيل[85] (٣). فاستطاع أن يعرفنا على الواحة وأن ينقلنا إليها مع أبطال روايته.

يقول بهاء طاهر أنه استند في الحقائق التي تخص تاريخ الواحة إلى كتاب د. أحمد فخري واحة سيوة بدأ ذكر الواحة على لسان محمود عندما ذكر أن الرحلة إلى الواحة تستغرق أسبوعين ومع دليل ماهر، والجيش الفارسي الجرار الذي اختفي في الرمال وهو في طريقه إلى أن يغزو الواحة، وقلة الماء

وقد نجح بهاء طاهر ببراعته الأدبية في مزج الأحداث الواقعية التاريخية التي استقاها من المراجع التي ذكرها في توظيف ذكر تلك الأحداث في أحداث الرواية وخواطر محمود عبد الظاهر وموقفه من نفسه ومن العالم فيظهر التاريخ في

[83] ليلى أمل واحة الغروب الصلح المستحيل مع الماضي في واحة سيوه، القافلة

[84] واحة الغروب ص 24

[85] شعيب حليفي، الرحلة : في الأدب العربي (التجنس ، آليات الكتابة ، خطاب المتخيل سلسلة كتابات نقدية ، العدد ١٢١ ، الطبعة الأولى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٢ م ، ص318

الأحداث مع ذكريات محمود مع صديقه طلعت والثورة العرابية ويظهر أول مرة في قوله: "ألم تنفذوا الأوامر لكي يسقط عرابي الذي يعصي أفندينا الخديو

القسرية عبر صحراء قاحلة قطع فيها أميالا في مهمة عسكرية بغرض جمع الضرائب للحكومة من بدو سيوه اللذين لايعترفون بالإنتماء ولا الولاء للعاصمة والخديوى آنذاك، أنهم يعيشون فى مجتمع منغلق لا يقبل الغرباء. تتقافز ذكريات محمود العميقة نحو عساكر الأنجليز التى كانت تدك الطابية، و شواطئ الإسكندرية والخيانة للثورة العرابية والهزيمة.

يبدو تتحدث عن واحة سيوة في مصر، وهي واحدة من الواحات الصحراوية المهمة في المنطقة. كانت واحة سيوة محجوزة للسكان المحليين وكان الدخول إليها ممنوعا على الغرباء حتى عام 1967. في مستهل الثمانينيات، تعود تاريخ واحة سيوة إلى القرن الخامس قبل الميلاد، حيث كتب علماء الجغرافيا عن مكانتها الرفيعة ونظامها الزراعي المتعدد. كان اسمها القديم "سيخيت أميت"، معناه "أرض النخيل المثمرة". وتعتبر معبد آمون في واحة سيوة موقعًا تاريخيًا هامًا، حيث كرس لعبادة الإله آمون، وهو إله مهم في الأساطير المصرية القديمة. واستمر هذا المعبد في الجذب للزوار منذ العصور القديمة. يعتبر الإسكندر الأكبر من بين الزوار الشهيرين لهذا المعبد، حيث زاره بعد وفاة صديقه هيبيستيون. في العصور اللاحقة، تعرضت واحة سيوة لتغييرات في السيطرة، حيث قام الفاتحون العرب والأمازيغ بزيارتها والاعتناء بها. لكن في القرن الثامن الميلادي، تعرضت لهجوم ونبذ، وتم إقامة قلعة شالي في الموقع الحالي لمدينة سيوة للدفاع عنها من هجمات القبائل المجاورة.

## الصراع التاريخي:

تنوعت الرواية التاريخية بين الرواية التي تعرض التاريخ عرضا إخباريا تعليميا أو ترفيهيا، وبين الرواية التاريخية التي تتناول قضايا الحياة والمجتمع في فترات تاريخية تتقارب أو تتباعد من زمن كتابة الرواية، فحاولت الرواية التاريخية مثل رواية واحة الغروب التي بين أيدينا نقل الصراع الإنساني من منطلق سردي تاريخي يكون جزءا من الواقع في إبداع تخييلي وفني في آن واحد فالهيمنة الفنية على التاريخ تعني قدرة المبدع على تعميم خصوصية الحاضر المباشر، بإيلاء الأهمية الملموسة التاريخية للزمان والمكان، والظروف الاجتماعية والنظرة إلى الإنسان بوصفه نتاج نفسه ونتاج نشاطه في التاريخ[86] مما يؤدي بالضرورة إلى اعتبار فكرة التقدم الإنساني قانونا تاريخيا وفلسفيا محسوسا" ، هذا التقدم الذي يرتبط بموقع الذات في المجتمع والتاريخ وإمكانية تجدد التاريخ وإعادته لنفسه مرات ومرات.

لكن الروائي ليس مؤرخا ولا يقوم بدور المؤرخ فوظيفته إبداعية والتاريخ مجرد مادة عنده يستعملها في التخييل الذي هو مناط الأهمية بالدرجة الأولى عند الروائي ف الخيال عند الروائي مقدس والحقيقة مجال للانتهاك"

[86] تزفيتان تودوروف، باختين المبدأ الحواري، تر : فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦ ، ص ٢١٥ .

[87]، ومنها ينتهك الروائي الأحداث التاريخية محاولا تصحيح مسار كتابة التاريخ وتدوينه الذي قد يتأثر بعدة عوامل أهمها موازين القوى فالتاريخ يسجله ويكتبه من هو في موقع القوة وهو علم سلطوي وعن السلطة، يدور حول مقولتين سلطويتين هما الانتصار والهزيمة، وينتج ويعاد إنتاجه في مؤسسات سلطوية"[88]. ولذلك يرى الروائي أن مهمته في نقل التاريخ عن نصرة المظلومين، وأن يكون صوتا لمن لا صوت له وأن ينقل معاناة الضعفاء الذين لم يلتفت لهم التاريخ في بعض الأوقات لأن السلطة ليست في أيديهم لذا يختار الروائي تاريخ المهمشين وهو بذلك يصحح دور المؤرخ " يقوم الروائي العربي بتصحيح ما جاء به المؤرخ وبذكر ما امتنع عن قوله، مؤكدًا الكتابة الروائية علم التاريخ الوحيد) أو كتابة موضوعية تسائل ما جرى، دون حذف أو إضافة. وهذه الكتابة الموضوعية، في فضاء كتابي مشغول بالتوهم والاختراع، تبرر الاحتفال بالإبداع الروائي، الذي تطور في شرط مقيد يهمش الموضوعية والإبداع معا " [89]

كما أن الروائي يلتفت لجوانب الصراع الروحي ولا يهتم بالحدث في حيثيته ولكن بالتأثير الناتج عنه، فهو لا يهتم بالحروب ومن غلب وانتصر فيها بقدر اهتمامه بمن قتل ومن أسر ومن تشرد وما سرق وما احترق وما هدم وما ضاع جراء تلك الحروب هو يهتم بالجانب الروحي للتاريخ أو لنقل بروح التاريخ وليس بجسده ، يهتم بما تحدثه حوادث التاريخ في نفس الإنسان في المعرفة الإنسانية التي لا تنبثق عن النشاط العقلي بل عن الحياة الروحية هي التي يهتم بها الروائي[90]، وهو يتوسل بسجل التاريخ لينقل الواقع في السرد.

إذن وظيفة الرواية التاريخية مغايرة لوظيفة كتب التاريخ فالرواية لا تنقل التاريخ بحرفيته بقدر ما تصور رؤية الفنان له ، وتوظيفه لهذه الرؤية للتعبير عن تجربة من تجاربه أو موقف من مجتمعه يتخذ من التاريخ ذريعة له[91]، إن الروائي لا ينقل التاريخ بل ينقل رؤيته ومواقفه في صورة التاريخ والحدث والواقع. مرجعية الواقع في رواية واحة الغروب ترتكز رواية واحة الغروب على فكرة التنوع الثقافي، وتوظيف التاريخ في فترات زمنية متباعدة، من خلال شخوص الرواية الذين يختلفون في كل شيء،

بالطبع، يمكنني كتابة قطعة صغيرة من رواية. ، بعض المعلومات حول السياق أو الفكرة التي تود أن تكون تاريخ الأوربية، مثل الشخصيات أو المكان أو الحدث الذي ترغب في أن يدور حوله النص.

---

[87] طارق علي ، تأملات في الرواية والتاريخ ، دار الكتب القطرية ، ( د.ط ) ٢٠٠٥م ، ص ٣٠

[88] فيصل دراج الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، ص ٨٣ دراج، في صل: الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط 1،2004

[89]فيصل دراج الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ، ط ١٢٠٠٤ ، ص ٦

[90]روبرت همفري : تيار الوعي، ص ٢٤١٦ همفري روبرت تيار الوعي ت: محمود الربيعي، دارالمعارف ، القاهرة، ١٩٧٥

[91]عبد الحميد عبد العظيم القط ، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص ٣٣

يتأثر قلب راوي ويحمل في داخله حمولة ثقيلة من تاريخ بلاده. تعاقبت الحضارات وتداخلت الثقافات، وهو الان يعيش وسط ركام تلك الحقب الملعونة. وهو يقول "أقرأ منشوراته المعنونة "مصر للمصريين" فيجر فنى الحماس وأسعى للانضمام للحزب، غير أنني لا أعرف طريقة للوصول إليه . تعطلنى أيضا أول خيانة غيرت حياتي عندما أفلست تجارة أبى"[92] تسكب أحداث الماضي مثل الماء الأسود في روحه، تصاغ كلمات الفراعنة وتتغنى بأمجاد الفتوحات والزمان البعيد. يتخلل الإسكندرية، بمينائها القديم وشواطئها الضبابية، تاريخًا غنيا بالحكايات البحرية والتأثيرات الثقافية.

يسترجع ذكريات الحرب التي شهدتها مصر منذ الانتفاضة الشعبية وصولًا إلى الاستعمار الأجنبي. يشير إلى تلك الفترة المظلمة بكلماته الهادئة، وجهه يعبر عن مزيج من الألم والغضب. "معك حق . نرى سفن الإنجليز تضرب الطابية كما لو كانت في نزهة استعراضية تتجمع ثلاث سفن كبيرة فى نظام هندسى توجه مدافعها نحو الطابية ثم تنسفها بكل دقة، وترد الطابية، يرد من بقى حيا فيها، يضربون مدافعهم العتيقة فتسقط قذائفهم بعيدا جدا عن السفن حتى القنابل التي تصل إلى الأسطول تصدها ستائر من فولاذ تحيط بالسفن فتنفجر مكان القذيفة نافورة بيضاء عملاقة في البحر دون أن يصيب أى سفينة أذى ، لكن الانتقام يأتى على الفور. تقترب البوارج المطمئنة من المنافذ التي تطل منها المدافع وتضربها بنيران الرشاشات . تحصد جنود المدفعية الذين لا تحميهم ستائر من فولاذ ولا من حجر، ولا يتوقف الضرب إلا بعد نسف الطابية وجنودها فنجرى نحوها. تتلهف على سماع صوت خيول عربات الإسعاف وأجراسها[93]" ترتسم صورة مواجهة الإنجليز قهرا من العداوة، حيث تجسدت شجاعة الشعب المصري في واجهة الاحتلال، واستعادة كرامته واستقلاله كانت مصر دائما تتجاوز التحديات،أن سكان في حي العربية جزءا لا يتجزأ من هذا التاريخ العظيم تبدأ الرواية في لحظة احتلال، حيث يتأثر الشخصيات الرئيسية بأحداث الاستعمار وتداولات السلطة والثقافة. يتم رصد آثار الاستعمار على الهوية الوطنية، حيث يظهر الكتاب تضحيات الشعب وتصديه لمحاولات الإخضاع. وترتسم صورة واضحة للصراع الثقافي والاقتصادي والسياسي الذي شهدته مصر خلال فترات الاستعمار. تتجلى حياة الشخصيات في ظل هذا السياق التاريخي المعقد، حيث يتقاطع ما بين الأمل واليأس، وبين القوة الصامدة والضعف المؤقت.تستند الرواية إلى تفاصيل دقيقة وأحداث ملتوية، تعكس تفاصيل الحياة اليومية وأثرها على الفرد والمجتمع. يرصد الكاتب التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية بأسلوب روائي يتيح للقارئ استكشاف رحلة مصر خلال تلك الفترة الملحمية.

[92] المصدر نفسه ، ن .ص 17

[93] بهاء طاهر، "واحة الغروب "، دار الشروق،ط 1 القاهرة،مصر 2007م، ص 50

وفي النهاية، تظهر الرواية كتحفة أدبية تروي تجربة استعمارية، تحمل بين طياتها لحظات المقاومة والتضحية، وتبرز قوة الروح الوطنية التي تعاونت جميع الفئات الاجتماعية لتحقيق الحلم الوطني لاستعادة الحرية والكرامة. فى بعض الفترات منعوا الأيرلنديين حتى من ممارسة العبادة وكلما ثاروا على الظلم قمعوا ثوراتهم بوحشة، ثم شتتوهم في الأرض حتى أصبح المهاجرون منهم أكثر من بقى في البلد . وذات مرة ساقوا منهم ستين ألفا من الرجال والنساء والأطفال وباعوهم عبيداً في جزر الهند الغربية . قلت لنفسى على الأقل لم يبعنا الإنجليز عبيداً خارج م مصر . اكتفوا باستعبادنا في أرضنا.[94] إن تحقيق التفاهم والتعايش السلمي بين الشعوب والثقافات المختلفة يعتبر هدفا طموحا. من الطبيعي أن يكون هناك تباين في العادات والتقاليد واللغات بين مجتمعات مختلفة، ولكن يمكن تجاوز هذه الاختلافات من خلال التواصل الفعال والاحترام المتبادل. حلمت أن أملأ الأرض بنسل جديد من سلالة الأوروبيين والآسيويات فلا تكون بينهم بعد ذلك ضغينة ولا حروب . أراد الإسكندر أن يحقق ما عجز عنه غيره من الآلهة . أن يخلق عالما لا يكون فيه أشقر وأسمر ولا فرق فيه بين من يعبد زيوس أو نار الفرس أو آلهة الهند[95]

ذا كنت تشير إلى فترة الاحتلال الإنجليزي لمصر في القرن التاسع عشر، فإن هذه الفترة كانت حقا مصدرا للتحديات والصراعات. خلال هذه الفترة، حاولت الحكومة الإنجليزية توسيع نفوذها والتحكم في مصر بشكل أكبر، وكانت هناك تداخلات بارزة في مختلف جوانب الحياة المصرية مثل الاقتصاد، والسياسية، والثقافية, والاجتماعية، و غيرها من الأمور جوانب الحياة السكان مصر كما ورد في روايته " لم يكونوا الأغلبية نعم، لكنهم آلاف مع ذلك . احتملوا السجن والطرد من العمل والنفي . كان يمكن أن أفعل مثلهم. أن أجد عملاً آخر، أو حتى أن أسافر إلى الشام وألتحق بأخى سليمان . لم يكن سيرفض مساعدتي، وربما أشركني معه فى التجارة . أنا الذي اخترت بإرادتي أن أخون وأن أتخلى، مثلما تخليت عن إبراهيم وتركته للقتل[96]

تاريخ الإسكندرية الكبيرة يحمل في طياته صراعات حضارية عديدة نابعة من مكانتها الاستراتيجية وتأثيرها الثقافي. كمدينة ساحلية، تاريخ الإسكندرية امتزج بين أمواج البحر وتداخل الحضارات. فيما يلي نظرة على بعض جوانب هذا الصراع الحضاري

كنت أتابع نظرة كاثرين المستمتعة وعينى وصفى اللتين لا تكفان عن الحركة في لهفة طفولية للاستماع إلى ما تحكيه فيونا : على العشاء أرسل الملك ابنته لتملأ الدلو من نبعه الثمين وصحبها أميرها الجميل عبر فناء القصر إلى النبع ، لكنها عندما مالت لتملأ الدلو الذهبي وجدته ثقيلاً جداً فزلت قدمها وسقطت في الماء. حاول الأمير أن ينقذها

[94] بهاء طاهر، "واحة الغروب "، دار الشروق،ط 1 القاهرة،مصر 2007م، ص 99

[95] بهاء طاهر، "واحة الغروب "، دار الشروق،ط 1 القاهرة،مصر 2007م، ص 124

[96] بهاء طاهر، "واحة الغروب "، دار الشروق،ط 1 القاهرة،مصر 2007م، ص 156

لكن بلا فائدة . أخذت مياه النبع تفيض وتتدفق مجتازة الباب المفتوح لتغمر الفناء كله . وأسرع الأمير يطلب النجدة من القصر غير أن المياه التي ظلت حبيسة الأسوار انطلقت فرحة بحريتها وظلت تفيض في الفناء وترتفع بسرعة حتى أنه عندما وصل الأمير إلى القاعة كان الماء يصل إلى رقبته . وأخيراً انتشرت المياه حتى غمرت كل الوادي الأخضر الذي يتوسطه قصر الملك وهكذا تكونت بحيرة كورك. [97]

**الخاتمة :**أن رواية "واحة الغروب"تقدم صورة متعددة الأبعاد للصراع التاريخي بين الشرق والغرب، حيث يتداخل البعد الاستعماري والسياسي والثقافي والديني والنفسي. وقد جسّد بهاء طاهر هذا الصراع من خلال شخصيات الرواية، ولا سيما محمود وكاثرين، ومن خلال فضاء واحة سيوة بما تحمله من تاريخ وصراعات داخلية.

كما أظهرت الدراسة أن التاريخ في الرواية لا يُستحضر بوصفه أحداثًا ماضية فحسب، بل بوصفه قوة مؤثرة في تشكيل الهوية والوعي والعلاقات الإنسانية. وتكشف الرواية أن الصراع بين الشرق والغرب ليس مواجهة بسيطة، وإنما علاقة معقدة تتداخل فيها الهيمنة والمقاومة، والاختلاف الثقافي، والتواصل الإنساني، والصراع الداخلي. وبذلك تتحول واحة الغروبإلى قراءة أدبية لآثار التاريخ والاستعمار في الإنسان والمجتمع والهوية

## المصادر و المراجع

١.طاهر، بهاء. واحة الغروب. القاهرة: دار الشروق، 2007

٢السالم، جمانة مفيد. تجليات التناص في رواية «واحة الغروب» لبهاء طاهر. مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد 22، العدد 1، 2014.

٣خوالدي، أمال، وزمالي، نسيمة. الصراع الحضاري والاختلافات الثقافية في الرواية العربية: رواية واحة الغروب لبهاء طاهر أنموذجًا. مجلة النص، المجلد 7، العدد 1، 2021، ص 212–231

٤فراج، ممدوح. جماليات الشكل التاريخي في رواية واحة الغروب لبهاء طاهر. مجلة كلية العلوم الإسلامية بجامعة بارتن،

٥ابن منظور، لسان العرب، مادة «صرع»، دار صادر، بيروت.

٦الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة «صرع»، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧أحمد فخري، واحة سيوة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٨رينيه جروسيه، موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط، ترجمة عربية.

٩عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة: تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي.

١٠سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

١١حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

١٢محمد بوعزة، تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون.

[97] بهاء طاهر، "واحة الغروب "، دار الشروق،ط 1 القاهرة،مصر 2007م، ص 126

# الملامح الفنية في أشعار أديب كمال الدين



الدكتور محي الدين كوتي مدتل

استاذ مساعد بكلية دار العلوم العربية

بوازكاد ملابرم كيرلا الهند

**Abstract:** **This study examines the prominent artistic features of the poetry of Adib Kamil al-Din, a contemporary Iraqi poet whose poetic experience is distinguished by a unique creative vision in which letters, symbols, Sufi allusions, and imaginative images interact to produce multiple layers of meaning and suggestion. It focuses on the poet's distinctive use of Arabic letters and the dot as central elements of his poetic and symbolic universe. It also explores the use of symbolism, poetic imagery, metaphor, intertextuality, and Sufi references in his poetry, highlighting his ability to transform historical, religious, and human experiences into profound artistic expressions. Furthermore, the study investigates the aesthetic and intellectual characteristics that shape his poetic identity, examining the relationship between form and content and the role of poetic language in expressing alienation, loss, suffering, and the yearning for salvation. The study concludes that Hurufism in Adib Kamil al-Din's poetry is not merely a formal or stylistic tendency; rather, it represents a poetic and philosophical vision that employs letters and dots as means of exploring human existence and transforming suffering into an aesthetic experience with spiritual and human significance.**

**Keywords:** **Adib Kamil al-Din, contemporary Arabic poetry, Hurufism, symbolism, poetic imagery, Sufism, intertextuality.**

**الملخص:**

تتناول هذه الدراسة أبرز الملامح الفنية في أشعار الشاعر العراقي المعاصر أديب كمال الدين، الذي تتميز تجربته الشعرية برؤية إبداعية خاصة تتفاعل فيها الحروف والرموز والإشارات الصوفية والصور التخيلية، لتشكّل مستويات متعددة من الدلالة والإيحاء. وتركّز الدراسة على توظيف الحروف العربية والنقطة بوصفهما عنصرين محوريين في عالمه الشعري والرمزي، كما تبحث في تجليات الرمز والصورة الشعرية والاستعارة والتناص والإيحاءات الصوفية في نصوصه. وتسلّط الضوء كذلك على قدرته على تحويل التجارب التاريخية والدينية والإنسانية إلى تعبيرات شعرية ذات أبعاد فنية ودلالية عميقة. وتسعى الدراسة إلى الكشف عن الخصائص الجمالية والفكرية التي تمنح تجربته هويتها المتميزة، مع بيان العلاقة بين الشكل والمضمون، ودور اللغة الشعرية في التعبير عن الاغتراب والفقد والألم والتوق إلى الخلاص. وتخلص الدراسة إلى أن الحروفية في شعر أديب كمال

**الدين ليست مجرد نزعة شكلية، بل تمثّل رؤية شعرية وفلسفية تتخذ من الحرف والنقطة وسيلتين لاستكشاف الوجود الإنساني وتحويل المعاناة إلى تجربة جمالية ذات أفق روحي و إنساني.**

**الكلمات المفتاحية :أديب كمال الدين، الشعرالعربي المعاصر، الحروفية، الرمز، الصورة الشعرية، التصوف، التناص.**

**خلفية عن الشاعر:**

أديب كمال الدين شاعر عراقي معاصر، ولد في محافظة بابل بالعراق سنة 1953م، ونشأ وترعرع فيه. حصل على شهادة البكالوريوس في الإدارة والاقتصاد من جامعة بغداد سنة 1996م، ثم حصل على شهادة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من كلية اللغات بجامعة بغداد سنة 1998م، واستقر في أستراليا منذ عام 2005م.

عمل أديب كمال الدين في مجال الصحافة وأسهم في عدد من المجالات العربية والإنجليزي، كما حصل على دبلوم في الترجمة فورية. ولأديب كمال الدين تجربة خاصة في مجال الترجمة، فقد ترجم القصائد والقصص والمقالات لعدد من الكتاب من بلدان مختلفة مثل الولايات المتحدة والصين وكوريا واليابان وأستراليا وغيرها، مما يكشف عن اهتمامه بالأدب العالمي وانفتاحه على الثقافات والآداب المختلفة وإثراء تجربته الأدبية والشعرية. و قد أصدر عدداً من المجموعات الشعرية، وحظيت تجربته باهتمام النقاد والباحثين؛ فأنجزت حول أعماله مجموعة من الدراسات والبحوث النقدية، كما صدرت دراسات وكتب نقدية تناولت تجربته بالشرح والتحليل. وترجمت أشعاره إلى عدد من اللغات، منها الإيطالية والفرنسية والأردية ولا سيماالغة الفرنسية.

**خصائص الفنية في أشعاره:**

ا- **توظيف الحروف والرؤية «الحروفية»**

يتميز الشاعر بقدرته الباهرة على استخدام جمالية الحروف العربية وتوظيفها في شعره توظيفاً فنياً ودلالياً. فالحروف عنده ليست مجرد رموز لغوية، وإنما تحمل دلالات متعددة ومستويات رمزية متنوعة، وتتحول إلى عناصر أساسية في بناء الصورة الشعرية والتعبير عن تجربته الخاصة. وقد عرفت هذه الأشعار باسم «الحروفية»، ومن نماذجها قصائد تبدأ بحروف معينة مثل النون والجيم، إضافة إلى قصائد أخرى تناول فيها الشاعر شجرة الحروف وغيرها من الموضوعات المرتبطة بالحروف العربية.

وقد نظم الشاعر هذه القصائد بأسلوب فني خاص، مما جعله يختلف عن تجارب كثير من الشعراء الآخرين. فهو يمنح الحروف أبعاداً جديدة، ويجعل لكل حرف إيحاءً ورمزاً ودلالة. ومن أمثلة ذلك توظيفه الحروف والغراب، وكذلك اهتمامه بالحروف الأخيرة، وقوله في بعض المواضع «إن الحرف من ماء. ومن خلال هذا التوظيف الفني يتضح اهتمام الشاعر بـ«إعجاز الحروف العربية وجماليتها وقدرتها الإيحائية، إذ يرى أن الحرف العربي يستطيع أن يتجاوز وظيفته اللغوية المباشرة ليصبح رمزاً شعرياً وفنياً يحمل معاني متعددة. وقد أولى الشاعر عناية خاصة بالحروف والنقطة

والمقامات والإشارات، وجعل منها عناصر فنية ورمزية ذات دلالات متعددة في تجربته الشعرية. والى هذآ يدل ابياته من قصيدةته ا[98]**"حين طار الغراب":**

حينَ طارَ الغرابُ ولم يرجعْ

صرخَ النَّاسُ وسطَ سفينةِ نوحٍ مرعوبين.

وحدي -وقد كنتُ طفلاً صغيراً-

رأيتُ جناحَ الغراب، أعني رأيتُ سوادَ الجناح،

فرملتُ الغرابَ بحجر.

هل أصبتُه؟ لا أدري.

هل أصبتُ منه مَقْتَلاً؟ لا أدري.

حينَ عادتِ الحمامةُ بغصنِ الزيتون

صرخَ النّاسُ وسطَ السَّفينةِ فرحين.

لكنَّ الغرابَ سرعانَ ما عادَ ليصيحَ بي بصوتٍ أجَشّ:

أيّها الشقيُّ لِمَ رميتني بالحجر؟

اقتربَ الغرابُ منّي وضربني على عيني

فظهرتِ الحروفُ على جبيني عنيفةً، مليئةً بالغموضِ والأسرار.

ثُمَّ نقرَ جمجمتي فانبثقَ الدَّمُ عنيفاً كشلاَّل.

**ب- جماليةمعاني الرموز المحورية في القصيدة**

**الحرف:** يمثل الروح، والمعرفة العميقة، والهوية التي تميز الشاعر وتفرده؛ إنه الوسيلة والغاية للابقاء والتعبير وسط خراب العالم.

**الغراب:** رمز للموت، والشؤم، والحرب، والواقع القاسي الذي يلاحق المبدع ويصيبه بالنقر والجراح المتواصلة.

**الحمامة:** تمثل الأمل التقليدي والنجاة والتحول الظاهري للسلام، وهي رمز الأمل الضعيف أو الشفاء الصوفي المؤقت الذي يقدم الرماد لتسكين الجراح بدلاً من إنهائها.

**رمي الحجر:** يعكس فعل الرفض الفطري والطفولي للشؤم والخراب.

**الدم / الشلال:** رمز ضريبة المعرفة والقصيدة؛ فالشاعر لا يكتب بالحبر بل بنزيف روح وجسد

[98] أديب كمال الدين الحروف والغراب، منصورات العربية، بيروت، لبنان ط.1، 2013

لا يتوقف.

**ج- الإشارة إلى الأحداث التاريخية وتوظيف**

كما يستحضر رموزاً تراثية ودينية أخرى، مثل نوح في قصيدة «جاء نوح ومضى»، وكلكامش في قصيدة «دراهم كلكامش»، ليمنح تجربته الشعرية أبعاداً إنسانية وفلسفية عميقة، ويحول الأحداث والرموز التراثية إلى وسائل للتعبير عن قضايا الإنسان والحياة والموت.

**د- البعد الميثولوجي (قصة الطوفان)**

الشاعرنصَّه بالاستناد إلى موروث طوفان سفينة نوح؛ ففي الأسطورة التقليدية أُرسل الغراب ولم يعد، بينما عادت الحمامة بغصن الزيتون. وفي القصيدة، يتناول الشاعر موقفاً مغايراً: فالطفل/الشاعر هو الوحيد الذي رأى "سواد الجناح" ورمى الغراب بحجر، محاولاً المواجهة منذ طفولته

2 ) الاغتراب والحنين

**تظهر ملامح الاغتراب والحنين في قصيدته "اليتيمُ والدار"[99] والتي تعكس تجربة الفقد، والغربة والروحية والمكانية.**

**يقول:**

أَيَّتُها الدارُ الَّتي لَمْ تَعُدْ داراً،

بَلْ صارَتْ جُرْحاً مَفْتُوحاً في القَلْب،

كَيْفَ نَسِيْتِ الدِّفْءَ

وَكَيْفَ أَنْكَرْتِ الخُطُواتِ الَّتي كانَتْ تَمْلَأُكِ بالحَياة؟

هَا أَنَا أَقِفُ بَابَكِ

كَيَتِيْمٍ لا أُمَّ لَهُ وَلا أَب،

أَمْدُدُ يَدِي إلى العَتَبَةِ الصّامِتَةِ

فَلَا أَجِدُ غَيْرَ الغُبارِ وَالصَّدَى.

أَيْنَ الأَصْواتُ الَّتي كانَتْ تُضِيءُ العَتَمَة؟

أَيْنَ الضَّحِكاتُ الَّتي كانَتْ تُزْهِرُ في الحَديقَة؟

لَقَدْ رَحَلُوا جميعاً،

وَتَرَكُونِي مَعَكِ في عَرَاءِ الفَقْد،

أَنْتِ بِلَا ساكِنِيْن،

[99] أديب كمال الدين، الاعمال الشعرية الكاملة، المجلدات الشعرية، بيروت

وَأَنَا بِلَا سَكَن!

أَيَّتُهَا الدارُ،

يَا حَرْفِي المَكْسُورَ وَنُقْطَتِي المَفْقُودَة،

هَلْ نَبْكِي مَعاً

أَمْ نَنْتَظِرُ المَطَرَ كَي يَغْسِلَ

**1. التشكيل البصري والدلالي في القصيدة**

اليتيم: لا يعبر فقط عن فقدان الأبوين بالمعنى المادي، بل يمتدّ ليشمل "اليتيم الوجودي"؛ الإنساني المشرد، الغريب، والمحروم من الأمان والحنان. فـالدار: ترمز إلى الوطن، الملجأ، السكن، أو الطفولة المفقودة. الدار هنا ليست مجرد أحجار، بل هي كائن حي يحمل ذكريات وأرواح .

**الأفكار الرئيسية في القصيدة**

- الفقد والحزن الوجودي: يرسم الشاعر صورة مظلمة وشجية للحرمان. فالطفل/الإنسان اليتيم يقف أمام الدار محاطاً بالصمت والغياب، ويستحضر وجوه الراحلين الذين كانوا يمنحون المكان دفئاً.
- انسحاب الروح من المكان (انسحاق المكان): الدار في شعر أديب كمال الدين تتحول من مكان أليف إلى مسرح للفراغ. الأبواب، النوافذ، والحديقة لم تعد كما كانت، بل أصبحت شواهد على التحول والتآكل الذي أحدثه الزمان أو الحرب أو النفي.
- الحروفيّة والرمزية الصوفية: كعادة الشاعر، يتوسل بالنقطة والحرف ليصوغ مأساته. قد يرمز إلى اليتيم بالحرف "المكسور" أو "التائه"، وإلى الدار بـ"النقطة" التي تتجمع حولها المعاني، لكنها نقطة ضاعت في زحام الغياب.
- حوارية الشوق والغياب: تنساب القصيدة عبر مناجاة غير مرئية بين اليتيم والدار؛ حيث يشتكي كل منهما للآخر قسوة الأيام، وكأن كل طرف يحاول أن يستند إلى الآخر دون جدوى، فاليتيم بلا أمان، والدار بلا ساكنين تعتبر قصيدة الاعتذار رمز الوجداني والحنين لالشاعر تقوم على الحب والغرام والحزن والفراق وهو يكشف ألمه الداخلي خلال الابيات"الاعتذار"[100]

من المؤكد أني أحبب

لكن من المؤكد أيضاً أني أحببتُ الشعرَ أكثر!

ولذا فإن الشعرَ سينتصرُ في النهاية

[100] . أديب كمال الدين، أربعون قصيدة عن العرف، دار الازمنة والتوزيع، عمان، ط 1، 2009

ليس مهماً كيف سينتهي حبُّك

فلقد أحببتكِ، هل تسمعين؟

أحببتكِ حتى صار الحرف

الذي أكتبه يكاد يطيرُ من الفرح

أو يكاد يغرقُ في الدموع!

ليس مهماً كيف سينتهي كل شيء

فلقد أحببتكِ حتى تعبَ الحرفُ من طيرانه

وتعبت النقطةُ من بكائها

ويكفُ الاعتذارُ نفسه عن الاعتذار!»

يتحدث الشاعر أديب كمال الدين في هذه القصيدة عن تجربة الحب وعلاقتها بالشعر والكتابة. ويؤكد في البداية أنه أحب محبوبته حبّاً صادقاً، لكنه في الوقت نفسه أحبّ الشعر أكثر، ولذلك يرى أن الشعر هو الذي سينتصر في النهاية، لأن الحب قد ينتهي، أما الشعر فيخلّد التجربة والمشاعر. «**من المؤكد أني أحببتك لكن من المؤكد أيضاً أني أحببت الشعر أكثر!**»

يؤكد الشاعر صدق حبه للمحبوبة، لكنه يعلن أن علاقته بالشعر أقوى وأعمق؛ فالشعر بالنسبة إليه ليس مجرد وسيلة للتعبير، بل هو جزء أساسي من وجوده وحياته.

«**ولذا فإن الشعر سينتصر في النهاية.**»

أي أن الحب مهما كانت نهايته، سيبقى أثره محفوظاً في الشعر؛ فالشعر يستطيع أن يحوّل التجربة العاطفية إلى عمل فني خالد.

ثم يقول:

**ليس مهماً كيف سينتهي حبك فلقد أحببتك، هل تسمعين؟**

لا يهتم الشاعر كثيراً بنهاية الحب؛ لأن المهم عنده أنه عاش تجربة الحب وأحب محبوبته بصدق. وفي قوله «هل تسمعين؟» نلاحظ مخاطبة مباشرة للمحبوبة، مما يزيد من حرارة العاطفة وقوة الانفعال.

**ولادة الحرف من الرحم التراجيدي:** الغراب لا يختفي بل يعود لينتقم من الطفل ويضربه على رأسه وينقر جمجمته. وهنا تكمن «ولادة الشاعر والمأساة (المسخ الصوفي)»؛ فضربة العين ونقر الجمجمة ليست مجرد اعتداء جسدي، بل هي عملية "تعميد بالدم والشعر".

**ظهور الحروف والنزيف:** يرمز ظهور الحروف على الجبين إلى القدر المكتوب؛ فالشاعر لم يختر أن يكون شاعراً حروفياً بل فُرضت عليه المأساة والخراب ذلك، والحروف هنا شفرات من السر والغموض والألم. أما انبثاق الدم كالشلال، فيشير إلى الاستنزاف الروحي الخلاّق، حيث يتحول الألم الطط المرفقة المؤخرة، ومختوماً بخاتمة شاملة ودقيقة :

**مَوْقِفُ كَرْبَلاء**[101]

رأيتُ الحُسينَ يسيرُ إلى موتهِ
كأنّهُ يسيرُ إلى عِرْسِهِ.
ورأيتُ السهامَ تأكلُ لحمهُ
والرماحَ تشربُ دَمَهُ،
وكانَ يبتسمُ للنقطةِ التي في الشام
وللنقطةِ التي في المدينة
وللنقطةِ التي في السَّماء.
ورأيتُ السيفَ يبكي
والرُمحَ يتضرَّعُ
والأرضَ ترتجفُ تحتَ وطأةِ الحافر.
وكانَ الحُسينُ
يجمعُ الحروفَ التي تساقطتْ من السَّماء،
يطبعُها على جراحهِ
لتصيرَ نوراً.
آهِ يا حُسين
كيفَ أخذتَ العَطَشَ كلَّه
وتركتَ لنا الفُرات؟
كيفَ أخذتَ الموتَ كلَّه
وتركتَ لناالحياة

- **(الفرح بالشر: يسيرُ إلى موتهِ كأنّهُ يسيرُ إلى عِرْسِهِ»**: يشبه الشاعر الإمام الحسين وهو يلقى حتفه بالعريس الذهاب إلى عرسه؛ فهذا المعنى الصوفي (العشق الإلهي) يجرد الموت الفيزيائي من رهبته، ليكون الموت هنا

[101] أديب كمال الدين، الاعمال الشريعة الكاملة، المجلدات الشعرية، بيروت 2009

بوابة الوصول للخلود والالتحاق بالمحبوب الإلهي ، **وكان يبتسمُ للنقطة...»**: ترمز "النقطة" في تجربة أديب كمال الدين إلى مركز الكون وأصل الوجود (أصل الحرف). ابتسامة الحسين للأنشاط/النقاط المختلفة (الشام، المدينة، السماء) تعكس إحاطته بمسار التاريخ والجغرافيا والأبعاد الروحية، وبأنه يرى عواقب الحركة وغايتها النهائية الشاملة يستحضر واقعة كربلا و يزظف رموز الحسين والرماح والرأس للتعبير عن الألم والتضحية

**الخاتمة:** تأسست تجربة الشاعر أديب كمال الدين على رؤية شعرية استثنائية اتخذت من «الحرف والنقطة» مرتكزاً إبستمولوجياً وفلسفياً لبناء عالم إبداعي فريد ومستقل في مدونة الشعر العربي المعاصر. وقد أثبتت التحليلات النقدية للنصوص المختارة («الاعتذار»، «موقف كربلاء»، و«الحرف والغراب») أن الشعر لديه ليس صياغة لغوية شكليّة أو ترفاً جمالياً، بل هو قدر وجودي وجرح معرفي مفتوح يُستلهم من النزيف الإنساني والروحي.

لقد نجح الشاعر في الانطلاق من التراث الصوفي والتاريخي والميثولوجي (كواقعة كربلاء وقصة الطوفان) لتفكيك الواقع المعاصر وتصوير اغتراب الإنسان ومآسيه بأسلوب يجمع بين التكثيف الرمزية والمفارقة الشفافة. فبينما تحول الجراح في كربلاء إلى «نور» يطبع فوق الحروف، وتتحول الجمجمة المنقورة بالغراب إلى شلال يتدفق بالحروف والغموض، يظل أديب كمال الدين ممتلكاً لخصوصيته كـ«**شاعر الحرف والنقطة**» الذي يستشف من خلال الكلمة أبعاد النجاة، محولاً الموت والعطش والألم إلى أبدية وإشراق شعري خالد ينير عتمة الوجود الإنساني.

## المصادروالمراجع:

.1أديب كمال الدين الحروف والغراب، منصورات العربية، بيروت، لبنان ط.1، 2013

.2أديب كمال الدين، أربعون قصيدة عن العرف، دار الازمنة والتوزيع، عمان، ط 1، 2009

.3أديب كمال الدين، الاعمال الشريعة الكاملة، المجلدات الشعرية، بيروت 2009

4. علي هاشم اللويرجاوي، مملكة الحرف :أربعون ناقدا يكتبوة عن تحجربة أديب كمال الدين الشعرية، منشورات دار الصادق الثقافية، العراق، 2025

5. عبد العزيز العمادي ، رمزية الحروف والنقاط وابحاءاتها غب سعر كمال الدين، مجلة كلية الاساسية للعلزم التربوية زالأنسانية، جامعة بابل، العدد 34، 2017

# القضايا النسوية في روايات رضوى عاشور وقرة العين حيدر

(دراسة مقارنة)



**توصيف حميد بت**
باحث بالجامعة الملية الإسلامية،
نيودلهي، الهند – 110025.
batttovseef@gmail.com
رقم الجوال: 849198688

---

**Abstract:** **This study presents a comparative critical analysis of feminist issues in the novels of Radwa Ashour and Qurratulain Hyder, examining women's representation in relation to patriarchy, colonialism, political oppression, identity, memory, exile, and social class. Through selected works, including Granada Trilogy and The Tantouria by Radwa Ashour, and Aag Ka Darya and Aakhir Shab Ke Humsafar by Qurratulain Hyder, the study explores how both writers portray women not merely as victims of social and political injustice but also as agents of resistance, historical memory, and social change. Employing a comparative critical approach informed by feminist and postcolonial perspectives, the research highlights the similarities and differences between the writers' representations of women within their distinct Arab and Indian socio-historical contexts. The study concludes that both novelists challenge patriarchal structures and foreground women's resilience, agency, and struggle for identity, while reflecting the complex relationship between gender, history, culture, and power.**

**Keywords:** **Feminist Literature, Radwa Ashour, Qurratulain Hyder, Patriarchy, Women's Representation, Postcolonialism, Identity, Resistance.**

**ملخص البحث:** يتناول هذا البحث دراسة نقدية مقارنة لقضايا المرأة في روايات رضوى عاشور وقرة العين حيدر، من خلال تحليل تمثيلات المرأة وعلاقتها بالسلطة الأبوية، والاستعمار، والاحتلال، والقمع السياسي، والهوية، والذاكرة، والمنفى، والطبقة الاجتماعية، والفاعلية النسوية. ويركز البحث في أعمال رضوى عاشور على عدد من رواياتها، من أبرزها *ثلاثية غرناطة*، *والطنطورية*، *وسراج*، *وفرج*، *وأطياف*، حيث تظهر المرأة لا بوصفها ضحية للقهر السياسي والاجتماعي فحسب، بل بوصفها شاهدة على التاريخ، وحافظة للذاكرة، وفاعلة في المقاومة وإنتاج المعرفة. كما تتناول الدراسة بعض روايات قرة العين حيدر، ولا سيما «آگ کا دریا» (نهر النار) و«آخر شب کے ہمسفر» (رفقاء آخر الليل)، للكشف عن صورة المرأة في سياق التحولات التاريخية والاجتماعية والسياسية في شبه القارة الهندية،

وعلاقتها بالاستعمار، والقومية، والتقسيم، والحداثة، والطبقة، والهوية. وتعتمد الدراسة على المنهج النقدي المقارن، مع الإفادة من النقد النسوي وما بعد الاستعماري ومفهوم التقاطعية، وذلك من خلال تحليل الشخصيات النسائية، ووظائفها السردية، وأشكال فاعليتها، وعلاقتها بالذاكرة، والتاريخ، والوطن. كما تسعى الدراسة إلى بيان أوجه التشابه والاختلاف بين الكاتبتين في تمثيل التجربة النسوية، مع مراعاة خصوصية السياق العربي والفلسطيني عند رضوى عاشور، والسياق الهندي وما بعد الاستعماري عند قرة العين حيدر. وتخلص الدراسة إلى أن الكاتبتين لا تقدمان المرأة بوصفها موضوعًا للقهر فحسب، بل بوصفها ذاتًا تاريخية قادرة على التذكر والسرد والمقاومة وإعادة تشكيل علاقتها بالمجتمع والتاريخ.

**الكلمات المفتاحية: الأدب، الأدب النسوي، النسوية في الأدب العربي، النسوية في الأدب الأردي، رضوى عاشور، قرة العين حيدر.**

**المقدمة:** إن النسويّة حركة تحاول تحقيق المساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين الرجال والنساء في المجتمع وتقلب العلاقة بين الرجال والنساء[102]. إن الحركة النسوية بدأت في فرنسا بظهور أولى فلاسفة النسوية كريستيان دي بيسان في نهاية القرن الرابع عشر التي تحدّت المواقف السائدة تجاه المرأة بدعوة جريئة لتعليم النساء في كتابها *The Book of the City of Ladies* "كتاب مدينة النساء". وتطورت هذه الحركة في أوروبا عقب الثورة الفرنسية عندما نشرت أوليمب دي جوج، كاتبة مسرحية بارزة، "إعلان حقوق المرأة والمواطنين" في سنة 1791. وفي السنة التالية نشرت ماري وولستونكرافت الكتاب "دفاع عن حقوق المرأة" *A Vindication of the Rights of Women* في 1792. وقد حصلت الحركة النسوية أهم أهدافها في العقد الثاني من القرن العشرين عندما حصلت على حق الاقتراع للنساء في المملكة المتحدة في سنة 1918 وفي الولايات المتحدة في سنة 1920.

ولو أن حق الاقتراع كان من أهم أهداف النسوية إلا أن النوع الآخر من النسوية الذي يعرف بالنسوية الراديكالية تحدى التركيز الأحادي على حق الاقتراع وجادل بأن النساء سيكتسبن حريتهن فقط برفض حق أي شخص في التحكم بأجسادهن، وبرفض أن تكن من عباد الله والمملكة والمجتمع والزوج والعائلة وغيرها. وكان من المؤيدين لهذه الفكرة إيما غولدمان وشارلوت بيركنز جيلمان. وألفت جيلمان كتابا المرأة والاقتصاد في سنة 1898 وأصرت فيه على أن المرأة لن تتحرر حتى يتم تحريرها من الأسطورة المنزلية المتعلقة بالمنزل والأسرة التي أبقتها معتمدة على الرجال.

[102] Gender and religion, encyclopedia of society, volume 1, Page: 556.

إن المرحلة الأولى للنسوية انتهت بحصولها على حق الاقتراع، وجادل البعض ومنهم سوزان لافوليت التي قالت إن نضال النساء قد تم تحقيقه إلى حد كبير[103]. ولكن الحركة كانت لاتزال تتحرك ولو أنها فقدت الأثر التي كان لها من قبل، وبسبب الحرب العالمية الثانية انقطعت تأثيرها إلى حد كبير. ورجعت المرأة إلى الحياة المنزلية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وعدد النساء العاملات كان قليلا جدا في 1960 بنسبة عددهن في الثلاثينيات[104].

ومن هذه المرحلة الزمنية بدأت موجة ثانية من النسوية التي امتدت إلى نصف التسعينيات، ولهذه المرحلة أهمية خاصة إذ حاول النسويون حصول الحقوق المتساوية في كل مجال من مجلات الحياة، وخاصة في المستوى المؤسسي والحكومي. كما حاول النسويون الراديكاليون أن يغيروا المجتمع بهدم مؤسسات الأسرة، الملكية الخاصة، وسلطة الدولة. ونوع آخر من النسوية المسمى بالنسوية الثقافية احتفلت بالصفات المرتبطة بالنساء ورفضت فكرة أن الرجال والنساء متساوون جوهريًا[105].

إن الحركة النسوية في أوروبا والولايات المتحدة أخذت تتفاعل مع الحركات النسوية في آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية في هذه المرحلة، ولكن النساء الغربية أصبحت تظن أنها منقذات للمرأة الشرقية وتجاهلت قضايا المرأة الشرقية وهكذا بدأ الصراع بينها، وأصبحت هذه الصراعات واضحة في المؤتمرات الدولية كما حدث في مؤتمر الأمم المتحدة العالمي لعقد المرأة: المساواة والتنمية والسلام في كوبنهاغن عام 1980 والنساء من الدول الأقل نموا شكت أن الحجاب قد أختير موضوعا مفضلا لهذا المؤتمر بدون الرجوع إلى النساء التي تتعلق بها هذه القضية. ومع كل هذه الأمور قد حصلت الموجة الثانية أهدافها مثل الحقوق المتساوية في المستوى الحكومي والمؤسسي وحصلت على القوة المهنية والاقتصادية بشكل كبير[106].

وبحصول الموجة الثانية على هذه القوة بدأت الموجة الثالثة للنسوية في النصف الثاني للعقد الأخير من القرن الماضي. ومؤسسة الموجة الثالثة التي قد أسستها رابيكا والكر في 1997[107] أصبحت نقطة تأسيس هذه الموجة، وكانت هذه المؤسسة تدعم المجموعات والأفراد الذين يعملون من أجل العدالة الجنسانية والعرقية والاجتماعية.

---

[103] **Brunell, Laura and Burkett, Elinor. "feminism". Encyclopedia Britannica, 15 Dec. 2024, https://www.britannica.com/topic/feminism. Accessed 10 January 2025.**

[104] **Ibid.**

[105] **Second-Wave Feminism: History, Main Ideas, Impact, Human Rights careers, Second-Wave Feminism: History, Main Ideas, Impact | Human Rights Careers. Accessed 11 January 2025.**

[106] **Brunell, Laura and Burkett, Elinor. "feminism". Encyclopedia Britannica, 15 Dec. 2024, https://www.britannica.com/topic/feminism. Accessed 11 January 2025.**

[107] **Snyder, R. C. (2008). What Is Third-Wave Feminism? A New Directions Essay. *Signs*, *34*(1), 175–196. https://doi.org/10.1086/588436**

وهذه الموجة بدأت تعرض المرأة كعلامة للصمود والقوة ومسيطرة على حياتها الجنسية. وكانت هذه الموجة تشمل النساء والفتيات من ذوات البشرة الملونة أكثر من الموات الأولى والثانية.

أما الموجة الرابعة فهي بدأت في سنة 2012 مع التركيز الخاص على التحرش الجنسي والتنمر على الجسم وثقافة الاغتصاب. وفي هذه المرحلة بدأت حركة #أنا-أيضا ومسيرة النساء التي بدأت في الولايات المتحدة وانتشر في العالم كلها بعد التصريحات التحريضية من قبل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في سنة 2016.[108]

والخلاصة أن النظرية النسوية تطور في أوروبا والولايات المتحدة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وانتشر في العالم كلها فأصبحت من أكثر الحركات تأثيرا على عالمنا الجديد في كل مجال من مجالات الحياة. ولم يخل الأدب من تأثيرها فصدرت الكثير من الكتب في مجالات القصة والرواية والشعر في معظم لغات العالم لدعم هذه الحركة بدءا من كتاب "مدينة النساء" لكريستيان دي بيسان. ومن أهم الأعمال التي كتبت في الأدب النسوي هي: غرفة خاصة (A Room of One's Own) (1929) لفيرجينيا وولف، و"دفاع عن حقوق المرأة *A Vindication of the Rights of Women*" لماري وولستونكرافت، وكتاب "الإخصاء الأنثوي(1970) " (The Female Eunuch) لجيرمين جرير وغيرها. وقد أثر الأدب النسوي الأدبين العربي والأردي أيضا وقد ساهم الكثير من الأدباء في تطوير الأدب النسوي في كل منهما، ومن هؤلاء الأدباء الروائية المصرية رضوى عاشور التي كتبت الروايات المختلفة وأظهرت المشاكل التي واجهتها المرأة العربية في المجتمع الأبوي، ومعاناة المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلي، وقرة العين حيدر التي تناولت الموضوعات المختلفة في رواياتها ومنها قضايا المرأة في المجتمع الأبوي الهندي، كما نجد أنها تعرض صورة المرأة أمامنا في كل رواياتها في السياق التاريخي والاجتماعي وتتحدث عن مشاكلها وقدرها في المجتمع. وقبل أن نتكلم عن إسهامات هاتين الكاتبتين، يجدر بنا ذكر تاريخ الأدب النسوي في الأدبين العربي والأردي.

**منهجية البحث**

يعتمد هذا البحث على المنهج النقدي لتحليل القضايا النسوية في روايات الكاتبتين .ويركز هذا المنهج على دراسة النصوص ضمن سياقها التاريخي والاجتماعي باستخدام نظريات الدراسات النسوية .ويشمل المنهج تحليل الشخصيات النسوية في روايات الكاتبتين ودورها في السرد مع مقارنة الرؤية الفكرية لكلتيهما لاستكشاف كيفية تصوير معاناة المرأة وصمودها .

**النسوية في الأدب العربي**

إن الأدب النسوي يوجد في الأدب العربي من العصر الجاهلي، كما نجد الشاعرات مثل خنساء تعبر عن خواطرها في العصر الجاهلي. ولذلك يرى بعض النقاد أن الأدب النسوي ليس جديدا في الأدب العربي، ولكن النقاد الآخرون

[108] Sternadori, Miglena. "Situating the Fourth Wave of Feminism in Popular Media Discourses (Unabridged Version)." Misogyny and Media in the Age of Trump (book) (2019): 31–55. Print.

يرون أن البداية الحقيقية للأدب النسوي في الأدب العربي كانت في القرن العشرين بعد رجوع رفاعة رافع الطهطاوي من فرنسا وهجومه على الوضع الأدنى للنساء العربيات[109]. وجاء بعده قاسم أمين الذي دافع عن حقوق المرأة ودعا إلى تعليم المرأة للحفاظ على مؤسسة العائلة وتحسين طرق تربية الطفال في كتابيه تحرير المرأة والمرأة الجديدة. ومن أهم الأدباء والنشطاء الذين دافعوا عن حقوق المرأة في هذا العصر هم: بطرس البستاني، ولطفي السيد، وسعد زغلول، ومحمد حسين هيكل، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وطه حسين وغيرهم. وكان لهذه الدعوات والحركات أثر كبير في نشأة الأدب النسوي في القرن التاسع عشر، ونشأت أولى أصوات المرأة عقب هذه الدعوات ومنها: ملك حفني ناصيف التي نشرت الكثير من المقالات الثورية [110]باسم باحثة البادية، ونقدت وضع المرأة في المجتمع العربي، ومن اعمالها النسائيات وهي مجموعة المقالات نشرت في "الجريدة" في موضوع المرأة المصرية. وزينب فواز (1846-1914) وروايتها "حسن العواقب" أو "غادة الزاهرة" هذه الرواية تعتبر من قبل الدكتورة بثينة شعبان الرواية العربية الأولى لصدورها عام [111]1899. ومي زيادة وعائشة عبد الرحمن وغيرهن.

هذا الجيل من النسويات نشأت في المجتمع الأبوي، ولكنها لم تتحد المجتمع، بل عبرت عن آلامها وهمومها وحرمانها وعملت تحت سيطرة المجتمع. ولكن الجيل الثاني من النسويين عملوا في تحرير المرأة من القيود التي ألقاها المجتمع الأبوي عليها، وأول أعمال من هذا الجيل هي الرواية "أنا أحيي" لليلى البعلبكي التي صدرت عام 1958. وأظهرت الكاتبة من خلال هذا الكتاب أن المرأة يجب أن تحصل على حقوق العيش والتعبير والكتابة[112]. وقد اتجه إلى هذا الاتجاه الثوري العديد من الكاتبات بعد نشر هذه الرواية، من بينهن كوليت خوري، غادة السمان، إميلي نصر الله، ليلى السّيراني، أحلام مستغانمي، لطيفة الزيات، حنان الشيخ، سحر خليفة، سلوى بكر، منى جبّور، ليلى الأطرش، ونوال السعداوي.

شهد العالم العربي تغييرات كبيرة بسبب الانفتاح العالمي والتقنيات المتقدمة في الاتصالات في النصف الثاني من القرن العشرين. وتقدمت النساء تقدمًا كبيرًا في التعليم، ودخلن مجالات العمل الجديدة، وحصلن على الاستقلال المالي. ومع ذلك، ضعفت سيطرة المجتمع الأبوي على النساء بسبب إزالة العادات والتقاليد الموروثة التي جعلت النساء خاضعات وضعيفات. وكان لحركات النساء في العالم العربي، المدعومة من الحكومات، تأثير قوي على "الكتابة النسائية". بدأت الكاتبات تقدم تجاربهن الأدبية وأظهرن وعيًا ذاتيًا أكبر ونضجًا في مطالبهن للحرية

---

[109] Magadly Haifa, Arabic Women's Literature: The Terminological Problem and Stages of Development, (2016) المجمع, vol. 11, page. 38.

[110] باحثة البادية ملك حفني، النسائيات، مكتبة الإسكندرية، ط: 2015، ص: 19.

[111] شعبان بثينة، "مائة عام من الرواية النسائية العربية" دار الآداب، بيروت، ط: 1999، ص: 48.

[112] زهور كرام، السرد النسائي العربي: مقاربة في المفهوم والخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس: الدار البيضاء 2004، الصفحات 52-53.

والحقوق. كما كسرن المحرمات علنًا وتناولن في كتابتهم المواضيع التي كانت لهن ممنوعة سابقًا. شهدت مرحلة تحقيق الذات نمواً سريعاً في عدد الروايات النسائية، مصحوبة بنضج مفهومي وفني أكبر[113]. يمكن رؤية هذه الابتكارات الجوهرية والأسلوبية في أعمال العديد من الكاتبات، مثل رشا الأمير، وقمر الكيلاني، ودينا سليم، وسامية خريس، وهيفاء الباتع، وفوزية الشويش، وأحلام مستغانمي، وغيرهن.

**النسوية في الأدب الأردي**

إن النسوية في الأدب الأردي ظهرت كحركة ضد العادات والتقاليد الموروثة التي قيدت النساء وجعلتهن خاضعات وضعيفات. والحركة التقدمية مهدت الطريق لتطوير الحركة النسوية في الأدب الأردي في أواخر القرن التاسع عشر عندما صدرت القصص القصيرة للدكتورة رشيد جهان. وكانت الدكتورة رشيد جهان متأثرة بالحركة التقدمية، لذلك نجد أنها تناولت في قصصها حقيقة وضع المرأة في المجتمع الأبوي وعبرت عن أحاسيسها بشجاعة – وقد قامت بتصوير المرأة الشجاعة التي هي ذو فهم وعقل وتعتمد في نفسها وتتخذ القرارات عن نفسها بكل شجاعة[114]- في قصصها، وقد أدركت رشيد جهان أن المرأة لها أحاسيس والخواطر وهي تريد إظهارها ولها مقدرة وذكاء لإظهار عما في نفسها ولكن المجتمع الأبوي يمنعها عن تعبيرها.

من أبرز الأديبات اللواتي ساهمن في هذا المجال هي عصمت چغتايي وقرة العين حيدر وواحدة تبسم وصالحة عابد حسين وغيرهن اللواتي عبرن عن صوت المرأة بجرأة وعمق. تناقشت أعمالهن حول مواضيع مثل الحب، والزواج، والهوية، والحرية. لقد لعب الأدب النسوي الأردي دورًا هامًا في تسليط الضوء على التحديات الاجتماعية التي تواجهها النساء، وساهم كل من هذه الأديبات في تعزيز الوعي بأهمية المساواة بين الجنسين.

**قضايا المرأة في رو ايات رضوى عاشور**

إن الروائية المصرية رضوى عاشور التي ولدت في القاهرة سنة 1946[115] في أسرة عريقة، هي روائية وناقدة أدبية مصرية شهيرة. حصلت على الماجستير من جامعة القاهرة وانتقلت إلى الولايات المتحدة للدكتوراة، ونالت الدكتوراة بأطروحة في الأدب الأفريقي الأمريكي من جامعة ماساتشوستس. من أهم رواياتها ثلاثيتها الشهيرة "ثلاثية غرناطة" و"الطنطورية" و "السراج" وغيرها.

---

[113] معتصم محمد، بـناء الحكاية والشخصية في الخطاب الروائي النسائي العربي، دار الأمان للطباعة والنشر: الرباط، 2007.

[114] شاد إلزابيث وسارة فراز، تاريخ موجز وتطور النسوية في الأدب الأردي، جهنم التحقيق، المجلد 5، 2022، الصفحة: 395.

[115] عاشور رضوى، أثقل من رضوى: مقاطع من سيرة ذاتية، دار الشروق: القاهرة، ط 1: 2013، ص: 6.

لقد تناولت في رواياتها قضايا المرأة العربية عامة وقضايا المرأة الفلسطينية خاصة. لقد أظهرت في ثلاثيتها مشاكل المرأة العربية في السياق التاريخي حيث تناولت قضاياها في مدة زمنية محددة، وهي زمن سقوط الحكم العربي في شبه القارة الأيبيرية.

إن من أهم القضايا النسوية في رواياتها هي: مقاومة المرأة وصمودها أمام القمع والظلم والاحتلال، ومعاناتها في المنفى وآلامها في مخيمات اللجوء والتحديات التي تواجهها المرأة في المجتمع من القيود التقليدية والاجتماعية منها الحرمان من التعليم وغيرها. وقد ذكرت رضوى عاشور كل هذه القضايا في رواياتها، ومن أهمها:

1. ثلاثية غرناطة: هذه الرواية تعبر عن أحاسيس النساء العرب ومقاومتهن ضد الظلم والقمع من قبل القشتاليين في زمن سقوط الأندلس على أيديهم. إن الشخصيات مثل مريمة تمثل المرأة التي تتحدى الظروف الصعبة وتحاول الحفاظ على العائلة والتراث في مواجهة القمع الديني والثقافي. من خلال هذه الشخصية، تبرز رضوى كيف أن المرأة ليست مجرد ضحية، بل هي عنصر أساسي في المقاومة. وللمرأة دور أساسي في الصمود أمام الظلم والحفاظ على التقاليد والتراث الغني الذي يحمله أي قوم. واستخدمت شخصيات نسائية قوية لتسليط الضوء على النضال ضد الظلم السياسي والاجتماعي.
2. **الطنطورية:** تناولت رضوى عاشور في هذه الرواية القضية الفلسطينية من منظور نسوي، حيث أظهرت النساء الفلسطينيات كجزء لا يتجزأ من حركة المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي. وقد أظهرت من خلال هذه الرواية آلام المرأة الفلسطينية وهمومها تحت الاحتلال الإسرائيلي وصمودها أمام كل هذه الظروف الصعبة. والشخصية الرئيسية رقية الطنطورية تحكي حكاية عائلتها من مذبحة في قريتها الطنطورة بيد الاحتلال الصهيوني وعبرت عن آلامها في المنفى في لبنان والإمارات ومصر والمشاكل التي تواجهها المرأة الفلسطينية بسبب هذه القضية. وتعرض المرأة الفلسطينية كرمز للمقاومة والصمود أمام الاحتلال الصهيوني. وفي قول أحد من القراء "أجمل ما في الطنطورية...هي رقيّة الطنطورية مثال المرأة الفلسطينية القوية والتي لم تفقد الأمل في العودة إلى فلسطين والعيش في بيتها الذي كانت تحتفظ بمفتاحه حول رقبتها حتى آخر يوم في حياتها".
3. **فرج:** في هذه الرواية تعبر الكاتبة عن المعاناة والآلام التي تواجهها المرأة العربية من قبل الأنظمة السياسية والمجتمع. البطلة في الرواية تعاني من فقدان أفراد أسرتها وظلم الأنظمة المختلفة، وهو ما يمثل قضايا النساء في العالم العربي اللواتي يعانين من أزمات مثلها. وتظهر الرواية كيف تساهم قيود المجتمع والأنظمة السياسية في قمع النساء، ولكنها تظهر أيضًا أن المرأة تقدر على المقاومة ضد هذه الأنظمة والسعي نحو التغيير لأحسن مجتمع للمرأة.

وتعرض رضوى عاشور المرأة في هذه الرواية كجزء مهم من المجتمع وكل الحركات السياسية والاجتماعية. الشخصية الرئيسية في هذه الرواية تواجه قمع الأنظمة وتجد نفسها في صراع دائم مع القوى السياسية التي تسعى لإسكات صوتها.

4. **رأيت النخل**: في هذه الرواية ركزت رضوى على التعليم كوسيلة لتحرر المرأة من القيود التقليدية. البطلة تسعى لتحقيق ذاتها من خلال الدراسة والتعلم، في ظل مجتمع يحاول تهميشها. والربط بين التعليم وتمكين المرأة هو من أبرز ملامح فكر رضوى عاشور النسوي. تبرز الكاتبة أهمية وعي المرأة بحقوقها من خلال التعلم كوسيلة للتغيير والتحرر من خلال هذه الرواية. وتظهر الكاتبة حلم النساء بمجتمع أكثر عدلًا، حيث يمكنهن تحقيق أحلامهن بعيدًا عن القيود. تحلم بالحرية السياسية والاجتماعية والشخصية.
5. **أطياف**: في هذه الرواية تناقش رضوى الهوية النسوية المثقفة التي تعيش صراعًا داخليًا بين طموحاتها الشخصية والقيود الاجتماعية. البطلة تمثل المرأة التي تحاول إيجاد توازن بين الحفاظ على هويتها كأنثى ومطالبها كمثقفة حرة. تركز الرواية على الضغوط التي تواجه النساء المثقفات في المجتمعات التقليدية، مع إبراز الحاجة إلى تحقيق التوازن بين الفردية والمسؤولية الاجتماعية.

**قضايا المرأة في روايات قرة العين حيدر**

قرة العين حيدر من أشهر أدباء اللغة الأردية، حيث تمتد إنجازاتها الأدبية لأكثر من ستة عقود. تتميز أعمالها الأدبية بعمق المواضيع وتنوعها، حيث تناولت في قصصها ورواياتها الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية للحياة. من بين رواياتها البارزة: "مرے بھی صنم خانے" (1937)، "سفينة غم دل" (1953)، "آگ کا دریا" (1959)، "آخر شب کے ہمسفر" (1971)، "کار جہاں دراز ہے" (2002)، "گردش رنگ چمن" (1988)، و"چاندنی بیگم" (1989). لاقت هذه الروايات نجاحًا كبيرًا، وهي تعكس نظرتها الواسعة ورؤيتها العميقة للحياة والكون.

بالإضافة إلى ذلك، كتبت قرة العين حيدر ست روايات قصيرة من أبرزها: "چائے کے باغ"، "اگلے جنم موہے بٹیا نہ کیجیو"، "دل ربا"، "سیتا ہرن"، "هاوسنگ سوسائٹي"، و"فصل گل آئی یا اجل آئی". تُعتبر هذه الأعمال إسهامًا قيّمًا في الأدب الأردي.

ولدت قرة العين حيدر في 20 يناير 1926[116] في عليغره، في عائلة متميزة ومثقفة. والدها، سجاد حيدر يلدرم، كان كاتبًا بارعًا، بينما كانت والدتها نذر سجاد حيدر أيضًا كاتبة وروائية معروفة. يمكن القول إن قرة العين حيدر ورثت موهبتها الأدبية ونشأت في بيئة مليئة بالرعاية والرفاهية.

[116] واني مشتاق أحمد، النسوية في الأدب الأردي، أيجوكيشنل ببلشنغ هاؤس: نيو دلهي، ط: 2013، ص: 493.

نشأت قرة العين حيدر في بيئة إقطاعية، ولكنها تأثرت أيضًا بتنوير الفكر الغربي، إلى جانب تعاليم الإسلام. هذه الثنائية في التنشئة جعلتها تجمع بين الوعي التقليدي والحديث، مما انعكس في أعمالها.

تُظهر كتابات قرة العين حيدر اهتمامًا خاصًا بقضايا المرأة، حيث تسلط الضوء على معاناتها واستغلالها ضمن السياقات التاريخية والاجتماعية. تصوّر المرأة بأشكال متعددة: الابنة، الزوجة، الأم، والمحبوبة، وتتناول الظلم الذي تتعرض له بسبب النظام الأبوي. من خلال تحليلها العميق لنفسية المرأة، استنتجت نتائج ذات أهمية كبيرة. روايتها "آگ کا دریا" تُظهر المرأة كشخصية محورية تتعرض للظلم، لكنها تظل متشبثة بالأمل. تُبرز شخصياتها النسائية، مثل "چمپا" صراع المرأة مع المجتمع الأبوي، ومحاولاتها للبحث عن ذاتها وسط ظروف قاسية.

رواية "آگ کا دریا ": تُعد رواية "آگ کا دریا" إنجازًا استثنائيًا في الأدب الأردي، حيث تناولت الكاتبة تاريخ الهند الممتد لألفي عام بأسلوب فلسفي وتاريخي. تقدم الرواية شخصيات متعددة تعبر عن مراحل مختلفة من التاريخ والثقافة، مثل "گوتم نیلمبر" و"چمپا". تعكس شخصية "چمپا" التحولات التي تمر بها المرأة عبر العصور، حيث تظهر بأدوار متعددة: راقصة، ابنة براهمن، طوائف، ومثقفة.

تشير الكاتبة إلى فلسفة التناسخ الهندوسية، حيث تُصوّر المرأة في رحلة مستمرة من الألم والتحول. يُظهر ذلك التأثيرات العميقة للتقاليد والثقافات المتنوعة على حياة المرأة.

رواية "آخر شب کے ہمسفر: تتميز هذه الرواية بتقديم شخصيات نسائية قوية ومؤثرة. تصوّر الكاتبة المرأة كشريك أساسي في بناء المجتمع وتطويره. الشخصية الرئيسية "دیپالی سرکار" تمثل امرأة قائدة للحركات النسائية، تتحدى النظام الأبوي وتطالب بالمساواة.

تشير الرواية إلى أن النساء يمكنهن تغيير المجتمع إذا أُتيحت لهن الفرص، رغم التحديات التي يواجهنها. تبرز الرواية التحول من الاستسلام إلى النضال، مما يعكس تطور الوعي النسائي.

تعكس كتابات قرة العين حيدر إدراكًا عميقًا للتحديات الاجتماعية، حيث تسلط الضوء على استغلال المرأة باسم الدين والتقاليد. تنتقد القيود التي يفرضها المجتمع الأبوي وتدعو إلى تحرير المرأة وتمكينها. ومع ذلك، تُظهر الكاتبة أن الحرية غير المنضبطة قد تؤدي إلى استغلال آخر، مما يجعلها تدعو إلى توازن بين الحرية والمسؤولية.

تُعتبر قرة العين حيدر رمزًا للأدب الأردي، حيث قدمت إسهامات لا تُنسى في تصوير قضايا المرأة والمجتمع. أعمالها تظل مصدر إلهام للأجيال القادمة. يتمحور إرثها حول كيفية تقديم تاريخ غني ومتنوع مع معالجة قضايا إنسانية مستمرة، مما يجعلها كاتبة خالدة في ذاكرة الأدب العالمي.

**مقارنة بين رضوى عاشوروقرة العين حيدرفي معالجة قضايا المرأة:**

ركزت أعمال رضوى عاشور على قضايا المرأة العربية، خاصة في فترات الاضطرابات السياسية والاجتماعية. تعكس رواياتها مثل *ثلاثية غرناطة* و*الطنطورية* تأثير الاحتلال الأجنبي والأنظمة القمعية على النساء. في *ثلاثية غرناطة*،

تتناول سقوط الأندلس وكيف تحملت المرأة أعباء القهر الاجتماعي والديني بعد نهاية الحكم العربي. أما في *الطنطورية*، فتُبرز المأساة الفلسطينية من خلال شخصية "رقية"، مما يضع المرأة الفلسطينية في قلب النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي. بينما تركز قرة العين حيدر في أعمالها تأثير الثقافة الهندية والإسلامية والغربية على المرأة والفرق بين هذه الثقافات في معالجة قضايا المرأة. تناولت رواياتها مثل *آگ کا دریا* و*آخر شب کے ہمسفر* حياة المرأة الهندية عبر فترات تاريخية طويلة، متتبعة تأثير الفلسفة الهندوسية، والاستعمار البريطاني، وحركات التحرر الوطنية. تُظهر روايتها *آگ کا دریا* التحولات الثقافية والاجتماعية التي مرت بها المرأة الهندية على مدار ألفي عام.

تميزت رضوى عاشور بخلق شخصيات نسائية قوية تصارع القهر السياسي والقمع الاجتماعي. مثلًا في *ثلاثية غرناطة* تمثل شخصية مريمة القوة والصمود في مواجهة القشتاليين وتحاول الحفاظ على التراث العربية والثقافة العربية. وفي رواية *الطنطورية* ترمز شخصية *رقية* للمرأة الفلسطينية التي تتحمل الفقد واللجوء لكنها تستمر في النضال والاحتفاظ بأمل العودة. وفي رواية *فرج* تقدم شخصية *نور* صورة المرأة التي تواجه الأنظمة القمعية وتبحث عن الحرية الشخصية والاجتماعية. بينما صوّرت قرة العين حيدر شخصيات نسائية متأثرة بالصراعات الداخلية والخارجية، مثل شخصية *چمپا* في *آگ کا دریا* هي امرأة تعبر عن التحولات التي عاشتها المرأة الهندية في ظل التقاليد العنيفة، لكنها تستمر في سعيها لإثبات ذاتها وشخصيتها. وشخصية *دیپالی سرکار* في *آخر شب کے ہمسفر* تمثل قائدة نسائية تواجه النظام الأبوي وتطالب بالمساواة.

ركزت رضوى عاشور على مقاومة الاحتلال والقمع ويظهر ذلك في *الطنطورية* و*ثلاثية غرناطة* حيث تصبح المرأة جزءًا لا يتجزأ من النضال الوطني. وقد قامت بتصوير معاناة المرأة اللاجئة كما نجد في *الطنطورية*، حيث تظهر معاناة النساء الفلسطينيات في المنفى. وذكرت في كتاباتها التحديات الاجتماعية التي تواجهها المرأة العربية، كما تناولت القضايا مثل الحرمان من التعليم والزواج التقليدي، كما في *رأيت النخل*، التي تربط بين التعليم وتمكين المرأة. بينما ركزت قرة العين حيدر على: الهوية النسوية عندما تصوّر المرأة بين التقاليد والحداثة، كما نجد في *آگ کا دریا*. وقامت بالنقد الاجتماعي من حيث تناولت استغلال المرأة باسم الدين والتقاليد، مصرة على أهمية التحرر المتوازن. وقد ذكرت التنوع الثقافي في كتاباتها وأظهرت كيف تؤثر الثقافات المختلفة على المرأة، مما يجعلها أحيانًا ضحية للتغيرات الاجتماعية والسياسية.

تدور رسائل رضوى عاشور الفكرية حول أهمية دور المرأة في المقاومة والتغيير الاجتماعي. وأسلوبها مباشر وسردي، يعكس معاناة النساء من خلال مواقف حياتية وشخصيات تعبر عن الألم والنضال. وركزت على تفاصيل الحياة اليومية للنساء كوسيلة لتسليط الضوء على قضاياهن.

بينما رسائل قرة العين الفكرية تجمع بين التنوير والتحذير من الإفراط في الحرية، مشددة على ضرورة التوازن بين الحقوق والمسؤوليات. أسلوبها فلسفي ورمزي، متأثر بالتقاليد الأدبية الهندية والغربية. واستخدمت التاريخ

والأساطير لإظهار التحولات الاجتماعية. وتتسم كتاباتها بطابع تأملي، مما يجعل القارئ يتعمق في معانيها.

استخدمت رضوى عاشور الرمزية بشكل معتدل لتوضيح أفكارها. مثلًا، المفتاح الذي تحتفظ به رقية في "الطنطورية" رمز للعودة والأمل في تحرير فلسطين. بينما طغت الرمزية على روايات قرة العين حيدر. مثلًا، *آگ کا دریا* تعكس من خلال فلسفة التناسخ الهندوسية رحلة المرأة عبر التاريخ وصراعها مع القهر.

**الخاتمة:** والخلاصة أن هذا البحث استكشفت القضايا النسوية في أعمال رضوى عاشور التي كتبت الروايات المختلفة وأظهرت المشاكل التي واجهتها المرأة العربية في المجتمع الأبوي، ومعاناة المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلي. وكذلك في أعمال قرة العين حيدر التي تناولت الموضوعات المختلفة في رواياتها ومنها قضايا المرأة في المجتمع الأبوي الهندي، كما نجد أنها تعرض صورة المرأة أمامنا في كل رواياتها في السياق التاريخي والاجتماعي وتتحدث عن مشاكلها وقدرها في المجتمع.

وكل من رضوى عاشور وقرة العين حيدر قدمت رؤى نسوية مختلفة، تعكس بيئتهما وسياقهما الثقافي. تمثل رضوى عاشور الأدب العربي الثوري الذي يركز على قضايا المرأة في إطار الصراع الوطني والاجتماعي. وتمثل قرة العين حيدر الأدب الأردي العميق الذي يعكس تأثير الثقافات المختلفة على المرأة، داعية إلى التوازن بين الحرية والمسؤولية. ويظل إرثهما مصدر إلهام للأجيال، حيث قدمتا صوتًا قويًا للمرأة في مواجهة الظلم والقهر، مع اختلاف الأسلوب والمنهجية.

## المصادروالمراجع


- باحثة البادية ملك حفني، النسائيات، مكتبة الإسكندرية، ط: 2015.
- شعبان بثينة، "مائة عام من الرواية النسائية العربية" دار الآداب، بيروت، ط: 1999.
- زهور كرام، السرد النسائي العربي: مقاربة في المفهوم والخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس: الدار البيضاء 2004.
- معتصم محمد، بناء الحكاية والشخصية في الخطاب الروائي النسائي العربي، دار الأمان للطباعة والنشر: الرباط، 2007.
- شاد إليزابيث وسارة فراز، تاريخ موجز وتطور النسوية في الأدب الأردي، جهنم التحقيق، المجلد 5، 2022.
- عاشور رضوى، أثقل من رضوى: مقاطع من سيرة ذاتية، دار الشروق: القاهرة، ط 1: 2013.
- واني مشتاق أحمد، النسوية في الأدب الأردي، أيجوكيشنل ببلشنغ هاؤس: نيو دلهي، ط: 2013.
- Brunell, Laura and Burkett, Elinor. "feminism". Encyclopedia Britannica, 15 Dec. 2024, https://www.britannica.com/topic/feminism. Accessed 11 January 2025.
- Snyder, R. C. (2008). What Is Third-Wave Feminism? A New Directions Essay. *Signs*, *34*(1), 175–196. https://doi.org/10.1086/588436
- Sternadori, Miglena. “Situating the Fourth Wave of Feminism in Popular Media Discourses (Unabridged Version).” Misogyny and Media in the Age of Trump (book) (2019): 31–55. Print.

# اليوم الأخير للوسواس الخناس

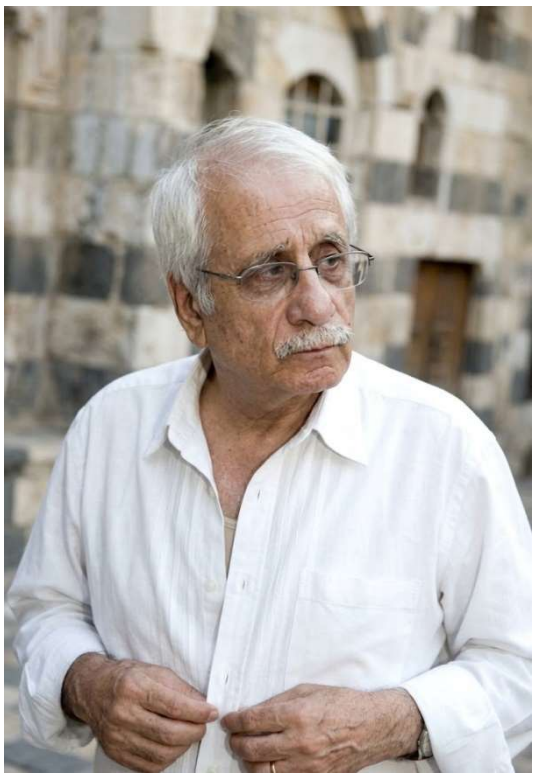
# The Last Day of Satan

**(The summary of the short story and its analytical study)**



**By: Zakaria Tamer,**
**Translated by: Dr. Mahmood Alam Siddiqui**

**This short story, titled in Arabic "Al-Yawm al-Akhir lil-Waswas al-Khannas" and translated here into English as "The Last Day of Satan," is taken from the short story collection titled "Nida' Nuh" (The Call of Nuh) by the great Syrian writer Zakaria Tamer (1931-2024). He is one of the most prominent Syrian short story writers, whose narrative works are distinguished by modernist elements, including symbolism, ambiguity, and fantasy blended with the reality of modern human beings in powerful and captivating texts characterized by deceptive simplicity -"al-sahl al-mumtani"- crafted skillfully with linguistic condensation and textual economy. His appearance on the literary scene with modernist narrative texts provided a strong impetus to the modernist short story movement in contemporary Arabic literature across the Arab world, particularly in Syria, establishing him as one of the pillars of modernist narration in Arabic literature.**



**This short story serves as an ideal example of his modernist narration, embodying symbolism and ambiguity mixed with fantasy to satirize a hypocritical society that refuses to take responsibility for its sins and misdeeds, attempting instead to lay the blame on others. To demonstrate this hypocritical aspect of human society, Zakaria Tamer utilizes the element of fantasy by having Satan arrested and sent to court for trial. Sixteen witnesses expose his crimes by delivering their testimonies in which they claim they were not the real perpetrators of the crimes and sins they committed; rather, the true culprit was Satan, who**

**continuously incited them and did not leave them alone until they committed them. Based on their testimonies, which proved Satan's crimes, he was sentenced to death, and the execution was carried out. Following the death of Satan, people transformed into angels as white wings sprouted on their backs, and they ceased committing crimes and misdeeds, making the face of the earth free of evil and leaving no place for evil to exist. Through this story, the writer satirically attempts to illustrate the hypocritical stance of human beings who lack the courage to admit what they commit.**

**This is one of the visible and clear meanings presented in the story. However, there is another symbolic meaning embedded within the text's multiple layers: "Satan" here refers to an honest person who raises his voice against the oppression of society or unjust institutions. Yet, an oppressive society or the unjust institutions falsely portray such an honest person as Satan to hide their own crimes and cover up their corrupt acts. Once this honest person is eliminated, no one dares to speak out against these crimes, and when no one exposes crime anymore, it outwardly appears as though the members of this society have transformed into angels and ceased committing crimes. Indeed, this story is a black satire of a hypocritical human society, which is precisely why it captivated me and prompted me to translate it.**

## ملخص القصة القصيرة ودراستها التحليلية:

هذه القصة القصيرة المعنونة باللغة العربية بـ **"اليوم الأخير للوسواس الخناس"** المُترجَمَةُ هنا بعنوان **"اليوم الأخير للشيطان" باللغة الإنجليزية** مأخوذة من المجموعة القصصية المسماة **"نداء نوح"**، للكاتب السوري الكبير **"زكريا تامر"**(1931 -2024)، وهو أحد أبرز كتاب القصة القصيرة السوريين، و تميزت كتاباته القصصية بالعناصر الحداثية في السرد، بما في ذلك الرمزية، والغموض، والفانتازيا الممزوجة بواقع الإنسان المعاصر في نصوص قوية وجذابة تمتاز بـ "السهل الممتنع"المصوغ بمهارة بالتكثيف اللغوي والاقتصاد النصي. فإن ظهوره بالنصوص السردية الحداثية على المسرح الأدبي أعطى دفعة قوية إلى حركة القصة القصيرة الحداثية في الأدب العربي المعاصر بالوطن العربي، ولا سيما في سوريا، حتى أصبح يُعد ركناً من أركان السرد الحداثي في الأدب العربي.

تُعتبر هذه القصة نموذجاً مثالياً لسرده الحداثي الذي يجسد الرمزية والغموض الممتزجين بعنصر الفانتازيا بهدف هجاء المجتمع المنافق الذي لا يتحمل مسؤولية خطاياه وآثامه التي يرتكبها، بل يحاول القاء التهمة على الآخرين بدلاً من تحمّلها. ولإثبات هذا الجانب المنافق في المجتمع البشري، استخدم زكريا تامر في هذه القصة عنصر الفانتازيا من خلال إلقاء القبض على الشيطان وإرساله لاحقاً إلى المحكمة للمحاكمة، حيث يفضح ستة عشر شاهداً جرائمه من خلال إدلائهم بشهاداتهم أمام المحكمة التي ادعووا فيها أن الجرائم والآثام التي ارتكبوها لم يكونوا مجرميها الحقيقيين، بل كان جانيها الحقيقي الشيطان الذي حرضهم عليها باستمرار ولم يتركوهم حتى ارتكبوها . وبناءً على شهاداتهم التي ثبتت جرائم الشيطان،حُكم عليه بالإعدام وتم تنفيذ الحكم بالفعل. ثم تحول الناس بعد موت الشيطان إلى ملائكة حيث نبت أجنحة بيضاء على ظهورهم، وكفوا عن ارتكاب الجرائم والآثام، وبذلك أصبحت وجه الأرض خالياً من

الشرور ولم يعد للشر أي وجود بعد. فمن خلال هذه القصة، حاول الكاتب بشكل ساخر أن يوضح الموقف النفاقي للإنسان الذي لم يتجرأ على الاعتراف بما هو يرتكبه من الآثام والجرائم.

هذا هو أحد المعاني الظاهرة والجلية المطروحة في القصة. ومع ذلك، هناك معنى رمزي آخر للقصة يكمن بين الطبقات المتعددة للنص، وهو أن "الشيطان" يُشار به هنا إلى الشخص الشريف الذي يرفع صوته ضد ظلم المجتمع أو المؤسسات الظالمة. غير أن المجتمع الظالم أو أرباب المؤسسات الجائرة يقدمون مثل هذا الشخص الشريف زوراً على أنه شيطان لإخفاء جرائمهم والتغطية على مفاسدهم. وعندما يتم التخلص من هذا الشخص الشريف، لا يجرؤ أحد على رفع صوته ضد هذه الجرائم، وحين لا يُكشف عن الجريمة من قِبل أي شخص، فهذا يعني أن أبناء هذا المجتمع يتحولون إلى ملائكة ويكفون عن ارتكاب الجرائم ظاهريا. قبالفعل، تُعد هذه القصة هجاءً أسود للمجتمع البشري المنافق، ولهذا السبب نالت إعجابي ودفعتني لترجمتها. وإليك الآن ترجمتها باللغة الإنجليزية مع النص العربي الأصلي.

| النص الأصلي للقصة القصيرة | The Translation Text of the Short Story |
|---|---|
| أُعْتُقِلَ إِبْلِيسُ زُهَاءَ السَّاعَةِ السَّابِعَةِ صَبَاحًا، بَيْنَمَا كَانَ يَهُمُّ بِرُكُوبِ البَاصِ المُتَّجِهِ إِلَى خَارِجِ المَدِينَةِ حَيْثُ مِنْطَقَةُ المَعَامِلِ، وَكَانَ مُتَنَكِّرًا آنَذَاكَ فِي هَيْئَةِ عَامِلٍ فَقِيرٍ مُتْعَبٍ، زَرِيِّ الثِّيَابِ، يَدَاهُ خَشِنَتَانِ مُتَشَقِّقَتَانِ، وَوَجْهُهُ مَمْلُوءٌ بِالتَّجَاعِيدِ.<br>وَقَدْ حَاوَلَ إِبْلِيسُ وَهُوَ فِي مَخْفَرِ الشُّرْطَةِ أَنْ يُضَلِّلَ المُحَقِّقِينَ مَعَهُ وَيَسْتَدِرَّ عَطْفَهُمْ بِالادِّعَاءِ أَنَّهُ مُجَرَّدُ رَجُلٍ مِسْكِينٍ مَسْؤُولٌ عَنْ إِطْعَامِ أُسْرَةٍ كَبِيرَةٍ، وَيَشْتَغِلُ فِي أَحَدِ المَعَامِلِ، وَلاَ يُقْلِقُهُ سِوَى تَأَخُّرِهِ عَنِ الوُصُولِ فِي الوَقْتِ المُحَدَّدِ لِبَدْءِ العَمَلِ، وَقَدَّمَ وَثَائِقَ تُثْبِتُ أَنَّهُ حَقًّا عَامِلٌ فِي مَعْمَلٍ، وَلَكِنَّ مُحَاوَلَةَ خِدَاعِهِ لَمْ يُكْتَبْ لَهَا أَيُّ نَصِيبٍ مِنَ النَّجَاحِ، فَإِبْلِيسُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالإِقْدَامُ عَلَى تَزْوِيرِ أَخْطَرِ الوَثَائِقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ لَيْسَ سِوَى عَبَثِ أَطْفَالٍ.<br>وَمَا إِنْ صَدَرَ الأَمْرُ إِلَى رِجَالِ الشُّرْطَةِ بِإِيقَافِ إِبْلِيسَ عَنِ التَّمَادِي فِي كَذِبِهِ المَفْضُوحِ المُهِينِ لِلأَذْكِيَاءِ حَتَّى انْقَضُّوا عَلَيْهِ فَرِحِينَ بِمَا سَيَنَالُونَ مِنْ أَجْرٍ وَثَوَابٍ، فَالحَسَنَاتُ تَمْحُو السَّيِّئَاتِ، وَصَحَائِفُهُمْ مَلْأَى بِالسَّيِّئَاتِ، وَكُلُّهُمْ | **Satan was arrested at around seven o'clock in the morning while he was about to board a bus heading out of the city toward the industrial zone. At that time, he was disguised as a poor, exhausted worker with shabby clothes, rough and cracked hands, and a face filled with wrinkles.**<br>**At the police station, Satan tried to mislead the investigators and win their sympathy by claiming that he was merely a poor man responsible for feeding a large family, he worked in one of the factories, and nothing worried him except being late for work. He even presented documents that proved that he was indeed a factory worker. However, his attempt at deception was not destined to succeed, because Satan is capable of anything, and forging the most dangerous documents is for him nothing more than children's play.**<br>**As soon as the order was issued to the policemen to stop Satan from persisting in his blatant lies, which were an insult to intelligent people, they pounced upon him, rejoicing at the reward and merit they would receive. Indeed the good deeds erase bad deeds, their records were full of bad deeds, all of them eager to erase** |

رَاغِبٌ فِي مَحْوِهَا، وَمَا ضَرْبُ إِبْلِيسَ إِلاَّ الحَسَنَةُ الكُبْرَى الَّتِي لاَ تُعَادِلُهَا أَيَّةُ حَسَنَةٍ أُخْرَى.

وَظَلَّ الضَّرْبُ يَنْهَالُ عَلَى إِبْلِيسَ قَاسِيًا مُوجِعًا حَتَّى صَاحَ مُسْتَغِيثًا وَاعِدًا بِالصِّدْقِ وَالامْتِثَالِ وَالطَّاعَةِ وَنَبْذِ المُرَاوَغَةِ وَالخِدَاعِ وَالغِشِّ، فَتَوَقَّفَ آنَئِذٍ رِجَالُ الشُّرْطَةِ عَنْ ضَرْبِهِ، وَتَكَلَّمَ إِبْلِيسُ، وَأَقَرَّ بِغَيْرِ ضَغْطٍ أَوْ إِرْغَامٍ بِصِحَّةِ كُلِّ مَا وُجِّهَ إِلَيْهِ مِنْ تُهَمٍ، وَاعْتَرَفَ بِكُلِّ الجَرَائِمِ المَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ.

وَأُحِيلَ إِبْلِيسُ إِلَى المَحْكَمَةِ عَمَلاً بِالأَنْظِمَةِ وَالقَوَانِينِ المَرْعِيَّةِ، وَكَانَ يَوْمُ مُحَاكَمَتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا لاَ يُنْسَى، فَالقَاضِي كَانَ رَجُلاً جَلِيلاً وَنَزِيهًا، لاَ يَهُمُّهُ إِلاَّ العَدْلُ وَالحَقُّ، وَلاَ شَيْءَ غَيْرَ العَدْلِ وَالحَقِّ، وَقَدْ أَنْصَتَ لِكَثِيرٍ مِنَ الشُّهُودِ الَّذِينَ تَبَارَوْا فِي الإِدْلاَءِ بِشَهَادَاتِهِمُ الَّتِي تَفْضَحُ الجَرَائِمَ النَّكْرَاءَ الَّتِي كَانَ إِبْلِيسُ سَبَبَهَا وَالمُحَرِّضَ عَلَيْهَا.

**الشَّهَادَاتُ:**

**الشَّهَادَةُ الأُولَى:** "لَمْ أَكُنْ أَرْغَبُ فِي القَتْلِ، وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ لاَحَقَنِي بِعِنَادٍ وَإِصْرَارٍ، وَزَيَّنَ لِي أَنَّ القَتْلَ وَسِيلَةٌ رَائِعَةٌ لِلتَّخَلُّصِ مِمَّا أَكْرَهُ وَأُبْغِضُ، وَحَضَّنِي عَلَى اعْتِبَارِ مَنْ أُرِيدُ إِزْهَاقَ أَرْوَاحِهِمْ أَشْبَهَ بِخِرَافٍ حَلاَلٍ ذَبْحُهَا."

**الشَّهَادَةُ الثَّانِيَةُ:** "عِنْدَمَا رَأَيْتُهَا تَسِيرُ فِي الشَّارِعِ قُلْتُ إِنَّهَا امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ مُغْرِيَةٌ وَاكْتَفَيْتُ بِمُتَابَعَتِهَا وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا بِبَرَاءَةٍ وَحَسْرَةٍ مُتَمَنِّيًا لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَتِي، وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ غَضِبَ، وَسَخِرَ مِنِّي وَاتَّهَمَنِي بِالجُبْنِ، وَدَفَعَنِي إِلَى الانْقِضَاضِ عَلَيْهَا وَاغْتِصَابِهَا عَلاَنِيَةً أَمَامَ عُيُونِ النَّاسِ كَأَنِّي حَيَوَانٌ وَلَسْتُ بِإِنْسَانٍ يَحْمَرُّ وَجْهُهُ حَيَاءً إِذَا نَظَرَ إِلَى أُمِّهِ."

**الشَّهَادَةُ الثَّالِثَةُ:** "ظَلَلْتُ طَوَالَ عُمْرِي مُحِبًّا لِلصِّدْقِ، كَارِهًا لِلْكَذِبِ، فَتَسَلَّلَ إِبْلِيسُ إِلَى رَأْسِي بِأُسْلُوبٍ مَا زِلْتُ

**them, and beating Satan is the supreme good deed unmatched by any other.**

**The harsh and painful beating continued to rain down on Satan until he cried out for help, promising honesty, compliance, obedience, and the abandonment of evasion, deception, and fraud. Only then did the policemen stop beating him. Satan spoke, and confessed without pressure or coercion to the validity of all charges levelled against him, and admitted to every crime attributed to him.**

**In accordance with the applicable rules and laws, Satan was referred to the court for trial. The day of his trial was a historic, unforgettable day. The judge was a venerable and honest man, concerned with nothing but justice and truth. He listened with patience to many witnesses who competed to deliver their testimonies exposing the heinous crimes that Satan had caused and instigated.**

**The Testimonies:**

**The First Testimony: "I did not want to kill, but Satan pursued me with stubbornness and persistence and presented killing to me as a wonderful way to get rid of whom I loathed and hated, provoking me to view those whose lives I wanted to take as similar to a sheep whose slaughtering is lawful."**

**The Second Testimony: "When I saw her walking on the road, I said to myself that she was a beautiful, seductive woman. I contented myself with following her and looking at her with innocence and longing, wishing she were my wife. But Satan grew angry, mocked me, accused me of cowardice, and pushed me to pounce on her and rape her publicly before the eyes of the people, as if I were an animal and not a human being whose face reddens with shame while looking at his mother."**

**The Third Testimony: "All my life, I loved honesty and hated lying. However, Satan slipped into my head through a method I still do not comprehend and resided there without**

أَجْهَلُهُ وَأَقَامَ بِهِ، وَلَمْ يُغَادِرْهُ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ صِرْتُ مِنْ أَشْهَرِ الكَذَّابِينَ."

**الشَّهَادَةُ الرَّابِعَةُ:** "كُنْتُ أَكْرَهُ الأَحْزَابَ السِّيَاسِيَّةَ سَوَاءٌ أَكَانَتْ عَلَنِيَّةً أَمْ سِرِّيَّةً، فَجَاءَ إِلَيَّ إِبْلِيسُ، وَالْتَصَقَ بِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي إِلاَّ بَعْدَ أَنِ انْتَسَبْتُ إِلَى حِزْبٍ سِيَاسِيٍّ مُعَارِضٍ وَمَحْظُورٍ."

الشَّهَادَةُ الخَامِسَةُ: "كَانَتْ زَوْجَةً لِأَخِي وَقَبِيحَةً، يَأْنَفُ الكَلْبُ مِنْ لَمْسِهَا، وَكُنْتُ أُدْرِكُ أَنَّهَا زَوْجَةُ أَخِي وَقَبِيحَةٌ، فَشَرَعَ إِبْلِيسُ فِي الوَسْوَسَةِ لِي حَتَّى جَعَلَنِي أَرَاهَا أَجْمَلَ امْرَأَةٍ وَأَنْسَى أَنَّهَا زَوْجَةُ أَخِي، وَأَتَسَلَّلُ إِلَى فِرَاشِهَا كُلَّمَا كَانَ أَخِي خَارِجَ البَيْتِ."

**الشَّهَادَةُ السَّادِسَةُ:** "كُنْتُ سَجَّانًا أُعَذِّبُ النَّاسَ وَأَتَعَذَّبُ، وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ هَاجَمَ قَلْبِي، فَصِرْتُ أُعَذِّبُ النَّاسَ وَأَنَا أَضْحَكُ مَسْرُورًا، وَصَارَ النَّاسُ يَتَعَذَّبُونَ وَحْدَهُمْ."

**الشَّهَادَةُ السَّابِعَةُ:** "كُنْتُ قَانِعًا بِأَنِّي وُلِدْتُ فَقِيرًا، وَأَعِيشُ فَقِيرًا، وَسَأَمُوتُ فَقِيرًا، وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ ظَلَّ يُغْوِينِي حَتَّى ضَعُفْتُ وَصِرْتُ أَحْسُدُ مَنْ هُمْ لَيْسُوا بِفُقَرَاءَ وَأَمْقُتُهُمْ وَأَحْقِدُ عَلَيْهِمْ وَأَتَمَنَّى أَنْ يَمُوتُوا كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ."

**الشَّهَادَةُ الثَّامِنَةُ:** "كُنْتُ دَائِمًا امْرَأَةً مُطِيعَةً لِزَوْجِهَا، أَمُوتُ إِذَا طَلَبَ إِلَيَّ أَنْ أَمُوتَ، فَسَخِرَ إِبْلِيسُ مِنِّي حَتَّى تَحَوَّلْتُ امْرَأَةً مَرْفُوعَةَ الرَّأْسِ، مُتَعَجْرِفَةً، تَزْعُمُ أَنَّ لَهَا كِيَانَهَا المُسْتَقِلَّ وَقَرَارَهَا الشَّخْصِيَّ."

الشَّهَادَةُ التَّاسِعَةُ: "اشْتَهَرَتْ أُسْرَتِي مُنْذُ أَنْ وُجِدَتْ بِاحْتِرَامِ كُلِّ حُكُومَةٍ وَتَأْيِيدِهَا فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَلَكِنِّي كُنْتُ مُخْتَلِفًا، أَنْتَقِدُ كُلَّ الحُكُومَاتِ، أَنْتَقِدُهَا فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَنْتَقِدُهَا وَأَنَا قَاعِدٌ وَأَنَا وَاقِفٌ وَأَنَا مَاشٍ، وَأَنْتَقِدُهَا وَأَنَا نَائِمٌ، وَلاَ أَحَدَ مَسْؤُولٌ سِوَى إِبْلِيسَ القَبِيحِ الفَعَّالِ."

**leaving for a moment until I turned into one of the most famous liars."**

**The Fourth Testimony: I used to hate political parties, whether these are open or secret. But Satan came to me, clung to me, and did not leave me until I joined an opposition and banned political party.**

**The Fifth Testimony: She was my brother's wife and ugly, even a dog would disdain to touch her, and I fully recognized that she was my brother's wife and ugly. But Satan began whispering to me until he made me see her as the most beautiful woman, made me forget she was my brother's wife. Hence, I started slipping into her bed whenever my brother was out of the house.**

**The Sixth Testimony: I was a prison guard who tortured people and felt tortured and suffered internally. But Satan assaulted my heart, and I began torturing people while laughing with joy, leaving the people to suffer alone.**

**The Seventh Testimony: I was content with the fact that I was born poor, lived poor, and would die poor. But Satan kept tempting me until I became weak and began to envy those who were not poor, to hate them, bearing grudges against them, and wishing that they would die together.**

**The Eighth Testimony: I was always an obedient wife to my husband; I would have died if he had asked me to die. Then Satan mocked me until I transformed into a headstrong and arrogant woman who started claiming that she has her own independent entity and personal decision.**

**The Ninth Testimony: Since its existence, my family has been famous for respecting and supporting every government throughout the good and bad times. But I was different from my family. Hence, I criticized all governments, criticized them day and night, while sitting, standing, and walking, and even while sleeping. No one is responsible for this but the ugly, active Satan.**

| | |
|---|---|
| **الشَّهَادَةُ العَاشِرَةُ:** "كَانَتْ زَوْجَتِي تُحِبُّنِي وَتُعَامِلُنِي كَأَنَّ كُلَّ الرِّجَالِ مَاتُوا وَأَنَا الرَّجُلُ الوَحِيدُ الحَيُّ المُتَبَقِّي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَغَارَ إِبْلِيسُ مِنِّي وَتَدَخَّلَ فِي حَيَاتِنَا، وَأَغْوَى زَوْجَتِي بِأَنْ تَعْشَقَ سَائِقَ سَيَّارَتِي. وَعِنْدَمَا اكْتَشَفْتُ عَلاَقَتَهَا بِهِ طَلَبْتُ إِلَيْهَا أَنْ تَخْتَارَ بَيْنَنَا، فَقَالَتْ لِي بِوَقَاحَةٍ لاَ سَبَبَ لَهَا سِوَى إِبْلِيسَ أَتُخَيِّرُنِي بَيْنَ حِمَارٍ وَغَزَالٍ؟ وَتَرَكَتْنِي لِتَعِيشَ مَعَ سَائِقِ سَيَّارَتِي فِي غُرْفَةٍ إِيجَارُهَا فِي الشَّهْرِ أَقَلُّ مِنْ ثَمَنِ سِيجَارٍ وَاحِدٍ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي اعْتَدْتُ تَدْخِينَهُ." | **The Tenth Testimony: My wife loved me and treated me as if all men had died and I was the only living man left on the face of the earth. Satan grew jealous of me, intervened in our lives, and tempted my wife into falling in love with my car driver. When I discovered her affair with him, I asked her to choose between us. She said to me with an insolence whose cause was no one except Satan: Are you giving me an option to choose between a donkey and a gazelle? She left me to live with my car driver in a rented room whose monthly rent was less than the price of a single cigar of the brand I am accustomed to smoking.** |
| **الشَّهَادَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ:**"يَسْخَرُ مِنِّي كُلُّ النَّاسِ الَّذِينَ أَعْرِفُهُمْ، وَيَقُولُونَ عَنِّي إِنِّي ذَلِيلٌ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ يَوْمًا، وَيَتَنَاسَوْنَ المُذْنِبَ الحَقِيقِيَّ الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ. وَمَا ذَنْبُ التِّلْمِيذِ إِذَا كَانَ مُعَلِّمُهُ قَدْ لَقَّنَهُ مَعْلُومَاتٍ خَاطِئَةً وَمُضَلِّلَةً؟" | **The Eleventh Testimony: All the people whom I know mocked me, saying that I am a humiliated soul who has never raised his head even for one day. However, they overlooked the real culprit, of course who is Satan. What is the fault of the student when his teacher has taught him false and misleading information?** |
| **الشَّهَادَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:** "كُنْتُ أَجُنُّ إِذَا رَأَيْتُ عُصْفُورًا يَنْقُرُ تُفَّاحَةً عَلَى شَجَرَةٍ مِنْ دُونِ أَنْ يَسْتَأْذِنَ صَاحِبَهَا، وَأَعْتَبِرُ فِعْلَتَهُ سَرِقَةً يَجِبُ أَنْ يُعَاقَبَ مُرْتَكِبُهَا أَقْسَى عِقَابٍ، وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ نَجَحَ فِي تَغْيِيرِ طِبَاعِي، وَأَصْبَحْتُ أَسْرِقُ النَّهْرَ حَالِمًا بِيَوْمٍ أَسْرِقُ فِيهِ البَحْرَ." | **The Twelfth Testimony: I used to lose my mind whenever I saw a bird pecking at an apple on a tree without the owner's permission, considering this action a theft, the committer of it deserved the harshest punishment. But Satan succeeded in changing my nature, and I began stealing the river dreaming one day I would steal the sea.** |
| **الشَّهَادَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:** "كُنْتُ مُنْذُ صِغَرِي أَكْرَهُ النِّفَاقَ وَالمُنَافِقِينَ حَتَّى أَنِّي لَحْظَةَ وَلَدَتْنِي أُمِّي وَسَمِعْتُ القَابِلَةَ تُهَنِّئُهَا وَتَقُولُ لَهَا إِنَّهَا أَنْجَبَتْ أَجْمَلَ صَبِيٍّ، صِحْتُ بِهَا مُؤَنِّبًا وَقُلْتُ لَهَا بِلاَ نِفَاقٍ قُولِي لَهَا إِنَّهَا أَنْجَبَتْ أَقْبَحَ صَبِيٍّ. هَكَذَا كُنْتُ دَائِمًا العَدُوَّ الأَوَّلَ لِلنِّفَاقِ، وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ احْتَلَّنِي فِي يَوْمٍ مَشْؤُومٍ، وَحَوَّلَنِي مُنَافِقًا مُخْتَصًّا بِالنِّفَاقِ لِلْخَسِيسِ وَالحَقِيرِ وَالوَضِيعِ وَالجَبَانِ وَالنَّذْلِ." | **The Thirteenth Testimony: Since my childhood, I hated hypocrisy and hypocrites to such extent that even the moment when my mother gave birth to me, I heard the midwife who was congratulating her by saying that she had given birth to the most handsome boy, I cried out to scolding: and said to her without hypocrisy: Tell my mother that she had given birth to the ugliest boy. Thus, I was always the number one enemy of hypocrisy. But on an ill-fated day Satan occupied me and turned me into a competent hypocrite, specialized in flattering the vile, the despicable, the mean, the coward, and the scoundrel.** |
| **الشَّهَادَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ:** "أَسْتَطِيعُ ذِكْرَ أَسْمَاءِ أَلْفِ شَخْصٍ وَأَكْثَرَ، وَهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِلشَّهَادَةِ بِأَنِّي كُنْتُ تَقِيًّا | |

وَرِعًا، أَعْبُدُ اللَّهَ وَأُطِيعُهُ. وَمَا إِنْ دَهَمَنِي إِبْلِيسُ حَتَّى صِرْتُ مُلْحِدًا فَاجِرًا دَاعِرًا".

**الشَّهَادَةُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ:** "أَنَا لاَ أُحِبُّ سِوَى شُرْبِ المَاءِ، وَإِبْلِيسُ شَرَحَ لِي بِأُسْلُوبٍ بَلِيغٍ الفَوَائِدَ الصِّحِّيَّةَ لِشُرْبِ الخَمْرَةِ، وَكُنْتُ شَابًّا سَاذَجًا، فَصَدَّقْتُهُ، وَأَدْمَنْتُهَا، وَلَمْ يَعُدْ مَا يَجْرِي فِي عُرُوقِي يَصْلُحُ لِأَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ دِمَاءٌ."

**الشَّهَادَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ:** "الْتَقَيْتُ بِإِبْلِيسَ فِي أَحَدِ الأَيَّامِ، وَكَانَ مُتَنَكِّرًا فِي صُورَةِ طِفْلٍ رَجَانِي أَنْ أُمْسِكَ يَدَهُ حَتَّى يَعْبُرَ الشَّارِعَ مِنْ رَصِيفٍ إِلَى رَصِيفٍ، وَلاَ أَدْرِي مَا الَّذِي حَلَّ بِي، فَصِرْتُ مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَكْرَهُ كُلَّ طِفْلٍ حَتَّى لَوْ كَانَ طِفْلِيَ الأَوْحَدَ الَّذِي لَنْ يَكُونَ لِي غَيْرُهُ طَوَالَ عُمْرِي."

وَلَمَّا تَبَيَّنَ لِلْقَاضِي الجَرَائِمُ المُرَوِّعَةُ الَّتِي ارْتَكَبَهَا إِبْلِيسُ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ، فَبَادَرَ إِبْلِيسُ إِلَى الإِطَاعَةِ مُتَوَهِّمًا أَنَّ سُجُودَهُ سَيَكْفُلُ لَهُ النَّجَاةَ، وَلَكِنَّ القَاضِيَ تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ مُرْتَعِشٍ مُصْدِرًا حُكْمَهُ بِإِعْدَامِهِ.

وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ كَيْفَ أُعْدِمَ إِبْلِيسُ. بَعْضُهُمْ قَالَ إِنَّهُ شُنِقَ ذَاتَ فَجْرٍ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ إِنَّهُ أُحْرِقَ وَذُرَّ رَمَادُ جُثَّتِهِ فَوْقَ البَحْرِ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ إِنَّهُ قُطِّعَ بِالسِّكِّينِ قِطَعًا صَغِيرَةً وَدُفِنَ فِي مَكَانٍ مَجْهُولٍ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ إِنَّهُ قَدْ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ مِئَاتُ العِيَارَاتِ النَّارِيَّةِ مِنَ البَنَادِقِ حَتَّى غَدَا جِسْمُهُ أَشْبَهَ بِالْغِرْبَالِ، وَتَعَدَّدَتِ الرِّوَايَاتُ وَاخْتَلَفَتْ، وَلَمْ يَتَّفِقِ اثْنَانِ عَلَى رِوَايَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّ الشَّرَّ لَمْ يَعُدْ لَهُ أَيُّ وُجُودٍ عَلَى الأَرْضِ، وَكَفَّ النَّاسُ عَنِ ارْتِكَابِ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ، وَنَبَتَتْ فِي ظُهُورِهِمْ أَجْنِحَةٌ بَيْضَاءُ اللَّوْنِ حَيَّرَتِ الأَطِبَّاءَ وَالعُلَمَاءَ.

**The Fourteenth Testimony: I can state the names of a thousand people or more who are ready to testify that I was pious and devout, worshipping and obeying God. However, as soon as Satan attacked me, I became a profligate, debauched atheist.**

**The Fifteenth Testimony: I liked nothing except drinking water. But Satan explained to me in an eloquent style the health benefits of drinking wine and I was a naive young man, so I believed him and became addicted to it in such a manner that what now flows in my veins can no longer be described as blood.**

**The Sixteenth Testimony: I met Satan one day when he was disguised as a child who requested me to hold his hand so he could cross the street from one sidewalk to another. I do not know what happened to me, since that moment, I grew to hate every child even if he were to be my only child, the only one I would ever have in my whole life.**

**When the horrible crimes committed by Satan became clear to the judge, he ordered him to prostrate. Satan hastened to comply with the order, imagining that his prostration would guarantee his salvation from punishment. However, the judge spoke with a trembling voice, issuing his verdict of execution.**

**No one knew exactly how Satan was executed. Some said he was hanged at dawn; some said he was burned and his ashes were scattered over the sea; some said he was cut with a knife into small pieces and buried in an unknown place; and some said hundreds of bullets were fired at him from rifles until his body became like a sieve. The narratives multiplied and differed, and no two people agreed on a single narrative. However, evil no longer existed on earth. People ceased committing sins and misdeeds, and white wings grew upon their backs which made doctors and scientists utterly bewildered.**

# المسيحيون والمقاومة السياسية الفلسطينية في رواية "دبابة تحت شجرة عيد الميلاد"



**عبد الحليم علي**
باحث الدكتورة في قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عالية كولكاتا، الهند.
abdulhalimali1995@gmail.com

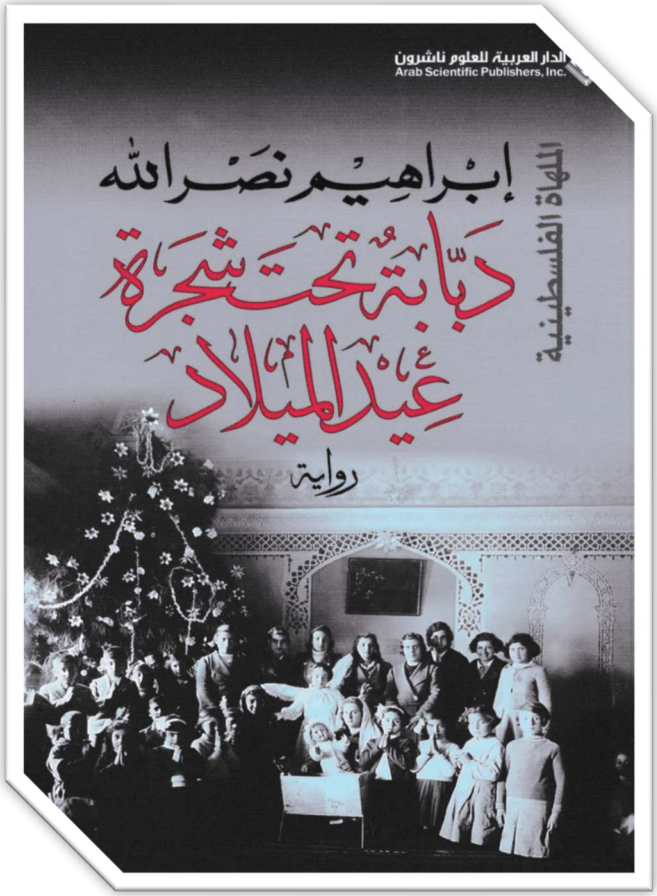
**Abstract:** **This study examines the representation of Palestinian Christians and their role in political resistance in Ibrahim Nasrallah's novel A Tank Beneath the Christmas Tree. Focusing on the town of Beit Sahour during the First Palestinian Intifada, the study explores the various forms of resistance adopted by its inhabitants against Israeli occupation. It highlights political resistance through demonstrations, strikes, civil disobedience, and tax refusal, alongside economic resistance through boycotting Israeli products and promoting self-sufficiency. The study also examines the role of the Church, religious leaders, women, children, and community solidarity in sustaining the Palestinian struggle. It argues that the novel portrays resistance as a collective national endeavor that transcends religious and social boundaries, emphasizing unity, resilience, and the preservation of Palestinian identity and historical memory.**

**Keywords:** **Palestinian Resistance, Palestinian Christians, Ibrahim Nasrallah, A Tank Beneath the Christmas Tree, Beit Sahour, Political Resistance, Civil Disobedience, Economic Boycott, National Unity.**

**الملخص:**يقوم الباحث في هذه الورقة البحثية بتحليل الفكرة المهمة التي تتناولها رواية "دبابة تحت شجرة عيد الميلاد" وبيان أهم جوانبها. تتناول الرواية قضايا فلسطين منذ أواخر العهد العثماني حتى الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وتركز على حكاية بلدة "بيت ساحور" وما تعرض له أهلها من أحداث ومعاناة ومقاومة. كما تسلط الرواية الضوء على إسهامات المسيحيين الفلسطينيين في مقاومة الاحتلال، وعلى دورهم في المجتمع الفلسطيني. وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل أشكال المقاومة التي مارسها أهل بيت ساحور، وخاصة المقاومة السياسية والمسلحة، مع توضيح دور الكنيسة، والمظاهرات، والإضرابات، والامتناع عن دفع الضرائب في مسيرة النضال الوطني الفلسطيني. وهم يحاولون المقاومة الاقتصادية، ولا سيما مقاطعة المنتجات الإسرائيلية ومشروع تربية الأبقار الذي ساعد على تحقيق الاكتفاء الذاتي وتقليل الاعتماد على منتجات الاحتلال.

**الكلمات الافتتاحية: المقاومة الفلسطينية، المسيحيون، أبراهيم نصرالله**

**المقدمة:** تُعدّ رواية "دبابة تحت شجرة عيد الميلاد" لإبراهيم نصر الله من الأعمال التي تناولت المقاومة الفلسطينية في مواجهة الاحتلال، وأبرزت مشاركة المسيحيين الفلسطينيين في النضال الوطني. تعرض الرواية عن حكاية أهل القرية ومعاناتها ومقاومتها، وتمثل القرية الفلسطينية الحقيقية المسمى "بيت ساحور". فهي قرية تاريخية للمسيحيين. ولا يقدم الكاتب المقاومة على أنها فعل يخص فئة معينة من المجتمع، بل يصورها بوصفها مسؤولية وطنية مشتركة تجمع الفلسطينيين بمختلف انتماءاتهم الدينية والاجتماعية. ومن خلال أحداث الرواية وشخصياتها، يظهر المسيحيون الفلسطينيون وهم يشاركون في مقاومة الاحتلال بوسائل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متعددة. وتظهر المقاومة السياسية في الرواية من خلال رفض سياسات الاحتلال وممارساته، والمشاركة في الإضرابات والمظاهرات والعصيان المدني. فقد أدرك سكان بيت ساحور أن مواجهة الاحتلال لا تقتصر على حمل السلاح، وإنما يمكن أن تتم من خلال تنظيم المجتمع ورفض التعاون مع سلطات الاحتلال. لذلك شارك السكان في الإضرابات، ورفضوا دفع الضرائب، كما رفضوا بعض الإجراءات التي فرضها الاحتلال عليهم. وقد شكلت هذه المواقف تحديًا مباشرًا لسلطة الاحتلال، لأنها أظهرت قدرة السكان على تنظيم حياتهم واتخاذ قراراتهم بعيدًا عن إدارة الاحتلال.




والكاتب الشهير إبراهيم نصر الله الأردني الفلسطيني قد أصدر الرواية في عام 2019م، وتأتي رواية "دبابة تحت شجرة عيد الميلاد" ضمن أعمال "ثلاثية الأجراس" التي تضم روايتين أخريين، هما "ظلال المفاتيح" و"سيرة عين". تصور الرواية الوضع العام في فلسطين، وتحولها، وأحداث 75 عامًا، تمتد من الحرب العالمية الأولى ونهاية الحكم العثماني، مرورًا بالاستعمار البريطاني، والنكبة والنكسة وما تلاها، وصولًا إلى نهاية الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1991م. وقد وقعت الأحداث في القدس وبيت لحم، وبشكل رئيسي في بلدة بيت ساحور ذات الأغلبية المسيحية بالقرب من

القدس. فتستهدف الباحث هنا تحليل الرواية مع التركيز على جوانب المقاومة السياسية لأهل القرية ومما أدى إلى المسلحة.

**المقاومة السياسية:**

لم تقتصر المقاومة الوطنية على الثوار وحَمَلة السلاح، بل تعددت أشكالها وشارك فيها مختلف أفراد المجتمع. وقد قدمت بيت ساحور خلال الانتفاضة الأولى نماذج مميزة للمقاومة المدنية، التي أصبحت مصدر قلق دائم للاحتلال. واستخدم أهالي بيت ساحور وسائل سلمية متنوعة ألحقت بالاحتلال خسائر اقتصادية وإعلامية ومعنوية[117]. فقد بدأت المقاومة بالأناشيد الوطنية والهتافات، ثم تطورت إلى الإضرابات، والمسيرات، والمظاهرات، ووصلت إلى المقاطعة الشاملة والعصيان المدني، مما جعلها وسيلة فعالة في مواجهة الاحتلال.

يُعد الإضراب الذي شهدته بيت ساحور خلال انتفاضة الحجارة من أبرز أشكال المقاومة الشعبية، لأنه جمع بين الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وكان هدفه توعية الناس، وتشجيعهم على المشاركة في مقاومة الاحتلال[118]. وقد ساهم هذا الإضراب في إضعاف سيطرة الاحتلال على المدينة، إذ أصبحت شؤون الحياة اليومية تُدار من قبل أهالي المدينة ولجانها. ومن أهم مظاهر الإضراب الامتناع عن دفع الضرائب، ورفض ترخيص السيارات. كما كان للكنيسة دور مهم في دعم هذا النضال. فقد تردد بعض السكان في المشاركة خوفًا من مصادرة ممتلكاتهم، لكن إسكندر عمل على تشجيعهم والتغلب على هذا التردد، وحثهم على الاستمرار في المقاومة، قال إسكندر في الاجتماع الذي عقد في بيته "كان والدي يقول: الذي ثمن حصانه أعلى من ثمنه، من العيب أن نحكي معه، من العيب أن يكون صاحبك.. هذه مدينة تسند ظهرها إلى مهد المسيح"[119]. وراحت مقولته شعارًا في المدينة، تعاد مرارًا وتكرارا كلما تردد أهلها. وعن الامتناع عن دفع الضرائب، راحت حججه التي ساقها بين الناس قناعات "لن ندفع ثمن الرصاص الذي يقتلنا، ندفع لدولتنا التي تمثلنا[120].

كان إلقاء الهويات من أقوى أشكال المقاومة الشعبية، إذ وجّه أهالي بيت ساحور رسالة واضحة إلى الإدارة المدنية والعسكرية الإسرائيلية برفضهم للاحتلال. وقد شارك في هذا الموقف رجال الدين، والنساء، وحتى الأطفال. كما أُلقيت هويات الموتى، وصنع بعض الأطفال هويات ورقية وألقوها في ساحة المدينة[121]. ورفع الخوري سابا عواد هويته أمام الجميع، ثم ألقاها على الأرض، ففعل كثير من السكان الشيء نفسه، وهم يرددون الأغاني والهتافات الوطنية التي

---

117 الشوملي، جبرا، التجربة العصيانية في بيت ساحور، القدس، 1991م، ص 25

118 نفس المصدر ص 31

119 إبراهيم، نصر الله، دبابة تحت شجرة عيد الميلاد، بيروت، دار العربية للعلوم ناشرون، صفحة 441

120 نفس المصدر ص 395

121 نفس المصدر ص 441-442

تدعو إلى الصمود والوحدة. وحتى الأطفال شاركوا في هذا المشهد، ومنهم رولا، حفيدة إدوارد، التي أصبحت رمزًا للمشاركة الشعبية. وعندما طُلب من الخوري استعادة هويته، رفض ذلك وقال "هذه هوية الإدارة المدنية الإسرائيلية وليست هويته"[122]، وإنه لن يقبل إلا بالهوية الفلسطينية. ويُظهر هذا الموقف الدور المهم الذي قام به رجال الدين في تشجيع الناس على مقاومة الاحتلال، إذ كان لمواقفهم أثر كبير في تقوية عزيمة السكان ودفعهم إلى الاستمرار في النضال.

ونجد أن المقاطعة الاقتصادية من أهم وسائل المقاومة التي استخدمها الفلسطينيون. فقد اعتمدت على تحقيق الاكتفاء الذاتي، وإنتاج بدائل محلية للبضائع الإسرائيلية، مما ساهم في تقليل الاعتماد على اقتصاد الاحتلال، فشعر نفسه "لن نجد بعد شهور سوى الحجارة التي نلقيها على الجيش نهارا طعاما لأطفالنا ليلا"[123]. وفي هذا السياق، اقترح إسكندر إنشاء مشروع مشترك لتربية الأبقار في بيت ساحور[124]. ولم يكن هدف هذا المشروع تحقيق الربح فقط، بل دعم صمود الأهالي وتعزيز التعاون بينهم، وخدمة القضية الوطنية. وكان إسكندر يدرك أهمية المقاطعة الاقتصادية، لأنها لا تقتصر على التوقف عن شراء منتجات الاحتلال، بل تضعف اقتصاده، وتحد من استفادة مشاريعه الاستيطانية، وتسهم في إعاقة أهدافه الاقتصادية. حقق مشروع تربية الأبقار نجاحًا كبيرًا على المستويين المحلي والوطني. فقد أدى إلى تقليل الاعتماد على منتجات الاحتلال، حتى إن شاحنات شركة تنوفا كانت تعود بحمولتها كاملة دون أن يضطر الأهالي إلى مهاجمتها أو رشقها بالحجارة[125]. ولهذا السبب، اعتبر ناحوم المشروع خطرًا على الاحتلال، وبدأ بملاحقة المسؤولين عنه. فقد كان يدرك أن المقاطعة الاقتصادية تُضعف الاحتلال، ولذلك قال: "إن من يربي بقرة، ليس أقل خطورة من ذلك الذي يلقي حجرًا على دورية عسكرية"[126]. ويُظهر هذا القول إن الاحتلال كان يرى في المقاومة الاقتصادية وسيلة لا تقل تأثيرًا عن المقاومة الميدانية.

ظهر النضال الاقتصادي في هذه الرواية يبرز من خلال روح التكافل والتعاون بين أهالي المدينة. فقد حرص إدوارد على تقديم المساعدة للثوار خلال الحصار، وفتح مخازنه لتوزيع الطعام على الناس، قال: "هذه هي مفاتيح المخازن، وزعوا ما فيها على الناس، كما ترون، قال لرجال الثورة في المدينة"[127]. كما كان من أوائل المتبرعين بأموالهم لدعم مشروعات المدينة، ولم يتردد في أداء واجبه الوطني بما يستطيع. فيساهم في المشروع الجماعي مساهمة كبيرة، قال "لن

---

[122] نفس المصدر ص 453
[123] نفس المصدر ص 315
[124] نفس المصدر ص 316
[125] نفس المصدر ص 340
[126] نفس المصدر ص 368
[127] نفس المصدر ص 84

يكون هنالك نقص في المبلغ حين تقررون شراءها"[128]. وهذا السلوك لم يقتصر عليه، بل ظهر أيضًا في معظم شخصيات الرواية. إن المقاومة الاقتصادية كانت سلاحًا مهمًا في مواجهة الاحتلال، ولا تقل أهمية عن المقاومة السياسية أو الفكرية. فقد أثرت المقاطعة في اقتصاد الاحتلال، حتى إن عودة الحليب إلى الشركات الإسرائيلية دون بيعه أصبحت مشكلة اقتصادية احتاجت إلى تدخل الجهات الرسمية. فارتداد الحليب إلى الشركات الاسرائيلية المنتجة أمر "لن تستطيع تفسيره إلا وزارة الاقتصاد مستعينة بوزارة الدفاع!"[129] وها هي عبارة تؤكد تشابك العلاقات العسكرية والاقتصادية. وإن نجاح هذا النوع من المقاومة كان يحتاج إلى وعي وصبر واستعداد لتحمل نتائجه. وقد أخطأ ناحوم عندما ظن أن حصار بيت ساحور سيجبر أهلها على الاستسلام بسبب الجوع كما قاله "إن هذه المدينة ستموت جوعا في النهاية، هذا ما سيحدث"[130]. فقد كان الأهالي مستعدين لمواجهة الحصار، وأظهروا صمودًا كبيرًا، وعاش المسلمون والمسيحيون معًا بروح من التضامن والتكافل، وتعاونوا في توفير الطعام وتقاسمه[131].

ووصلت المدينة إلى مرحلة إعلان حركة عصيان مدني عبر المقاطعات الاقتصادية والإضرابات السياسية ومختلف أشكال المقاومة ضد الإدارة الإسرائيلية. العصيان المدني شكلٌ حضاري وشعبي وسلمي من أشكال المقاومة السياسية. وتقوم أنشطته على تحدي القوانين والأنظمة والقرارات. وهو في جوهره ثورة ضد الظلم والأعمال والقوى اللاإنسانية والظالمة، بهدف إحداث التغيير[132]. ففي هذا السياق يمكننا القول إن هذا التمرد كان مبادرة واعية، انبثقت من اجتماعات اللجنة الجماهيرية وشيوخ المدينة وشخصيات دينية لأسباب مختلفة. لكن أبرز ما لفت الانتباه هو الضرائب الباهظة المفروضة على المدينة، وتحويلها إلى ثكنة عسكرية محاصرة، واستهداف قطاعي التعليم والصحة، والاعتقالات المتكررة نهارًا، وقمع جميع أشكال الحرية.

فتحوّلت حركة العصيان المدني إلى مقاومة جماهيرية، شملت مظاهرات ومسيرات حاشدة، متحديةً أوامر الاحتلال ومنكرةً شرعيتها. وبلغت شجاعة الشعب حدّ تحدّي الأوامر العسكرية للعدو، كحظر التجول. و"بمجرد دفن سيمون، أصدر الكابتن داود أمرا بحظر التجوال لمدة يومين، كسره الناس، كانوا على استعداد لأن يموتوا"[133]. لأن أي حركة خلال حظر التجول كانت تعني نيران القناصة والموت. وفي سياق حركة العصيان المدني، برزت الاعتصامات السياسية وأصبحت ظاهرة من ظواهر النضال السياسي، مما ساهم في توسيع نطاق الصراع والمقاومة الجماهيرية. كثيراً ما نظم

---

128 نفس المصدر ص 319

129 نفس المصدر ص 371

130 نفس المصدر ص 487

131 نفس المصدر ص 415

132 عبد الحكيم، أحمد، حلقات العصيان المدني، ط 1، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007م، ص 15

133 إبراهيم، نصر الله، دبابة تحت شجرة عيد الميلاد، بيروت، دار العربية للعلوم ناشرون، صفحة 471

سكان المدينة اعتصامات وإضرابات، معلنين احتجاجهم ورفضهم لسياسات المحتلين. كما حاول المجتمع الدولي ونجح، في الانضمام إلى هذه الاعتصامات، مما لفت انتباه وسائل الإعلام والرأي العام إلى المدينة المحاصرة[134].

ولقد أراد إسكندر أن يصل إلى فكرة محتواها أن أشكال المقاومة متعددة، وتفسر مقولة إسكندر لحفيده زيدان: "أنا لا أستطيع أن أهزم جورج فورمان في الملاكمة، ولكنني أستطيع أن أغلبه في لعبة الشطرنج"[135]. وأدرك أن مواجهة الجيش الإسرائيلي بالحجارة والأيدي العارية لا تكفي، بل هي حرب غير متكافئة. وقد تطرق هذه الحرب مقاطعات، وعصيان مدني، واعتصامات، وتمرد، وكتابة، وفن، ومعرفة. أدرك بدافع وطنيته عبثية رشق الجنود بالحجارة وانتظار بضائعهم الإسرائيلية في اليوم التالي. وكما أدرك أن الضرائب الباهظة التي يدفعونها هي ثمن الأسلحة المستخدمة في قتلهم.

**المقاومة المسلحة:**

في كثير من الحالات، قد تكون المقاومة المسلحة ضرورية لتحقيق التقدم وإنجاح نضال التحرير. إلا أنه في بيت ساحور، وفي فلسطين عموماً، حرمت سلطات الاحتلال الفلسطينيين من حق حمل السلاح. ونتيجة لذلك، كانت الحجارة وسيلتهم الرئيسية للمقاومة، وقد استخدموا بفعالية أشكالاً مختلفة من العصيان المدني، كالإضرابات والمقاطعات والحركات الجماهيرية والمقاومة الثقافية. وبعد فشل قوات الاحتلال في قمع جميع هذه البرامج الفلسطينية، لجأت إلى القمع العنيف ضد السكان المدنيين. وفرضت الإدارة العسكرية الإسرائيلية إجراءات عقابية متنوعة على سكان المدينة، وكثفت الحصار والتسليح والقمع. إلا أن الفلسطينيين لم يستسلموا لهذه الإجراءات القمعية، بل واصلوا المقاومة بحزم وقوة قصوى. روح الثورة تنبض في كل بيت من بيوت بيت سحور. من الكنائس والمساجد كان الثوار الملثمون والأطفال والنساء والشخصيات الدينية يرشقون جنود الاحتلال بالحجارة. ومن ملصقات الشهداء المعلقة على الجدران والأسوار والمباني، يتدفق سيل من المقاومة في كل زاوية من زوايا المدينة[136]. ثورةٌ غمرتها الموسيقى الثورية والأغاني الوطنية والترانيم الدينية، فأصابت الجنود الاحتلال بالجنون. وأبقى هذا الانقلاب سلطات الاحتلال مشغولة، وبدأت الأوامر تنهال على ناحوم: "عليك القضاء على مشكلتنا مع بيت ساحور بأسرع وقت ممكن، بأي وسيلة!"[137]

---

134 نفس المصدر ص 324

135 نفس المصدر ص 307

136 المصدر السابق ص 488

137 نفس المصدر ص 484

ويكشف الفصل المعنون "ليالي الموت"[138] بوضوحٍ تام عن حجم المعاناة والموت في رواية دبابة تحت شجرة عيد الميلاد. فهو يُفصّل محنة المدينة، من اعتقالاتٍ نهارية وحظر تجول، وهدم منازل واستهداف أفراد، فهي نقطة تحوّل حقيقية في تاريخ المدينة. تتوج أشهر من الأحداث العنيفة والدموية بمشاهد مروعة، منها تعذيب بشارة: "عشرون يومًا من التنكيل بدت وكأنها عشرون عامًا"[139]. ويتكرر التاريخ مع ابنه زيدان، الذي يتعرض للتعذيب وسوء المعاملة على أيدي الجنود[140]، ويُمنع من أداء امتحانات الثانوية العامة وكما يصور الفصل استشهاد نديم[141] ومقتل جورج في جريمة لم يشهد لها التاريخ مثيلا[142].

تقدم الروايات صورة واضحة للمقاومة الوطنية. ففي رواية "دبابة تحت شجرة عيد الميلاد"، تُعرض المقاومة التي دارت رحاها في بيت سحور خلال الانتفاضة الأولى، حيث تُجسد بواقعية التضحيات والنضالات والتضحيات التي قدمها الفلسطينيون دفاعًا عن أرضهم. وفي الوقت نفسه، عند قراءة ثلاثية الروايات او ثلاثية الأجراس نجد صورًا لأشكال المقاومة المختلفة ومعاناتها. لم يكتفِ الفلسطينيون بمقاومة قوات الاحتلال بالحجارة، بل استخدموا أيضًا القلم والموسيقى والتصوير والفن. وإضافةً إلى ذلك تُبرز الروايات أهمية الوحدة الوطنية والتضامن والروح المعنوية العالية للشعب الفلسطيني. فهي تُخلّد ذكرى الكفاح الفلسطيني، وتُساعد القارئ على فهم العلاقة بين الماضي والحاضر. كما تُلهمنا هذه الروايات لإدراك واقع القمع والمعاناة والتهجير الناجم عن الاحتلال ولتقييمه بموضوعية.

## الخاتمة:

يتضح من خلال دراسة رواية "دبابة تحت شجرة عيد الميلاد" أن إبراهيم نصر الله قدّم صورة واضحة للمقاومة الفلسطينية. فقد أظهرت الرواية أن المقاومة لم تكن مقتصرة على حمل السلاح، بل اتخذت أشكالًا متعددة، منها الإضراب السياسي، والعصيان المدني، والمقاطعة الاقتصادية، والاعتصامات، والمظاهرات، إلى جانب المقاومة الثقافية والفنية. وقد ساهمت هذه الأشكال المختلفة في إضعاف سيطرة الاحتلال وتعزيز صمود السكان. كما كشفت الرواية عن الدور المهم للكنيسة ورجال الدين في دعم المقاومة وتشجيع السكان على الصمود، وأبرزت في الوقت نفسه مشاركة النساء والأطفال وعموم أفراد المجتمع في النضال الوطني. ومن خلال شخصية الخوري سابا عواد، يظهر أن الموقف الديني يمكن أن يرتبط بالموقف الوطني، وأن رجال الدين كانوا جزءًا من المجتمع ومقاومته. وأظهرت الرواية كذلك أهمية المقاومة الاقتصادية في مواجهة الاحتلال، من خلال المقاطعة وتحقيق الاكتفاء الذاتي والتعاون بين

---

[138] نفس المصدر ص 131-191

[139] نفس المصدر ص 141-142

[140] نفس المصدر ص 193-195

[141] نفس المصدر ص 216

[142] نفس المصدر ص 452

سكان المدينة. كما قدمت نموذج مشروع تربية الأبقار بوصفه وسيلة وطنية للتقليل من الاعتماد على منتجات الاحتلال وإضعاف اقتصاده. وقد ارتبط ذلك بروح التضامن والتكافل بين سكان بيت ساحور، مسلمين ومسيحيين، خاصة في فترات الحصار والجوع.

فقد نجح في تصوير المقاومة الفلسطينية في بيت ساحور بوصفها مقاومة جماعية تقوم على الوعي والتنظيم والتضامن والصمود. كما أكدت الرواية أن الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين كانت عنصرًا أساسيًا في مواجهة الاحتلال. وبذلك لا تكتفي الرواية بتسجيل أحداث المقاومة، بل تحافظ أيضًا على ذاكرتها، وتبرز تضحيات الفلسطينيين ومعاناتهم، وتؤكد تمسكهم بأرضهم وهويتهم الوطنية.

## المصادروالمراجع:


- نصر الله، إبراهيم، دبابة تحت شجرة عيد الميلاد، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2019م
- إبراهيم نصر الله، كتاب الكتابة، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2018م
- إبراهيم نصر الله، ثلاثية الاجراس، الدار العربية للعلوم ناشرون، صدرت يناير 2019م
- موسى إبراهيم أبو رياش، سلاح المقاطعة الاقتصادية في رواية دبابة تحت شجرة عيد الميلاد، صحيفة القدس العربي، 17 ديسمبر 2023م
- د. ليث الرواجفة، تقويض الكولونياليّة الإسرائيليّة والرد عليها بالكتابة رواية دبابة تحت شجرة عيد الميلاد لإبراهيم نصر الله نموذجًا، أفكار، كانون الثاني 2024م، العدد 420
- رياض كامل، الذاكرة الفلسطينية في المواجهة بين مفتاح ودبابة، ديوان العرب، 16 ديسمبر 2019م
- عبد الحكيم، أحمد، حلقات العصيان المدني، ط 1، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007م،
- الشوملي، جبرا، التجربة العصيانية في بيت ساحور، القدس، 1991م،

# تصوير القضايا الاجتماعية للمرأة في رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة



**-هادية.تي** [143]

باحثة الدكتوراه ،

كلية أنوار الإسلام العربية للبنات، مونغم، ملابرم،كيرلا

**Abstract:** **This study examines the representation of women's social issues in Rih al-Janub (The Wind from the South), a novel by Algerian writer Abdelhamid Benhadouga. Set in post-independence Algeria, the novel portrays the challenges faced by rural women within a patriarchal society shaped by poverty, traditional customs, and gender discrimination. Focusing on the character of Nafisa and other female characters, the study explores forced marriage, paternal authority, restricted freedom, educational aspirations, and women's struggle for self-determination. It also highlights the contrast between rural traditions and urban modernity, demonstrating how social and economic inequalities influence women's lives. The study argues that Benhadouga presents women not merely as victims of social oppression but also as individuals capable of resisting established norms and seeking a more independent future.**

**Keywords:** **Algerian Novel, Women's Representation, Social Issues, Abdelhamid Benhadouga, Rih al-Janub, Patriarchy, Forced Marriage, Gender Discrimination, Women's Freedom.**

**الملخص** :مرت الرواية الجزائرية بمراحل مختلفة تأثرت بالأحداث والعوامل الاجتماعية والسياسية التي ساهمت تشكيلها. تعتبر رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة نقطة انطلاق حقيقية للرواية الجزائرية الناضجة مكتوبة باللغة العربية. كما انعكست في الأدب تحولات الجزائر منذ وصول الاستعمار الفرنسي إلى أرضها، فظهرت تجارب ومشاعر الناس وتداعيات تلك الحقبة في الأعمال الروائية.

[143] . **هادية.تي**، باحثة الدكتوراه ، كلية أنوار الإسلام العربية للبنات، مونغم، ملابرم،كيرلا

**د/ عبد الناصر تليكنت**، مشرف البحث، كلية أنوار الإسلام العربية للبنات، مونغم، ملابرم،كيرلا

تعد هذه الرواية من أوائل الأعمال التي تناولت يعمق الجوانب الاجتماعية في الجزائر ، لا سيما الحياة الريفية وقضايا المرأة، وتجلت فيها قسوة الطبيعة وطموحات كبيرة للخروج من العزلة. سعى عبد الحميد بن هدوقة في روايته إلى إظهار واقع ما بعد الثورة، مع إيلاء اهتمام خاص لموضوع الأرض المرأة، ورغبة المرأة في تحطيم قيود المجتمع. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل كيفية تصوير الكاتب للمرأة في الرواية، وتبين كيف نجح الكاتب في تقديم نماذج نسائية ثائرة على تغيير الواقع الاجتماعي الجزائري بعد الاستقلال.

**كلمات مفتاحية :** الرواية، المرأة، صورة، الجزائر، عبد الحميد بن هدوقة،قضية، مجتمع

**المقدمة:** شهد الأدب الجزائري مسارا طويلا من التحول من القصة القصيرة إلى الرواية الناضجة، وقد بلغت هذه الرواية أوجها في عمل عبد الحميد بن هدوقة "ريح الجنوب". تجسد الرواية معاناة المرأة الريفية الواقعة تحت وطأة مجتمع ذكوري، وفي الوقت نفسه تجعل من المرأة رمزا للأرض والنضال نحو التحرر والانعتاق. يضع ابن هدوقة المرأة في المركز، لأنه يعتبرها المدرسة الأهم، لذلك احتقت كتاباته بها وصورتها بكل أبعادها، المظهر الخارجي والبعد الداخلي. ومن بين الجوانب التي أولى لها عناية خاصة في أعماله الصورة الاجتماعية والنفسية والجسمية. نبحث هنا صورة الاجتماعية المرأة في هذه الرواية.

## المرأة في الرواية الجزائرية ما بعد الاستقلال :

الاستقلال تغيرت مكانة المرأة جذريا، فقد انتقلت من مرحلة الحرمان إلى مرحلة امتلاك الحقوق والمفاهيم. قبله كانت الكثيرات يعانين من الجهل والأمية رغم جهودهن في تحسين وضعهن، فكان هذا الجهل سببا في خسارتهن لفرص كثيرة. أما بعد الاستقلال، فباتت المرأة مجبرة في كثير من الحالات على البحث عن العمل والتعلم لإثبات ذاتها والدفاع عن طموحاتها، خصوصا في ظل ندرة البدائل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وهذا الاضطرار دفعها إلى المطالبة بحقوقها وفتح نقاش عام حول علاقة الرجل بالمرأة. وكل ذلك نتج عن أن التعلم أعطاها القوة لتخرج بما كانت تبوحه سرا إلى العلن، فترتقي إلى مكانة أعلى.

"هناك نخبة من الروائيين الجزائريين الذين أولوا المرأة مساحة كبيرة في أعمالهم، منهم أحلام مستغانمي في "ذاكرة الجسد" وزهور ونيسي ومحمد ديب ورشيد بوجدرة والطاهر وطار ومولود معمري. ولا ننسى عبد الحميد بن هدوقة وروايته "ريح الجنوب"، التي تبقى رواية ناضجة أعلنت بداية قوية للرواية الجزائرية باللغة العربية"[144]. "لقد طرحت هذه الرواية، عبر شخصية نفسية مركبة، قضية المرأة وحريتها وتطورها"[145]، كما أن كل كاتب من هؤلاء قدم رؤيته الخاصة للمرأة، مجسدا إياها ومدحا لها بطرق متنوعة.

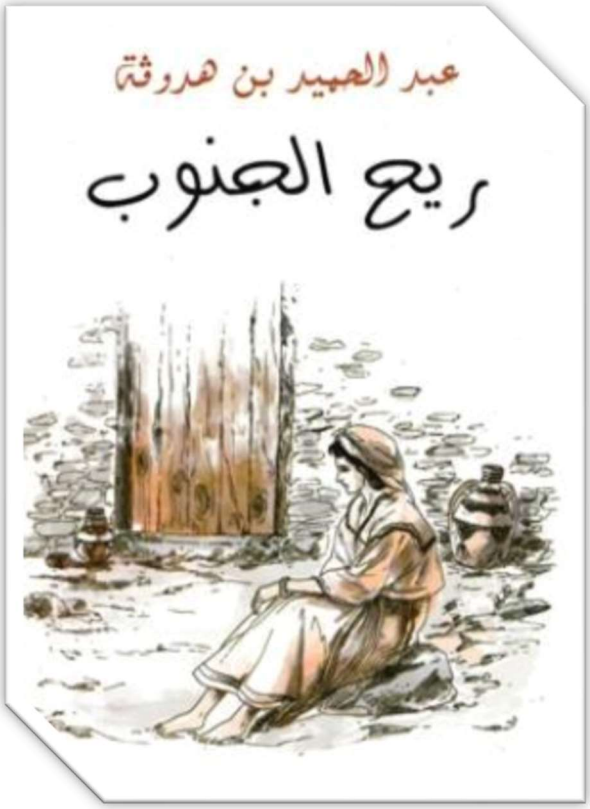
---

[144] . مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، ص ١٢.
[145] .المرجع نفسه، ص ١٢.

**نبذة عن الكاتب:** عبد الحميد بن هدوقة كاتب جزائري ولد في مدينة المنصورة عام ١٩٢٠. بدأ تعليمه الابتدائي ثم انتقل إلى معهد الكتانية في قسنطينة، وبعدها درس في الجامعة الزيتونية بتونس. بعد عودته إلى الجزائر استأنف دراسته في معهد الكتانية ، وانخرط في النضال ضد الاستعمار، ما اضطره في نهاية المطاف إلى مغادرة وطنه واللجوء إلى فرنسا إثر ملاحقته من قبل السلطات الاستعمارية.

ومن أشهر أعمالها الأدبية "الجزائر بين الأمس واليوم" (١٩٥٩)، ورواية "ريح الجنوب" (١٩٧٠) ، ورواية "نهاية الأمس"(١٩٧٥)، و"بان الصباح"(١٩٨٠)، ورواية " غدا يوم جديد"(١٩٩٢).

## ملخص الرواية "ريح الجنوب"




رواية "ريح الجنوب" للروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقة تتكون من مائتين وست وستين صفحة. بدأت الرواية صباح الجمعة، وهو يوم السوق، حيث يستعد عبد بن القاضي للذهاب إلى السوق برفقة نجله عبد القادر، قريبا من المنزل يفكر في أرضه وقطعان الأغنام بقيادة الراعي رابح. وفي تلك اللحظة بدأت تنتشر شائعات تتعلق بالإدارة الذاتية حول الإصلاح الزراعي، فخطر له أن يسعد عندما يرى ابنته في المخيلة، وهي تغادر غرفتها الخاصة، تروي لصاحب الشيخ البلدية الذي يوم الأرض، لكنها كانت تعاني من الضيف وتكتم دموعها."أكاد أفتجر في هذه الصحراء، ثم تتابع الرواية قائلة: كل الطلبة يفرحون بعطلتهم، أما أنا فعطلتي أقضيها في المنفى"[146]. وفجأة هدأت نفيسة من حالة الاضطراب حين سمعت أنغاما حزينة يعرفها الراعي رابح؛ تأثرت حتى كانت تخرس، ولم يخرج من فمها سوى صوت العجوز رحمة تنادي على أخيها عبد القادر من بعيد، معلنة قدومها لترافق مع خيرة والدة نفيسة إلى المقبرة. عندئذ رغبت نفيسة في الذهاب معهما."أرغب في ذلك يا خالة أود أن أرى الدنيا، إنني اختنقت من هذا السجن"[147]. بعد قليل من الأيام، تحتفل القرية بافتتاح مقبرة لأبناء الشهداء الذين سقطوا في حرب التحرير. يفتح عابد بن القاضي باب بيته أمام أهل القرية، راغبا

[146] . عبد الحميد بن هدوقة ، رواية ريح الجنوب ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ط)،١٩٧٠، ص ١٠.

[147]. المصدر نفسه، صفحة ٢٠

في استعادة الروابط القديمة مع مالك والتقرب منه. كان مالك قد تكلم ذات يوم في خطبة زليخة، ابنة بن القاضي، وزليخة نفسها استشهدت أثناء الثورة؛ قبل ذلك، شارك مالك ورفاقة في صناعة قنبلة كانت مخصصة لاستهداف قطار مدني كانت زليخة من ركابه. أثارت هذه الواقعة غضب بن القاضي فخون المجموعة لقوات الاحتلال، ومنذ ذلك الحين ابتعد مالك وتجنب الاقتراب منه. في يوم الاحتفال هذا، يدعو عابد مالكا لزيارة زوجته خيرة تتمنى رؤيته، فيقبل مالك الدعوة، عندما دخل الغرفة حتى وقع بصره على نفيسة، فشاهده تشبه كثيرا أختها زليخة، خطيبته السابقة، وهذا الشبه أثار في نفسه مشاعر متضاربة. في المقابل، شرع عابد بن القاضي في نشر خبر خطبة مالك لابنته نفيسة، رغم تحفظ مالكوعدم موافقته الصريحة. عندما أخبرت خيرة ابنتها بهذا الخبر، رفضت نفيسة رفضا قاطعا؛ لم تكن ترغب في البقاء في القرية، ولم ترد أن تزوج بشخص أكبر منها سنا ولا تعرفه جيدا. ومع إصرار والدها وفشل محاولتها في منعه، استعانت بخالتها المقيمة في الجزائر فكتبت إليها رسالة تستنجد بها. طلبت من راجح أن يحمل الرسالة إلى مركز البريد في القرية، فأخذها ونقلها، ولاحظ راجح لطف طريقة مخاطبتها له فظن أنها تحمل بعض الإعجاب تجاهه، فقرر أن يزورها ليلا. عندما دخل فجأة ووجد نفسه أمام سريرها، دفعته نفيسة ووخبته بألفاظ قاسية "أخرج من هنا أيها المجرم! أيها القذر، أيها الراعي القذر"[148]. غادر متوجها إلى أرض يهيم فيها خجلا وحزنا. وبقيت تلك العبارة القاسية " أيها الراعي القذر" تطارده في ذهنه، حتى ترك رعي الغنم وابتدأ يعمل في قطع الحطب.مرت الأيام، وبقي الأب مصرا على تزويج ابنته بمالك، فبدأت نفيسة تفكر طويلا في حل لمشكلتها. راودتها أفكار يائسة، الجنون، ثم الانتحار- لكنها أخيرا اختارت حلا نهائيا آخر: الهروب. وضعت خطة محكمة للهروب، وحددت يوم الجمعة للتنفيذ لأن رجال يذهبون إلى السوق والنساء إلى المقبرة، وستكون الحركة أقل لفتا للانتباه. خرجت متنكرة مرتدية برنس والدها حتى لا تعرفها أحد، فتوجهت إلى المحطة عبر طريق موحش. أثناء سيرها داست على ثعبان فجعت وأغمي عليها. صاوفها رابح الذي صار حطابا فأفاقت على يديه، فتعرفا على بعض بسرعة، وعاد معها إلى بيتها حيث تعيش مع أمها البكماء. رفضت العودة إلى بيت أبيها قاطعة "دار أبي لن أعود إليها أبدا"[149].انتشر خبر هروبها في القرية ، وعلم والدها بما حصل. غضب والدها وقرر الإنتقام، فتوجه إلى بيت رابح وخنق رغبة الإنتقام في نفسه فهاجم رابح بخنجره " موس البوسعادى" وغرر السكين في رقبته فسقط مغشيا عليه. اندفعت والدة رابح حاملة فأسا وضربت عبد بن القاضي على رأسه حتى انفتحت جروحه وانبعث الدم، فاندلعت مشاهد فوضى ودموية بينما هرعت الأم لنجدة ابنها والفتاة لمحاولة إنقاذ والدها. ثم طردت الأم الفتاة نفيسة من البيت وبدأت بالصراخ، فاندلع الناس مذعورين، وعارت نفيسة يعد محاولتها الفاشلة إلى بيت والدها.

[148]. عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص ١٠٨

[149] . المرجع نفسه، صفحة ٢٤٦

## صورة المرأة الاجتماعية في الرواية

**أ) الصورة الاجتماعية للنفيسة :** نفيسة شخصية اجتماعية متجذرة في واقع معقد، تنحدر من أصل إقطاعي، وقد شهدت الثورة المسلحة قبل الاستقلال ثم عاشت التحول الاجتماعي وظهور النزعة الاشتراكية بعده. هي تعيش في ثلاثة عوالم متباينة؛ عالم الريف، وعالم المدينة، وعالم الكتب. يتأمل الكاتب موقفها فيقول إن نفيسة فكرت قليلا في كلام العجوز، وحاولت أن تقوس خيالتها لتتخيل جدواه مقابل ما تحلم أن تكون عليه حياتها في المستقبل، فلم تجد أي تقريب بين بساطة وطفولة حياة أهل البادية وبين الحياة الحضارية المعقدة التي تذوقت شيئا منها لدى خالتها في الجزائر وقرأت عنها في الكتب والقصص والسينما. لذلك لا يفكر خيالها في الزواج والعيش في البادية؛ فذلك دون مستوى أحلامها وطموحاتها. يقول الكاتب: "فكرت نفيسة قليلا في كلام العجوز حاولت أن تتصور جدواه من خلال ما تحلم به من حياة لها في المستقبل، فلم تجد أي نقطة للمقارنة بين هذه الحياة الساذجة البسيطة التي يحياها أهلها وكل سكان البادية وبين الحياة الحياة الحضارية المعقدة التي عاشت منها قليلا لدى خالتها بالجزائر، وقرأت عنها الكثير في الكتب والقصص السينمائية... إنها لا تفكر في الزواج بالبادية والحياة فيها فذلك أسفل ما يمكن أن ينزل إليه خيالها"[150]

وتظهر لدى نفيسة ثقافة فرنسية أثرت على نظرتها وجعلتها مبتعدة عن جوهر الحضارة العربية الإسلامية، فتقول بتجهم أن أهل المكان " لا يعرفون هنا إلا الصلاة والموت، أما الحياة فهي وسواس الشيطان"[151].

كما تكشف الرواية عن أوضاعها المعيشة العصبة، حياة فقيرة ومحرومة ملموسة في تفاصيل مسكنها الضيق: "حجرة بطول ثلاثة أمتار وعرضها ثلاث أمتار أيضا، بها كوة صغيرة مطلة على جزء من البستان، ارتفاعها سبعون سنتيميترا وعرضها خمسين؛ وفي هذه المساحة ضيق السرير القديم وخزانة أقدم منه، وبالقرب من الكوة منضدة ومقعد خشبي- وصف يبعث على الشعور يضيق المكان وقسوة العيش"[152] .

نفيسة تنتمي إلى طبقة ذات امتدادات إقطاعية وتأثرات ثقافية مسوردة. مثل كثير من المثقفين، تجد راحتها واهتمامها في الحياة الحضرية، ولا تتردد في زيارة الريف إلا بشكل دوري أو لأعراض تطوعية أو زيارات موسمية.

**ب) الصورة الاجتماعية للعجوزرحمة**

تتذكر شخصية العجوز رحمة في أعمال بن هدوقة، فهي تظهر غالبا كمربية ليتيم أو كجدة تتولى رعاية الأسرة، وأحيانا كامرأة وحيدة في البيت. في رواية "ريح الجنوب" تحمل رحمة دلالات متعددة: هي حرفية تصنع الفخار،لكن لا

---

[150]. عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(د،ط)، ١٩٧٠م،ص ٣٣.
[151] . المصدر نفسه، ص١٣.
[152] . المصدر نفسه، ص ٨

تدرج ضمن الطبقة المتوسطة لأنها ليست عاملة مأجورة، بل امرأة فقيرة محرومة تعاني الجوع والحرمان. يلاحظ رابح "أن إغمائها سببه الجوع لا السقوط"[153].كذلك ترمز رحمة إلى الوحدة بين الماضي والحاضر وإلى التواصل بين الأصالة والحداثة، فتمسكها بصناعه الفخار يظهر تمجيدها للعمل والاعتماد على النفس وتمسكها بجذورها، وعلاقتها بالأرض وثيقة: "تعيش وحيدة في بيتها. لا يؤنسها سوى التراب الذي تجلبه من أماكن بعيدة"[154].

ورثت رحمة هذه الحرفة عن أمها، وهي عادة منتشرة في الارياف وتمارسها كثير من النساء الريفيات. لكن تقدمها في السن أثر على إنتاجها فأصبحت تصنع أواني أقل، وما تقبضه من مال أقل أيضا. مع ذلك تهدي الكثير من إنتاجها ونادرا ما تقبل استضافة الغرباء إلا إذا أصروا عليها. العلاقات الاجتماعية في القرية مبنية على شكل من التكافل: الهبات والصدقات، والإطعام في المناسبات، وكرم الضيافة، ومساعدة المحتاجين، واحترام الكبير، والاعتداء بالمريض. رحمة التي فقدت أهلها وزوجها وجدت في أهل القرية أسرة بديلة؛ يعاملونها كأنها أمهم، تعاملهم كأبناء فظهر بذلك روحها الاجتماعية والدفء الإنساني لديها.

**ج) الصورة الاجتماعية لخيرة**

خيرة، يكونها زوجة عبد بن القاضي، تحطى ببعض الإمتيازات المادية؛ ومع أن أسلوب حياتها اليومي متواضع، إلا أنها لا تعاني من الفقر ولديها من المصاغ ما يطمئنها. رغم ذلك، تمارس تربية الدجاج لمصلحتها الخاصة، وهي عادة شائعة بين النساء في القرية، لأن الرجل في الريف عادة ما يتولى النفقات الكبيرة فقط. كذلك تهتم بخرافات البيت والخدمة المنزلية التي تنتقد ثقلها عندما تضطر لأدائها وحدها؛ فقد عبرت خيرة أمام العجوز رحمة عن استيائها من ابنتها قائلة إن الفتاة "تكره العمل، وتكره أن تكون مثل أي بنت تساعد امها في شؤون المنزل، والبنت التي تكره العمل لا خير فيها[155]."

تظهر خيرة طوال الرواية مطيعة لزوجها وتسعى لرضاه. وبما أنها شخصية ثانوية، منحها الراوي طابعا ثابتا قليل التغير؛ فنراها منذ البداية وحتى النهاية تبكية، من دون أن تقوم بثورة أو تعارض زوجها أو أسرتها أو قيم الريف التي تتبعها. هذا الانقياد يعكس النظرة الاستبدادية السائدة في المجتمع الذي لا يرى المرأة إلا تابعة وخادمة للرجل. وفي ظل يؤس كثير من سكان القرية، تبدو خيرة شاكرة لحظها وتحاول الحفاظ على زواجها لضمان مكانتها. تمثل خيرة بذلك جانبا جامدا من الماضي وموقفا تقليديا سلبيا، وهي التابع المذعن لزوجها، ما يجعلها في تناقض فكري مع نفيسة التي تبدو مختلفة في أفكارها.

---

[153] . المصدر نفسه، ص ١٢٢.
[154] .مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط ٢، ٢٠٠٩، ص ٢٩٥.
[155] .عبد الحميد بن هدوقة ،ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د،ط)،١٩٧٠،ص ٢٨.

**د) الصورة الاجتماعية لأم رابح**

أم رابح امرأة من طبقة فقيرة، ابنها رابح يرعى غنم ابن القاضي مقابل مردود عبتي ضئيل، هي تعدت الأربعين لكنها في أوج نضجها وصلاحها ليتصرف وتقود داخل مجتمعها، رغم ثيابها البالية، فهي ذات هيئة جميلة، رقيقة الحركة، ووجهها مشرق رغم بكمها. وبسبب صمتها الذي صار شبه عودة إلى زمن الاحتلال. اجتاح القرية مرض "التيفوس" وحلت المجاعة أيام الحرب العالمية الثانية ؛ أخذ الموت كثيرين وشوه الآخرين. يتولى رابح معظم نفقات الأسرة القليلة، بينما تظل أمه نشطة وجدية في أعمال البيت وحتى إن كانت قادرة على العمل خارج البيت ومع ذلك ترتهن في كثير من الأمور لسلطة ابنها، فهو الذي يقرر أخيرا ويقول: " لا،لا نستطيع أن ترفض، فأنا الذي أتصرف هنا[156]".ومن خلال هذه الصور الفردية لنسوة مثلها،تتكون صورة أوسع للقرية الجزائرية: بعض العائلات تعيش حياة متوسطة- لا رفاهية بها- بينما الغالبية تكابد الفقر والبؤس. تقول إحدى النساء بمرارة: "لا أدري لماذا لا تكون جميلة...الأكل الطيب والراحة والظل...لو ذهبت أسبوعا واحدا إلى حقل لتحصد لرأينا كيف يذبل ذلك الجمال[157]". وهكذا يعرض الكاتب لقطات وصفية تبرز بجلاء الفقر والحرمان والمعاناة التي تسكن هذا المجتمع.

**قضايا الاجتماعية للمرأة تضمنتها في رو اية "ريح الجنوب"**

**أ) المرأة في المجتمع الريفي**

تتحرك أحداث الرواية في فضاء ريفي جزائري يتسم ببساطة الحياة وشدة الفقر وهيمنة البنية التقليدية. وفي هذا المجتمع تقاس قيمة المرأة غالبا بمدى خضوعها للعائلة، وقيامها بالأدوار المنزلية، قبولها بالزواج الذي يقرره ولي أمرها.

ويظهر الريف في الرواية فضاء محافظا يخضع لنظام قيمي صارم، حيث يفرض الرجل سلطته على المرأة باسم الشرف والعادات والتقاليد. وقد ركزت الدراسات المتعلقة بالفضاء الحكائي في الرواية على الثنائية بين القرية والمدينة، موضحة أن البطلة تقارن بين القيم التي فرضها عليها المجتمع الريفي والقيم التي اكتسبها من المدينة[158].ومن خلال هذه الثنائية، يقدم ابن هدوقة المرأة الريفية في وضع اجتماعي محدود، لا تملك فيه حرية واسعة للتغيير عن رغباتها أو تقرير مستقبلها. فالمرأة لا تعاني من الفقر المادي فقط، بل تعاني كذلك من الفقر الرمزي أي حرمانها من التعليم والقرار والاستقلال النفسي.

---

156 . عبد الحميد بن هدوقة ،ريح الجنوب،ص ٢٥٢.

157 . المصدر نفسه، ص١٨٩.

158 الفضاء الحكائي في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة https://search.mandumah.com/record/1176999.
Dated: 21/08/2026, 2.05 PM

**ب) الزواج القسري ومصادرة الاختيار**

يعد الزواج القسري أبرز القضايا الاجتماعية التي تناولتها الرواية. ويتجسد ذلك بصورة واضحة في شخصية نفيسة،التي يريد والدها تزويجها من رئيس البلدية، لا استجابة لرغبتها، بل خدمة لمصالحة الخاصة المتعلقة بالأرض ومكانته الاجتماعية.

فالزواج هنا لا يظهر باعتباره علاقة إنسانية تقوم على التفاهم والمودة، وإنما يتحول إلى وسيلة لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية. ويجعل الأب من ابنته أداة لحماية ممتلكاته وتجنب آثار الإصلاح الزراعي، مما يكشف عن اختزال المرأة في وظيفتها الاجتماعية بوصفها وسيلة للمصلحة العائلة.فتقول نفيسة: "لا،لا، لا أستطيع أن أتزوج الآن...دروسي، حياتي هذه...يجب أن أنهي دراستي أولا، وأغير حياتي بعد ذلك...إنني مجنونة أفكر في الزواج وأنا لا أعرف أحدا، ولا يعرفني أحد..."[159].

**ج) سلطة الأب والتمييز بين الجنسين**

تعكس شخصية الأب في الرواية صورة السلطة الأبوية التقليدية. فهو يرى نفسه صاحب الحق المطلق في توجيه ابنته، ولا يعترف باستقلالها النفسي والفكري وتقوم علاقته بها على الأمر والنهي والضغط، بدل الحوار والاحترام.

ولا تقتصر سلطة الأب على المجال الأسري، بل تمتد إلى جسد المرأة ومستقبلها وعلاقاتها الاجتماعية. فاختيار الزوج، وتحديد مكان الإقامة، وتقرير ما هو مقبول أو مرفوض، كلها أمور يحتكرها الرجل. يصور الكاتب حالة نفيسة التي تجبر لزواج فاسد الذي لا ترغب فيه بفعل الأعراف والقيود السائدة في المجتمع الأبوي: "تضايق الجو بنفيسة وهي تسمع الحديث عنها بحضورها. ولم يعجبها أن ترى نفسها لأصل آخر، لا تقوم بنفسها كحقيقة كاملة. ولكن ماذا عساها أن تفعل أو تقول؟ والعادة تقضي أن لا تتحدث الفتاة بحضور والدها. أما مالك فلم يكن يمثل بالنسبة إليها إلا ما يمثله رجل كان ذات يوم خطيب أخت لها. صحيح كانت بين الحين والآخر تنظر إليه ولكن الباعث كان فضولاً لا أكثر. إذ هي لم تلاحظ على ملامحه أي شيء يستوقف النظر. ثم هي بعد ذلك لا تعرفه، ولا تعرف عنه الكثير ولا القليل"[160]. وتكشف الرواية بذلك عن التمييز بين الرجل والمرأة داخل المجتمع الريفي؛ فالرجل يتمتع بحرية الحركة واتخاذ القرار، في حين تحاصر المرأة داخل فضاءات محدودة، وينظر إلى تمردها بوصفه خروجا على النظام الأخلاقي والاجتماعي. وقد أشارت دراسات الرواية إلى أن التمييز بين الجنسين يرتبط بتوزيع الفضاءات وبنظام القيم السائد في المجتمع الريفي.

[159]. عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠١٢، ص ٨.

[160].المصدر نفسه، ص ٧٥.

لا تقدم الرواية المرأة باعتبارها ضحية سلبية بصورة مطلقة؛ فمع أن الشخصيات النسائية تعاني القهر، فإن بعضها يمتلك القدرة على المقاومة واتخاذ القرار. وتنثل نفيسة النموذج الأبرز للمرأة التي ترفض أن تكون مجرد تابع لأبيها أو زوج مستقبلي مفروض عليها.

**الخاتمة :**تشكل رواية "ريح الجنوب" البداية الحقيقية للرواية العربية في الجزائر. أن الكتابة عبد الحميد بن هدوقة ليست مجرد نقل سطحي، بل نافذة فكرية ورؤية عميقة تولد من صراع الإنسان ومعاناته. "يعد بن هدوقة من أوائل الروائيين الذين تناولوا قضية المرأة في أدبهم. يتجسد الابداع في الآثار الأدبية التي تركها، لا سيما في رواية "ريح الجنوب" التي حاولت تصوير المرأة في الماضي وما واجهته من تعصب وقيود[161]". تكشف رواية عن مجموعة من القضايا الاجتماعية التي عانت منها المرأة الجزائرية، وفي مقدمتها الزواج المفروض وسلطة الرجل والفقر والجهل والرقابة الاجتماعية وهيمنة العادات والتقاليد. وقد نجح عبد الحميد بن هدوقة في ربط قضية المرأة بالصراع حول الأرض والتحولات التي عرفها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال.

## المصادروالمراجع

1. عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(د،ط)، ١٩٧٠
2. مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة،الجزائر، ط ٢، ٢٠٠٩
3. مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر،(د،ط)، (د،ت).
4. عمر عيلان، الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص ٢٨٣.

[161] . عمر عيلان، الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص ٢٨٣.

# إسهامات العرب المسلمين في الأندلس وأثرحضارتهم في قيام النهضة الأوروبية الحديثة



**د.أنصار أحمد**

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة كشمير

**Abstract:** **There is no doubt that the Muslim Arabs of Andalusia played a pivotal role in transmitting the essence of Arab thought to Europe in various scientific fields, including medicine, pharmacy, mathematics, astronomy, philosophy, sociology, geography, physics, chemistry, and literature, as well as industry and agriculture, thus contributing to the rise of the modern European Renaissance.**

**While Arab-Islamic civilization spread to Europe through several channels, facilitating a rich exchange between Arab-Islamic and European thought. Among the most prominent of these channels were Andalusia, Sicily, southern Italy, the Crusades, and the Ottoman territories, which served as vital bridges for the transmission of Arab sciences.**

**Meanwhile, European studies in Andalusia were accompanied by a widespread translation movement of Arabic books into Latin, the dominant language in Europe at the time, including the works of Aristotle, Plato, Euclid, Ptolemy, and others. Western scholars and philosophers frequently encountered the names and knowledge of Arab scholars such as Ibn Sina, Ibn Rushd, al-Razi, and others.**

**It is worth noting that Andalusia had a profound influence on Europe, serving as a center of learning that Europeans flocked to in order to study under the Arabs. They enthusiastically adopted Arab models and were greatly influenced by them in the development of the modern European Renaissance. This research addresses several themes: the naming of Andalusia, the geography of Andalusia, the Arab-Islamic civilization in Andalusia, the routes through which Arab-Islamic civilization spread to Europe and the contributions of Muslim Arabs in Andalusia, and the impact of their civilization on the rise of the European Renaissance.**

**الملخص:** مما لا شك في أن العرب المسلمين في الأندلس قد لعبوا دورًا محوريًا في تعريف أوروبا بجوهر الفكر العربي في مختلف مجالات العلوم من الطب، الصيدلة، الرياضيات، الفلك، الفلسفة، الاجتماع، الجغرافيا، الفيزياء، الكيمياء، والأدب، فضلًا عن الصناعة والزراعة، وإسهامهم في قيام النهضة الأوروبية الحديثة.

في حين أن الحضارة العربية الإسلامية انتقلت إلى أوروبا عبر معابر عدة، مما أتاح تبادلاً ثرياً بين الفكر العربي الإسلامي والفكر الأوروبي. وكان من أبرز هذه المعابر هي الأندلس، وصقلية، وجنوب إيطاليا، والحروب الصليبية، ومناطق التوسع العثماني، والتي شكلت جسورًا حيوية لنقل العلوم العربية.

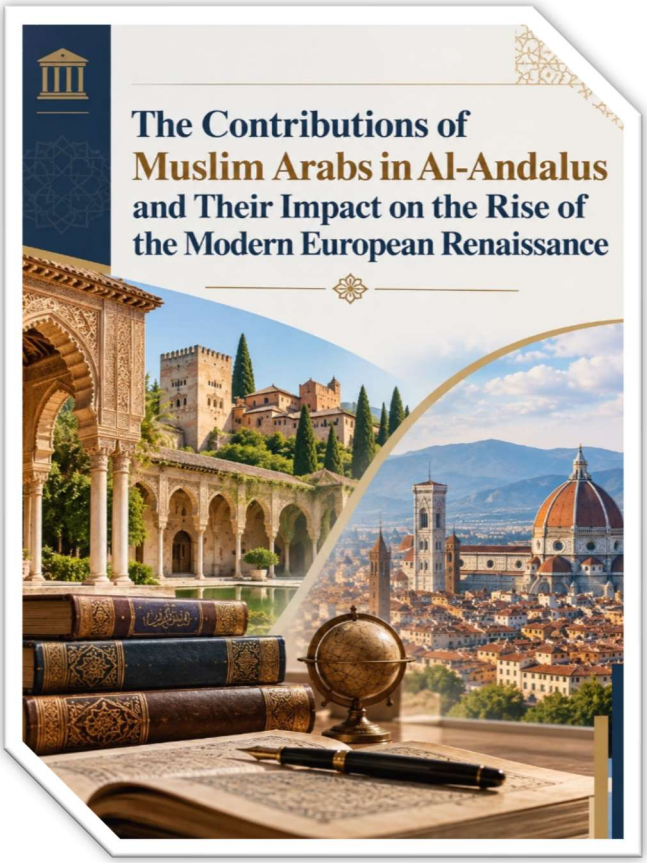
بينما رافقت الدراسات الأوروبية في الأندلس حركة الترجمة الواسعة للكتب العربية إلى اللاتينية اللغة السائدة في أوروبا آنذك ، بما في ذلك أعمال أرسطو وأفلاطون وإقليدس وبطليموس وغيرهم. وكثيراً ما اطلع العلماء والفلاسفة الغربيون على أسماء ومعارف العلماء العرب مثل ابن سينا وابن رشد والرازي وغيرهم.

وتجدر الإشارة إلى أن الأندلس كان لها تأثير عميق على أوروبا، إذ كانت هي بمثابة مركز للعلم يقصد ها الأوروبيون لتلقي العلم على أيدي العرب. وقد تبنوا النماذج العربية بحماس، وتأثروا بها بشكل كبير في بناء عصر النهضة الأوروبية الحديثة.

ويتناول البحث عدة محاور هي: تسمية الأندلس، جغرافية الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المعابر التي عبرت منها الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا وإسهامات العرب المسلمين في العلوم والفنون وأثرحضارتهم في قيام النهصة الأوروبية.

**الكلمات المفتاحية:** الحضارة، العربية، الإسلامية، الأندلس، النهضة، الأوروبية، الحديثة، المعابر، صقلية، أسبانيا

**المدخل في الموضوع:**




قبل الحديث عن موضوع إسهامات العرب المسلمين في الأندلس وأثرحضارتهم في قيام النهضة الأوروبية الحديثة تجدر الإشارة إلى أن العديد من المؤرخين والباحثين إعترفوا وأشادوا بفضل العرب على أوروبا، وأكدوا أن أوروبا تدين للعرب بحضارتها، فها هو العالم الأوروبي بيتشارد كوك يقول حول دور العرب في الأندلس:

" تدين أوروبا بالشيء الكثير لإسبانيا العربية، إذ حملت قرطبة مصباح العلم وضاء في زمن كان العلم فيه في بلدان أوروبية خافتاً كبصيص نار مختنق، إن التطور الخلاق الذي استطاع أن يقيم صرحاً كالحمراء، يبني مسجداً للعبادة كجامع قرطبة، إنما يعطينا مثلا للفارق

البعيد، بين هولاء والهمجية الطليقة التي كان يتردى فيها الفرنجة والنورمان، بما فيها من غليظ الأخلاق وفظاظة المزاج، والميل الشديد نحو خشونة العيش، ولقد استطاع نظام الحكم العربي أن يخلق طرازا من المدنية كان نسيجا وحده في أوروبا، حتى لقد هيأ لإسبانيا أن تكون الدولة الوحيدة في أوروبا، التي أفلتت من عصور الظلام "[162].

وأما المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه فقد اعترفت بفضل عرب الأندلس على النهضة الأوروبية إذ تقول: " ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسياً وعلمياً وتجارياً. واستيقظ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته، الذي دام قروناً ليصبح أكثر غنى، وجمالاً وأوفر صحة وسعادة"[163].

وقد أشاد جوان اندريس أحد الباحثين الأوروبيين بأثر العرب في الحضارة الأوروبية ونوه بفضلهم على ثقافة عصر النهضة وهو كان من اليسوعيين الذين طردوا من إسبانيا سنة 1767م، فقد نشر كتابا باللغة الإيطالية في سبع مجلدات بعنوان: أصول كل الآداب وتطورها وأحوالها الراهنة، ثم أعاد نشره في روما، و أكد فيه أن النهضة التي قامت في أوروبا في كل ميادين العلوم والفنون والآداب والصناعات إنما كانت بفضل ما ورثته عن حضارة العرب[164].

ويشير سيديو أحد علماء فرنسا بعد أن قدم في كتابه مباحث متعددة لتقدم العرب في مختلف ميادين المعرفة، إلى أنه " وما أسلفناه هو كيفية ظهور تحكم العرب على جميع فروع تمدن أوروبا الحديث ومنه يعلم أنه من القرن التاسع الى الخامس عشر كان عند العرب أوسع ما سمح به الدهر من الأدبيات وان نتائج أفكارهم الغزيرة واختراعاتهم النفيسفة تشهد أنهم أساتذة أهل أوروبا في جميع الاشياء... الدالة على عظمة أفكارهم واستكشافاتهم المهمة ولهذا كله وجب الإعتراف برفعة شأن هذه الأمة المحمدية"[165].

وها هو الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا يقر بإسهام العرب الحضاري: إذ قال في محاضرة له " لقد تم الإعتراف منذ عهد طويل بمساهمة إسبانيا في ظل الحكم الإسلامي في الحفاظ على العلوم والمعارف الكلاسيكية خلال عصور الظلام ، وفي وضع اللبنات الأولى للنهضة الأوروبية الحديثة "[166].

ويعترف المستشرق الإيطالي فرانسيسكو غابريللي في كتابه " محمد في أوروبا " بإسهام العرب في النهضة الأوروبية الحديثة، وينصف العرب حينما يقول بأنهم قدموا للحضارة الإنسانية الكثير وخاصة في حوض البحر

---

[162] - جلال مظهر: مآثر العرب على الحضارة الأوروبية، ص 28

[163] - زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 541

[164] - القلماوي ومكي: في الأدب، ضمن كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، ص41- 42

[165] - سيديو: خلاصة تاريخ العرب، ص 268-269

[166] - هاني مبارك وشوقي ابوخليل: دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية،ص18

المتوسط، وأنهم أثروا في كل ميادين الحياة في أوروبا، بل أن إنتاج العرب وأفكارهم وإبداعاتهم الفنية تشهد بأنهم كانوا أساتذة لأوروبا[167].

وتستند هذه الشهادات والاعترافات الصادرة عن الشخصيات الأوروبية البارزة المذكورة أعلاه إلى حقائق تاريخية لا تقبل الجدل. فقد ساهم التواصل بين الأوروبيين والحضارة العربية الإسلامية منذ القرن الحادي عشر في انطلاق أوروبا نحو نهضة علمية بلغت ذروتها في أوائل القرن الثالث عشر. ومما لا شك في أن جزءًا من حضارة عصر النهضة كان نتاجًا للتفاعل بين الحضارتين الأوروبية والعربية الإسلامية. وقد حدث هذا التواصل والتفاعل من خلال وصول العرب إلى إسبانيا (الأندلس) وصقلية، وخلال الحروب الصليبية، و توافد طلاب العلم والمعرفة من غرب أوروبا إلى مراكز الحضارة العربية الإسلامية. وكان تأثير الحضارة العربية الإسلامية عميقًا، وامتد إلى ما هو أبعد من التغيرات السياسية الناتجة عن الفتوحات الإسلامية؛ ويتجلى هذا التأثير بوضوح في المجال الحضاري[168]. .

ولذا، فإن الهدف الرئيس من هذه الدراسة هو محاولة رسم صورة للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس وتأثيرها في قيام النهضة الأوروبية الحديثة، بصورة أقرب ما تكون إلى الواقع.

ولا شك في أن أوروبا استلهمت حضارتها ونهضتها من الحضارة العربية الإسلامية، وهذا ما سنحاول إثباته في هذه الدراسة.

**تسمية الأندلس:**

قد سُميت هذه الأرض في الدولة العربية "بالأندلس"، وعُرفت قديمًا باسم "إيبيريا" حين سكنها "الأيبيريون" الذين كانوا من أوائل المستوطنين فيها، ثم سُميت لاحقًا "بإسبانيا" أو "بأشبانيا"، وهو اسم أطلقه الرومان على بلادهم عند حكمهم لها في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد تقريبًا، بعد أن استوطنها اليونانيون والقرطاجيون، كما يقول المقري في كتابه: "انتقل ملك الأندلس من بعدهم إلى العجم الرومان، وكان ملكهم أشبان بن طيطيش، فسُميَّت الأندلس باسمه "بأشبانيا"،[169] ثم جاء الوندال في أوائل القرن الخامس الميلادي بعد الرومان، وسموها بقندليشيا، ثم نزل القوط إليها، وطردوا الوندال منها، واستولوا عليها، و ملكوها، حتى فتح المسلمون شبه الجزيرة في أوائل القرن الثامن الميلادي، وأطلقوا عليها اسم "الأندلس"، وبقي هذا الاسم إلى يومنا هذا مع أدنى تغيير في اللفظ والمعنى. فأما اللفظ فأصبح "الأندلسيا"، وأما المعنى فأصبح جنوب شبه الجزيرة فقط، بعد أن كان يُطلق على كامل شبه الجزيرة.[170] والمنطقة المعروفة اليوم باسم الأندلس، أو الأندلوسيا، هي منطقة واسعة تشمل جنوب إسبانيا.

---

[167] - مجلة دراسات تاريخية- العددان 15-16 أيلول- كانون الأول لعام 2011، محمد أحمد، ص 283

[168] - بروي، إدوار: تاريخ الحضارات العام، ص، 61

[169] - المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- ص 131

[170] - هيكل، أحمد مقصود، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص:13

**جغرافية الأندلس:**

إنها كانت من أعظم البلاد الأوروبية ومن أجمل بقاع الأرض ذات طبيعة ساحرة جذابة إليها، وهي شبه الجزيرة التي تقع على الطرف الغربي من قارة أوروبا، طولها ألف ومائة ميل وعرضها نحو ستة مائة ميل تحيط بها المياه من ثلاثة جوانب: من الغرب بحر الظلمات ومن الشرق بحر الروم ومن الجنوب بحر الزقاق، وأما من الشمال تتصل حدودها إلى جبال البرانس الفاصلة بينها وبين فرنسا.[171]

**الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس:**

وصل المسلمون إلى الأندلس عام 710 م، وتمكنوا من السيطرة على مدنها الرئيسية بحلول عام 714 م، مما جعلها ولاية تابعة للدولة الإسلامية العربية، يديرها حاكم أفريقيا، وساد السلام فيها لفترة طويلة.

وعام 755 م، دخل الأمير عبد الرحمن الأول الأندلس، هاربًا من العباسيين، وبذلك بدأ عهد الدولة الأندلسية المستقلة، وعاصمتها قرطبة، حيث بلغت هذه الدولة أوج ازدهارها في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث (912-961 م)، الذي بسط نفوذه على شبه الجزيرة الأيبيرية بأكملها، واستمر هذا الازدهار في عهد ابنه وحفيده، إلا أن الأخير سمح بانتقال السلطة إلى الحاجب المنصور. وبعد وفاة ابن المنصور عام 1008م، لم يتولَّ زمام الأمور أحدٌ قادرٌ على الحفاظ على وحدة الأندلس. ونتيجة لذلك، تفككت الدولة الأموية، وبدأ عهد ممالك الطوائف.[172] ومع ذلك، فان الازدهار الفني والادبي كان مستمرا رغم المشاكل السياسية والتنافس بين الحكام.

وفي الواقع، أن العرب الأوائل شرعوا في تنفيذ رسالتهم الحضارية والإنسانية. ففي أقل من قرن، أحْيوا الأراضي القاحلة، وأعادوا بناء المدن المدمّرة، وشيّدوا مبانٍ رائعة، وأقاموا علاقات تجارية متينة مع الأمم الأخرى. وانكبّوا على دراسة العلوم والآداب، وترجموا أعمال اليونانيين والرومان، وأسسوا جامعات ظلّت الملاذ الوحيد للثقافة في أوروبا لفترة طويلة. وبدأت الحضارة العربية تزدهر في الأندلس منذ تولي عبد الرحمن الأول الحكم، أي منذ انفصالها سياسيًا عن الشرق بإعلان إمارة قرطبة عام 756م، وهكذا أصبحت الأندلس الدولة الأكثر تقدمًا وتحضرًا في العالم لثلاثة قرون.[173]

فقد تميزت الحضارة العربية في الأندلس بميلها الشديد إلى الأداب والعلوم والفنون، حيث أنشأ العرب المدارس والمكتبات في كل منطقة، وترجموا العديد من الكتب، وبرعوا في دراسة الرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والكيمياء والطب. وكان نشاطهم في الصناعة والتجارة لا يقل إبهارًا؛ إذ صدّروا منتجات المناجم ومصانع الأسلحة ومصانع النسيج والمنتجات الجلدية ومصافي السكر. كما تفوقوا في الزراعة، حيث تفوقوا في العلوم والصناعة، وقد

---

171 ـ شكيب أرسلان،الأمير،الحلل الهندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ص 70

172 ـ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الاندلس،ص 21-25

173 ـ لوبون: حضارة العرب، ص 273

أنجز العرب جميع مشاريع الري في الأندلس. وأدخلوا أيضًا زراعة قصب السكر والأرز والقطن والموز إلى أراضي الأندلس[174].

وكان الخلفاء الأمويون في الأندلس حريصين على إنشاء المكتبات، ونقلت أعداد كبيرة من الكتب من المشرق العربي، فقد ساهم الرحالة الأندلسيون في هذا الجهد، ولعب العلماء والطلاب العرب دورًا مهمًا في نقل هذه الكتب وترجمتها في مختلف مجالات العلوم والمعارف. ويذكر ابن جلجل أن كتب الطب وسائر فروع المعرفة الأخرى قد وصلت من المشرق خلال عهد الخليفة الناصر، بين عامي 300 و 350 هج[175]، وأنشأ الخليفة المستنصر بالله 961-976 م بإنشاء مكتبة ضخمة تحتوي على أكثر من 400 ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون، كما أنشأ داراً لنسخ الكتب، والتي أقامها في مدينة الزهراء[176].

وألّف الأندلسيون في علوم القرآن والحديث، والفقه والقانون، واللغة وآدابها وعلومها، والمعاجم والتراجم والسير الذاتية، والتاريخ والجغرافيا، كما كتبوا في علوم الطب والرياضيات والهندسة والفلك والكيمياء والمنطق والزراعة والملل والنحل والزراعة والفلسفة والموسيقى، ولم يتركوا أي مجال من مجالات العلم والمعرفة إلا وتناولوه بالكتابة[177].

وقد شهدت الأندلس ازدهاراً لنخبة من الشعراء والكتاب العرب البارزين، مثل ابن عبد ربه، وابن حزم، وابن زيدون، وابن خفاجة. وقد أدى هذا الازدهار الأدبي إلى انتشار اللغة العربية وثقافتها وعاداتها وتقاليدها الإسلامية في جميع أنحاء أوروبا. وأصبحت الكلمات العربية شائعة الاستخدام في الإسبانية والبرتغالية والفرنسية،[178].

ولم يقتصر عرب الأندلس على العلوم التطبيقية فحسب، بل أجروا دراسات في مجالات أخرى كالفيزياء والصيدلة والزراعة، حيث برعوا وطوروا تقنيات رائدة، ووثقوا نتائج تجاربهم على النباتات والتربة. ويُعدّ عباس بن فرناس القرطبي من أبرز علماء المسلمين العرب الذين قدموا اكتشافات مهمة في مجال العلوم التجريبية، ومهدت اكتشافاته العظيمة الطريق لأجيال لاحقة من العلماء المعاصرين،[179].

ومن الجدير بالذكر أن العرب أسسوا مراكز حضارية في أنحاء جنوب وغرب أوروبا، وقد أنجبت هذه المراكز مترجمين نقلوا جوانب مهمة من التراث العربي الإسلامي إلى لغاتهم. وكانت طليطلة وإشبيلية وغرناطة وقرطبة من أشهر مراكز الترجمة من العربية. واحتضنت إشبيلية، على وجه الخصوص، كلية عربية-لاتينية متخصصة في ترجمة

[174] - المرجع نفسه، ص 274
[175] - ابن جلجل: طبقات الاطباء والحكماء، ص98
[176] - العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، ص420
[177] - عجيل كريم: الحياة العلمية في مدينة بلنسيا، ص263
[178] - العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، ص373
[179] - عنان: تراجم اسلامية شرقية واندلسية، ص266

الأعمال الفلسفية العربية. وكان لفلسفة ابن رشد أثر بالغ في الغرب، مما أدى إلى ظهور حركات فكرية تحدت عقائد الكنيسة. وأصبحت هذه الأعمال المترجمة مراجع أساسية في الجامعات الأوروبية حتى القرن السابع عشر،[180].

فقد استقطبت الأندلس انتباه الدول الأوروبية إلى حضارتها وعلومها وفنونها، حيث كانت اللغة العربية لغة العلم والإدارة، ومنذ ذلك الحين بدأت مساهمة الحضارة العربية في تشكيل الحضارة الأوروبية.

**المعابر التي عبرت منها الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا،**

انتشرت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا بعلومها وآدابها ومصنوعاتها ومحاصيلها الزراعية عبر طرق ومعابر متعددة، ومن أهم تلك المعابر: هي الأندلس، جزيرة صقلية، جنوب إيطاليا، الحروب الصليبية ومناطق التوسع العثماني، ونبدأ بأولها وأهمها:

**1- الأندلس:**

مما لا شك في أن عرب الأندلس لعبوا دورًا محوريًا في تعريف أوروبا الغربية بجوهر الفكر العربي في العلوم والآداب والفلسفة، وإسهامهم في النهضة الأوروبية الحديثة، كما عرّفوا الأوروبيين بالعديد من الأعمال اليونانية التي فُقدت بلغتها الأصلية اليونانية، ولكنها حُفظت باللغة العربية. ولولا جهود المفكرين والعلماء العرب، لما وصلت هذه الأعمال إلى أيدي الناس.

بعد أن فتح العرب الأندلس في أوائل القرن الثامن الميلادي، ومكثوا فيها قرابة ثمانية قرون (711-1492)، وحققوا الاستقرار وركزوا على إحياء الزراعة، وتطوير المدن، وتنشيط التجارة، وإنعاش الصناعة. في ظل الخلافة الأموية، حتى أصبحت الأندلس من أغنى الدول الأوروبية وأكثرها اكتظاظًا بالسكان، حيث بلغ عدد سكان قرطبة وحدها مليون نسمة، لتصبح واحدة من أعظم مدن العالم. ومن دواعي فخر قرطبة أن سكانها كانوا يمشون في شوارعها بعد غروب الشمس على ضوء المصابيح العامة، بينما لم يكن لدى لندن، لسبعة قرون بعد ذلك، مصباح عام واحد لإضاءة شوارعها ليلًا.[181]

ومن الجدير بالذكر أن الكلمات العديدة الباقية باللغتين الإسبانية والبرتغالية والمتعلقة بالحياة المادية تُظهر مدى إسهامات العرب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في إسبانيا والبرتغال. حيث توافد الطلاب المتحمسون إلى الأندلس من العديد من الدول الأوروبية لتعلم اللغة العربية واكتساب العلوم العربية. وكان من بينهم الراهب الفرنسي جيربير، الذي سافر إلى قرطبة طلبًا للعلم، وقضى فيها ثلاث سنوات (967-970 م)، منغمسًا في العلوم العربية، وعاد لاحقًا باسم البابا سيلفستر الثاني، الذي لعب دورًا محوريًا في نقل العلوم العربية إلى أوروبا. ولعب ريموند، رئيس أساقفة طليطلة، دورًا مماثلًا، حيث عمل مع مجموعة من الأساقفة على ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية بعد أن

[180] - زكريا: فضل الحضارة الإسلامية على العالم، ص373

[181] - عاشور: حضارة ونظم اوروبا في العصور الوسطى، ص266

استعاد الإسبان المدينة من العرب. كانت قرطبة من أكثر المدن تحضرًا في أوروبا في القرن العاشر الميلادي (كما كانت فيينا في القرن التاسع عشر)، وقد سمع زوار شمال أوروبا بإعجاب عن المدينة التي كانت تضم عشرات المكتبات ومئات الحمامات العامة.[182]

وقد أثرت الأندلس تأثيرا كبيرا في أوروبا، إذ كانت هي الكعبة التي يقصدها الأوروبيون، ليتثقفوا على أيدى العرب، وقد احتضنوا النماذج العربية بحماس وتأثروا بها بشكل كبير في بناء عصر النهضة الأوروبية الحديثة.

ورافقت الدراسات الأوروبية في الأندلس الإسلامية حركة الترجمة الواسعة للكتب العربية إلى اللاتينية، بما في ذلك أعمال أرسطو وأفلاطون وإقليدس وبطليموس وغيرهم. وكثيراً ما اطلع العلماء والفلاسفة الغربيون على أسماء ومعارف علماء عرب مثل ابن سينا وابن رشد والرازي وغيرهم.

وكانت مدينة طليطلة، التي سقطت في يد الإسبان عام 1080، مركزًا رئيسيًا للترجمة في القرن الثاني عشر، حيث أُنشئت فيها مدرسة متخصصة. وكان من بين أشهر مترجميها جيراردو الكريموني (1114-1178)، وهو إيطالي الأصل، الذي ترجم أكثر من 80 مؤلفا في مختلف العلوم.

**2- صقلية وجنوب إيطاليا:**

كانت صقلية وجنوب إيطاليا المعبر الثاني للحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا. عندما فتح أسد بن الفرات صقلية في صيف عام 827 م، كانت حضارة المسلمين في أوج ازدهارها وعظمتها، واتخذ باليرمو ( بلرم ) عاصمة له، وبقيت الجزيرة تحت السيادة العربية أكثر من قرنين ونصف ( 827- 1091 ) وتدفقت إليها ألوان الثقافة والعلوم من العالم الإسلامي.[183]

وقد ترك العرب المسلمون لأهالي صقلية الأصليين عاداتهم وقوانينهم وحريتهم الدينية، وحافظوا على جميع الكنائس التي وجدوها، واهتموا بالزراعة والصناعة وأسسوا مصانع الورق التي امتدت من صقلية إلى إيطاليا، واستخرجوا الذهب والفضة والحديد والرصاص، وعلموا أهالي الجزيرة صناعة الحرير، كما اهتموا بالتجارة.

وأنجبت صقلية جملة من العلماء في مختلف المجالات، أشهرهم أسد بن فرات، والإدريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في إختراق الآفاق" والحسن بن يحيى المعروف بالجزار وصاحب كتاب " تاريخ صقلية ". وترك العرب أيضا ألفاظا عربية في اللغتين الصقلية والإيطالية، ولاتزال العديد من المدن والأماكن من صقلية تحمل أسماء عربية، ولاسيما القلاع والمراسي والشوارع.[184]

---

182 ـ أمين الطيبي: الإسلام في الأندلس وصقلية، مجلة كلية التربية، جامعة الفاتح، العدد13(1980- 1981) ص 84

183 ـ الأحمد، محمد: الحضارة الأوروبية الحديثة والمعاصرة، ص 39-46

184 ـ الملا، أحمد علي: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، ص123- 124

وفي جنوب إيطاليا، كان أول رائد لحركة الترجمة تاجرًا تونسيًا مهتمًا بالطب. فقد زار سوريا والعراق والهند، وجمع العديد من الكتب المتعلقة باهتماماته، ثم أبحر إلى جنوب إيطاليا حاملًا معه شحنته الثمينة من المخطوطات، وانضم إلى الرهبنة، وأطلق على نفسه اسم "قسطنطين الأفريقي" عام 1087، ثم اعتكف في دير بالقرب من باليرمو، وكرّس نفسه لترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية. وكان هذا العمل شكّل أساسًا لمدرسة ساليرنو للطب، التي اتجهت لدراسة الطب العربي، وقد ترجم قسطنطين جزءًا كبيرًا من الكتب التي تضمن شروحًا على أبقراط وجالينوس.[185]

وفي سنة 1185م، مر الرحالة الأندلسي ابن جبير بجزيرة صقلية على عهد ملكها النورماني وليم الثاني أي بعد نحو قرن من خروج السيادة على الجزيرة من أيدي العرب فذكر: "أن الملك يقرأ ويكتب بالعربية، وعلامته ...الحمد لله حق حمده وكانت علامة أبيه: الحمد لله شكرا لأنعمه).[186]

وقد لعبت صقلية دورًا محوريًا في نقل التراث الفكري العربي إلى بقية أنحاء أوروبا. وبعد خروج العرب منها، استمرت صقلية في كونها فضاءً للتفاعل والتواصل، وبرزت عظمة مملكة صقلية النورماندية في القرن الثاني الميلادي، إذ ساهمت، بفضل العرب المسلمين، في إرساء دعائم النهضة العربية الإيطالية المبكرة في أوروبا.

**3- الحروب الصليبية:**

أما الحديث عن الحروب الصليبية من حيث أهدافها، فأرى أنها فشلت فشلاً ذريعاً بعد أن استمرت لحوالي قرنين من الزمن. فقد تمكنت القيادة الإسلامية من استعادة الأراضي التي احتلها الصليبيون شيئاً فشيئاً، ونجح المماليك في تطهير بلاد الشام منهم.[187]

لقد أنشأ الصليبيون في الشرق العربي ممالك ودويلات على طول المنطقة الساحلية من بلاد الشام وفي الداخل، وعلى الرغم من أن الصليبيين قصدوا الشرق العربي للحروب لا لطلب العلم، إلا أن الحروب الصليبية قد أتاحت فرصة ممتازة للتعارف بين الجانبين ويبدو أن الصليبيين الأوروبيين فوجئوا بأن الشرق العربي كان على درجة كبيرة من الرقي والتقدم في مختلف ميادين الحضارة.

وفي هذا السياق، يذكر غوستاف لوبون بأن الحروب الصليبية لم تكن سوى نزاع عظيم بين أقوام من الهمج والحضارة التي تعد من أرقى الحضارات التي عرفها التاريخ.[188]

ونقل الصليبيون معهم تقنيات جديدة مثل طاحونة الهواء وصناعة الزجاج الملون وأخذوا زراعات جديدة أيضا مثل القطن والمشمش والأرز وقصب السكر.[189]

---

[185] - الأحمد، محمد: المرجع نفسه، ص 40

[186] - محمد ابن جبير: رحلة ابن جبير، بيروت، 1968، ص 7

[187] - عمران، محمود سعيد: تاريخ الحروب الفرنجية،ص 343

[188] - غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص 347

[189] - جوزيف بورلو: نتائج الحروب الصليبية، ترجمة ديمة الفوال، ص 366

أما في المجال الثقافي، فقد كانت التأثيرات تسير في اتجاه واحد، تأثير الشرق على الغرب. ولعل أبرز ما استفادوا منه من الشرق هو سماعهم لبعض القصص العربية مثل كليلة ودمنة، أو فصول من الحكايات الشعبية التي أُدرجت لاحقًا في كتاب ألف ليلة وليلة. ومن الجدير بالذكر أن وليام التاسع، أول شعراء الغناء في أوروبا، كان قد أمضى ما يقرب من عام ونصف في بلاد الشرق في مغامرته الصليبية الفاشلة، وكان لذلك أثر واضح على ما ألفه من شعر كان يُنشده رفاقه وأصدقاؤه في مجالسه الفخمة.[190]

أما بالنسبة للنتائج الحضارية للحروب الصليبية، فهي كثيرة ولا يمكن حصرها بسهولة. فقد دخلت العديد من الكلمات العربية إلى اللغة الأوروبية، وانتشرت القصص الشرقية في أوروبا، وظهرت في شكل جديد في اللغات الأوروبية الناشئة التي بدأت تحل محل اللاتينية.

**4- مناطق التوسع العثماني:**

مما لاشك في أن المعبر الرابع من معابر الإحتكاك الحضاري بين الحضارة العربية الإسلامية وأروربا هو معبر غير مباشر، يمثل في توسع الإمبراطورية العثمانية منذ منتصف القرن الخامس عشر في شرق أوروبا ( دول البلقان ) وصولا إلى قلب أوروبا في القرن السابع عشر وحصار العثمانيين لعاصمة الإمبراطورية الجرمانية المقدسة فيينا عام 1683م. وما حمله هذا التوسع إلى دول أوروبا الشرقية من مظاهر حضارية طابعها عربي إسلامي في الأساس، وبقيت هذه الآثار حتى يومنا هذا شاهدة في اليونان، وموستار، وكريت، والبوسنة، والهرسك، على إسهامات العرب في صنع عصر النهضة الأوروبية الحديثة.

لقد أتاحت معابر اللقاء الأربعة وهي الأندلس، وصقلية، والحروب الأوروبية، ومناطق توسع الإمبراطورية العثمانية، والتي امتدت قرونا عديدة، فرصا عديدة للمجتع الأوروبي للنهوض من عصور الظلام التي سادت في العصور الوسطى والانطلاق والمشاركة في مختلف ميادين الفكر والعلم.

**العلوم العربية في تكوين الفكر الأوروبي الحديث**

إن من أبرز مساهمات العرب في تكوين الفكر الأوروبي في مختلف فروع العلوم هي الرياضيات وعلم الفلك والطب والصيدلة والفيزياء والكيمياء والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والاقتصاد والأدب وغيرها، مما دفع الحضارة الأوروبية إلى الأمام.

**إسهام العرب في مجال الرياضيات:**

يرجع الفضل الكبير في تقدم الرياضيات إلى العرب والمسلمين، وتُعتبر بعض فروعها ابتكارات عربية، كالجبر، وهو مصطلح لا يزال مستخدماً في أوروبا حتى يومنا هذا.

[190] - عبد النبي اصطيف:من الأندلس الى أمريكا المؤشحات الأندلسية وأثرها في الشعر الغنائي العربي ص 32

وكان الخوارزمي من بين أشهر العلماء العرب والمسلمين الذين برعوا في هذا المجال، إذ استخدم الأرقام في جداوله الرياضية وساهم في تقدم علم الحساب، وشهدت الحضارة على يديه ولادة علم جديد هو علم الجبر، وذلك من خلال كتابه الشهير "حساب الجبر والمقابلة" الذي ترجم إلى اللاتينية في النصف الأول من القرن الثاني عشر، ويرجع إليه الفضل في اكتشاف الصفر.

اشتهر جابر بن أفلح بإسهاماته في علم المثلثات. أما الحسن بن الهيثام، فقد برع في الرياضيات والعلوم الطبيعية، واعتبره كثيرون من أعظم علماء العرب. وألّف كتابًا جمع فيه المبادئ الهندسية والعددية، وقدّم فيه مناهج جديدة في الجبر والحساب لحلّ المسائل الرياضية من خلال التحليل والتقدير والحساب العددي.

**إسهام العرب في مجال الفلك:**

أما في علم الفلك فقد طبق العرب حسابات على الأرصاد الفلكية، وصنعوا آلات جديدة للرصد، مما أدى بهم إلى كثير من الاكتشافات وإلى تعديل شامل لفلك بطليموس وقد ألّفوا كتباً في هذا المجال، ترجمها الأوروبيون واستخدموا المصطلحات العربية مثل الاسطرلاب وأسماء النجوم ومجاميعها.

ومن أشهر رواد الفلك العرب والمسلمين الذين ترجمت مؤلفاتهم إلى اللاتينية أبو الريحان البيروني صاحب المؤلفات الكثيرة في علم الفلك والطبيعة والرياضيات، أشهرها "القانون المسعودي في الهيئة والنجوم" وكتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، إذ بحث في مؤلفاته نظرية دوران الأرض حول محورها، كما وصل إلى تحديد دقيق لخطوط الطول والعرض، وحدد بطريقة بارعة مقدار محيط الكرة الأرضية. أما أبو جعفر البتاني فقد صحح بعض الأخطاء التي وقع بطليموس الاسكندر،وألف كتابا قيما في حركة الكواكب أسماه "الزيج الصافي"، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الاتينية غير مرة، ويعد هذا الكتاب بمنزلة دائرة للمعارف الفلكية الضخمة.[191]

**إسهام العرب في مجال الطب:**

استطاع العلماء العرب والمسلمون إثراء علم الطب بشكل كبير من خلال اكتشاف أمراض لم تكن معروفة من قبل، كالجُدري وأمراض العيون. كما أسهموا إسهامًا كبيرًا في علم الطب في مجالات التغذية والتوليد، واكتشاف الجهاز الدوري، حيث تجلّت براعتهم الفائقة في اكتشاف أنواع مختلفة من الأدوية.

ويكفي الإشارة إلى أشهر طبيبين: وهما الرازي وابن سينا، إذ يعد كتاب ابن سينا "القانون في الطب" ذروة التصنيف المنهجي العربي ورائعته. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وظل يهيمن على الدراسات الطبية في أوروبا حتى نهاية القرن السادس عشر على أقل تقدير. وفي القرن الخامس عشر صدرت منه ست عشرة طبعة، في حين

[191] - علي يونس فتحي: أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوروبية،ص 27- 30

صدرت منه عشرون طبعة في القرن السادس عشر، كما كتبت تعليقات لاحصر لها عليه، باللغتين اللاتينية واللغات الإقليمية.[192]

**إسهام العرب في مجال الصيدلة:**

قد واكب مجال الصيدلة الطب في تطوره، إذ برع فيه العرب والمسلمون. فقد كانوا أول من أسسوا مدرسة للصيادلة. وأول من أوجدوا مخازن للأدوية والصيدليات، وقد جدوا في البحث عن العقاقير من أبعادها المختلفة، وابتكروا الكثير من أنواعها ولاتزال بعض هذه العقاقير تحتفظ بأسمائها العربية حتى يومنا هذا. وهم أول من ألفوا في علم تركيب الأدوية وتحضيرها، ومن أشهر رواد علم الصيدلة سابون بن سهيل الذي ألف كتاب الأقرباذين وكتاب القانون الذي يعده الأوروبيون خير ما أنتجته القريحة العربية، ومعجمًا للطب والصيدلة.[193]

**إسهام العرب في مجال الفيزياء:**

كان للعرب تأثير بالغ في تكوين الفكر الأوروبي في مجالي الكيمياء والفيزياء. وكان أشهر علماء العرب في هذا المجال الحسن بن الهيثم (965-1039). وتُعدّ كتبه من أوائل الكتب التي تُرجمت إلى اللاتينية، ولا سيما كتابه " المناظر " الذي تضمن نظريات حول العدسات والصريات والمرايا السنوية والمخروطية وضوء القمر. وقد كان لكتاباته أثر بالغ على العلماء الأوروبيين، وعلى رأسهم روجر بيكون، الذي انتقد النظرية اليونانية عن آلية الرؤية.

وكان ابن الهيثم أول من استخدم الغرفة المظلمة لمراقبة الكسوف، وانتقد نظرية أن الشعاع ينبعث من العين بنظرية تقول: إن الأجسام هي التي تبعث ضوءها الخاص أو الضوء المنعكس في كل اتجاه، وما تتلقاه العين هو الذي يجعلها تبصر.[194]

**إسهام العرب في مجال الكيمياء:**

في مجال الكيمياء العلمية عند العرب، توجد مجموعة كبيرة من الكتابات المنسوبة إلى جابر بن حيان. وتتضمن هذه الكتابات شرحًا وافيًا للكيمياء كعلم تجريبي، يستخدم أدوات وأساليب متنوعة في التعامل مع المواد الكيميائية. ويستند هذا العلم إلى نظرية مستمدة من مدرسة أرسطو في العلوم. وتشرح هذه الكتابات طرق تحضير العديد من المواد، بالإضافة إلى طرق تنقيتها من الشوائب. وقد دخلت عدة مصطلحات للمواد الكيميائية إلى اللغات الأوروبية من كتابات جابر.[195]

---

[192] - وات، مونتجومري: فضل الاسلام على الحضارة الغربية، ص 56

[193] - علي يونس فتحي: المرجع نفسه، ص 13- 19

[194] - سهيل زكار، وشكران خربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ص 367

[195] - وات، مونتجومري: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ص 58

جدير بالذكر أن جابر بن حيان يُعتبر المؤسس الحقيقي لهذا العلم، وكانت أبحاثه المرجع الأساسي في أوروبا حتى القرن الثامن عشر، حيث تُرجمت العديد من مؤلفاته إلى اللاتينية. فكان أول من عرف العديد من العمليات الكيميائية مثل التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتحويل، كما كان أول من لاحظ أن نترات الفضة تُكوّن راسبًا أبيض مع محاليل الطعام،وأن النحاس يكسب اللهب لونا أخضر.[196] ومن أشهر كتبه في هذا المجال كتاب " السبعين " وكتاب "الخواص الكبير".

**إسهام العرب في النهضة الإقتصادية:**

لقد أثرى العرب الحياة في شبه الجزيرة الأيبيرية في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة، إذ تُظهر الكلمات العديدة المتبقية باللغتين الإسبانية والبرتغالية المتعلقة بالحياة المادية مدى مساهمة العرب في الشؤون الاقتصادية:

**1- الزراعة:**

تُعدّ الأندلس، بطبيعتها، بلداً مكتفياً ذاتياً بفضل تنوّع مواردها، واختلاف مناخها، وتفاوت مواسم الأمطار بين شرقها وغربها. ونتيجةً لذلك، تنوّعت المحاصيل الزراعية، واستمرّت الفاكهة بالظهور على مدار العام. حيث بلغت محاصيلها وفواكهها من الوفرة حدّ تصديرها إلى الممالك المسيحية في إسبانيا وغيرها من دول العالم. كما بذل حكّام الأندلس قصارى جهدهم لتأمين ثروة بلادهم، فاستصلحوا الأراضي، وأنشأوا المصانع، وتاجروا مع دول أوروبا ودول حوض البحر الأبيض المتوسط.[197]

وقد أحدث العرب ثورة زراعية في أوروبا عندما أدخلوا محاصيل جديدة إلى حقول الأندلس الخصبة، بما في ذلك القطن والأرز والذرة والقمح وقصب السكر والتوت والموز والبرتقال والليمون. وأصبحت إسبانيا جنة واسعة بفضل أساليب العرب الزراعية الجديدة.[198]

أما بالنسبة لجزيرة صقلية، فقد كان الحكم العربي للجزيرة إيجابيًا ومفيدًا، بفضل ما أحدثه من تغييرات في الأوضاع الاقتصادية فيها، حيث ألغى النظام الإقطاعي، وشجع على ملكية المساحات الزراعية الصغيرة، وأحيا الزراعة وأغناها بأساليب ومحاصيل جديدة.

ومن الجدير بالذكر أن العديد من الألفاظ العربية المتعلقة بالزراعة والباقية في اللهجة الصقلية تشهد على الدور البارز الذي قام به العرب في الإقتصاد الزراعي في صقلية.

[196] - علي يوسف: أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوروبية، ص 22- 23

[197] - عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا لنصرانية، ص 466

[198] - غوستان لوبون: المرجع نفسه، ص 274

**2- الصناعة:**

كانت الأندلس من أهم البلاد التي إزدهرت فيها صناعة الحرير بأنواعه المختلفة. وكان حرير مدينة ألبيرة أجودها يصدر إلى داخل الأندلس وخارجها، واشتهرت اشبيلية بأرديتها المطرزة، وقد حظيت المنسوجات الأندلسية بشهرة واسعة في الأوساط الأوروبية الراقية، كما يشهد على ذلك في سير الملوك والبابوات والقادة الذين حرصوا على اقتناء هذه الملابس الثمينة.[199]

ولاشك في أن صناعة الورق التي ساهم فيها العرب في تطور النهضة الصناعية الأوروبية من أهم المساهمات الهامة، إذا لولا الورق لما استطاعت المطابع أن تقوم بعملها، ولا انتشرت الكتب والمعرفة بين الأوروبيين، إذ انتشرت صناعته في المغرب والأندلس وصقلية، وكانت مدينة شاطبة بشرق الأندلس تشكل أهم مراكز صناعة الورق في الأندلس، ومازال الورق الجيد يعرف في المغرب العربي بالورق الشاطبي.

وانتقلت صناعة الزجاج والصباغة المتقنة وصناعة السلاح تدريجيا إلى أوروبا ولو أتيحت لنا فرصة لزيارة المتاحف العالمية لوجدنا روائع فنية من الزجاج العربي كالآتية على صورة الديك مع الأظافر المعكوفة ونقش عليها اسم الخليفة العزيز بالله الفاطمي، ويوجد في التحف البريطاني ومتحف فكتوريا وألبرت نماذج عربية من الزجاج يمكن دراستها والإطلاع على تطور الصناعة العربية ومدى إسهامها في النهضة الصناعية الأوروبية.[200]

**3- التجارة:**

كانت علاقات العرب والمسلمين بأوروبا قديمة بدأت بشكل علاقات تجارية، كان لها الأثر في احتكاك الأوروبيين المتخلفين بالحضارة العربية، وكانت هناك ثلاثة طرق للتواصل هي: طريق جبال البرانس، وطريق البحر المتوسط، وطريق نهر الفولغا المؤدي الى شمال أوروبا عبر أراضي الروس، وقد سلك العرب الأندلسيون الطريقين الأولين، بينما سلك عرب بلاد الشام الطريق الثالث. أما البحر الأبيض المتوسط، فقد كان خاضعا للسيادة العربية ويرسل العرب من خلاله منتجاتهم الصناعية والزراعية الى جميع الموانئ الأوروبية، وتشير العملات المعدنية المكتشفة في أوروبا إلى مسارات التجارة العربية في أوروبا، والتي قد بدأت في وقت مبكر منذ القرن التاسع الميلادي، ويعود أحدث تاريخ لهذه العملات إلى سنة 1040م، إذ ورد فيها ذكر حكام بني العباس.[201]

[199] - العبادي: الحياة الإقتصادية، ص 334- 337

[200] - محمد فائز القصري: النهضة الأوروبية ، ص 143

[201] - يونغ:العرب وأوروبا، ص 15- 16

ومن الجدير بالذكر أن التجارة بين الأوروبيين والمسلمين في العصور الوسطى شهدت بعض التناقضات، لدرجة أن تجارة الأسلحة استمرت بين الجانبين خلال الحروب التي اندلعت بينهما،على الرغم من جهود الحكومات الأوروبية لوقفها. وقد منح الحكام المسلمون امتيازات للتجار المسيحيين لضمان توفر الأسلحة حتى أثناء الحروب الصليبية.[202]

**إسهام العرب في مجال الجغرافيا:**

قد أبدى العرب والمسلمون اهتمامًا بالغًا بالجغرافيا، فكتبوا مؤلفات عديدة في هذا المجال، ورسموا خرائط اعتمد عليها الأوروبيون اعتمادًا كبيرًا. وبينما لعب العلماء اليونانيون دورًا رائدًا في الجغرافيا، كان العرب والمسلمون هم من حفظوا معارفهم ودرسوها، وصححوا ما نقلوه عنهم ، وأضافوا الكثير مما كان مجهولًا لليونانيين وغيرهم. وقد تُرجم التراث الجغرافي العربي إلى اللاتينية خلال العصور الوسطى، مما جعلهم مصدرًا للمعلومات الجغرافية اليونانية، التي لم تعرفها أوروبا إلا عن طريق الكتب العربية.

وكان من أبرز العلماء الجغرافيين العرب ياقوت الحموي، مؤلف "معجم البلدان"، وهو معجم وموسوعة جغرافية ضخمة، فضلاً عن ثرائه بالمعرفة الأدبية والتاريخية. أما الإدريسي، مؤلف "نزهة المستاق في اختراق الآفاق"، فقد جمع كتابه بناءً على معلومات استقاها من مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين، بالإضافة إلى رحلاته الشخصية.

**إسهام العرب في مجال الفلسفة:**

قد شهد القرن الثاني عشر الميلادي ازدهاراً للفلسفة الأرسطية في الأندلس. وفي هذا القرن، برز ثلاثة فلاسفة عظام تركوا بصمة في تاريخ الفكر الإنساني: ابن باجة (1138 م)، وابن طفيل (1185 م)، وابن رشد (1198 م).[203]

وقد اعتبر الأوروبيون ابن رشد أعظم ممثل لحرية الفكر في العصور الوسطى، وأعجبوا بشروحه لفلسفة أرسطو. وفي هذا الصدد، قال الفيلسوف الفرنسي رينان: "نظر أرسطو إلى كتاب الكون نظرةً صحيحة، ففسّره وبيّن غموضه، ثم جاء ابن رشد ونظر إلى فلسفة أرسطو نظرةً ثاقبة، فبيّن غموضها".[204]

وفي الأندلس، كان ابن عربي، المولود في مرسية في القرن الثالث عشر الميلادي، أبرز شخصية في الفلسفة الصوفية الإسلامية. وقد تبنى في نهاية المطاف مذهب وحدة الأديان، مما جعل آراءه جذابة لفلاسفة الغرب. فاعتمدوا العديد من أفكاره، وخاصة فيما يتعلق بصلة الروح بالله وتجلى الخالق في مخلوقاته.[205] وقد لخص الفيلسوف الفرنسي سيديو تأثير الفلسفة العربية بقوله: "إن جميع الدروس التي كانت تُدرّس في المدارس الأوروبية خلال العصور الوسطى كانت مستمدة من الأعمال الفلسفية للعرب".[206]

---

[202] - يونغ: المرجع نفسه، ص 162

[203] - يونغ: العرب وأوروبا، ص 96

[204] - الخطيب: تاريخ الحضارة، ص 204

[205] - عاشور: الحياة الفكرية، ص 102

[206] - خلاصة تاريخ العرب، ص 240

وكان من أبرز إسهامات الفلسفة الإسلامية والعربية في عصر النهضة الأوروبية أنها دفعت شعبها إلى الاهتمام بالبحث والتجريب، والتوجه نحو الطبيعة، وإطلاق التفكير والتحرر من قيود الكنيسة، والاتصال بالثقافات الأجنبية وخصوصا اليونانية.

**إسهام العرب في مجال الإجتماع:**

أما علم الاجتماع فيهتم بدراسة أحوال الجماعات والشعوب، ويعود الفضل في تأسيس هذا العلم وتطويره إلى علماء العرب والمسلمين، الذين دونوا، خلال رحلاتهم، أحوال الأمم ووصفوا عاداتها وتقاليدها. كما بحثوا في عوامل القوة والازدهار التي مكّنت هذه الشعوب من التقدم، وعوامل الضعف التي أعاقت تقدمها.[207]

ويُعد ابن خلدون (1342-1406م)، بمقدمته ومتن تاريخه، مؤرخًا للحضارة ومؤسسًا لما يُمكن تسميته بعلم الاجتماع البشري، حيث يُواصل ابن خلدون نهج المسعودي فيُحلل تاريخ الرومان واليونان والفرنجة وتطور أوضاعهم، وعملية انتقال المسيحية من فلسطين والقدس إليهم، وما واجهه المسيحيون الأوائل من اضطهاد من قياصرة الرومان حتى انتصارهم على قسطنطين، ثم توسع الإمبراطورية الرومانية، وانقسامات الكنيسة، ثم نهوص العرب المسلمين وتوسعهم على حساب الرومان، ثم تغير الزمن وعودة السلطة إلى أراضي الفرنجة في الشمال.

لكن ما ميّز ابن خلدون عن معاصريه من المؤلفين العرب هو إشارته الواضحة إلى ظهور عصر النهضة الأوروبية، الذي تجلّى في انتشار الفكر الفلسفي بينهم. ويصف لنا ابن خلدون، بإيجاز وبأسلوب بليغ، نهضة الحياة الثقافية الأوروبية، فهو يحدثنا بعبارات قصيرة لكنها معبرة عن نهضة الحياة الثقافية الأوروبية.[208]

**إسهام العرب في مجال الأدب العربي:**

قد لعبت الأندلس دورًا هامًا في تعريف أوروبا بالقصص العربية ونشرها على أوسع نطاق، فالتراث القصصي القديم اليوناني واللاتيني إندثر أثناء العصور الوسطي، وكان أكثر ما عرف منه في أوروبا إنما كان عن طريق ترجماته العربية التي عبرت القارة الأوروبية خلال الأندلس، وممن يتمثل فيهم ما استفاده الفن القصصي الوليد في أوروبا من التراث العربي الاسلامي شخصيتان أولهما: الكاتب الشاعر الإيطالي دانتي الليجيري 1265- 1321م ، الذي يعد من أكبر مفاخر عصر النهضة، حيث اضطلع المستشرق الأسباني ميجيل بلاثيوس بنشر " قصة الإسراء والمعراج الإسلامية وأثرها في الكوميديا الإلهية "، وخلاصتها أن دانتي استقى فكرة الكوميديا الإلهية من مصادر إسلامية كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري والفتوحات الملكية لإبن عربي.[209] وأما الشخصية الثانية، فهو جيوفاني بوكاتشيو (1313-1375 م)، الذي يمثل في النثر الأدبي الإيطالي ما يمثله دانتي في الشعر. وقد ترك وراءه مجموعة "الليالي العشر"، ومن يتأملها لا يسعه إلا أن

[207] - علي يونس فتحي: المرجع نفسه، ص 47- 49

[208] - صالح، أشرف: أصول التاريخ الأوروبي الحديث،ص -33-34

[209] - القلماوي ومكي: في الادب ، ص 31-32

يلاحظ التشابه الكبير بينها وبين مجموعات القصص العربية في الشكل العام والتفاصيل، مثل قصة الوزراء السبعة في ألف ليلة وليلة، وهي قصة شاعت في الأندلس.[210]

ومن الملاحظ أن أثر الادب العربي بدأ واضحا في الشعر الغنائي الإسباني والفرنسي الذي قلد فيه الشعراء والمغنون نماذج الزجاجين والوشاحين والأندلسيين، فظهر ما يسمى بشعراء التروبادور، ومن بين أوائل شعراء التروبادور غيوم التاسع، دوق أكتين، المجاورة للاندلس، ثم ماركابرو، وسيركامون، من منطقة غسقونية، المتاخمة لشمال إسبانيا، وعلى ذلك فإن اتصال الجيل الأول من الشعراء الأوروبيين بالحضارة العربية في الأندلس كان اتصالا مباشرا ولعل لكتاب " طوق الحمامة " لابن حزم القرطبي سنة 1663م، اثر قوي في نشأة شعر التروبادور والذي اتسم شعره بالعفة والرقة. وعكس وجه الحضور العربي وتقاليد شعر الغزل العربي في أرق شعر غزل عرفته أوروبا في مطلع عصر النهضة الحديثة[211].

وفي إشارة إلى مكانة اللغة العربية وأهميتها وانتشارها السريع في أوروبا، يخاطب الفرو القرطبي أبناء بلده الإسبان محذرًا إياهم من انتشارها، قائلًا: إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، وهم حريصون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين، لا ليردوا عليها وينقضوها، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوباعربيا جميلا". كما أعرب رئيس دير كلوني عن حزنه خلال إقامته في الأندلس لما كان يشاهد من تهافت الطلاب من فرنسا وألمانيا وإنجلترا إلى مراكز تعليم اللغة العربية هناك.[212]

وتجدر الإشارة إلى تأثير اللغة العربية الواضح في اللغات الأوروبية الحديثة مثل الألمانية والإسبانية والإيطالية والإنجليزية، والتي لا تعد ولا تحصى، إذ يقول الأستاذ تريند من جامعة كمبردج: إنه " لا شيء أوضح دلالة على ما تدين به إسبانيا للمسلمين من وفرة المفرادات العربية في لغتها". [213] وقد جمع دوزي وانغلمان ما يزيد على 145 مفردة إسبانية وبرتغالية مشتقة من العربية في قاموسهما.[214]

ويتضح لنا مما سبق أثر الفكر والحضارة العربية والإسلامية في أوروبا، ولا سيما عبر الأندلس وصقلية. فأوروبا مدينةٌ بنهضتها الفكرية والعلمية، التي بدأت في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادي، للعرب والمسلمين، الذين كانوا روادًا في مجالات الثقافة والحضارة. حيث وضعوا الأساس لعصر النهضة الأوروبية في مختلف مجالات العلوم الحديثة.

---

[210] - القلماوي ومكي: المرجع نفسه، ص 114- 119

[211] - عبد النبي اصطيف: المرجع نفسه، ص 8

[212] - علي دياب: انتقال العلوم العربية من الشرق إلى الغرب وتأثيرها في أوروبا، ص 88

[58]- شافت وبوزورت: تراث الإسلام، ، ص 222

[214] - محمد أحمد الدكتور: إسهامات العرب في النهضة الأوروبية الحديثة رؤية جديدة، مجلة دراسات تاريخية- العددان 115- 116،ايلول- كانون الأول لعام 2021

## الخاتمة:

بعد دراسة موضوع البحث، توصلت الدراسة إلى بعض الاستنتاجات، ومنها:

كان تأثير العرب في قيام نهضة أوروبا وحضارتها هائلاً في مختلف مجالات العلوم، بما في ذلك الطب والصيدلة والرياضيات والفلك والفلسفة والأدب، فضلاً عن الصناعة والزراعة.

قد لعب العرب دوراً رائداً في تعريف الأوروبيين بالعديد من الأعمال اليونانية من خلال ترجماتهم، وهي أعمال فُقدت بلغتها اليونانية الأصلية ولكنها حُفظت باللغة العربية. ولولا جهود المفكرين والعلماء العرب، لما وصلت هذه الأعمال إلى عامة الناس.وشكّلت الأندلس نقطة انطلاق لترجمة كتب متنوعة في مدنها المهمة مثل طليطلة وصقلية. وكانت طليطلة مركزاً رئيسياً للترجمة، حيث أنشأت فيها مدرسة متخصصة لهذا الغرض. أما صقلية، فقد لعبت دوراً محورياً في نقل التراث الفكري العربي إلى بقية أوروبا.

وتأسست العديد من المدارس والكليات والجامعات في أوروبا تحت تأثير المدارس والكليات والجامعات العربية التي زارها أو درس فيها عدد من الزوار في الأندلس وصقلية، وتحت تأثير العديد من الأساتذة العرب الذين استقدمهم بعض الملوك الأوروبيين لإنشاء مدارس هناك، ونقلوا تقاليدهم الأكاديمية العربية إلى تلك الدول الأوروبية.وقد تبنى الأوروبيون العديد من أفكار ونظريات الفلاسفة العرب، واستندت الدراسات الأوروبية في هذا المجال إلى كتاباتهم. وكان لفلسفة ابن رشد أثر بالغ في الغرب، مما أدى إلى ظهور حركات فكرية تحدت عقائد الكنيسة.

وتجدر الإشارة إلى تأثير اللغة العربية في اللغات الأوروبية الحديثة مثل الألمانية والإسبانية والإيطالية والإنجليزية، حيث يتواجد العديد من الكلمات والمصطلحات التي احتفظت بشكلها العربي في القواميس والمعاجم الأوروبية.

وخلاصة القول: إن العلماء العرب قد لعبوا في العصور الوسطى دورًا محورياً في بناء النهضة العلمية الأوروبية، إذ زوّدوا أوروبا بالأسس التي مكّنتها من تحقيق التقدم. لقد كانوا حقًا آباء العلوم الحديثة.

## المصادروالمراجع:

[1] - ابن القوطية 977م: تاريخ افتتاح الاندلس، ط القاهرة، (بلا ت)

[2] - ابن جلجل: طبقات الاطباء والحكماء، القاهرة 1955

[3]- أمين الطيبي: الإسلام في الأندلس وصقلية، مجلة كلية التربية، جامعة الفاتح، العدد13(1980- 1981)

4- الأحمد، محمد: الحضارة الأوروبية الحديثة والمعاصرة، كتاب جامعي، جامعة دمشق، 2008

[5] - الخطيب: تاريخ الحضارة، ط سوريا، 2007

6- العبادي احمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي، مطبعة دار النهضة، بيروت، 1971،

[7] - القلماوي ومكي: في الأدب، ضمن كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، لمجموعة المؤلفين، القاهرة، 1970م،

8- المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة ،مصر ،1949 ج ،1-

9- الملا، أحمد علي: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، ط2، دار الفكر، دمشق، 1986

10- بروي، إدوار: تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد م، داغر، ط2، ج3، منشورات عويدات، باريس بيروت، 1986

11- جلال مظهر: مآثر العرب على الحضارة الأوروبية، مطعبة الأنجلو المصرية،الطبعة الأولى، القاهرة، 1960

12- جوزيف بورلو: نتائج الحروب الصليبية، ترجمة ديمة الفوال، دمشق، 2001

13- زكريا: فضل الحضارة الإسلامية على العالم، دار النهضة مصر، 1970

14-_زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية فاروق بيضون، دار صادر للنشر، بيروت، الطبعة التاسعة، 2000

15- سهيل زكار، وشكران خربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، جامعة دمشق، 2005

16- سيديو: خلاصة تاريخ العرب، ط، بيروت، بلا. ت

17- شافت وبوزورت: تراث الإسلام، القسم الثالث، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، الكويت، 1978

18- شكيب أرسلان،الأمير،الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، الجزء الأول ، المطبعة الرحمانية، مصر، (1936)

19- صالح شرف: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، دار واتا للنشر الرقمي، قطر، 2009

20- عاشور: حضارة ونظم اوروبا في العصور الوسطى، بيروت، 1976

21- عاشور سعيد: الحياة الفكرية والعلمية في الإسلام، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط2، الكويت، 1986

22- عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا لنصرانية، في عصر بني أمية وملوك الطوائف، ط القاهرة

23- عبد النبي اصطيف:من الأندلس الى أمريكا المؤشحات الأندلسية وأثرها في الشعر الغنائي العربي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007

24- عجيل كريم: الحياة العلمية في مدينة بلنسيا

25- علي دياب: انتقال العلوم العربية من الشرق إلى الغرب وتأثيرها في أوروبا، بحث في دراسات تاريخية، العدوان 53- 54 ، 1995

26 - علي يونس فتحي: أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوروبية، القاهرة، 1996

27- عمران، محمود سعيد: تاريخ الحروب الفرنجية،1095- 1291، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000

28- عنان: تراجم اسلامية شرقية واندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة

29- غوستان لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، نشر مطبعة البابي الحلبي 1969

30- لوبون غوستاف: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، 1956

31- محمد أحمد الدكتور: إسهامات العرب في النهضة الأوروبية الحديثة رؤية جديدة، مجلة دراسات تاريخية- العددان 115-116،ايلول- كانون الأول لعام 2021

32- محمد الإدريسي: صفة جزيرة الأندلس، قطعة مستخدمة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق دوزي ودي خوية، ليدن، 1866

33- محمد ابن جبير: رحلة ابن جبير، بيروت، 1968

34- محمد فائز القصري: النهضة الأوروبية، دمشق، د.ت

35- مجلة دراسات تاريخية- العددان 15-16 أيلول- كانون الأول لعام 2011، محمد أحمد

36- وات، مونتجومري: فضل الاسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين: ط1، دار الشرق، بيروت

37- هاني مبارك وشوقي ابوخليل: دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، دمشق،دار الفكر،1996

38- هيكل، أحمد مقصود، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص:13 ،الطبعة العاشرة، دار المعارف، القاهرة، 1986

39- بروي، إدوار: تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد م، داغر، ط2، ج3، منشورات عويدات، باريس بيروت، 1986

40- يونغ: العرب وأوروبا، ترجمة ميشيل ازرق، ط بيروت، 1979

# القضايا الإنسانية والاجتماعية في رواية «موسم الهجرة إلى الشمال»



**السيد إقبال أحمد الرحمانى**
Syed Iqbal Ahmad Rahmai[215]
Assistant Professor
Govt. Degree College for Women Pulwama
Dept. of Higher Education UT Of J&K

## Abstract:

**This study examines the major human and social issues presented in Tayeb Salih's novel *"Season of Migration to the North"* one of the most significant works of modern Arabic literature. The study explores the novelist's representation of identity, alienation, psychological conflict, colonialism and its consequences, the relationship between East and West, women, marriage, social authority, and the tension between modernity and tradition. The research adopts an analytical and critical approach, supported by social and psychological perspectives in examining the characters and events of the novel. The study argues that *Season of Migration to the North* transcends its Sudanese historical and cultural context and presents universal questions concerning identity, freedom, belonging, cultural encounter, and the relationship with the Other. Tayeb Salih successfully transforms the colonial and social experience into a literary work of broad human significance.**

**Keywords:** **Tayeb Salih, *Season of Migration to the North*, human issues, social issues, identity, alienation, colonialism, East and West, women, Sudanese society.**

**ملخص البحث :** يتناول هذا البحث أهم القضايا الإنسانية والاجتماعية في رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» للروائي السوداني الطيب صالح، التي تعد من أبرز الأعمال الروائية في الأدب العربي الحديث. ويسعى البحث إلى الكشف عن رؤية الكاتب للإنسان والمجتمع من خلال تحليل مجموعة من القضايا، أبرزها أزمة الهوية، والاغتراب، والصراع النفسي، والاستعمار وآثاره، والعلاقة بين الشرق والغرب، ومكانة المرأة، والزواج، وسلطة المجتمع، والصراع بين الحداثة والتقاليد. ويعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، مع الاستفادة من المنهج الاجتماعي والنفسي في قراءة

[215] باحث بجامعة شرى ونكتيشورا تحت إشراف الدكتور محمد معروف

الشخصيات والأحداث. ويخلص البحث إلى أن الرواية تتجاوز حدود التجربة السودانية لتطرح أسئلة إنسانية عامة حول الهوية والحرية والانتماء والعلاقة بالآخر، وأن الطيب صالح استطاع أن يحول التجربة الاستعمارية والاجتماعية إلى رؤية أدبية ذات أبعاد إنسانية عالمية.

**الكلمات المفتاحية:**الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، القضايا الإنسانية، القضايا الاجتماعية، الهوية، الاغتراب، الاستعمار، الشرق والغرب، المرأة، المجتمع السوداني.

**مقدمة:** تُعدّ رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» للروائي السوداني الطيب صالح من أبرز الأعمال الروائية في الأدب العربي الحديث، وقد احتلت مكانة متميزة في الرواية العربية لما تتميز به من عمق فكري وفني وقدرة على معالجة قضايا الإنسان والمجتمع في سياق تاريخي وثقافي معقد. وقد استطاع الطيب صالح من خلال هذه الرواية أن يطرح مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالإنسان والهوية والانتماء والاستعمار والعلاقة بين الشرق والغرب، وأن يكشف عن مجموعة من المشكلات النفسية والاجتماعية التي عاشها الفرد العربي والأفريقي في مرحلة ما بعد الاستعمار.

صدرت الرواية سنة 1966، وتدور أحداثها بصورة أساسية في قرية سودانية تقع على ضفاف النيل، من خلال شخصية الراوي الذي يعود إلى قريته بعد سنوات من الدراسة في أوروبا. وهناك يلتقي بشخصية غامضة هي مصطفى سعيد، الذي يمثل نموذجاً إنسانياً معقداً تشكلت شخصيته في ظل الصراع بين الثقافتين الشرقية والغربية. ومن خلال قصة مصطفى سعيد وعلاقته بالنساء الأوروبيات، ثم عودته إلى السودان، يكشف الكاتب عن آثار الاستعمار في النفس الإنسانية، وعن الاضطراب الذي يمكن أن ينشأ نتيجة الصدام الحضاري والثقافي.

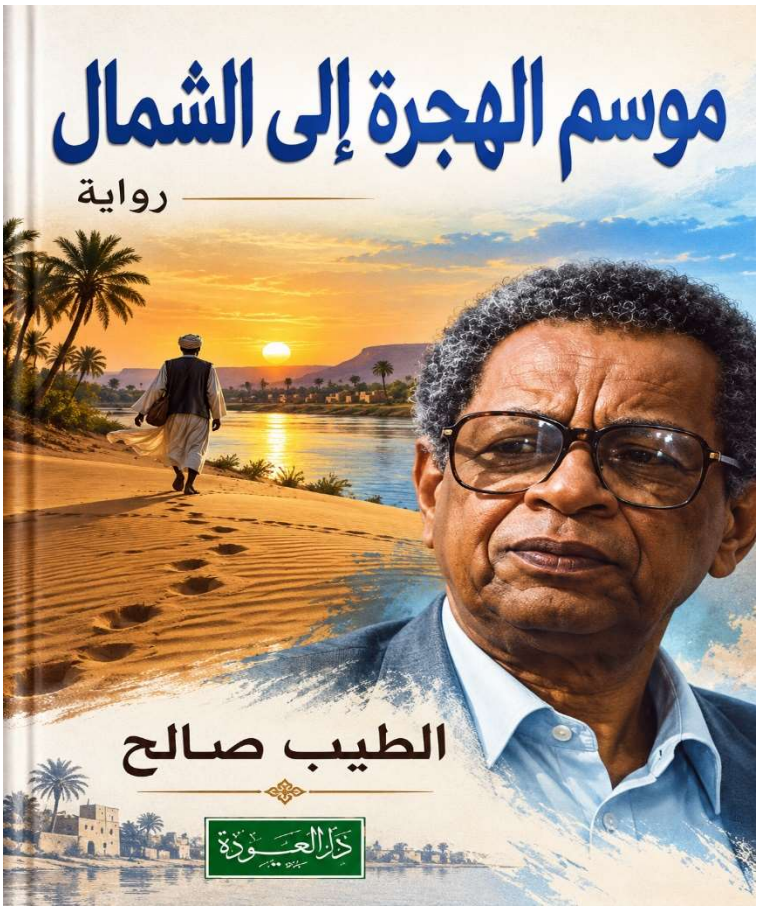
ولا تقتصر أهمية الرواية على تناول العلاقة بين الشرق والغرب، بل تتجاوز ذلك إلى معالجة قضايا إنسانية واجتماعية عديدة، منها أزمة الهوية، والاغتراب، والعزلة، والصراع النفسي، والعلاقة بين الرجل والمرأة، ومكانة المرأة في المجتمع، والزواج، والعنف، والسلطة الاجتماعية، والتقاليد، والتفاوت بين الأجيال، إضافة إلى قضية الاستعمار وآثاره النفسية والثقافية والاجتماعية.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة القضايا الإنسانية والاجتماعية في هذه الرواية، لأنها تكشف عن رؤية الطيب صالح للإنسان والمجتمع، وتوضح كيف استطاع أن يحول تجربة شخصية وتاريخية إلى عمل أدبي يحمل أبعاداً إنسانية تتجاوز حدود السودان إلى العالم العربي والإنساني عامة.

**نبذة عن الروائي الطيب صالح:** الطيب صالح من أحد أبرز الروائيين السودانيين والعرب في الأدب العربي الحديث، وقد ارتبط اسمه بالرواية العربية التي استطاعت أن تجمع بين الخصوصية المحلية والبعد الإنساني العالمي. وُلد في السودان سنة 1929 ونشأ في بيئة ريفية كان لها أثر واضح في تكوينه الأدبي، ثم انتقل إلى الخرطوم لمتابعة

تعليمه، قبل أن يسافر إلى بريطانيا، حيث درس وعمل في مجالات مختلفة، كما عمل في هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) في لندن.

استفاد الطيب صالح من تجربته بين السودان والغرب في بناء عالمه الروائي، فظهرت في أعماله قضايا الهوية والانتماء والاغتراب والاستعمار والعلاقة بين الشرق والغرب، إلى جانب القضايا الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالمجتمع السوداني. وقد تميز أسلوبه باللغة العربية الفصيحة التي تتداخل فيها روح البيئة السودانية مع البناء الفني الحديث، كما تميز بقدرته على تصوير الشخصيات تصويراً نفسياً واجتماعياً عميقاً.




ومن أشهر أعماله الأدبية « **موسم الهجرة إلى الشمال**»، التي صدرت سنة 1966، وأصبحت من أشهر الروايات العربية في القرن العشرين. وقد تناول فيها علاقة الشرق بالغرب من خلال شخصية مصطفى سعيد والراوي، وكشف عن آثار الاستعمار في الإنسان والمجتمع، كما عالج قضايا المرأة والزواج والتقاليد والاغتراب وأزمة الهوية.

ومن أعماله الأخرى «**عرس الزين** » **ودومة ود حامد**» وقد أسهمت هذه الأعمال في ترسيخ مكانته في الأدب العربي الحديث. وتوفي الطيب صالح في لندن سنة 2009، تاركاً أثراً بارزاً في الرواية العربية، وما تزال أعماله تحظى باهتمام النقاد والباحثين في العالم العربي وخارجه.

**إشكالية البحث:**تتمثل إشكالية هذا البحث في محاولة الكشف عن أهم القضايا الإنسانية والاجتماعية التي تناولها الطيب صالح في رواية «موسم الهجرة إلى الشمال»، وبيان الطريقة التي عالج بها هذه القضايا من خلال الشخصيات والأحداث والصراع النفسي والاجتماعي.

**ويمكن صياغة الإشكالية في السؤال الآتي:**

كيف عبّر الطيب صالح في رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» عن القضايا الإنسانية والاجتماعية، وما علاقتها بأزمة الهوية والصراع بين الشرق والغرب؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدد من الأسئلة، منها: كيف صورت الرواية أزمة الإنسان العربي والأفريقي بعد الاستعمار؟ وما مظاهر الاغتراب النفسي والاجتماعي في شخصية مصطفى سعيد؟ وكيف عالج الكاتب قضايا المرأة والزواج والأسرة؟ وما دور القرية والمجتمع في تشكيل الشخصيات؟ وكيف استطاع الكاتب الجمع بين القضية الفردية والقضية الاجتماعية والحضارية؟

**منهج البحث:**

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي، من خلال قراءة الرواية وتحليل شخصياتها وأحداثها ومواقفها الاجتماعية والنفسية، وربطها بالسياق الثقافي والتاريخي الذي أنتجها. كما يستفيد البحث من المنهج الاجتماعي في الكشف عن علاقة الشخصيات بالمجتمع والتقاليد، ومن المنهج النفسي في تحليل بعض مظاهر الصراع الداخلي والاغتراب التي تظهر في الرواية.

المبحث الأول: القضايا الإنسانية في رواية «موسم الهجرة إلى الشمال:

**أولاً: أزمة الهوية**

تُعد أزمة الهوية من أهم القضايا التي تقوم عليها الرواية. فالإنسان الذي عاش تجربة الاستعمار أو احتك بثقافة مختلفة يجد نفسه أمام سؤال أساسي: من أنا؟ وإلى أي عالم أنتمي؟وتظهر هذه الأزمة بصورة واضحة في شخصية مصطفى سعيد، الذي انتقل من السودان إلى بريطانيا وتعلم في بيئة غربية، ثم أصبح شخصية ناجحة في المجال الأكاديمي والاقتصادي، لكنه لم يستطع أن يحقق التوازن النفسي بين جذوره السودانية والبيئة الأوروبية التي عاش فيها.

لقد أصبح مصطفى سعيد شخصية مزدوجة؛ فهو سوداني من جهة، ومثقف متأثر بالغرب من جهة أخرى. غير أن هذه الازدواجية لم تتحول إلى حالة إيجابية من التفاعل بين الثقافتين، بل تحولت إلى صراع داخلي. فقد حمل معه إلى الغرب صورة الشرق التي صنعها الاستعمار، واستخدمها أحياناً بطريقة معكوسة في علاقاته مع النساء الأوروبيات.

أما الراوي، فعلى الرغم من اختلافه عن مصطفى سعيد، فإنه يعيش هو الآخر حالة من التوتر بين عالمين. فقد درس في أوروبا، ثم عاد إلى السودان، لكنه لم يعد الشخص نفسه الذي غادر القرية. ولذلك فإن العودة إلى الوطن ليست عودة جغرافية فقط، بل هي عودة إلى الذات والذاكرة والهوية.ومن خلال الشخصيتين، يطرح الطيب صالح سؤال

الهوية بصورة عميقة: هل يستطيع الإنسان أن يعيش بين ثقافتين دون أن يفقد ذاته؟ وهل يمكن للإنسان أن يستفيد من الحضارة الغربية دون أن يتحول إلى نسخة منها أو أن يرفضها بصورة كاملة؟

**ثانياً: الاغتراب**

يظهر الاغتراب في الرواية على مستويات متعددة. فهناك اغتراب مكاني، واغتراب نفسي، واغتراب ثقافي واجتماعي.

يعيش مصطفى سعيد اغتراباً واضحاً في أوروبا، إذ يجد نفسه بعيداً عن موطنه الأصلي وبيئته الاجتماعية. لكنه لا ينتهي اغترابه بعد عودته إلى السودان، بل يستمر في صورة مختلفة. فهو يعيش بين أبناء قريته، لكنه يحتفظ بأسراره وتجربته الخاصة، ولا يسمح للآخرين بالوصول إلى أعماق شخصيته.

وهذا يدل على أن الاغتراب ليس بالضرورة أن يكون نتيجة البعد عن الوطن فقط؛ فقد يكون الإنسان غريباً وهو يعيش وسط أهله. فالاغتراب الحقيقي قد يكون اغتراباً عن الذات وعن المجتمع وعن القدرة على تحقيق التوازن النفسي.

أما الراوي، فيعيش حالة أخرى من الاغتراب. فهو ينتمي إلى القرية، لكنه يحمل تجربة التعليم الأوروبي، ولذلك يجد نفسه بين عالمين. ويصبح هذا الوضع وسيلة للكاتب لطرح مشكلة المثقف الذي يعود إلى وطنه بعد تجربة طويلة في الخارج.

**ثالثاً: الصراع النفسي**

من أبرز القضايا الإنسانية التي تعالجها الرواية الصراع النفسي داخل الإنسان. فالشخصيات لا تتحرك فقط نتيجة الأحداث الخارجية، وإنما تتحرك أيضاً نتيجة الصراعات الداخلية التي تعيشها.

ويظهر هذا الصراع بصورة خاصة في شخصية مصطفى سعيد. فخلف شخصيته القوية والمثقفة توجد شخصية مضطربة تبحث عن الاعتراف والانتقام والسيطرة. وتبدو علاقاته العاطفية في أوروبا مرتبطة بصورة من صور الصراع الحضاري والنفسي، وليست مجرد علاقات شخصية.

ويكشف الكاتب من خلال ذلك عن خطورة تحول الصراع الحضاري إلى صراع نفسي داخل الإنسان. فبدلاً من أن يواجه مصطفى سعيد آثار الاستعمار بطريقة عقلانية، يدخل في علاقات معقدة تؤدي في النهاية إلى نتائج مأساوية.

كما يعيش الراوي نفسه صراعاً داخلياً، خاصة عندما يكتشف حقيقة مصطفى سعيد ويصبح مسؤولاً بصورة غير مباشرة عن بعض أسراره. وهكذا تتحول قصة مصطفى سعيد إلى اختبار للراوي نفسه، وإلى وسيلة لاكتشاف جوانب من ذاته.

**رابعاً: البحث عن معنى الحياة**

تطرح الرواية سؤالاً إنسانياً مهماً يتعلق بمعنى الحياة. فالشخصيات تبحث عن الاستقرار والسعادة والانتماء، لكنها كثيراً ما تجد نفسها أمام الفراغ والقلق.

فمصطفى سعيد، على الرغم من حصوله على التعليم والنجاح والمكانة، لا يصل إلى السلام الداخلي. وهذا يدل على أن النجاح الخارجي لا يعني بالضرورة تحقيق السعادة الداخلية.

كما أن الرواية تكشف أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش حياة مستقرة إذا ظل أسيراً للماضي أو للصراع مع الآخرين. فالإنسان يحتاج إلى التصالح مع ذاته ومع ماضيه ومجتمعه حتى يستطيع بناء مستقبل متوازن.

**المبحث الثاني: القضايا الاجتماعية في الرواية**

**أولاً:** المجتمع الريفي السوداني

تقدم الرواية صورة غنية للمجتمع الريفي السوداني، وتكشف عن طبيعة العلاقات الاجتماعية والعائلية التي كانت سائدة في القرية.

فالقرية ليست مجرد مكان تجري فيه الأحداث، وإنما هي شخصية جماعية لها حضور قوي. ويظهر فيها التضامن بين الناس، والتعاون في المناسبات، والارتباط بالأرض والنيل، واحترام كبار السن، والتمسك بالعادات والتقاليد.

وفي الوقت نفسه، لا يقدم الطيب صالح القرية بصورة مثالية خالية من المشكلات، بل يكشف عن بعض الجوانب السلبية في المجتمع، مثل سيطرة الأعراف، وقوة السلطة الاجتماعية، ومحدودية حرية الفرد، خاصة بالنسبة إلى المرأة. وبذلك يقدم الكاتب صورة واقعية للمجتمع، تجمع بين الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية.

**ثانياً: المرأة ومكانتها الاجتماعية**

تحتل المرأة مكانة مهمة في رواية «موسم الهجرة إلى الشمال». ومن خلال شخصيات نسائية متعددة، يعالج الطيب صالح قضايا المرأة والرجل والزواج والسلطة الاجتماعية.

وتبرز شخصية حسنة بنت محمود بصورة خاصة، لأنها تكشف عن مأساة المرأة التي تجد نفسها أمام سلطة المجتمع والتقاليد. وبعد وفاة مصطفى سعيد، تجد حسنة نفسها في موقف صعب، إذ يتدخل المجتمع في حياتها الشخصية ويحاول فرض إرادته عليها.

وتكشف قصتها عن مشكلة أساسية تتمثل في محدودية قدرة المرأة على اتخاذ قراراتها الخاصة في بعض البيئات الاجتماعية التقليدية. فالمرأة ليست دائماً صاحبة القرار في حياتها، بل قد تخضع لقرارات الأسرة والمجتمع.

ومن خلال مأساة حسنة، يوجه الطيب صالح نقداً إلى المجتمع الذي لا يحترم إرادة المرأة ولا يمنحها حق اختيار مستقبلها.

**ثالثاً: الزواج والتقاليد**

يعالج الكاتب قضية الزواج بوصفه مؤسسة اجتماعية تتداخل فيها الرغبات الشخصية مع سلطة المجتمع والتقاليد.فالزواج في المجتمع الريفي لا يُنظر إليه باعتباره علاقة فردية فقط، وإنما باعتباره قضية اجتماعية وعائلية. ولذلك يتدخل أفراد المجتمع في تحديد ما يعتبرونه مناسباً أو غير مناسب.

وتكشف الرواية أن التقاليد يمكن أن تكون وسيلة للحفاظ على تماسك المجتمع، لكنها قد تتحول أيضاً إلى أداة للضغط على الفرد إذا لم تراعِ حريته وحقوقه.

وهنا تظهر إحدى أهم أفكار الرواية: التقاليد ليست دائماً إيجابية أو سلبية بصورة مطلقة، وإنما تتوقف قيمتها على الطريقة التي يتعامل بها الإنسان معها.

**رابعاً: سلطة المجتمع**

تظهر سلطة المجتمع بصورة قوية في الرواية، حيث يعرف الناس أخبار بعضهم بعضاً، ويتدخلون في شؤون الآخرين، ويشكلون أحكاماً جماعية حول السلوك الصحيح والخاطئ.

ويشعر الفرد في مثل هذا المجتمع بأنه مراقب بصورة مستمرة، ولذلك قد لا يستطيع التعبير عن رغباته بحرية.

وتظهر هذه السلطة بوضوح في قضية حسنة، حيث تتحول رغبتها الشخصية إلى موضوع اجتماعي، ويصبح المجتمع طرفاً في حياتها الخاصة.ومن خلال ذلك، يوضح الطيب صالح الصراع بين حرية الفرد وسلطة الجماعة، وهو صراع لا يخص المجتمع السوداني وحده، بل يمثل قضية إنسانية عامة.

**المبحث الثالث: الاستعمار و آثاره الإنسانية والاجتماعية**

**أولاً: الاستعمار بوصفه تجربة إنسانية**

لا يتناول الطيب صالح الاستعمار باعتباره حدثاً سياسياً فقط، وإنما يركز على آثاره في الإنسان.

فالاستعمار لا ينتهي بمجرد خروج المستعمر من الأرض، بل يمكن أن يستمر أثره في اللغة والتعليم والثقافة والنظرة إلى الذات والآخر.

وتجسد شخصية مصطفى سعيد هذه الفكرة بصورة واضحة. فهو نتاج مرحلة استعمارية جعلت العلاقة بين الشرق والغرب علاقة غير متوازنة. وقد حاول أن يعكس الأدوار في علاقاته مع بعض النساء الأوروبيات، وكأنه يريد الانتقام من تاريخ طويل من الهيمنة.

لكن هذا الانتقام لا يؤدي إلى التحرر الحقيقي، بل يؤدي إلى المزيد من الألم والمأساة.

**ثانياً: العلاقة بين الشرق والغرب**

تقوم الرواية بصورة أساسية على ثنائية الشرق والغرب، لكنها لا تقدم هذه الثنائية بصورة بسيطة.

فالشرق ليس خيراً مطلقاً، والغرب ليس شراً مطلقاً. وإنما يكشف الكاتب عن وجود مشكلات داخل كلا المجتمعين.

ويظهر الغرب في الرواية بوصفه مركزاً للتقدم العلمي والثقافي، لكنه في الوقت نفسه يحمل آثار الاستعمار والنظرة الاستعلائية إلى الشعوب الأخرى.

أما الشرق، فيظهر بوصفه موطن الهوية والجذور، لكنه يعاني من مشكلات اجتماعية مثل سيطرة التقاليد والتمييز ضد المرأة وضعف حرية الفرد.

ومن هنا يمكن القول إن الطيب صالح لا يدعو إلى رفض الغرب ولا إلى تقليده، وإنما يدعو بصورة غير مباشرة إلى بناء علاقة متوازنة معه، تقوم على الحوار والوعي بالذات.

**ثالثاً: أزمة المثقف**

يمثل الراوي ومصطفى سعيد نموذجين للمثقف العربي والأفريقي الذي عاش تجربة التعليم في الغرب.

لكن الرواية تطرح سؤالاً مهماً: ماذا يفعل المثقف عندما يعود إلى وطنه؟

هل ينعزل عن المجتمع؟ أم يحاول تغييره؟ أم يعيش بين ثقافتين دون أن ينتمي بصورة كاملة إلى أي منهما؟

مصطفى سعيد اختار طريقاً أدى إلى الانفصال والصراع، بينما يحاول الراوي أن يجد طريقاً أكثر توازناً. ولذلك فإن المقارنة بين الشخصيتين تساعد على فهم رؤية الكاتب إلى دور المثقف.

**المبحث الرابع: الإنسان بين الحرية والقيود الاجتماعية**

تُعد الحرية من القضايا الأساسية في الرواية. فالإنسان يرغب في أن يختار حياته بنفسه، لكن المجتمع والتقاليد والظروف التاريخية قد تحد من هذه الحرية.

ويظهر ذلك في شخصية حسنة، التي تجد نفسها أمام قرارات اجتماعية لا تتفق مع رغبتها. كما يظهر في شخصية مصطفى سعيد، الذي امتلك حرية الحركة والتعليم والسفر، لكنه لم يمتلك الحرية النفسية الحقيقية.

وهنا تميز الرواية بين الحرية الخارجية والحرية الداخلية. فقد يستطيع الإنسان السفر والتعليم والعيش في أماكن مختلفة، لكنه يظل أسيراً لماضيه وصراعاته الداخلية.

ومن خلال هذا التصور، يقدم الطيب صالح رؤية عميقة للحرية، فالحرية ليست مجرد التخلص من القيود الخارجية، وإنما هي أيضاً القدرة على مواجهة الذات والتعامل مع الماضي بصورة صحيحة.

**المبحث الخامس: الأسرة والمجتمع**

تلعب الأسرة دوراً مهماً في تشكيل حياة الشخصيات. ويظهر المجتمع الريفي في الرواية باعتباره مجتمعاً مترابطاً تقوم فيه العلاقات على القرابة والمصاهرة والتعاون.

وتبرز قيمة الأسرة في حياة الراوي، الذي يجد في قريته وبيته نوعاً من الاستقرار والانتماء الذي افتقده في الخارج.

لكن الأسرة قد تتحول أيضاً إلى مصدر للضغط عندما تتدخل بصورة مباشرة في خيارات الفرد.

ومن هنا يعالج الكاتب العلاقة بين الفرد والأسرة بطريقة متوازنة؛ فالأسرة مصدر للحماية والانتماء، لكنها تحتاج في الوقت نفسه إلى احترام استقلال الفرد وحريته.

**المبحث السادس: الصراع بين الحداثة والتقاليد**

من القضايا الاجتماعية المهمة في الرواية الصراع بين الحداثة والتقاليد.

فالراوي ومصطفى سعيد يمثلان جيلاً جديداً تلقى تعليمه خارج السودان، بينما تمثل القرية والمجتمع التقليدي منظومة من القيم والعادات القديمة.

ولا يقدم الكاتب الحداثة بوصفها حلاً مطلقاً، كما لا يقدم التقاليد بوصفها مشكلة مطلقة. بل يبين أن كلاهما يحتاج إلى مراجعة.

فالتمسك الأعمى بالتقاليد قد يؤدي إلى الظلم، كما أن تقليد الغرب بصورة عمياء قد يؤدي إلى فقدان الهوية.

ومن هنا تبرز ضرورة بناء علاقة متوازنة بين الأصالة والمعاصرة، بحيث يستفيد المجتمع من منجزات العصر دون أن يفقد قيمه الأساسية.

المبحث السابع: النيل والقرية والبعد الإنساني

للنيل حضور رمزي وفني بارز في الرواية. فهو ليس مجرد عنصر طبيعي، وإنما يمثل الحياة والاستمرار والزمن.

فالقرية مرتبطة بالنيل، وحياة الناس ترتبط بالماء والزراعة والأرض. وفي الوقت نفسه، يصبح النيل رمزاً للحدود بين الحياة والموت، وبين الاستقرار والمجهول.

وفي نهاية الرواية، عندما يجد الراوي نفسه في مواجهة النيل، يتحول المشهد إلى لحظة تأمل وجودي. فهو لا يواجه الطبيعة فقط، وإنما يواجه ذاته ومصيره.

وهكذا يستخدم الطيب صالح الطبيعة لتجسيد الحالات النفسية والإنسانية للشخصيات، وهي إحدى السمات الفنية المهمة في الرواية.

**المبحث الثامن: العنف والمأساة الإنسانية**

تتناول الرواية العنف بصورة متعددة، سواء كان عنفاً نفسياً أو اجتماعياً أو جسدياً. ولا يأتي العنف في الرواية بوصفه حدثاً منفصلاً، بل نتيجة تراكمات نفسية واجتماعية وثقافية.

وتكشف مأساة حسنة عن خطورة العنف الاجتماعي عندما يفقد الفرد حقه في اختيار حياته. كما تكشف قصة مصطفى سعيد عن نتائج الصراع النفسي والحضاري عندما يتحول إلى سلوك مدمر.

ومن خلال هذه الأحداث، يدعو الكاتب إلى فهم الأسباب العميقة للعنف بدلاً من النظر إليه باعتباره مجرد سلوك فردي.

**المبحث التاسع: قضية الموت**

يحضر الموت في الرواية بوصفه قضية إنسانية وفلسفية. فموت الشخصيات لا يمثل نهاية فردية فقط، بل يفتح أسئلة حول معنى الحياة والمسؤولية والمصير.ويكتسب موت مصطفى سعيد أهمية خاصة لأنه يترك وراءه مجموعة من الأسئلة التي لا يستطيع الراوي الإجابة عنها بصورة كاملة.كما أن مصير حسنة يكشف عن الوجه المأساوي للمجتمع

عندما تتغلب السلطة الاجتماعية على إرادة الفرد.ويجعل الكاتب من الموت وسيلة للتأمل في قيمة الحياة، وفي مسؤولية الإنسان تجاه نفسه والآخرين.

**المبحث العاشر: صورة الإنسان في الرواية**

يمكن القول إن الإنسان في «موسم الهجرة إلى الشمال» ليس شخصية بسيطة ذات صفات ثابتة، وإنما هو كائن معقد تحركه الرغبات والذكريات والمخاوف والتجارب.

فمصطفى سعيد ليس مجرد ضحية للاستعمار، وليس مجرد شخص مذنب، وإنما هو شخصية مركبة تجمع بين الذكاء والضعف والقوة والانكسار.

والراوي أيضاً ليس مجرد ناقل للأحداث، بل هو شخصية تبحث عن فهم نفسها ومجتمعها والعالم من حولها.

أما الشخصيات الريفية، فهي تمثل الإنسان المرتبط بالأرض والأسرة والتقاليد.

وهكذا يقدم الطيب صالح مجموعة متنوعة من النماذج الإنسانية، ويؤكد أن فهم الإنسان يحتاج إلى النظر في ظروفه النفسية والاجتماعية والتاريخية مجتمعة.

المبحث الحادي عشر: البعد الإنساني العام في الرواية

على الرغم من أن أحداث الرواية مرتبطة بالسودان والعلاقة بين السودان وبريطانيا، فإن قضاياها تتجاوز الإطار المحلي.فالاغتراب قضية يعيشها الإنسان في مجتمعات كثيرة، وأزمة الهوية تظهر لدى المهاجرين والمثقفين والأفراد الذين يعيشون بين ثقافتين.كما أن قضية المرأة وسلطة المجتمع والزواج القسري والصراع بين الحرية والتقاليد قضايا إنسانية تتكرر في مجتمعات مختلفة.ولهذا استطاعت الرواية أن تتجاوز حدود المكان والزمان، وأن تتحول إلى عمل أدبي عالمي، لأن الكاتب لم يكتف بتسجيل أحداث سودانية، بل طرح أسئلة تتعلق بالإنسان نفسه.

القيمة الفنية في معالجة القضايا الإنسانية والاجتماعية

تميز الطيب صالح في معالجة هذه القضايا باستخدام أساليب فنية متعددة، من أهمها السرد بضمير المتكلم، والاسترجاع، والحوار، والوصف، والرمز.ويمنح السرد بضمير المتكلم القارئ إحساساً بالقرب من الراوي، كما يجعل المعلومات المتعلقة بمصطفى سعيد تظهر بصورة تدريجية.أما الاسترجاع، فيسمح للكاتب بالانتقال بين الماضي والحاضر، وبالتالي الكشف عن خلفيات الشخصيات.ويؤدي الحوار دوراً مهماً في الكشف عن الأفكار الاجتماعية والثقافية، بينما يساهم وصف القرية والنيل والبيئة الطبيعية في بناء الجو العام للرواية.كما أن شخصية مصطفى سعيد نفسها تحمل أبعاداً رمزية؛ فهي ترمز إلى الإنسان الذي يحاول مواجهة الغرب بعد تجربة استعمارية، لكنه يفشل في تحقيق التوازن بين الثقافتين.ومن أهم مظاهر القوة الفنية في الرواية أن القضايا الاجتماعية لا تأتي في شكل خطب مباشرة، وإنما تظهر من خلال حياة الشخصيات وتجاربها ومآسيها. ولذلك يترك الكاتب للقارئ فرصة التفكير والتأويل.

**الخاتمة:**تثبت رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» أن الأدب الحقيقي يستطيع أن يتجاوز حدود المكان والزمان، وأن يحول تجربة تاريخية واجتماعية محددة إلى قضية إنسانية عالمية. فقد استطاع الطيب صالح أن يقدم من خلال الرواية صورة عميقة للإنسان الذي يعيش في عالم متغير، ويواجه صراعاً بين الماضي والحاضر، وبين الشرق والغرب، وبين الحرية والتقاليد.وتظهر القضايا الإنسانية والاجتماعية في الرواية بصورة مترابطة؛ فأزمة الهوية تؤدي إلى الاغتراب، والاغتراب يرتبط بالصراع النفسي، والصراع النفسي يتأثر بالاستعمار والثقافة والمجتمع. كما أن قضايا المرأة والزواج والأسرة والتقاليد تكشف عن العلاقة المعقدة بين الفرد والجماعة.وتعد شخصية مصطفى سعيد من أكثر الشخصيات تعبيراً عن هذا الصراع، فهي شخصية تعكس آثار الاستعمار على الفرد، وتكشف عن خطورة تحويل الصراع الحضاري إلى صراع شخصي ونفسي. وفي المقابل، يمثل الراوي محاولة للبحث عن طريق أكثر توازناً بين الانتماء إلى الوطن والاستفادة من التجربة العالمية.كما أن شخصية حسنة تكشف عن جانب آخر من القضية الإنسانية، يتمثل في حق المرأة في الاختيار والعيش بكرامة بعيداً عن الإكراه الاجتماعي. ومن خلال مأساتها، يوجه الكاتب نقداً إلى بعض الأعراف التي قد تتحول من وسيلة لحماية المجتمع إلى وسيلة للسيطرة على الفرد.

وفي النهاية، يمكن القول إن «موسم الهجرة إلى الشمال» ليست مجرد رواية عن السودان أو عن العلاقة بين الشرق والغرب، بل هي رواية عن الإنسان في مواجهة ذاته ومجتمعه وتاريخه. وهي تطرح أسئلة لا تزال حاضرة في عالمنا المعاصر: كيف يحافظ الإنسان على هويته في عالم متعدد الثقافات؟ كيف يمكن تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة؟ أين تنتهي سلطة المجتمع وتبدأ حرية الفرد؟ وكيف يمكن للإنسان أن يتصالح مع ماضيه دون أن يصبح أسيراً له؟

ومن هنا تستمر أهمية رواية الطيب صالح، لأنها لا تقدم إجابات جاهزة، وإنما تفتح أمام القارئ مساحة واسعة للتفكير والتأمل. وهذا ما يجعلها واحدة من أهم الروايات العربية التي استطاعت أن تجمع بين القيمة الفنية والعمق الاجتماعي والإنساني، وأن تجعل من التجربة السودانية مدخلاً إلى قضايا إنسانية تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية.

## مراجع :


- الطيب صالح:- موسم الهجرة إلى الشمال. بيروت: دار العودة.
- الطيب صالح :- سيرة وشهادات من محطات العمر- خالد محمود غازى 2015
- الطيب صالح:- عبقرى الرواية العربية – أحمج سعيد محمدية دار العودة
- الطيب صالح:- دراسات نقدية حسن أبشر طيب .
- الطيب صالح:- سيرة كاتب ونص . أحمد محمد البدوى

# العلمانية و المسلمون في بعض دول أوربا



**محمد معاذ خان الندوي**
باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية،
جامعة لكناؤ، الهند

**Abstract :This article examines the concept, origins, and development of secularism in Europe, with particular emphasis on its impact on Muslim communities. It discusses the different forms and principles of secularism and explores the challenges faced by Muslims in certain European countries, particularly France, regarding religious freedom, the wearing of Islamic dress, and the expression of religious identity. The article also highlights the perceived contradictions between secular principles, freedom of expression, and the treatment of Islamic beliefs and practices. It concludes by emphasizing the importance of religious tolerance, mutual respect, and equality in promoting peaceful coexistence among different religious and cultural communities. Pasted markdown.**

**Keywords: Secularism, Muslims in Europe, Religious Freedom, Islamophobia, Cultural Identity.**

**الملخص:** يتناول هذا المقال مفهوم العلمانية ونشأتها وتطورها في أوروبا، مع التركيز على آثارها في المجتمعات المسلمة. ويستعرض أنواع العلمانية ومبادئها، ويناقش التحديات التي يواجهها المسلمون في بعض الدول الأوروبية، ولا سيما فرنسا، فيما يتعلق بالحرية الدينية، وارتداء الزي الإسلامي، والتعبير عن الهوية الدينية. كما يسلط الضوء على ما يراه الكاتب من تناقضات بين المبادئ العلمانية وحرية التعبير وطريقة التعامل مع المعتقدات والممارسات الإسلامية. ويؤكد المقال أهمية التسامح الديني والاحترام المتبادل والمساواة في تعزيز التعايش السلمي بين مختلف الجماعات الدينية والثقافية.

**الكلمات المفتاحية** :العلمانية، المسلمون في أوروبا، الحرية الدينية، الإسلاموفوبيا، الهوية الثقافية.

العلمانيّة: بالإنجليزيّة (Secularism) :هي عبارة عن مجموعةٍ من المُعتقدات التي تُشير إلى أنّه لا يجوز أن يُشارك الدين في المجالات السياسيّة والاجتماعيّة، وأيضا أنّها النظام الفلسفيّ الاجتماعيّ أو السياسيّ الذي يَرفض كافة الأشكال الدينيّة؛ من خلال فصل المسائل السياسيّة عن عناصر الدين .

نشأة العلمانيّة: ظهرت العلمانية في أوروبا وأثرت على العَديد من المجالات السياسية، والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية ممّا ساهم في تطوّرها بالتدريج، وتَعود بِدايات العلمانية إلى ظُهور الصّراع بين الكنيسة والعلوم؛ إذ تبنّت المُؤسسة الكنسية مَجموعة من النظريات العلمية القديمة، ومن ثمّ ربطتها مع الدين، وعند تطوّر العلوم ظهر أنّ الكثير من أفكار الكنيسة غير صحيحة، ممّا أدى إلى اندلاع حرب بين العلماء والمُفكّرين من جهة، والكنيسة من جهة أخرى .

انتشار العلمانيّة: انتَشرت السياسة العلمانيّة في العَديد من دول العالم عبر التاريخ، فظهرت بوادرها فرنسا في عام 1879م، وأصبح غالبيّة أعضاء البرلمان الفرنسيّ من العلمانيين، وتمّ الاعتماد على التشريعات المدنيّة بدلاً من التشريعات الكنسيّة للحدِّ من تدخّل الكَنيسة في شؤون الدولة، ومن ثمّ ظَهرت العلمانيّة في إسبانيا في ظلِّ الحُكم الجُمهوريّ في الفترة الزمنيّة بين سنوات 1868م - 1876م، وفي منتصف القرن التاسع عشر للميلاد أصبحت المكسيك أوّل دولة في قارة أمريكا تُعلن عن تطبيقها لعلمانيّة الدولة، وأيضاً انتشرت السياسة العلمانيّة في تركيا مع حُكم أتاتورك لها، ولم تقتصر العلمانيّة على الدول الغربيّة فقط، بل وَصلت أفكارها إلى العالم العربيّ.

أنواع العلمانية: و بما أن العلمانية أصبحت مصطلحاً واسع الانتشار أدى ذلك إلى بنائها وتوظيفها بطُرق مختلفة ومتباينة اعتماداً على أفكار وتوجهات مختلفة تابعة للعديد من الأشخاص، وبذلك تم تقسيم العلمانية إلى ثلاثة أنواع، وهي كما يلي:

العلمانية السياسية: تَدْعو العلمانية السياسية لفصل الدين عن الحياة المدنية وعن العمل الحكومى في الدولة بأي وسيلة ممكنة، ويقول العلمانيون السياسيون: إن العلمانية غير مرتبطة بالإلحاد، بل هى وضع الدين في مكان منفصل عن إدارة الدولة.

العلمانية الفلسفية: تُعادي العلمانية الفلسفية الدين وترفضه، حيث تقوم بنقده وتحدي سُلطاته والإساءة للمتدينين باعتباره ظاهرة غير صحيحة ويجب تجاهله.

العلمانية الاجتماعية الثقافية: يدعو هذا النوع من العلمانية الذي يُعد ظاهرة اجتماعية وتاريخية وديموغرافية إلى تهميش الدين في الحياة اليومية للأشخاص وعدم الاهتمام بأمور غيبية كالآخرة والجنة والنار، بحيث تقل مشاركتهم في الأنشطة الدينية وبالتالي ضعف الدين لديهم وربما فقدانه.

خصائص العلمانية

العلمانية ترتكز علي عدة نقاط عديدة،نذكر في ما يلي بعضاً منها:

- الفصل بين الدين والدولة.
-حماية كل من المتدينين وغير المتدينين والمساواة بينهم.
-الحرية الدينية للأشخاص سواء اختيار الالتزام بالدين أو التحرر منه.

-الاعتماد على الديمقراطية والإنصاف بين المواطنين بغض النظر عن انتمائهم الديني.

-المساواة في استخدام الخدمات العامة كالمدارس والمستشفيات.

-العلمانية لا تعني الإلحاد ولا تفرضه على المواطنين، بالرغم من اهتمام الملحدين فيها.

-حماية حرية التعبير عن الرأي.

**مبادئ العلمانيّة:** إنّ العلمانيّة بصِفتها (كنظرية سياسية و اجتماعية) تتكون من مجموعة مبادئ، منها: السعي إلى الاتفاق مع العلوم،والاهتمام في تَحقيق الانفصال بين شؤون الدين والدولة. قطع العلاقات بين المجتمع والدين. تطبيق كافة الأفكار والمُكوّنات الصناعيّة المُعتمدة على صناعة الإنسان لها.

وفي تاريخ أوربا قصة الصراع بين الكنيسة والدولة قصة مريرة أليمة، ابتلي أهل الغرب بها في الماضي، وعاشوا في جحيم البغي والعدوان القائم على الديانات الجائرة، فاضطرموا بنارها واصطلوا من أوارها، لذلك لما ظهرت العلمانية حاملة لحلول ناجعة رحب الغرب بالعلمانية بكل فرح وسرور، واعتقدوها مبنية على العقل والمنطق، تعبر عن النظريات الإنسانية وتصورها على المسامحة والعدل، وبدأ اختبار العلمانية الحقيقية عندما اتخذ المسلمون الغرب مستوطنا لهم، وتصور الغربيون الإسلام خطراً لثقافتهم الغربية وقيمها، فقد استهدفوا الإسلام والمسلمين، وتدهورت الأوضاع أسوأ بعد حادثة ١١/٩. وضاقت بالمسلمين الحياة في البلدان التي كانت حاملة للواء العلمانية، وأحرقت المساجد في فرنسا والمملكة المتحدة، وواجه المسلمون التمييز على أساس الدين، وفرضت القيود على ارتداء حلة خاصة كانت شعارا للنساء المسلمات في كثير من البلدان الغربية كفرنسا وإسبانيا وبلجيكا وأجري الاستفتاء في سويسرا ضد إنشاء منارة المساجد.

وانكشفت حقيقة علمانية الغرب بعد هذا الاستفتاء لأن الغرب أقربناء برج الجرس للكنيسة الذي هو علامة الديانة، لكن إبقاء منارة المساجد كمظهر ديني لم يكن لديهم مقبولاً، وأيضاً رحبت بالقبول في الغرب كله باسم حرية التعبير على طباعة الصورة المسيئة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم من ناحية، ومن ناحية أخرى التحدث عن الهولوكاست وطباعة كاريكاتورية في البلدان الغربية هي جناية قابلة للعقاب، وقد وصلت علمانية فرنسا الي شفا كارثة في العقدين الماضيين، وهذا هو البلد الذي تم الحظر فيه على ارتداء حجاب النساء المسلمات، لكن سمح للسيخ بارتداء العمامة.

**مفهوم العلمانية:** العلمانية » ترجمة غير دقيقة، بل غير صحيحة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية، أو « Secularite » أو « Laique » بالفرنسية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ العلم، ومشتقاته،على الإطلاق .

فالعلم في الإنجليزية والفرنسية، يعبر عنه بكلمة ( Science )، والمذهب العلمي، نطلق عليه كلمة " Scientism "، والنسبة إلى العلم هي « Scientificأو « Scientifique " في الفرنسية.

ثم إن زيادة الألف والنون، غير قياسية في اللغة العربية، أي في الاسم المنسوب، إنما جاءت سماعا، ثم كثرت في

كلام المتأخرين ؛ كقولهم : « روحاني، نفساني، ونوراني واستعملها المحدثون في عبارات ؛ مثل « عقلاني »، و شخصاني » ؛ ومثلها «علماني » , والترجمة الصحيحة للكلمة هي اللادينية » أو « الدنيوية »، لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى آخر، وهو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين، علاقة تضاد وتتضح الترجمة الصحيحة من التعريف، الذي تورده المعاجم، ودوائر المعارف الأجنبية للكلمة :

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة (Secularism) هي حركة اجتماعية، تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها، وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا، والتأمل في الله واليوم الآخر، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ (Secularism)، تعرض نفسها ، من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية.

العلمانية والعلمية: انتهز بعض العلمانيين فرصة الترجمة الخاطئة لكلمة « العلمانية »، محاولين أن يجعلوها مرادفة لـ « العلمية »، وقالوا : إن العلمانية تعنى استخدام العلم والعقل، موهمين بذلك – أو مصرحين - بأن الإسلام ضد العقل والعلم وهذه مغالطة مكشوفة، فإن البون شاسع بين العلمية والعلمانية، ونحن نقول: للأولى، و لا للثانية أو للافتراضات والأوهام، أو تقليدا لغيرهم ، دون فحص ولا اختبار.

ونريد بـ « العلم » هنا، ما قامت عليه الأدلة القاطعة، فكم من قضايا أدخلت تحت عنوان « العلم »، وهي ليست من العلم في شيء ومن ذلك كثير من نتائج العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي يريد بعض دارسيها أن يلبسوها ثوب العلم اليقيني، وهي ليست أكثر من استنتاجات، مبنية على مقدمات غير يقينية، قد يقبل بعضها، ويرفض بعضها، وقد ترفض كلها، ولا أدل على ذلك من اختلاف النتائج، باختلاف المدارس الفكرية، التي ينتمي إليها الباحثون، ما بين شرق وغرب، وما بين يمين ويسار، يختلف كل منهما في درجاته من يمين اليمين إلى يسار اليسار !

وما أجدر أن يطبق على هؤلاء الذين يدعون العلمية، فيما ليس بعلمى ما قاله الله في قوم قبلهم : « وما لهم به من علم، إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا » النجم (28).

العلمانية ولماذا تتسبب في مثل هذه الانقسامات في فرنسا؟

تعتبر فرنسا دولة علمانية من حيث أنها تدعي أنها محايدة رسميًا في الأمور الدينية، ولا تدعم لا الدين ولا غيابه، فضلاً عن عدم وجود دين للدولة. وجاء في موقع الحكومة على الإنترنت أن "الدولة الفرنسية لا تفضل أي دين بشكل خاص وتضمن التعايش السلمي فيما يتعلق بقوانين ومبادئ الجمهورية."

وفي الآونة الأخيرة، قالت فرنسا إنها تطبق هذا المبدأ العلماني في قانون صدر في مارس-آذار 2004م يحظر ارتداء جميع الملابس التي تُظهر بوضوح أي انتماءعقائدي في المدارس، بغض النظر عن الدين.

لكن منتقديه قالوا إن القانون يستهدف المسلمين بشكل غير مناسب، وتحديدا ارتداء الحجاب" غطاء الرأس" والبرقع "غطاء لوجه"، مع الإشارة إلى "حظر الحجاب" في بعض وسائل الإعلام الأجنبية.

وأغلقت المساجد بعد حملة على مكتب الصحفية وهجمت على ست وعشرين مسجدا والمسلمين في فرنسا كلها، وأغلق قريباً مائة وخمسون مسجدا في فرنسا بين عام 2017م و2020م على أساس اتهامات مختلفة، واتخذت خطوات عدائية لإغلاق المعاهد الدينية في بلد يقدّم نفسه أمام العالم حاملاً للواء العلمانية، وهل رأيت بأن أغلقت المعابد لغير المسلمين في أي بلد مسلم، بالرغم أن الإسلام هو دين رسمي لتلك البلدان المسلمة .

وقد كتب فضيلة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي رحمه الله في إحدى المقالات :

"ومثل العلمانية التي لها مقاييس مختلفة حرية التعبير، فحرية التعبير مثل العلمانية، والديمقراطية لها وجهان مختلفان، ففي أوربا مثلاً حرية التعبير تعنى الحرية المطلقة في الطعن والسب، والإساءة إلى كل ما يتمسك به الآخرون، من غير الأوربيين، من قيم، وعقائد، وشخصيات، كما ظهر ذلك عند احتجاج المسلمين على كتاب الآيات الشيطانية، فاتحدت أوربا كلها في ستار حرية التعبير للدفاع عن مؤلف هذا الكتاب المشين، ثم ظهر هذا التمسك بحرية التعبير لدى احتجاج المسلمين على الرسوم المسيئة لذات الرسول صلى الله عليه وسلم في الدنمارك، وقد أصدرت أخيراً المحكمة في دنمارك حكمها في حق صاحب الرسوم، إنها ممارسة لحرية التعبير، ولا يمكن قمع حرية التعبير، و اعتدى وزير التعليم البريطاني بل زيمل على الحجاب؛ وقال : إن الحجاب يشوه الحضارة الغربية، وبعد صدور هذا البيان نُزع الحجاب عن وجوه المسلمات في أماكن مختلفة، وخرق علناً، وقبل أيام من بيانه دعا وزير الخارجية البريطاني السابق جاك استراك النساء المسلمات إلى خلع النقاب حينما يتجهن لمقابلته في مكتبه في دائرته الانتخابية التي تبلغ نسبة المسلمين فيها 30%، وبرر استراك مزاعمه بأن النقاب يؤدي إلى إعاقة التواصل بين الناس، كما ادعى وزير الجاليات والحكم المحلي البريطاني فيل والاس أن ارتداء النقاب يثير الخوف والاستياء، وجاءت هذه البيانات في ضمن حرية التعبير، كذلك تصدر بيانات الزعماء في الغرب ضد اللحية، أما الاعتداءات على التعاليم الإسلامية والشخصيات الإسلامية وخاصة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والاعتداء على المقدسات الإسلامية فيه ظاهرة عامة في أوربا".(صور وأوضاع)

وقال رئيس فرنسا امانيويل ماكرون دفاعاً عن المسيئين للنبي صلى الله عليه وسلم في السنة الماضية بأنه ينظم الإسلام في فرنسا، وسمى هذا التنظيم بإسلام فرنسا، وظهر أثره في مشروعية وافق عليها برلمان فرنسي في 15/ من فبراير 2021م وضاعت بنتيجة هذا التشريع الجهود العالمية التي تسعى لإيجاد الانسجام والوئام بين المذاهب المختلفة.

ولا يحصل الأمن العالمي أبداً بخلق الصراع والاصطدام بين الثقافات والمذاهب المختلفة ويتجلى ضرر

استهداف الإسلام كدين والتمييز مع الإسلام والمسلمين في صورة اضطراب وقلق في المجتمع الفرنسي، ويخلق ردود فعل داخل العالم الإسلامي يمكن أن يؤدي إلى فساد في المستقبل.

وسلوك فرنسا العدائي ضد المسلمين هو حقيقة مسلمة وتاريخية، ويتعرض المسلمون باستمرار للتمييز والعنصرية على أساس الدين واللون، واعتداءات فرنسا على المسلمين ليست بجديدة بل إنها قامت بدور ريادي في الحروب الصليبية التي أضرمت نارها باسم الدين، وهناك سبب آخر لعداء فرنسا واتخاذ إجراءات بغيضة هو أن الصحفيين والكتاب وحتى الرهبان الفرنسيون منذ سنوات أخيرة يتحدثون عن تحول الإسلام إلى الديانة الأولى في فرنسا ويتوقع بعضهم أن تصل نسبة المسلمين 50% في المائة في 2060م .

ووفقا لتقرير منظمة العفو الدولية التي نشرت في السنة الماضية تعد حكومة فرنسا عقائد المسلمين الأساسية رمز التطرف والتشدد كالصلاة والصوم وكذلك يهدف أركان حكومة فرنسا المسلمين مدفوعاً من رئيس ماكرون، لذلك يزداد التعصب والتمييز الحكومي ضد المسلمين يوماً فيوما، وأغلقت قريباً من مأة مسجد ومدرسة إسلامية منذ يناير في السنة الماضية فقط في فرنسا.

واعتقلت الشرطةُ مئاتٍ من الطلاب المسلمين بما فيهم الأطفال عمرهم عشرة سنوات بتهمة التطرف، وطبقاً لمنظمة العفو الدولية تلصق حكومة فرنسا التهم عموماً ضد المسلمين الذين متدينون بالإسلام وعمت أحداث إسلاموفوبيا في أوربا كلها بعد كارثة 9/11 تحت رعاية الحكومة، وروجها الإعلام إلى حد حتى كان إظهار ردود فعل ضد المسلمين لعامة الناس في أوربا صار أمرا طبيعيا، وتنمية وتنشيط العواطف والشعور ضد المسلمين صارت تجارة مربحة للأحزاب والحكومات الديمقراطية، ومنها يسهل لها الحصول على أصوات الناس.

منطق معكوس:ويدل ذلك على أن نقد الإسلام وتعاليمه، والإساءة إلى ذات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، مسموح به، ويأتي كل ذلك ضمن حرية التعبير، ولكن نقد الحضارة الغربية والكشف عن مساويها غير مسموح به في أي حال من الأحوال، كأن الحضارة الغربية مقدسة على علاتها .

من تناقضات أوربا أنها تدعو إلى الحرية، ثم تمارس وسائل القمع للشعوب التي تخضع لها، وتسلب الحريات، وتساند الأنظمة التي تمارس وسائل قمع حرية شعوبها، وإنها تتظاهر بمحاربة الدين، والرموز الدينية إلى إقرار النظام العلماني لكنها في البلدان التي تخضع لنفوذ تصعد النشاط التبشيري وتدعمه بجميع الوسائل، ولا تعترض على انتشار الرموز الصليبية والمدارس التبشيرية.

أولئك المتطرفون الهدامون المعادون لاحترام الإنسانية وكرامتها الذين دفعوا شعوب الغرب إلى الصراع خلال السنوات الماضية الأخيرة، فإنهم بهذه التحركات لم يقدموا أي خدمة للإنسانية، ولكن أضروا بأعمالهم الجنونية القيم الغربية في الغرب الذي كان نموذجاً للتسامح والمساواة، والمسار الذي تسلكه فرنسا تحت قيادة رئيس ماكرون سيؤدي

إلى كارثة، واللعبة التي يلعبها الرئيس ماكرون من أجل مصالحه السياسية نظراً إلى الانتخابات الرئاسية في فرنسا التي ستعقد بعد خمسة عشر شهراً ستكون خطراً لا لأوربا فقط بل للعالم كله، ويجب على الأمم المتحدة التي تراقب وتحاول للسلام العالمي التنبه على التطورات السلبية الأخيرة في فرنسا، ويجب عليها باستخدام نفوذها لوقف هذا التشريع المتميز الذي يستهدف فقط الأقلية المسلمة، ووفقاً للناقدين إن الدعاية المسمومة من قبل رئيس ماكرون ضد الإسلام والمسلمين هي طريقة دنيئة للحصول على شعبيته المفقودة.

الغرب له تاريخه الخاص للعداء ضد العالم الإسلامي، و بدأ هذا العداء في نهاية القرن العشرين بعد تفكك روسيا في عام 1990ء عندما احتاج الي واحد من العدو المفترض لأجل الحفاظ حسب زعمه على القوة العظمي الوحيدة, فتحول الي العالم الإسلامي الزاخر بالغاز والنفط .و دمر أفغانستان والعراق متذرعاً بوجود مخزونات مزعومة لأسلحة الدمار الشامل وحادثة 11/9 ويبذل أهل الغرب كل قواهم الفكرية والعقلية لصد كل الطرق أمامه وعندما يتعلق الأمر بالعالم العربي والمسلمين فيصبح غيضه وشره أكثر وضوحاً وتتركز كل قوته على إيذاء هذه الأمة . ولايزال المسلمون موضع ريبة وشك في العالم كله، وخاصة في الدول الأوربية، سواء كان الذهاب إلى المطار أو التقدم للحصول على التأشيرة أو المثول أمام مسئولي إدارة الهجرة، فهناك يوجد الخوف في قلوب الناس ولا يدركون ماذا سيحدث معه .ولنشر الكراهية ضد المسلمين في الغرب دور مهم لظاهرة الإسلاموفوبيا المنظمة حيث يتم تصنيف المسلمين من الطابور العام إلى الطابور الخاص، وتنظر إليهم الوكالات السياسية نظرة الريبة والشك، وعندما يفجر شخص مسلم هجوماً في أي مكان في العالم، فترجع عقاربه إلى جميع المسلمين بشكل جماعي وعندما يرتكب رجل أبيض أي جريمة فيرجع خطيئته فقط الى رأسه، لكن يختلف في حالة المسلمين الموقف تماماً، فالمرء الواحد يرتكب جريمة ويعاقب الجميع.

قتل امرء في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب كامل قضية فيها نظر

## المصادرو المراجع:

1. "موضوع" الموقع علي الانترنت .
2. صور و أوضاع،مجلة البعث الاسلامي،العدد4، يناير 2004.
3. صحيفة"آگ" الأردية الصادرة في 22 فبراير 2021.4
4. صحيفة"آگ" الأردية الصادرة في 12 فبراير 2021.
5. موقف الاسلام من العلمانية. للدكتور صلاح الصاوي صفحة 11.
6. العلمانيةسفر بن عبد الرحمن البحوالي صفحة 21-22.
7. الاسلام والعلمانية وجها لوجه للدكتور يوسف القرضاوي صفحة 57.

# حياة محمود الريماوي وإنتاجاته العربية



محمد عامر
باحث الدكتوراه، مركزالدراسات العربية والإفريقية،
جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

ABSTRACT: **Mahmoud Lutfi Ahmed Al-Rimawi, known as "Mahmoud Al-Rimawi", is a Palestinian/Jordanian storyteller, novelist and journalist, currently residing in Amman, Jordan, and has been writing since the beginning of the seventies of the century. Mahmoud Al-Rimawi was born in the village of Beit Rima in the West Bank villages of Ramallah, Palestine, in October 21, 1948 A.D. He got his primary education in Jericho, Jerusalem and Beirut, where he joined the Department of Arabic Language at Beirut University and where he has spent two years, then dropped out without completing it. Since Rimawi stopped studying, he devoted his life to writings and the journalism. His first book was published in 1972, called "Nude in the Night Desert." Recently he works as a journalist in several Arab newspapers in Beirut, Lebanon, and Amman, Jordan.**

**In addition to working as a writer and commentator in Arab newspapers such as Al-Araby Al-Jaded newspaper, Al-Rimawi worked as editor in-chief in the Jordanian newspaper Al-Sijill for two years and was a writer and political commentator in the Jordanian newspaper Al-Rai for twenty years (1987/2007.( Mahmoud Al-Rimawi published more than 13 stories, starting in,1972 in addition to novels. His novel "Who comforts the Lady" was shortlisted for the International Prize for Arabic Fiction (Booker) in 2010, and Al-Rimawi won the Palestine Short Story Prize in 1997 for his short story collection "The Train."**



محمود لطفي أحمد الريماوي الشهير بـ"محمود الريماوي"، هو قاص وروائي أردني/فلسطيني، مارس الكتابة منذ بداية السبعينات من القرن المنصرم. وُلد محمود الريماوي في قرية بيت ريما من قرى الضفة الغربية التابعة لمحافظة رام الله بفلسطين، في 21 أكتوبر/تشرين الأول عام 1948م. و تلقى دراسته الابتدائية في أريحا والقدس، ثم التحق بقسم اللغة العربية في جامعة بيروت وظل فيها مستفيدًا منها لفترة سنتين، ثم انقطع عن الدراسة دون أن يكملها. عُرف الريماوي عن ممارسته حب الكتابة والصحافة، فأول كتاب له صدر عام 1972م.و اشتغل بالصحافة في عدد من الصحف العربية في بيروت ولبنان، ثم عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، ويتولى رئاسة تحرير صحيفة "قاب قوسين" الثقافية الإلكترونية. كما عمل كاتبًا ومعلقًا في الصحف العربية مثل صحيفة العربي الجديد، وعمل رئيسًا للتحرير في صحيفة السجل الأردنية لمدة عامين (08/2007)، كما كان كاتبًا في صحيفة الرأي الأردنية لمدة عشرين سنة (1987–2007).و نال محمود الريماوي جائزة فلسطين للقصة القصيرة عام 2007م.

## أعمال الريماوي الشهيرة في المجالات الأدبية:

- **القصة القصيرة**
- السنة
- العمل (1972)
- العري في صحراء ليلية (1980)
- الجرح الشمالي (1987)
- كوكب تفاح وملح (1990)
- ضربة طين على طفل صغير (1993)
- غرباء (1996)
- القطار (2000)
- شجرة العائلة (2001)
- الوديعة (2002)
- لقاء لم يتم (2006)
- رجوع الطائر (2011)
- فرق التوقيت (2013)
- عودة عرار (2015)
- عم تبحث في مراكش (2017)
- ضيف على العالم
- **الرواية**
- السنة
- العمل (2009)
- من يؤنس السيدة (2013)
- حلم حقيقي
- النص
- السنة
- العمل (1995)
- إخوة وجديون (2000)
- كل ما في الأمر

في أريحا، كان هناك مركزان أمنيان رئيسيان. كان مركز شرطة المدينة في وسط السوق، ومقر المقاطعة يقع عند مدخل المدينة على الشارع الرئيسي المؤدي إلى مخيم عقبة جبر، البحر الميت، القدس، وقلب أريحا. والمقاطعة كانت مبنى قويا

كبيراً ومتيناً، محاطاً بالأسوار يتميز بعراقته وجماله، على الرغم من استخدامه للأغراض الأمنية، ولكنه كان يضم سجنًا. تم تأسيسه خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين والأردن منذ عام 1917. وكان له حضور بصري قوي في المدينة. وظل المبنى مغلقاً أمام الجماهير وعامة الناس باستثناء رجال الشرطة ونزلاء السجن وزوارهم.

يعيش الشاعر حياة معقدة بين كونه حياً وميتاً. ويشعر بأنه لم يتمكن قط من الانغماس الكامل في الحياة أو تحقيق أي شيء بشكل كامل. وهو يعتقد أن ما حدث له كان نتيجة سوء فهم بينه وبين الغجر. والذين يتصورون بأنه كان يتصرف بعبث بينما كان مهتماً حقاً بما كان يحدث من حوله. هذا الشعور بعدم القدرة على فهم الآخرين أو نفسه بشكل كامل يستمر في مصاحبته وينعكس في حياته بشكل عام.

يتحدث الكاتب عن أربعة أنواع من النباتات: المستنبت، الزنزلخت، والسدر، والبباي . ويصف علاقته بكل منها وتجربته الشخصية معها.

وان الحديقة التي تمتلك بها الحكومة وهي تقع في وسط أريحا. ويبلغ طولها كيلومترًا واحدًا وعرضها عدة مئات من الأمتار. وهو محاط بسلك شائك لحمايته من المواشي والأطفال. إنها واحدة من أكبر المساحات الخضراء في المدينة وتضيف إلى جمالها الطبيعي. وكان مفتوحًا للزيارات المدرسية المنظمة فقط، ولكنها مغلقة للعامة. واسم "المستنبت" يعكس اختيارًا لغويًا دقيقًا من قبل القائمين على المشروع.

وشجرة "الزنزلخت" فهي شجرة دائمة الخضرة تنمو بدون رعاية وتتميز بارتفاعها. بدت هذه الشجرة خلال طفولته مهيبة ومرعبة بالنسبة له خاصة في الليل عندما كانت تظهرله كعملاق أو شبح. وكانت تقف عند باب منزل جده، مما زاد من خوف الكاتب الشاب منها. ولكن مع مرور الوقت أدرك أنها نابعة من خيالات الطفولة وظلت الشجرة هادئة وساكنة.

وكانت شجرة السدرهي شجرة أخرى ذكرها المؤلف. والتي كانت تنمو في أرض مهملة بالقرب من منزله .على الرغم من ان مظهرها كان غير جذاب وأشواكها واستمتع بتسلقها في الصيف لان يقطف ثمارها الناضجة. والتي كانت تحتوي أحيانًا على حشرات. وكان التحدي هواختيارالفاكهة الناضجة دون تجنب الأشواك والعثور على أية بداخلها. ويذكر الشجرة بعد سنوات عندما رأى ثمارها المجففة تُباع في سوق الوقف في الكويت.

وانما شجرة "البباي" وهي شجرة كانت تنمو في بستان عائلته. وكانت تحتاج إلى تسلق لقطف ثمارها الكبيرة والناضجة. وهذه المهمة كانت مخصصة له بسبب خفة وزنه. كانت هذه الشجرة غير معروفة للكثيرين ولكنه زاد من إحساسه بالفخر والتميز. طعم ثمارها كان مزيجًا من الشمخ والمانجو وكانت نادرة في تلك المنطقة. ويعبرعن حزنه لتخليه عنها ويشعر بالحنين لفترة الطفولة وأيامها.

لطالما أثارت شجيرة الليف إعجابي. وإنها نبتة متسلقة سريعة النمو وتنتشر أفقياً أكثرمما تصل إليه في الارتفاع. وثمارها المخروطية تشبه أكواز الذرة لكنها غير صالحة للأكل وتفرمنها المواشي. كان فى بيت جدي "أبو يوسف"

العديد من شجيرات الليف فيما بعد زرعناها بالقرب من السياج الذي يفصل حديقتنا عن حديقتها. ويحب الأطفال جني الفواكه وشقها لاستخراج عصيرها ذي الرائحة المميزة. ويقومون بغسل اللب وتجفيفه تحت شمس أريحا الحارقة. ولكن بعد أن يجف، يصبح النسيج خشناً ويصعب تمزيقه ويجعل اللعب به غير ممتع.

ويتذكر المؤلف بالحوار الذي يدور بينه وبين زميله حول قلم رصاص صغير وممحاة. القلم تم بريه حتى أصبح بطول ثلاثة أو أربع سنتيمترات، والممحاة لم تعد تمحو جيدًا وتترك وسخًا. ويعبرعن صعوبة الكتابة به والتحكم عليه. وزميله سائلا عما إذا كان يريد رمي القلم لكنه رفض قائلاً إن رميه ممنوع. والممحاة التي تترك وسخًا بعد استخدامها. ويسبب مشكلة أثناء الكتابة. وموضحا عن تفهمه لوضع زملائه ويشرح ويشير إلى أن بعض التلاميذ يستخدمون لوازمهم المدرسية بسبب ظروفهم المالية.

وكان واصفا بانه كيف كان يعطي قلمه وممحاته لزملائه الفقراء في فصوله؟ وكيف شجعته والدته قائلة؟؟؟: "معليش.. فقراء. من يعط يعطيه الله" . وأعرب عن تعاطفه معهم فيه مؤكداً أنه ينبع من تجربته الشخصية لظروفهم المعيشية الصعبة.

**التجربة وحياته الفكرية:**لقد تعرفت لأول مرة على الملكة "إليزابيث" -والتي كانت ملكة بريطانيا العظمى -من خلال طابع بريدي يحمل صورتها. والذي حصلت عليه ضمن مجموعة طوابع بألوان مختلفة. وفي ذلك الوقت، لم تكن المراسلات بيننا وبينها نشطة، ولكنني تمكنت من جمع مئات الطوابع من عشرات البلدان في ألبوم خاص. وانه كان يتضمن طوابع بأحجام وأشكال متنوعة، تحمل صور الطيور والأزهار، والأشجار والمعالم التاريخية وغيرها. وكنا مهتمين على الاحتفاظ بها والتخلص منها وكنت أتبادلها مع هواة جمع الطوابع الآخرين. ولوكان لديّ العديد من الطوابع المصرية حتى القديمة منها التي تحمل صورة الملك فاروق لكنت اشتريتها مقابل طوابع ليبية نادرة تحمل صورة الملك إدريس السنوسي بطربوشه الأحمر. ولم أكن أعرف بكيفية ان أحصل على الطوابع الأجنبية مثل البرازيلية أو الهندية أو الألمانية، لكن الطوابع العربية كانت متوفرة بسهولة. وكانت راسخة فينا قيم الاعتماد على الذات بعمق.

أين ذهب ألبوم طوابعي؟ لعلي قد قايضته مع مكتبة مقابل أعداد من المجلات كمثل "بساط الريح" اللبنانية أو "السندباد" المصرية، وهذه المجلات القشيبية بدوريها ذهبت مع ريح اخري. ما اشد هبوب الرياح على محطات الحياة والعنها الريح اللئيمة التي تحمل نبأ غياب عزيز.

وكنت أعبر جسرا مع أصدقائي ونحن نتبادل الأحاديث قبل أن تبدأ العطلة السنوية في أحد أيام الصيف. وكان من المعتاد أن يسير الطلاب في مجموعات صغيرة. بينما كنت أعبره وأصعد تلة يهودا، فسمعت صوت شاحنة تتوقف ورأيت الأولاد يركضون مذعورين. ثم تجمعوا حولها وهم يصرخون. شعرت أن هناك خطباً ما، ورأيتهم يصرخون: "زيد، زيد دعسه إثرك." وكان زيد غازي الخمايسة أحد أصدقائي المقربين وكان يسكن في حارتنا. وكان والده

يعمل في مكتب البريد. كانت بيننا خلافات بسيطة، ولكن عادةً ما كان يتم الصلح بيننا بسرعة. ودارنقاشنا قبل يوم أو يومين من الحادث المأساوي الذي أودى بحياته.

لقد شعرت بصدمة شديدة عندما سمعت عن نبأ حدث معه. ولم أستطع الذهاب إلى مكان الحادث، الذي كان يعج بالناس والشرطة والمسعفين. وعدتُ إلى المنزل بساقين ترتجفان وقلبي بالكاد ينبض. وصادفت والدته وهي تهرول مذعورة نحو الجسر متلهفة للحصول على أخبار مطمئنة. ووجدت في وجهي امتقع لونه كل ما تحتاج إلى معرفته من الاخبار.

وكان الراديوالكبيرهوأول جهازمن نوعه في منزلنا، بغطاء متين من القماش البيج والحرير، وأزرار للتحكم في مستوى الصوت وتغيير المحطات، ومقابس لتغيير الموجات. وكان والدي يستمع إلى الأخبار على التلفاز ونادراً ما كان يستمع إلى الموسيقى. وكان يحب أغاني محمد عبد الوهاب وفايزة أحمد، وخاصة أغنيتها "ست الحبايب".

وصرح الكاتب بالتقاليد الدينية والثقافية المتعلقة بتبجيل النبيين "شعيب" و"موسى" (عليهما السلام) فيها والمناطق المكتنفة بها. ويبرزنصه الادبي عادة شائعة بين أهاليها لانهم يقسمون بالنبي شعيب (عليه السلام) كوسيلة لتأكيد صدق كلماتهم. وان هذا الامريعكس احترام جميع الأنبياء وعلى وجه الخصوص النبي شعيب (عليه السلام) . وأوضح أنها لا تقتصر على أي فئة معينة بل هي جزء من الثقافة المحلية. ويعتبرانه نبي عربي من سلالة النبي إبراهيم (عليه السلام) أحد رموز الدعوة إلى التوحيد وقد ترك أثرًا في هذه المنطقة بما في ذلك فلسطين والأردن حيث يوجد وادي يسمى "وادي شعيب".

وذكر أيضا في هذه السياقات موسم النبي "موسى" وهو حدث سنوي يحتفل به سكانها والمناطق المجاورة. وهذا المهرجان الذي يعقد قريبا من القدس المحتلة وتم تعبيره بمناسبة للتجمع والاحتفال بالدين والمجتمع على حد سواء. وكان واصفا اياه بتجربته الشخصية فيه مصرحا بمشاعر الفرح والدهشة التي شعر بها كالاطفال الذين يحتفلون بها بنشاط ورغبة كمثل رفرفة الأعلام وسماع الأدعية والإنشاد. ويشير إلى أهميتها في تعزيز الروابط الاجتماعية والثقافية بينهم وفي نشر الفرح والتقدير للأنبياء. ويستذكر ذكريات صباه حين يريد إليه مع جدته يستمتع بالحلويات الشعبية مثل "الكعكيان" وشرب العصائر التقليدية كمثل "الحروب" و"السوس. وأنها تستعرض بالتباينات الثقافية والدينية في العالم الإسلامي موضحا بكيفية الامكانات للانتماءات الطائفية أن تكون موضوعًا حساسًا ومثيرًا للفضول. ومؤكد ا علي أهمية التقاليد الاجتماعية والدينية في تعزيز الوحدة والاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع.

**البناء السردي في كتابته:**

لابد لنا ان نعبرعن الميزات المهمة بكل صراحة كمثل الوحدة الحديثة مرتبطًا بالسرد الكلي. وتُطلع هذه التقنية القارئ على حكاية تسير على منوال "مذكرات متسلسلة ". كل باب في هذه الرواية بدلاً من أن يكون جزءًا من قصة خطية ومتصلة يرسم صورة لفترة محدودة من الحياة.

وهناك مثال بارز على هذه التقنية هو التسلسل من الباب السابع إلى الباب التاسع حيث يُروى أولاً مرض "حسيبة" وترددها على المستشفى ثم يتحول الاتجاه فجأة إلى مشاهد رؤية العرسان لـ"دلال". يحدث هذا الانتقال دون أي رابط واضح. بما انه يظهرأن ذاكرة الراوية تتقدم وفق الأولوية العاطفية لا وفق الترتيب الخطي. وتنتهي بعض الأبواب بجمل قصيرة جدًا وشبه منقطعة الصلة، تترك القارئ عند منعطف غير متوقع. ونهاية الباب الثامن هي أفضل مثال مطبق عليه. ومن الجمل التي تأتي بعد فشل العلاقة الكاملة التي تحمل رغم طبيعتها الظاهرية العادية وزنًا سخريًا عميقًا. وردود افعال الفشل العائلي يتحلل في مجرد شراء جهاز منزلي. وهذا التناقض هو السمة المميزة لأسلوب الريماوي.

وبما انه ينتهي الباب الحادي عشر بجملة قصيرة وساخرة. وهذا الاعتراف الذي هو تعبيرعن شك الراوية في موقفها هي نفسها، يخلق لحظة نقدية دقيقة في السرد.

كما يقول: " اتفقتِ من وراء ظهر أهلك؟ لا يا أمي، لا يتم شيء إلا بموافقتكم. قلت لها دعينا نرى الشاب ونتعرف على أهله، ونقرر معًا بعدئذٍ. هكذا لم أعد أنتظر عائلتين، بل عائلة واحدة. خسرنا عائلة.. والمقلوبة بردت. اشتر مايكرويف يا أباعوني.....وأسرّت لي أنها تقاتلت مع ماجد، بعدما أصر أن تنتقل عنده في عمّان، وأخبرته أن مَفارقتها لبيتها بيت أبو يوسف يعني انتهاء كل شيء، وأن ماجد الحزين على أخيه حزين على انفراط العائلة، ويخشى إذا بقيت أمه تعيش بعيدة ومنفردة أن يتكلم الناس بحقّه. لم أعقب على ما قالته، فماجد غلطان وهي غلطانة. ويمكن أنا أيضاً غلطانة. كدت اضحك من توهتي لولا ان المقام لا يسمح.

وأيضا:

وتظهر قفزة تقنية فريدة وبارزة في نهاية الباب السادس عشر حين ينتقل السرد فجأة إلى المونولوج الداخلي التخيلي للسلحفاة. وهذا الجزء مكتوب بصوت رمزي وتجريدي وعاطفي، خارج إطار السرد الواقعي التقليدي. وهنا لا تصبح السلحفاة مجرد رمز فحسب، بل "راويًا" رسميًا يعبّرعن مشاعر فقدان الأم والوحدة والنفي القسري بلغة المشاعر الإنسانية. وهذا الأسلوب فيه يمثل منعطفًا مهمًا في السرد الحديث، يُظهر التعقيد البنيوي للرواية. وفي هذه الرواية بأكملها لا يسير تدفق الزمن في خط مستقيم. ويتحرك سرد "حسيبة" باستمرار بين ذكريات الماضي، وأحداث الحاضر، ومخاوف المستقبل، كما يظهر في الباب السابع عشر حيث تقارن بين دور السينما في الماضي والتغيرات في العصر الحاضر.

أنا لا أريد طعامًا آكله ولا ماءً أشربه. لا أريد رملاً أعَبث به، ولا حصى أقذفها بقدمي، ولا شمسا كبيرةً تُضيء طريقي، ولا شجرةً أفئ إليها..... لن أبكي، لن أزعل منه، فقد ذهبتُ إلى النوم البعيد. النائمة لا تبكي ولا تزعل. النائمة تغيب وتطير.

**أسلوب الكاتب:**يقوم أسلوب الريماوي أساسًا على العربية العامية الدارجة خاصة في الحوارات. هذا الاختيار يحمي الشخصيات من الاصطناع ويجعلها واقعية قابلة للتعرف عليها. هذا الطابع العامي ظاهر بوضوح في مشهد رؤية العريس. وفي عبارته لا تحمل طابعًا محليًا لغويًا فحسب، بل تحمل أيضًا سخرية خفيفة لكنها حادة من المظاهر الاجتماعية وعملية التمحيص والفحص. واللهجة الساخرة عنصر أسلوبي مهم في روايته كلها. وتم تبيين الأسئلة في الباب الثامن أثناء رؤية العريس بتفصيل شديد، بأسلوب يقارب الطرافة. وهذا السؤال الذي يُطرح مباشرة لفحص الوضع المالي الذي يكشف سطحية الأعراف الاجتماعية. وهكذا، في الباب التاسع تعليق الراوية بخصوص التكنولوجيا. ويتخذ هذا نبرة خفيفة من السخرية الذاتية بشأن الفجوة بين الأجيال.

**صورة القيم العلمانية والإنسانية:**ويتكررذكررغبة البلد في العودة إلى الدستور العلماني فيها. ويعتبر "مينو" نفسه علمانيًا تقريبًا. والمحامي الذي كتب مقالات من أجل استقلال القضاء وتم سجنه أيضًا رمز لهذا النضال العلماني الذي يسعى إلى سيادة القانون رغم ضغط الجماعات الدينية والسياسية. وأعظم الرسالة الإنسانية في الرواية هي أن الصحافة، وإن كانت مهنة، فإن روحها مرتبطة بحماية الحياة الإنسانية. فهدف تقريره الاستقصائي ليس الحصول على خبر مثير، بل أن يكون صوتًا لهؤلاء المرضى الصامتين الذين استُغلوا. وهذا جانب من النزعة الإنسانية مقبول لدى القراء المتدينين وغير متدينين على حد سواء. وما يُذكر فيها عن الإعلانات الأوروبية لبيع الحياة وشرائها، هو نقد علماني وإنساني شديد للنظام الرأسمالي العالمي استكشافا بها في الحقيقة عن فلسفة تحويل الحياة الإنسانية إلى سلعة في السوق. ويدفع المؤلف من خلالها القارئ إلى التفكير في كيف يمكن أن تُداس كرامة الإنسان باسم "الحرية"؟

وان هناك علاقته ب"مشتاق" وبأخته "الدكتورة بلقيس" حياة إيجابية وفاعلة رغم إعاقته، مثال مضيء على التعاطف والتضامن الإنساني. وهذه الشخصيات تتجاور الدين والعرق والطبقة لتساعد بعضها بعضًا، وهي أفضل صورة للمحبة الإنسانية. كما أن القلق فيها على التغير المناخي و"ذوبان جليد جبال الهيمالايا" ومستقبل بنغلاديش المهدد بالفيضانات، موضوع إنساني مهم أيضًا، يُظهر أنه يحمل هّم مستقبل الجنس البشري كله، متجاوزًا الحدود الوطنية.

وانها تقدّم صورة للمجتمع تتصادم فيه وتتشابك باستمرار التقاليد الاجتماعية والقيم الأخلاقية، والطقوس الدينية والأفكار العلمانية والإنسانية. ولم يُفضّل فكرة على أخرى، بل قدّم كل جانب بتعقيده الحقيقي كمثل الاستغلال الديني والانحطاط الأخلاقي من خلال "رحيم" والنزاهة الصحفية والتعاطف الإنساني من خلال مينو، ونضال الإصلاح الاجتماعي من خلال رشيدة، وأهمية القيم العلمانية والإنسانية من خلال القصة كلها.وانه من الممكن ان هذا التحليل تم تطبيقه على أي مجتمع مسلم نامٍ، بما في ذلك الأردن. ويتضح أنها ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل

أداة قوية لإيقاظ الوعي الاجتماعي، وخلق الحساسية الأخلاقية، وكشف النفاق الديني، وتعزيز القيم العلمانية والإنسانية. وبما انها تعتبر الرواية ليست مجرد سرد قصصي، بل أداة مهمة لتربية المجتمعات الإنسانية

## المصادروالمراجع:


- إخوة وحيدون، محمود الريماوي، دار أزمنة، عمان، الأردن، 1995.
- برنامج رؤية مبدع - محمود الريماوي - يوتيوب.
- الجرح الشمالي، محمود الريماوي، دار ابن رشد، بيروت، 1980.
- حلم حقيقي، محمود الريماوي، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2012.
- ضيف على العالم، محمود الريماوي، دار فضاءات، عمان، الأردن، 2017.
- عم تبحث في مراكش، محمود الريماوي، بمعرض الكتاب بالدار البيضاء.
- غرباء، محمود الريماوي، وزارة الثقافة، عمان، 1993.
- فرق التوقيت، هيئة قصور الثقافة، مصر، 2013.
- قاب قوسين/ صحيفة ثقافية إلكترونية، 01 أغسطس 2017.
- القطار، محمود الريماوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996.
- كل ما في الأمر، دار أزمنة، عمان، الأردن، 2000.
- من يؤنس السيدة، محمود الريماوي، دار فضاءات، عمان، الأردن، 2009.
- موقع الجائزة العالمية للرواية العربية: محمود الريماوي، 14 أيلول 2016.
- نبذة عن محمود الريماوي في موقع عصير الكتب.
- وزارة الثقافة الأردنية: محمود الريماوي.

# تجليات القيم الدينية في كتابات محمد جمال عمرو

**شير محمد،**



تحت الاشراف: البروفيسور محمد مسيح الرحمن

باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها،

جامعة عالية، كولكاتا – الهند

shermd806@gmail.com

**Abstract:** **Mohammad Jamal Amro is a prominent Jordanian writer and poet and a distinguished author of children's literature. His writings address various religious, moral, and humanitarian themes through a style that combines simplicity with depth and authenticity with modernity. Religious values constitute a significant dimension of his literary output, particularly his treatment of faith, worship, Prophetic values, Islamic ethics, and cultural identity. These values are integrated into the artistic structure of his texts through characters, dialogue, imagery, narrative, and storytelling, rather than being presented merely as direct instruction. This study examines selected works by Mohammad Jamal Amro to explore the manifestations of religious values and the artistic methods through which they are presented to young readers. It also considers their ethical, emotional, and educational functions in shaping children's religious awareness and moral conduct. The study adopts a descriptive-analytical approach to identify the major religious values in his writings and examine their literary and educational dimensions, highlighting his contribution to contemporary Arabic children's literature.**

**Keywords:** **Mohammad Jamal Amro, Religious Values, Faith Values, Islamic Ethics, Children's Literature, Contemporary Arabic Literature.**

**الملخص:** يعد محمد جمال عمرو أديبا وشاعرا أردنيا بارزا، وكاتبًا متميزا في مجال أدب الأطفال، وقد عني في كتاباته بمعالجة عدد من القضايا الدينية والإنسانية والاجتماعية، مستفيدا من أساليب فنية تجمع بين البساطة والعمق، وبين الأصالة والمعاصرة. وتمثل القيم الدينية جانبًا بارزًا في نتاجه الأدبي، إذ استلهم في كثير من نصوصه المبادئ الإسلامية والمعاني الإيمانية والعبادية والأخلاقية والحضارية، ووظفها في بناء الشخصيات وتشكيل الأحداث والصوروالمو اقف، بما يجعلها جزءًا من النسيج الفني للنص، لا مجرد مضامين تعليمية مباشرة. وتتجلى هذه القيم في مجالات متعددة، من أبرزها القيم الإيمانية وترسيخ العقيدة الإسلامية، والقيم التعبدية، والقيم المستمدة من السيرة النبوية، والقيم الأخلاقية ذات الجذور الإسلامية، والقيم الحضارية المرتبطة بالهوية

والذاكرة الإسلامية. وتتناول هذه الدراسة نماذج مختارة من كتاباته الإبداعية؛ للكشف عن تجليات هذه القيم، وبيان طرائق توظيفها في البناء الأدبي والفني، وما تؤديه من أبعاد وجدانية وسلوكية وتربوية لدى المتلقي الطفل. وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أبرز تجليات القيم الدينية في كتابات محمد جمال عمرو، وبيان تنوعها ومظاهر حضورها و أبعادها في نتاجه الأدبي، مع الوقوف على الأساليب الفنية التي اعتمدها الكاتب في تقديمها للطفل، ومدى تفاعل المضمون الديني مع عناصر البناء الأدبي، كالشخصية والحوار والصورة الشعرية والسرد والموقف القصصي. كما تسعى الدراسة إلى إبراز ما تؤديه هذه القيم من وظائف تربوية وأخلاقية ووجدانية، وما تسهم به في بناء وعي الطفل الديني وتعزيز سلوكه الأخلاقي وصلته بهويته الثقافية والحضارية. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء نماذج مختارة من مؤلفاته وتحليل مضامينها الدينية ودلالاتها الفنية والتربوية؛ للكشف عن رؤيته في توظيف الأدب في التعبير عن القيم الإسلامية، وبيان خصوصية تجربته ومكانته وإسهاماته في أدب الأطفال العربي المعاصر.

**الكلمات المفتاحية**: محمد جمال عمرو، القيم الدينية، القيم الإيمانية، القيم التعبدية، القيم الأخلاقية، أدب الأطفال، الأدب العربي المعاصر.

**توطئة** يعَد الشاعر والكاتب محمد جمال عمرو من أبرز الأدباء والقاصّين في الأردن والعالم العربي، ولا سيما في مجال أدب الأطفال، وقد أسهم إسهاما واضحا في إثراء هذا الأدب وتطوير أساليبه الفنية وموضوعاته، من خلال توظيفه اللغة السهلة والأسلوب الجذاب والرؤية الهادفة التي تراعي خصائص الطفل واحتياجاته النفسية والفكرية. وقد اتسمت كتاباته بتنوع موضوعاتها وثراء مضامينها، إذ لم تقتصر على الجانب الفني والجمالي، بل امتدت لتؤدي وظيفة دينية وتربوية تسهم في بناء شخصية الطفل وتنمية وعيه وتوجيه سلوكه.

وتتجلى القيم الدينية والتربوية محورا أساسيا في كتابات محمد جمال عمرو، إذ اتخذ من الأدب وسيلة فعالة لغرس المبادئ الإسلامية والقيم التربوية في نفوس الناشئة، وربط الجانب الأدبي بالجانب التعليمي والتوجيهي. وقد برز في كثير من أعماله على ترسيخ منظومة من القيم الدينية، مثل الإيمان بالله تعالى، ومحبة الرسول ﷺ، والتمسك بالعبادات، والتحلي بالأخلاق الإسلامية، والاعتماد على الله، والشعور بالمسؤولية الدينية تعزز قصصه صلة الطفل بخالقه عز وجل، وتفتح الآفاق أمامه ليتعرف إلى مفردات ومفاهيم دينية216. كما اهتم بالقيم التربوية التي تساعد على بناء شخصية متوازنة، ومن أبرزها الصدق، والأمانة، والتعاون، واحترام الوالدين، وحب العلم، وتحمل المسؤولية، والانضباط، ومساعدة الآخرين.

---

216 - السيوف، حنان محمد صالح، "محمد جمال عمرو: دراسة نتاجه القصصي للأطفال"، الجامعة الهاشمية الزرقاء – الأردن، 2010، ص- 29.

ولم تقتصر عناية الكاتب بهذه القيم على عرضها في صورة مباشرة، بل سعى إلى تقديمها من خلال الشخصيات والأحداث والحواروالمو اقف القصصية، مما جعلها جزءا من البناء الفني للعمل الأدبي، وقريبة من إدراك الطفل ووجدانه. وقد تميز أسلوبه في عرض هذه القيم بالوضوح والبساطة والتشويق، مع مراعاة المستوى العقلي والنفسي للناشئة، الأمر الذي جعل كتاباته قادرة على الجمع بين المتعة الأدبية والفائدة الدينية والتربوية.

كما تظهر رؤيته التربوية في حرصه على جعل الأدب وسيلة للإصلاح والتوجيه، وتعزيز السلوك الإيجابي لدى الطفل، وتنمية قدرته على التمييز بين الخير والشر، والصواب والخطأ، وربط المعرفة الدينية بالممارسة اليومية. وتنبع أهمية هذه الرؤية من كون مرحلة الطفولة مرحلة أساسية في تكوين الشخصية وبناء الاتجاهات والقناعات، ولذلك فإن تقديم القيم الدينية والتربوية في قالب أدبي جذاب يسهم في ترسيخها بصورة أعمق وأكثر تأثيرًا في نفس الطفل.

ومن ثم، فإن دراسة القيم الدينية والتربوية في كتابات محمد جمال عمرو تكشف عن جانب مهم من تجربته الأدبية، وتبرز قدرته على توظيف أدب الأطفال في خدمة التربية وبناء الإنسان الصالح، مع المحافظة على الخصائص الفنية والجمالية للنص الأدبي. كما تكشف هذه الدراسة عن رؤيته الإصلاحية التي تجمع بين الأصالة المستمدة من المرجعية الإسلامية، والمعاصرة التي تراعي حاجات الطفل وتحديات الو اقع الثقافي والفكري. ومن هنا تأتي أهمية هذه المقالة في الوقوف على مظاهر سمو القيم الدينية والتربوية في كتاباته، وتحليل طر ائق حضورها ووظائفها، وبيان أثرها في توجيه الناشئة وبناء شخصيتهم الدينية والتربوية في إطار أدب الأطفال العربي المعاصر.

## نبذة مختصرة عن حياة محمد جمال عمرو-:

هو محمد جمال عايش عبد الفتاح عمرو أديب كبيروشاعر بارع في العالم العربي. كان معروفا بلقب "أمير شعراء الطفولة " و" صديق الأطفال ". فيعد محمد جمال عمروواحدا من أبرز الكتاب الأردنيين في مجال الكتابة للطفل. كان عضوا لر ابطة الكتاب الأردنيين و اتحاد الكتاب العرب ورابطة الأدب الإسلامي العالمية. إذ يكتب الشعر والقصة القصيرة والمسرحية وغيرها من الأجناس الأدبية الموجهة لهذه الشريحة العمرية المهمة للأطفال ، ولعله يكون متخصصا في هذا المجال. فنجد فعالياته الأدبية كاملا يقع في هذا الميدان ساهم مساهمة عظيمة في تطور أدب الأطفال في الأردن والعالم العربي. وله دورهام في القصة القصيرة والشعروالمسرحية والرو اية، كما لعب دورا كبيرا في تكوين المجتمع الإسلامي وتنمية التعليم الديني والتربية الإسلامية للأطفال وارتقائه بكتاباته من القصائد والقصص القصيرة والرو ايات إلخ. كما أنه يكتب قصص الأطفال ويعمل كصحفي مستقل يكتب أعمدة ساخرة في الصحف والإعلام إلى جانب نشاطه الأدبي والفكري. وتستمد مجموعاته القصصية القصيرة في كثير من الأحيان

ملامح من الحكايات الشعبية، وتمتازبيسرٍفي ظاهرها، وعمق في دلالاتها، وتنوع في مرجعياتها. جاءت كتابات جمال عمرو معبّرة عن قضايا الإنسان والمجتمع، وموجهة نحو ترسيخ القيم الدينية والتربوية في نفوس الأطفال. فقد تناولت معظم قصصه وقصائده أهمية الإيمان بالله تعالى، ومحبة الرسول ﷺ، والتمسك بتعاليم الإسلام، والتحلي بالصدق والأمانة والتقوى وحسن الخلق. كما أبرزت كتاباته أهمية طلب العلم، واحترام الوالدين والمعلمين، وتحمل المسؤولية، وحب الخير والتعاون مع الآخرين، وسعت إلى تهذيب سلوك الطفل وتنمية وعيه وبناء شخصيته بناءً متوازنًا. ولم تخل أعماله من الدعوة إلى الاقتداء بالقيم والمبادئ المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وربط الجانب الديني بالجانب التربوي، بما يسهم في إعداد جيل صالح يتمتع بالأخلاق الفاضلة والوعي السليم.

محمد جمال عمرو شاعر وأديب وصحفي وكاتب قصص قصيرة، ولد في مدينة عمان بالأردن عام 1959م، وأكمل دراسته في تخصص الهندسة المعمارية عام 1981م، وبدأ حياته مهندسا معماريا في عمان. ثم توجه إلى ثقافة الطفل وراح يكتب كتابة قصة الأطفال عام 1990م وأصدر أول كتاب للأطفال موجه للصغار تحت العنوان "نسعى إلى المستقبل" والآخر موجه للكبار "المدخل إلى الأدب الأطفال"217 في نفس العام، وكتب أيضًا القصائد الدينية والمقالة القصيرة الانتقادية وقصص الأطفال. يتولى الآن منصب مدير لتحرير مجلة "وسام" التي تصدرها للأطفال وزارة الثقافة الأردنية218. وكان رئيساً لتحرير مجلة "أروى" للأطفال، التي صدرت عن الاتحاد الثقافي في فرنسا 1983 – 1987م، ورئيساً لتحرير مجلة "فراس" للفتيان، التي صدرت عن مؤسسة آلاء في لندن 1991 – 1996م، ومستشاراً فنياً لمركز الأفق (برمجيات أطفال) في عمّان 2000 – 2001م .وهو يعمل الآن رئيسا للجنة أدب الطفل في رابطة الكتّاب الأردنيين219. شارك جمال عمرو في رابطة الكتاب الأردنيين ما بين عام 1989و 1990 م، وكان يتولى رئاسة للجنة الثقافية في رابطة الكتاب الأردنيين . انعقد مؤتمرات وندوات عقدت في بقاع شتي من العالم. وشارك الأستاذ محمد جمال عمرو في عدد من لجان التحكيم للمسابقات الأدبية، ولاسيما في مجال القصة القصيرة وأدب الأطفال220. و انتشار الصحافة والمطابع ودور النشر والتوزيع، ومنافسة أحدث المؤسسات التعليمية المعروفة في العالم العربي والغربي.

---

*217* - عبد الله لألي،" في أدب الطفل العربي"، المؤسسة العربية للدراسة النشر، عمان، الأردن، 2020، ص- 89.

*218* - مقابلة شخصية مع الكاتب محمد جمال عمرو بذاته هاتفيا، 8 ديسمبر،2025.

*219* - مقابلة شخصية مع الكاتب محمد جمال عمرو بذاته هاتفيا، 8 ديسمبر،2025.

*220* - حيام حمدي العناني "شخصية أدبية : الكاتب والشاعر محمد جمال عمرو" دار المأمون للنشر والتوزيع ط عمان ،الأردن.2013.ص:98.

## إنجازاته الأدبية :

إن الإنتاج الأدبي والإبداعي يكون خير معرف لشخصية أدبية، فلا تكتمل الشخصية لأي أديب بدون عرض مؤلفاته، ولهذا سنقدم هنا إنتاجات محمد جمال عمرو الأدبية المنشورة حتى الآن، ويبلغ عددها ما يربو مئتين وخمسين كتابا ما بين شعرورو اية وقصص أطفال ومجموعة مقالات . وهو مازال يكتب إلى الآن. ومؤلفاته رتبت حسب سنة صدورها فيما يلي:

الرو ايات: " منصورلم يمت"عام 1993م، "الثلاثة الشجعان: أشعب و نجيب و يمان"عام 1999م.

مجموعة من القصص للأطفال : "حكايات من بلادي " 1991م ،و"حكايات العم الحكيم" عام 1993م، و"حكايات النورس "عام 1994م، و"حكايات صفراء للفتيان " عام 1997م، و"الطيران حلم يتحقق " عام 1997م، و" قصة و تلوين" عام 1998م، و"أنا أحب منتهى" عام 2000م، و"أحلام مدينة" عام 2000م، و"أدعية الطفل المسلم" عام 2000م ،و"حكايات سمون ونحوف" عام 2003م، و" مدينة الأطفال" عام 2010م، و" سلسلة نبي الرحمة " عام 2011م، و" سلسلة فلسطين و القدس أرض الأنبياء"عام 2013 . " سلسلة مدن فلسطينية صامدة"،عام 2013م، و" قصة هل يطير الحصان " عام 2018م.

الدواوين الشعرية: "نسعى إلى المستقبل" عام 1990، و"أحلى الأنغام "عام 1995م، و"يحكى أني " عام 1997، و"درة الأقصى" عام 2000م، و"نسيمات الطفولة" 2001م،"همس البلابل " عام 2005م، و"طه الحبيب" عام 2007م، و" شدوا الألوان" عام 2016م، و" في حب التونس" عام 2018م، و" بنت الخيمة" عام 2019م، و" في حب الكويت " عام 2019م، و" في حب العربية " عام 2023م، و" في حب الأردن " عام 2025م، و" في حب فيسطين " عام 2026م.

المسرحية للأطفال: "حادث على الطريق" عام 2000م، و الولد الصادق" عام 2002م، و"حارس أحلام المدينة" عام 2015م،

أفلام رسوم متحركة: "فتح القسطنطينية" عام 1995م ، و"رحلة الخلود" عام 1995م، و"مسرور في جزيرة اللؤلؤ" عام 1996م ، و" أصحاب الأخدود" عام 2019م.

ألعاب كرتونية: و"الطريق إلى القدس" عام 1991م، و"رحلة عبر الأردن" عام 1991م، و"إعرف وطنك: رحلة عبر الإمارات" "عام 1998م.

وإلى جانب هذه المؤلفات المذكورة يعتزم محمد جمال عمرو إصدار الدراسة الأدبية بعنوان "المدخل إلى أدب الأطفال" عام 1990. تمثل هذه الكتب خلاصة جوهره الأدبي، وتعد من أبرز أعماله الشهيرة والمتداولة دون أن تكون على سبيل الحصر، إذ أن عدد مؤلفاته يتجاوز 250 عملا.

## تجربته الأدبية :

تمثل التجربة الأدبية لمحمد جمال عمرو نموذجا متميزا في مسيرة أدب الأطفال العربي المعاصر، إذ استطاع أن يوظف الأدب في بناء وعي الطفل وتنمية شخصيته، جامعًا بين القيمة الفنية والغاية التربوية. وقد اتسمت تجربته بتنوع موضوعاتها وتعدد مجالاتها، فلم تقتصر على معالجة القضايا الدينية والأخلاقية، بل امتدت إلى الجوانب الاجتماعية والإنسانية والوطنية، مع مراعاة الخصائص النفسية والفكرية للطفل ومراحل نموه المختلفة. ويبدو البعد التربوي واضحًا في كثير من أعماله، حيث لا يقدم القيم والمبادئ بصورة مباشرة جافة، وإنما يسعى إلى تضمينها في سياق قصصي وشعري مشوق، يجعل الطفل يتفاعل معها من خلال الشخصيات والأحداث والمواقف. كما تتميز لغته بالوضوح والسهولة، مع المحافظة على جمال التعبير والإيحاء، مما يساعد على تحقيق التوازن بين متعة القراءة وتحقيق الفائدة التربوية. وقد أسهم هذا التوجه في جعل أدبه مجالًا تتفاعل فيه الأصالة الإسلامية مع مقتضيات العصر، مستفيدًا من عناصر التراث والقيم المستمدة من الثقافة العربية والإسلامية، مع توظيف أساليب فنية حديثة تتلاءم مع عالم الطفل. ومن ثم، فإن تجربة محمد جمال عمرو الأدبية تكشف عن رؤية واعية لدور أدب الأطفال في بناء الإنسان، إذ ينظر إلى الأدب بوصفه وسيلة للإمتاع والتثقيف والتربية في آن واحد، ويجعل من النص الأدبي فضاءً لتكوين القيم وتنمية الوعي وترسيخ المبادئ الإنسانية والأخلاقية لدى الناشئة.

## تجليات القيم الدينية في كتابات محمد جمال عمرو:

تحتل القيم الدينية مكانة بارزة في التجربة الأدبية لمحمد جمال عمرو، ولا سيما في إنتاجه الموجَّه إلى الأطفال، إذ تتداخل هذه القيم مع البناء الفني للنص من خلال الشخصيات والأحداث والحوار والصورة الشعرية والمواقف القصصية، فلا تأتي في صورة مضامين تعليمية مباشرة فحسب، وإنما تصبح جزءًا من التجربة الأدبية ذاتها. ويكشف هذا الحضور عن رؤية تربط الأدب ببناء وعي الطفل الديني والأخلاقي، مع المحافظة على خصائص الفن الأدبي وجاذبيته.

وتتجلى القيم الدينية في كتاباته في مجالات متعددة؛ يأتي في مقدمتها القيم الإيمانية وترسيخ العقيدة الإسلامية، من خلال الإيمان بالله تعالى، والتوحيد، والرزق، وشكر النعم، كما في قصيدة «الله رازقنا» التي توظف صورة الطائر لتقريب معنى الرزق والافتقار إلى الله. وتبرز كذلك القيم التعبدية من خلال تناول الصلاة والصيام والدعاء والتسبيح، مع ربط العبادة بتهذيب السلوك، كما يظهر في قصيدة «لو صام العصفور؟». ويحتل الاقتداء بالنبي

ﷺ وسيرته مكانة مهمة، ولا سيما في «طه الحبيب»، حيث ترتبط السيرة بمعاني المحبة والرحمة والتواضع وحسن التعامل[221]

كما تحضر القيم الأخلاقية ذات الجذور الإسلامية، كالصدق والأمانة والرحمة وبر الوالدين والتعاون واحترام الآخرين، من خلال مو اقف وشخصيات تساعد الطفل على إدراك القيمة وممارستها بعيدًا عن الوعظ المباشر. وتمتد هذه القيم إلى البعد الحضاري الإسلامي من خلال استحضار القدس وفلسطين والمسجد الأقصى والتراث الإسلامي، كما يتجلى في «درة الأقصى.«

ومن الناحية الفنية، يعتمد محمد جمال عمرو في تقديم هذه القيم على اللغة الواضحة والصورة القريبة من عالم الطفل، وتوظيف الطبيعة والحيوان والتشخيص والحوار والتكرار والسرد. وبذلك تتكامل في نصوصه القيمة الدينية مع البناء الفني والبعد التربوي، لتسهم في تنمية الوعي الديني والأخلاقي، وتعزيز الصلة بالهوية الثقافية والحضارية. ومن ثم يمكن تصنيف القيم الدينية في تجربته إلى خمس مجالات رئيسة :القيم الإيمانية والعقدية، والقيم التعبدية، والقيم الأخلاقية، والقيم المستمدة من السيرة النبوية، والقيم الحضارية الإسلامية.

و انطلاقا مما سبق، تتجه الدراسة فيما يأتي إلى تحليل تجليات هذه القيم الدينية في نماذج مختارة من أعمال محمد جمال عمرو، مع الوقوف على آليات توظيفها داخل البناء الأدبي، واستجلاء أبعادها الدينية والتربوية والجمالية، ومدى إسهامها في توجيه المتلقي الطفل وبناء منظومته القيمية.

القيم الإيمانية وترسيخ العقيدة الإسلامية:

تحتل القيم العقدية موقعا محوريا في كتابات محمد جمال عمرو، إذ يسعى إلى تعريف الطفل بالله تعالى وتعميق إحساسه بعلاقته بخالقه، من خلال مفاهيم التوحيد والافتقار إلى الله والشكر على نعمه والثقة برزقه وقدرته. تتجلى القيم العقدية في أدب محمد جمال عمرو الموجَّه إلى الطفل من خلال ترسيخ الإيمان بالله تعالى، وتعريف الطفل ببعض معاني أسمائه وصفاته، ومن أبرز ذلك الإيمان بأن الله تعالى هو الرازق. ويتضح هذا المعنى في قصيدته "الله رازقنا"، ويُلاحظ أن الشاعر اختار صورة العصفور ليقرّب إلى الطفل معنى الافتقار إلى الله تعالى والاعتماد عليه في طلب الرزق، ثم يعزّزهذا المعنى بقوله: "شُكْرا للهِ الرزاق"، فينتقل من الإيمان بالرزق الإلهي إلى شكر المنعم. وبذلك تتكامل في النص القيمة العقدية مع القيمة الوجدانية والسلوكية، ويصبح المفهوم الديني أقرب إلى وجدان الطفل وأسلوب تفكيره. ويظهر ذلك بجلاء في قصيدته التي يجعل فيها الشاعر عالم الطيور والطبيعة مدخلًا فنيًا إلى ترسيخ مفهوم الرزق الإلهي. يقول:

"الإيمان بأن الله هو الرزاق

221 عبد الله لأى " محمد جمال عمرو أمير الشعراء الطفولة بلامنازع"، المؤسسة العربية للدراسة النشر، عمان ،الأردن.2020.م.ص:25.

عصْفورٌيَدْعو الرزاق.

أُرْزُقْني يا رَبِّ حُبوبا

كَيْ أُطْعِمَ فَرْخا مَحْبوبا"222

وتكشف هذه الصورة الشعرية عن آلية واضحة في بناء القيمة العقدية؛ فالكاتب لا يقدم للطفل مفهوم الرزق في صورة تعريف نظري، و إنما يجسده من خلال كائن مألوف له، وهو العصفور، الذي يظهر في النص متوجهًا إلى الله طالبًا الرزق. وبذلك تنتقل العقيدة من مستوى المعلومة إلى مستوى المشاهدة والتخيل، ويتحول العصفور إلى نموذج سلوكي يتعلم الطفل من خلاله معنى التوكل والشكر والافتقار إلى الله. وقد أوردت دراسة حول الطابع الديني في أدب الطفل هذه القصيدة بوصفها نموذجًا من شعر محمد جمال عمرو ذي الثيمة الدينية.

ويلاحظ هنا أن الكاتب يستثمر الطبيعة بوصفها وسيطًا عقديًا؛ فالطير والمطر والأزهار والوادي ليست مجرد عناصر زخرفية في النص، و إنما تؤدي وظيفة دلالية في الكشف عن قدرة الله ورزقه. ومن ثم، فإن الطبيعة تتحول في شعره إلى مجال للتأمل في الخالق، وهو أسلوب يتناسب مع طبيعة الإدراك لدى الطفل؛ إذ ينطلق من المحسوس والمشاهد للوصول إلى المعنى المجرد.

## القيم التعبدية:

لا تقتصر القيم الدينية في تجربة محمد جمال عمرو على الجانب العقدي، بل تمتد إلى مجال العبادة والممارسة الدينية. ويظهر ذلك في تناوله للصلاة والصوم والدعاء والتسبيح، وهي موضوعات حاضرة في نبع الحنان بصورة خاصة. وتشير بيانات الكتاب المنشورة إلى أن المجموعة الشعرية تتضمن موضوعات تتصل بالصلاة والصوم، إلى جانب الدعاء ومدح الله تعالى والتعريف بالدين الإسلامي والرسول ﷺ.

وتتجلى القيم العبادية في أدب محمد جمال عمرو من خلال توظيف العبادات الإسلامية في بناء وعي الطفل الديني والسلوكي، ولا سيما الصلاة والصيام. فقد خصص الشاعر عددًا من نصوصه للأطفال لتناول هذه العبادات، ومن ذلك قصيدة «لو صام العصفور؟»، التي يقول فيها:

"ماذا لو صام العصفور.. وتناول في الفجر سحور؟ هل يغتاب طيور الغابة؟ ويضايق فيها أصحابه أم يغدو في الصوم لطيفًا.. فنصير جميعًا أحبابه؟". [223]

ويتضح من هذه الأبيات أن الشاعر لا يقدم الصيام بوصفه عبادة جسدية فحسب، و إنما يربطه بتهذيب السلوك وضبط التعامل مع الآخرين؛ إذ ينتقل من معنى الصيام إلى ترك الغيبة والإيذاء والتحلي باللطف والمحبة. ومن ثم

---

222 محمد جمال عمرو،" أحلى الأنغام"، دولة الأمارات المتحدة ط 1. أبو ظبي.1995م.ص:125.

223 محمد جمال عمرو ،،" أحلى الأنغام"، دولة الأمارات المتحدة ط 1. أبو ظبي.1995م.ص:125.

تتداخل القيمة العبادية مع القيمة الأخلاقية، فيصبح الصيام وسيلة لتكوين شخصية الطفل المسلم تكوينًا متوازنًا يجمع بين أداء العبادة وإصلاح السلوك

وتكتسب العبادة في هذا السياق وظيفة تربوية؛ فالكاتب لا يعرضها بوصفها أحكامًا منفصلة عن حياة الطفل، و إنما يقدمها باعتبارها وسيلة لبناء العلاقة بين الطفل وربه، وتعويده على الدعاء والشكروالذكروالالتزام. وتظهر أهمية هذا التوجه في أن الطفل لا يتلقى العبادة بوصفها أمرًا مجردًا، بل يراها جزءا من الحياة اليومية للشخصيات والصوروالمو اقف التي يقدمها النص.

كما أن اختيارالدعاء بوصفه مدخلًا شعريًا له دلالة خاصة؛ فالدعاء يجمع بين المعرفة بالله والتوجه إليه، ويحوّل القيمة العقدية إلى ممارسة وجدانية. ولذلك فإن حضورالدعاء في شعرمحمد جمال عمرو يؤدي وظيفة مزدوجة: فهو من جهة يرسخ مفهوم التعلق بالله، ومن جهة أخرى ينمي لدى الطفل الشعوربالطمأنينة والرجاء والثقة بالله.

## القيم الأخلاقية:

ترتبط القيم الأخلاقية في أدب محمد جمال عمرو بالقيم الدينية ارتباطًا وثيقًا؛ إذ لا تظهر الأخلاق في كثير من نصوصه باعتبارها مبادئ اجتماعية منفصلة، و إنما بوصفها امتدادًا طبيعيًا للإيمان والسلوك الإسلامي. ولذلك تحضر في تجربته قيم مثل الرحمة، والصدق، والأمانة، وبر الوالدين، والتعاون، ومساعدة الآخرين، واحترام الإنسان[224]

وتنبع القيمة الفنية في هذا الجانب من طريقة تقديمها؛ فالكاتب لا يحتاج دائما إلى التصريح بالقيمة الأخلاقية، بل يمكن أن يجعلها نتيجة طبيعية للأحداث التي تمر بها الشخصية. وبذلك يصبح الطفل قادرا على اكتشاف القيمة من خلال الموقف القصصي أو الشعري، بدل أن يتلقاها في صورة موعظة مباشرة.

وهذا المنهج مهم في أدب الأطفال؛ لأن القيمة الأخلاقية تكون أكثر رسوخا عندما ترتبط بشخصية أو حدث أو مشكلة تواجهها الشخصية، ثم يأتي الحل ليكشف للطفل السلوك الذي ينبغي اتباعه. ومن هنا يمكن القول إن محمد جمال عمرو يوظف البنية الأدبية نفسها بوصفها أداة تربوية، بحيث يصبح الحدث حاملًا للقيمة، وتصبح الشخصية نموذجًا للسلوك، وتصبح النهاية نتيجة طبيعية للاختيار الأخلاقي.

كما أن وصف نبع الحنان المنشوريشير صراحة إلى أن المجموعة تدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق، إلى جانب تناولها للعبادات والقيم الدينية. وهذا يدل على أن الأخلاق في تجربته ليست عنصرًا هامشيًا، و إنما جزء من منظومة دينية وتربوية متكاملة.

224 إبراهيم الكوفاهي "شعر محمد جمال عمرو للأطفال محاور المضمون وجواهر التشكيل الفني" دار المأمون للنشر والتوزيع ط عمان ،الأردن.2013.م. ص:120

## القيم المستمدة من السيرة النبوية:

يمثل الرسول محمد ﷺ حضورًا مهمًا في المشروع الديني والتربوي لمحمد جمال عمرو، ولا سيما من خلال الأعمال التي تتخذ من شخصيته وسيرته ومناقبه موضوعًا لها. ومن أبرز الأعمال الدالة على ذلك ديوان طه الحبيب، الذي أشارت دراسة عن تجربة الشاعر إلى أنه يتكون من تسع قصائد ذات مضمون إيماني، وأن قصيدة "طه الحبيب" تستحضر شخصية الرسول ﷺ وتربطها بقيم التواضع وحب الناس والمساواة وحسن التعامل[225].

وتكشف هذه المعالجة عن أن السيرة النبوية عند محمد جمال عمرو ليست مجرد مادة تاريخية تقدم للطفل، و إنما هي مصدر للقيم والنماذج السلوكية .فاستحضار الرسول ﷺ يؤدي إلى تعريف الطفل بالسيرة من جهة، وتقديم نموذج إنساني وأخلاقي للاقتداء من جهة أخرى. ومن خلال ذلك تنتقل السيرة من مجال المعرفة التاريخية إلى مجال التربية الأخلاقية.

كما أن الجمع بين محبة الرسول ﷺ والقيم السلوكية مثل الرحمة والتواضع وحسن التعامل يحقق نوعًا من التكامل بين الجانب الوجداني والجانب السلوكي؛ فالطفل لا يتعلم محبة الرسول ﷺ بوصفها شعورا مجردا، و إنما يتعرف إلى مقتضيات هذه المحبة من خلال الأخلاق التي تجسدها شخصيته ﷺ.

## القيم الحضارية والإسلامية

يتجاوز البعد الديني في أدب محمد جمال عمرو حدود العقيدة والعبادة والأخلاق ليصل إلى القيمة الحضارية، حيث يحضر الإسلام بوصفه جزءًا من هوية الطفل وثقافته و انتمائه. ويظهر ذلك بوضوح في الأعمال التي تتناول القدس وفلسطين والمسجد الأقصى، وفي مقدمتها درة الأقصى، وهي حكاية شعرية للأطفال صدرت عن المجلس الأعلى للطفولة في الشارقة سنة 2001، وتتناول استشهاد الطفل محمد الدرة.

"محمد رامي: رصاصةٌ في صدري

تفجّرت في صدري

قد انتهيتُ يا أبي

لا تنشغل بأمري

احذر رصاصَ حقدهم

واحذر سمومَ الغدرِ"226

225 محمد جمال عمرو ،،" المدخل إلى أدب الأطفال "،دار البشير للنشر والتوزيع ط عمان ،الأردن.1990.م. ص"106

226 محمد جمال عمرو ،،" أحلى الأنغام"، دولة الأمارات المتحدة ط 1. أبو ظبي.1995م.ص:95.

يكشف هذا المقطع عن تداخل القيمة الإسلامية والحضارية والوطنية في شعر محمد جمال عمرو؛ إذ تتحول شخصية الطفل الفلسطيني إلى رمز للبراءة المهددة، بينما يحضر الأقصى وفلسطين في الخلفية بوصفهما جزءا من الذاكرة الدينية والحضارية. ومن خلال الخطاب الموجَّه إلى الأب، يمنح الشاعر القضية بعدا إنسانيا مؤثرا، ويقربها من وجدان الطفل.

وتتخذ القضية الفلسطينية في هذا العمل بعدًا دينيًا وحضاريًا في الوقت نفسه؛ فالقدس والأقصى لا يقدمان مجرد موضوع سياسي أو تاريخي، بل يظهران باعتبارهما جزءًا من الذاكرة الدينية والثقافية. وقد أشارت مصادر حول أدب محمد جمال عمرو إلى أن فلسطين احتلت مكانة بارزة في شعره، و أنه تناولها في عدد من الأعمال، من بينها درة الأقصى، كما تناول القدس في سلسلة من الأعمال الموجهة إلى الأطفال.

وتتجلى القيمة الحضارية هنا في بناء وعي الطفل بالمكان والذاكرة والانتماء؛ فالكاتب يستخدم الأدب ليجعل الطفل على صلة بقضايا أمته، ويمنحه إطارًا معرفيًا ووجدانيًا لفهم رموز حضارته ودينه. ومن ثم فإن القيمة الدينية تتفاعل مع القيمة الوطنية والقومية والإنسانية، ولا تبقى محصورة في الجانب التعبدي.

التكامل بين القيم الدينية والبناء الفني:

من أبرزسمات التجربة الدينية لمحمد جمال عمرو أن القيمة لا تُقدَّم منفصلة عن الشكل الفني، بل تتفاعل معه. ففي نبع الحنان، مثلًا، توظف القصيدة الإيقاع والتكرارو الصورة الطبيعية واللغة السهلة في نقل المعاني الدينية إلى الطفل. وتشير بيانات الكتاب إلى أن المجموعة تنتمي إلى سلسلة «أحلى الأنغام»، وأن قصائدها اتسمت بلغة سهلة واضحة المعاني ومناسبة للأطفال.

وهذا الأمر يكشف عن وعي الكاتب بمقتضيات الكتابة للطفل؛ إذ إن تبسيط اللغة لا يعني بالضرورة تبسيط الفكرة أو إفراغها من مضمونها، بل يمكن أن يكون وسيلة لإعادة بناء المفهوم الديني بما يتناسب مع القدرة الإدراكية للمتلقي. فالمعنى العقدي، حين يرتبط بصورة العصفور أو المطر أو الزهرة أو الدعاء، يصبح أكثر قربًا من عالم الطفل، ويتحول النص إلى مساحة تجمع بين المعرفة والتخييل. ويتضح التكامل بين القيمة الدينية والبناء الفني في مجموعة "نبع الحنان" من خلال توظيف صور الطبيعة في التعبير عن المعاني الإيمانية، كما يظهر في عناوين قصائد مثل «يا ملهم العصفور» و«أنت الله» و«تسبيحة الأكوان"

ومن هنا يمكن ملاحظة أن الكاتب يعتمد على عدد من الآليات الفنية في نقل القيم الدينية، من أبرزها: التشخيص، والحوار، والتكرار، والصورة الشعرية، واستثمار الطبيعة، والسرد القصصي، والشخصية النموذجية .وهذه الآليات تجعل القيمة الدينية جزءًا من نسيج العمل، لا عنصرًا خارجيًا ملحقا به.

الخاتمة:

تكشف هذه الدراسة عن المكانة البارزة التي تحتلها القيم الدينية في كتابات محمد جمال عمرو، ولا سيما في أدبه الموجَّه إلى الأطفال، حيث استطاع أن يقدّم المضامين الإسلامية في أساليب أدبية تجمع بين وضوح اللغة وجمال التعبيروملاءمة الخطاب لخصائص المتلقي الطفل. وقد تنوع حضورهذه القيم بين الإيمان والعقيدة، والعبادة، والسيرة النبوية، والأخلاق، والقيم الحضارية الإسلامية، ولم ترد في نصوصه بوصفها مضامين تعليمية مجردة، بل تداخلت مع الشخصيات والأحداث والحواروالصورة الشعرية والسرد والمو اقف القصصية.

وتكشف أعماله كذلك عن قدرة واضحة على تحويل المفاهيم الدينية إلى صورومو اقف قريبة من عالم الطفل، بما يعززتفاعله مع النص ويجعل القيمة أكثرحضورًا في وجدانه وسلوكه. كما يتداخل البعد الديني في تجربته مع الأبعاد الأخلاقية والإنسانية والحضارية، ولا سيما في تناوله السيرة النبوية والقضية الفلسطينية والقدس والمسجد الأقصى. ومن ثم، تمثل تجربته نموذجًا لأدب الأطفال الذي يجمع بين القيمة الدينية والبناء الفني، ويجعل الأدب مجالًا لترسيخ الوعي الديني والأخلاقي والثقافي لدى الناشئة.

## النتائج:

عقب استكمال هذه الدراسة وتحليل نماذج مختارة من كتابات محمد جمال عمرو، خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها:

- يعد محمد جمال عمرو من الأسماء البارزة في أدب الأطفال العربي المعاصر، وقد احتلت القيم الدينية مكانة واضحة في جانب مهم من نتاجه.
- تنوعت القيم الدينية في كتاباته، وتجلت بصورة أساسية في "القيم الإيمانية والعقدية، والقيم التعبدية، والقيم المستمدة من السيرة النبوية، والقيم الأخلاقية، والقيم الحضارية الإسلامية"
- أسهمت النصوص ذات المضامين العقدية في ترسيخ مفاهيم الإيمان بالله تعالى، والتوحيد، والرزق، والشكر، والافتقار إلى الله، من خلال صوروأمثلة قريبة من إدراك الطفل.
- لم تقتصر القيم التعبدية على عرض الصلاة والصيام والدعاء والتسبيح، بل ارتبطت بتهذيب السلوك وتحويل العبادة إلى ممارسة ذات أثر في حياة الطفل.
- وظّف الكاتب السيرة النبوية في غرس محبة الرسول ﷺ والاقتداء به، وربطها بقيم الرحمة والتواضع والصدق والأمانة وحسن التعامل.
- ارتبطت القيم الأخلاقية في كثير من نصوصه بجذور إسلامية، ومن أبرزها الصدق والأمانة والرحمة وبر الوالدين والتعاون واحترام الآخرين.

- أسهم حضور القدس وفلسطين والمسجد الأقصى والتراث الإسلامي في إبراز**القيم الحضارية الإسلامية** وتعزيز صلة الطفل بهويته وذاكرته الثقافية.
- اعتمد محمد جمال عمرو على أساليب فنية متعددة في تقديم القيم الدينية، من أبرزها **التشخيص، والحوار، والصورة الشعرية، والتكرار، والسرد، وتوظيف الطبيعة والحيوان.**
- اتسم تقديم القيم الدينية بالبساطة والوضوح والملاءمة لعالم الطفل، مما ساعد على الجمع بين المضمون الإسلامي والجاذبية الفنية.
- لم تكن الوظيفة التربوية للقيم الدينية منفصلة عن مضمونها، بل جاءت بوصفها أثرًا طبيعيًا لها في تنمية الوعي الديني والأخلاقي والوجداني لدى الطفل.
- تكشف تجربة محمد جمال عمرو عن تفاعل واضح بين "القيمة الدينية والبناء الفني والبعد التربوي"، بما يجعل أدبه نموذجًا للأدب الموجَّه إلى الطفل الذي يجمع بين المتعة والقيمة والمعنى.

## المراجع والمصادر:


1. محمد جمال عمرو،،" أحلى الأنغام"، دولة الأمارات المتحدة ط 1. أبو ظبي.1995م.
2. محمد جمال عمرو،،" عاقبة الصابرين"، منشورات وزارة الثقافة، ط 1. عمان ،الأردن.2005م.
3. محمد جمال عمرو،،" زها مواطنة صالحة "، دولة الأمارات المتحدة ط 1. أبو ظبي.1995م.
4. محمد جمال عمرو،،" الطريق إلى التستر"، دولة الأمارات المتحدة ط 1. أبو ظبي.1995م.
5. محمد جمال عمرو،،" الولد المهذب "، منشورات وزارة الثقافة، ط 1. عمان ،الأردن.2003م.
6. محمد جمال عمرو،،،" نسيم الطفولة "، ،دار اليمن للنشر والتوزيع ط عمان ،الأردن.1994.م.
7. محمد جمال عمرو،،،" حكايات من بلادي "، ،دار اليمن للنشر والتوزيع ط عمان ،الأردن.1994.م.
8. محمد جمال عمرو ،،،" الثلاثة الشجعان "، ،مؤسسة بيت الأفكات ط رياض، المملكة العربية السعودية،1999م.
9. محمد جمال عمرو،،،" حكايات السمون والنحوف "، ،دار المناهل للنشر والتوزيع ط عمان ،الأردن.2003.م.
10. محمد جمال عمرو،،" نسعى إلى المستقبل "، الهيئة المصرية العامة للكتابة ط 1. القاهرة، مصر.1990م.
11. محمد جمال عمرو،" حكايات الصفراء للفتيان "، المؤتمن للنشر والتوزيع ط عمان ،الأردن.1999.م.
12. عبد الله لألى " محمد جمال عمرو أمير الشعراء الطفولة بلامنازع"، المؤسسة العربية للدراسة النشر، عمان ،الأردن.2020.م.
13. إبراهيم الكوفاهي "شعر محمد جمال عمرو للأطفال محاور المضمون وجواهر التشكيل الفني" دار المأمون للنشر والتوزيع ط عمان ،الأردن.2013.م.
14. عبد الله لألى " في أدب الطفل العربي"، المؤسسة العربية للدراسة النشر، عمان ،الأردن.2020.م.
15. إبراهيم الكوفاهي "مقابلة مع الكاتب محمد جمال عمرو" ط عمان ،الأردن.2003.م.
16. حيام حمدي العناني "شخصية أدبية : الكاتب والشاعر محمد جمال عمرو" دار المأمون للنشر والتوزيع ط عمان ،الأردن.2013.م.
17. محمد جمال عمرو،،" المدخل إلى أدب الأطفال "،دار البشير للنشر والتوزيع ط عمان ،الأردن.1990.م.

# القصص القرآني : جمال الأسلوب ووظيفة الهداية



د/ عبد الناصر، تي
أستاذ مساعد ، كلية أنوار الإسلام العربية للبنات ،
مونغم بكيرالا ،الهند

**Abstract:-** **This article explores the art of Qur'an in storytelling, one of the most striking manifestations of its rhetorical and aesthetic miracle. It examines the main narrative techniques - plot construction, character portrayal, dialogue, scene, time, ellipsis, and repetition - drawing on the stories of Yoosuf, Musa, Ibrahim, and Maryam peace be upon them. While benefiting from modern narrative theory, it honours the uniqueness of the Qur'anic text. The article concludes that Qur'anic storytelling unites beautiful style with deep meaning. Its artistic devices are never ornamental but serve guidance, reflection, and moral formation. Repeated narratives are not vain repetition but purposeful variation, each rendering suited to its surah's context and message.**

**الملخص :** هذا المقال يتناول طريقة القرآن الكريم في سرد القصص، ويبين أن هذا الأسلوب يعد من أبرز مظاهر الإعجاز البياني والجمالي في القرآن. وهدف المقال التعرف على أهم الخصائص الفنية للسرد القرآني، مثل طريقة بناء الأحداث، وتصوير الشخصيات، والحوار، والمشهد، والزمن، والحذف، والتكرار وما إلى ذلك. وقد تم الاستشهاد بعدد من القصص القرآنية، ومنها قصص يوسف وموسى وإبراهيم ومريم عليهم السلام.

يستفيد المقال من بعض المفاهيم الحديثة في دراسة السرد، مع مراعاة خصوصية النص القرآني. وتوصل إلى أن السرد القرآني يجمع بين جمال الأسلوب وعمق المعنى، وأن الأساليب الفنية التي يستخدمها القرآن لا تأتي لمجرد الجمال، بل تخدم الهداية والتفكر، وتساعد على ترسيخ القيم الإيمانية والأخلاقية. كما أن عرض القصة الواحدة في أكثر من موضع لا يعني تكرارها دون فائدة، وإنما يختلف عرضها بحسب سياق السورة والهدف والمعنى الذي يناسب كل موضع.

**الكلمات المفتاحية :** القرآن الكريم، القصص القرآني، السرد، الأسلوب القرآني، الحوار، التصوير، التكرار، الزمن، الشخصية.

**المقدمة :**القصص القرآني يحتل مكانة مهمة في القرآن الكريم، لأنه يجمع بين جمال الأسلوب والبلاغة، وبين الأهداف الإيمانية والتربوية والإرشادية. فالقرآن لا يذكر القصص لمجرد نقل أحداث وقعت في الماضي، وإنما يستخدمها لتقوية الإيمان، وتنبيه الإنسان، ودعوته إلى التفكير، وبيان سنن الله في حياة الأفراد والمجتمعات.

وتظهر خصوصية السرد القرآني في طريقة اختيار الأحداث وترتيبها، وفي الجمع بين الإيجاز والتفصيل، وفي عرض القصة الواحدة بطرق مختلفة بحسب موضوع السورة وهدفها. ويظهر ذلك بوضوح في قصتي يوسف وموسى عليهما السلام، حيث تختلف طريقة عرض الأحداث من موضع إلى آخر، مع بقاء أصل القصة واحدًا.

يؤيد القرآن أهمية القصص في تحقيق العبرة والتفكر وتثبيت المؤمن، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[227]. والآية تدل على أن القصص القرآني ليس مجرد أخبار عن الماضي، بل يحمل دروسا وعبرا يمكن للإنسان أن يستفيد منها في مسيرة حياته.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة حول أسلوب القرآن في سرد القصص، لنتعرف على كيفية بناء الأحداث والشخصيات، ودور الحوار والمشهد والزمن، وأهمية التقديم والتأخير والتكرار والحذف، وبيان أثر هذه العناصر في بناء المعاني والتأثير في القراء.

**1-القصص القرآني: صدق الخبر وروعة البيان**

يرتبط مفهوم القصص في كتاب الله بمعنى التتبع والإخبار. قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾[228] ، وقال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[229]. وهذا يدل على أن القصص القرآني يجمع بين صدق الخبر ورونق طريقة عرضه وعمق معناه. كما أشار القرآن إلى أن حقيقة القصص بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[230] .

فالقصص القرآني يستند بأحداث حقيقية، لكنه لا يعرضها دائمًا بطريقة تاريخية مفصلة، وإنما يختار من الأحداث ما يناسب المقصد والسياق. ولذلك بعض الأحداث قد يقدم ويؤخر بعضها، ويحذف بعض التفاصيل التي لا يحتاج إليها السياق، كما قد يعرض القصة نفسها في أكثر من موضع بطريقة مختلفة.

وهذا يعني أن القصص القرآني ليس مجرد نقل للأحداث، بل هو بناء سردي متكامل تتعاون فيه الأحداث والحوار والمشهد وطريقة التعبير على إيصال المعنى والتأثير في المتلقي. فالحقيقة التاريخية موجودة، لكن القرآن يعرضها بأسلوب فني يناسب الغاية التي يريد تحقيقها.

---

[227] - سورة يوسف : 111

[228] - سورة القصص : 11

[229] - سورة يوسف : 3

[230] -سورة آل عمران 62

**2-بناء الأحداث في القصص القرآني: دقة في الترتيب ومرونة في العرض**

بناء الأحداث في القصص القرآني يتميز بالدقة والمرونة. فلا يلتزم القرآن دائمًا بذكر الأحداث وفق ترتيبها التاريخي الكامل، وإنما يختار من الأحداث والمشاهد ما يناسب سياق السورة وهدفها. ولذلك يمكن أن تعرض القصة الواحدة في أكثر من مكان بأسلوب مختلف، مع بقاء كنهها ثابتا.

وذلك يظهر بوضوح في قصة موسى عليه السلام، فقد وردت في سور متعددة، وركز كل موضع على جانب معين من القصة يناسب مادة السورة. وهذا يدل على أن الحدث الواحد يمكن أن يعرض من أكثر من ناحية، وأن اختلاف طريقة العرض لا يعني اختلاف الحقيقة.

أما قصة يوسف عليه السلام، فقد جاءت في سورة يوسف في بناء مترابط يبدأ بالرؤيا وينتهي بتحققها. قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[231]، ثم يقول يوسف عليه السلام في نهاية القصة: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[232].

وبذلك تربط الرؤيا بداية القصة بنهايتها. وينتقل السرد من الرؤيا إلى الابتلاء، ثم من المحنة إلى التمكين، حتى تتحقق الرؤيا أخيرا. وهذا يجعل الأحداث مترابطة، ويعطي القصة وحدة واضحة، ويساعد على إبراز الدروس وتطور الشخصية.

**3- الحوار القرآني: بناء الشخصية و إقامة الحجة**

الحوار يعد من أهم الأساليب الفنية في القصص القرآني. فهو لا يستخدم لنقل كلام الشخصيات فقط، بل يساعد على معرفة أفكارها ومواقفها وصفاتها، كما يساهم في تحريك الأحداث وبيان الصراع بين الحق والباطل.

ومن ذلك حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، حيث قال: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾[233]، ويظهر في قول إبراهيم عليه السلام أدبه مع أبيه، وخاصة في استخدامه عبارة "يا أبت"، كما يظهر في السؤال قوة موقفه ووضوح حجته.

ومن أمثلة الحوار أيضًا حوار موسى عليه السلام مع فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[234]. ويكشف هذا الحوار عن تباين موقف الشخصيتين وطبيعة كل منهما. وبذلك يؤدي

[231] -سورة يوسف :4

[232] - سورة يوسف : 100

[233] -سورة مريم : 42

[234] -سورة الشعراء : 23-24

الحوار القرآني وظائف عديدة في الوقت نفسه، فهو يساعد على بناء الشخصية، وتحريك الأحداث، وإقامة الحجج، وتعميق التأثير في نفوس القراء.

**4- الفعل والموقف: منهج القرآن في رسم الشخصيات**

القرآن يعتمد على أفعال الشخصيات ومواقفها في كثير من القصص للكشف عن صفاتها، بدلًا من تقديم وصف طويل ومباشر لها. ولذلك تظهر شخصية الإنسان من خلال ما يفعله وما يقوله وما يمر به من مواقف. ويتضح ذلك في شخصية يوسف عليه السلام، حيث تظهر عفته وصبره وحكمته وأمانته من خلال مواقفه المختلفة. فعندما تعرض للفتنة قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾[235]، ثم تظهر حكمته وأمانته في السجن، وفي تعبير الرؤيا، وفي تدبير شؤون البلد.

وكذلك شخصية موسى عليه السلام تتضح من خلال مواقفه المختلفة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[236]. ففي هذه الكلمات القليلة تظهر حركته، وحالته النفسية، وخيفته وحذره في ذلك الحين.

ومن هنا، يقوم بناء الشخصية في القصص القرآني على الفعل والموقف. وهذا الأسلوب يجعل الصفات واضحة أمام القراء من خلال السلوك، ويحقق الإيجاز وقوة التعبير والتأثير.

**5- الزمن السردي في القصص القرآني: بين الاسترجاع والاستباق والحذف**

الزمن يعد عنصرا مهما في القصص القرآني، لأن القرآن لا يلتزم بالسرد الزمني المباشر دائمًا، بل بحسب السياق والهدف، ينتقل بين الماضي والحاضر والمستقبل. وهذه الطريقة تظهر في قصة يوسف عليه السلام. تبدأ القصة برؤيا تشير إلى المستقبل، ثم يعود سردها إلى أحداث الماضي ليتابع مراحل الابتلاء والتحول، وينتهي بتحقق الرؤيا التي أشار إليها في البداية. وبذلك يجتمع الاستباق والاسترجاع في بناء قصصي مترابط.

وكذلك يستخدم القرآن الحذف الزمني، فيتجاوز بعض الفترات والأحداث الطويلة من غير تفصيل عندما لا تكون هناك حاجة إلى ذكرها. وهذا يجعل السرد أكثر تركيزًا وإيجازًا، ويبعد القراء عن التفاصيل التي لا تخدم المقصد الأساسي.

ومن ثم، فالزمن في القصص القرآني ليس مجرد وسيلة لمعرفة وقت وقوع الأحداث، بل هو عنصر فني يساعد على ترتيب الأحداث، وإظهار التحولات، وإثارة الترقب، وربط بداية القصة بنهايتها.

**6- التكرار بوصفه تنويعا**

---

9- سورة يوسف : 23

[236] - سورة القصص : 21

يعتبر تكرار القصص في القرآن الكريم، ولا سيما قصة موسى عليه السلام، من الظواهر الأسلوبية المهمة. ولكن التكرار في القرآن لا يعني إعادة القصة نفسها بصورة ملائمة في كل مرة، وإنما يعرض القرآن القصة بطريقة تناسب سياق السورة والهدف منها.

ففي أحد المواضع، يركز على قدرة الله، بينما يركز موضع آخر على تثبيت النبي، أو بيان نتيجة التكذيب، أو إظهار الصراع بين الحق والباطل. ولهذا فإن ثبات الحدث لا يعني ثبات طريقة عرضه. وربما يختلف ترتيب المشاهد، ومساحة الحوار، ومقدار التفصيل، والألفاظ المستخدمة بحسب السياق. وبذلك تصبح القصة جزءًا من موضوع السورة، وليس نصًا منفصلًا عنها.

ومن هنا، فإن التكرار القرآني ليس تكرارا من غير فائدة، بل هو وسيلة لإدراج معان جديدة وتوسيع دلالة القصة. فهو يجمع بين وحدة القصة وتنوع طريقة عرضها، ويظهر ثراء الأسلوب القرآني ودقته.

**7- الإيجاز في القصص القرآني: قلة الألفاظ وعمق المعنى**

يعد الإيجاز من أهم الخصائص الأسلوبية في القصص القرآني. فالقرآن لا يذكر جميع التفاصيل الممكنة، بل يختار من الأحداث ما يخدم الهدف ويحقق المعنى.

ومن ذلك قوله تعالى في وصف خروج موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[237] ففي كلمات قليلة تصور الآية حركة موسى عليه السلام، وحالته النفسية، والظروف التي تحيط به. ولا يعني حذف بعض التفاصيل أن القصة ناقصة، بل إن الحذف له وظيفة فنية مهمة. فهو يعطي القارئ فرصة للتفكير والتخيل واستكمال بعض جوانب المشهد. وبذلك يصير القارئ مشاركا في فهم المعنى، وليس مجرد متلق للمعلومات. ومن ثمّ، يجمع الإيجاز القرآني بين قلة الألفاظ وعمق المعنى وقوة التأثير.

**8- الصورة الحركية في القصص القرآني: من الإخبار إلى التجسيد**

القرآن لا يكتفي في سرد القصص بنقل الأحداث بطريقة إخبارية، بل يحولها في مواضع كثيرة إلى مشاهد حية ومتحركة تتفاعل فيها الحركة والكلام والانفعال. ومن ذلك قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾[238]. فالفعل "أوى" يصور حركة الفتية وهم يلجؤون إلى الكهف، ثم يأتي الدعاء ليعطي المشهد حياة وحركة. وكذلك قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[239]، حيث تجتمع الحركة الخارجية مع الحالة النفسية في صورة قصيرة وواضحة.

---

[237] -سورة القصص : 21

[238] -سورة الكهف : 10

[239] - سورة القصص :21

وبذلك يتجاوز القصص القرآني مجرد الإخبار إلى التجسيد والتصوير. فيشعر القارئ كأنه يرى الحدث أمامه، وتتحول المعاني المجردة إلى صور حية واضحة، مما يزيد قوة التأثير في النفوس.

**9- القصص القرآني: من أحداث الماضي إلى خطاب الحاضر**

إن للقصص القرآني سرّا لطيفا، فهو جميل ليُسمَع، وهاد ليُعمَل به. فما حكي لنا إلا لنعتبر، وما صوّر لنا إلا لنتبصّر. والقرآنُ لا يريد أن نعرف فقط إذ يقصّ، بل يريد أن نتغيّر. فالخبر عنده مقدّمة، والهداية ثمرته، والعبرة غايته. ومن قرأ القصص القرآني قراءةَ متدبّر، خرج منها بقلب رقيق، وعقلٍ منير. قال الله عز وجل: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[240]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[241].

وتظهر في القصص القرآني قيم عديدة، مثل الصبر والعفة والعفو والوفاء والتوحيد. وفي المقابل تظهر نتائج الحسد والكبر والطغيان والظلم. ففي قصة يوسف عليه السلام، لا تقتصر العبرة على النجاة من المحن، بل تظهر أهمية الصبر والعفة والتوكل على الله، وكيف يمكن أن يتحول الابتلاء إلى طريق التمكين. وفي قصة موسى عليه السلام، لا تقتصر العبرة على هزيمة فرعون، بل يظهر فيها الصراع بين الحق والباطل، ويتضح أن القوة المادية مهما بلغت لا تستطيع الوقوف أمام إرادة الله. وهكذا يتحول القصص القرآني من أحداث وقعت في الماضي إلى خطاب حي ومتجدد يستطيع الإنسان أن يستفيد منه في واقعه، وأن يتعلم منه الصبر والثبات والتفكر والعمل.

**الخاتمة**

وفي الختام، يتبين لنا أن القصص في القرآن الكريم ليس مجرد أخبار تُروى ولا أحداث تُسرد، بل هو بناء فني متكامل تتضافر فيه عناصر عديدة، من دقة في ترتيب الأحداث ومرونة في عرضها، إلى حوار ينبض بالحياة ويكشف عن الشخصيات ويقيم الحجة، إلى فعل وموقف يرسمان ملامح الشخصية دون وصف مباشر، إلى زمن سردي يتلاعب بالاسترجاع والحذف والاستباق، فمن ذلك كله، ينسج لوحة بديعة. وقد لاحظنا أن التكرار في القرآن ليس تكرارًا من غير فائدة، بل هو تنويع يوسع الدلالة ويثري المعنى، وأن الإيجاز يجمع بين قلة الألفاظ وعمق المعنى، وأن الصورة الحركية تنقل القارئ من مجرد الإخبار إلى المشاهدة الحية والتجسيد. وهذه الأساليب الفنية كلها لم تأت لذاتها، بل جاءت لتخدم مقصدا ساميا هو الهداية والاعتبار وبناء الوعي.

وكذلك يبقى القصص القرآني خطابًا حيًا متجددًا لا يبلى على مر العصور، يستطيع الإنسان في كل زمان ومكان أن يجد فيه ما يهديه ويثبته ويعلمه الصبر والثبات والتفكر. فهو لا يحكي لنا عن الماضي فحسب، بل يفتح لنا نوافذ على الحاضر والمستقبل، ويسوقنا إلى وقفة تأمل مع النفس نستلهم فيها العبر والدروس. فما أحوجنا اليوم، ونحن نحيا في

---

[240] -سورة الأعراف : 176

[241] - سورة يوسف : 111

عصر تتشابك فيه الأحداث وتتسارع فيه المتغيرات، إلى أن نعود إلى هذا المعين الصافي، نغترف منه الهداية والنور، ومنه نتعلم كيف نقرأ الحياة في ضوء سنن الله الثابتة. فالقصص القرآني جميل ليُسمع، وهاد ليُعمل به، وعبرة لأولي الألباب، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

## المصادروالمراجع

1. القرآن الكريم.
2. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، بيروت، مؤسسة الرسالة 1996م
3. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، القاهرة، دار الحديث، 1997م
4. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دمشق، دار الفكر
5. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري.، القاهرة ،دار المعارف

# الأبعاد النفسية والاجتماعية وبنية الشخصيات في رواية "سقف الكفاية" لمحمد حسن علوان:

( دراسة تحليلية نقدية)




بقلم عبد الرشيد[242] إشراف :.د. يونس سليم[243]

---

**Abstract :This critical study highlights the psychological and social dimensions, as well as the character structure, in the novel *Saqf Al-Kifayah* (The Ceiling of Sufficiency) by the Saudi novelist Mohammed Hasan Alwan, considering it a pivotal text that embodies the crises of identity and existential fragmentation in contemporary human experience. The study employs an integrated analytical-critical methodology, drawing on the perspectives of literary psychoanalysis (Sigmund Freud and Jacques Lacan) and socio-cultural criticism (Abdullah Al-Ghathami) to deconstruct the internal conflicts of the characters. The original scholarly contribution of this study lies in presenting an integrated interdisciplinary reading that combines Freudian and Lacanian psychoanalysis with cultural criticism to unravel the relationship between the crisis of the self, narrative space, and implicit social structures. The study concludes that the text deconstructs the authority of traditional cultural norms through the aesthetics of psychological narration, such as stream of consciousness, internal monologue, and non-linear time.**

**Keywords:** ***Saqf Al-Kifayah*** **(The Ceiling of Sufficiency), Mohammed Hasan Alwan, Saudi Novel, Psychoanalytic Criticism, Sigmund Freud & Jacques Lacan, Socio-Cultural Criticism, Identity Crisis & Existential Fragmentation, Stream of Consciousness.**

**المستخلص:** تسلط هذه الدراسة النقدية الضوء على الأبعاد النفسية والاجتماعية وبنية الشخصيات في رواية "سقف الكفاية" للروائي السعودي محمد حسن علوان، باعتبارها نصاً مفصلياً يجسد أزمات الهوية والتشظي الوجودي لدى الإنسان المعاصر .تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي-النقدي المتكامل مع أطروحات التحليل النفسي الأدبي (سيغموند فرويد وجاك لاكان) والنقد الاجتماعي-الثقافي (عبد الله الغذامي) لتفكيك الصراعات الداخلية للشخصيات .وتكمن الإضافة العلمية لهذه الدراسة في تقديم قراءة بينية متكاملة تجمع بين التحليل النفسي الفرويدي واللاكاني والنقد الثقافي، لتفكيك العلاقة بين أزمة الذات والفضاء الروائي والأنساق الاجتماعية المضمرة .وتخلص

---

[242] باحث الدكتوراه ، كلية فاروق ، جامعة كالكوت ، كيرلا ، الهند

[243] الأستاذ, كلية فاروق , جامعة كالكوت ، كيرلا ، الهند

الدراسة إلى أن النص يفكك سلطة النسق الثقافي التقليدي عبر جماليات السرد النفسي كتيار الوعي، والمونولوج الداخلي، والزمن غير الخطي .

**الكلمات المفتاحية :**سقف الكفاية، محمد حسن علوان، الرواية السعودية، النقد النفسي، سيغموند فرويد وجاك لاكان، النقد الاجتماعي-الثقافي، أزمة الهوية والتشظي الوجودي، تيار الوعي

المقدمة والإشكالية والمنهجية

## 1. المقدمة

تتبوأ الرواية السعودية الحديثة موقعاً طليعياً في مدونة السرد العربي المعاصر؛ إذ تجاوزت النمطية التقليدية لتقدم قراءات نقدية جريئة تعكس تحولات المجتمع وتغوص في تمزقات الذات الوجودية. وفي هذا السياق، برزت رواية "سقف الكفاية" لمحمد حسن علوان بوصفها نصاً استثنائياً شكّل نقطة تحول حقيقية في السرد الرومانسي السيكولوجي. لم تكن الرواية مجرد حكاية عشق مأساوي بين (ناصر) و(مها)، بل جاءت مسباراً نقدياً يسبر أغوار النفس البشرية حين تصطدم بجدار التقاليد الجمعية والأنساق الثقافية الصارمة.

نبذة عن الروائي (محمد حسن علوان)

يُعدّ الروائي والقاصّ السعودي الدكتور محمد حسن علوان (المولود في الرياض 1979م) من أبرز الأصوات في السرد العربي المعاصر. حصل على الدكتوراه في إدارة الأعمال الدولية من جامعة كارلتون بكاندا. برز في المشهد الأدبي بإصدار روايته الأولى "سقف الكفاية" (2002م) التي أثارت اهتماماً نقديّاً واسعاً، وتوالت أعماله البارزة مثل "القندس" التي وصلت للقائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية (2013م)، ورواية "موت صغير" الحائزة على الجائزة ذاتها عام 2017م .وتتسم أعماله بالعمق السيكولوجي في تحليل أزمات الذات وشعرية اللغة، إلى جانب تولّية قيادة عدد من الهيئات الثقافية ورئاسة جامعة الرياض للفنون.[244]

## 2. الدراسات السابقة وفجوة البحث

نوعت القراءات النقدية حول رواية "سقف الكفاية" باختلاف المناهج والزوايا؛ ويمكن تصنيف هذه الدراسات في اتجاهين رئيسين:

### أ. القراءات الانطباعية والأسلوبية:

ركزت القراءات الأولى لرواية "سقف الكفاية" -كشهادة غازي القصيبي[245]- على الاحتفاء بالموهبة السردية المبكرة

[244] انظر: الجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر)، سير المشاركين: "محمد حسن علوان"، www.arabicfiction.org ؛ و انظر أيضاً: الموقع الرسمي للروائي www.alalwan.com :

[245] غازي القصيبي، تقديم وتصدير رواية *سقف الكفاية* لمحمد حسن علوان، دار الفارابي / دار الساقي، (انظر أيضاً مقال القصيبي الشهير: "الخليج يتحدث شعراً ونثراً").

والبعد التراجيدي والملحمي في الرواية. كما اتجهت قراءات ونصوص نقدية أخرى إلى تقصي الجماليات اللغوية والبناء الأسلوبي؛ إذ عكس محمد حسن علوان نفسه في طروحاته الصحفية شعرية النثر والتداعي الحر للذاكرة بوصفهما الموجه الأساسي للبناء الروائي [246]، بينما ركزت دراسات نقدية تالية على جماليات المكان والزمن السردي واستعادة الفضاءات الغائبة عبر تقنيات الحنين والهذيان الذاتي[247].

**ب. الدراسات النفسية والاجتماعية:**

تتوزع الأدبيات النقديّة الحافة برواية "سقف الكفاية" بين مقالات سيّارة وقراءات انطباعية تناولت حالة الاغتراب والفقد لدى الشخصية الرئيسية (ناصر)، وركزت بشكل أساسي على التوصيف الظاهري للحزن والانكسار العاطفي وتداعيات التجربة العاطفية في النص.

**ج. فجوة البحث:(Research Gap)**

وعلى الرغم من أهمية المقاربات السابقة، يُلاحظ -في حدود ما اطلعت عليه الدراسة- غياب الدراسات البينية التي تتجاوز التوصيف الظاهري؛ إذ تبرز فجوة بحثية جليّة تتمثل في عدم الدمج بين المستويين السيكولوجي (وفق المفاهيم الفرويدية واللاكانية) والسوسيولوجي (الأنساق الثقافية المضمرة) في تحليل الشخصيات وفضاء الرواية. ومن هنا تصبو هذه الدراسة إلى سد هذه الفجوة عبر منهج تفكيكي متكامل.

**إشكالية البحث**

تكمن إشكالية البحث في تتبع كيفية صياغة النص الروائي لأزمة الاغتراب النفسي والاجتماعي عبر التنازع بين الفرد والسلطة الرمزية للمجتمع. وتتحدد بالسؤال الرئيسي التالي :كيف تجسدت الأبعاد النفسية والاجتماعية وبنية الشخصيات في رواية "سقف الكفاية"، وكيف أسهمت التقنيات السردية الحديثة في تعميق هذا الصراع؟

1. كيف تجسد الصراع النفسي وآليات الفقد لدى شخصيتي "ناصر" و"مها"؟
2. كيف أسهمت الأنساق الثقافية والاجتماعية في توجيه مصائر الشخصيات وقمع الرغبة؟
3. ما دور التقنيات السردية (الزمن النفسي، تيار الوعي، شعرية اللغة) في عكس التشظي الداخلي للذات؟

## 3. العدة النظرية والمنهجية

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي-النقدي (Analytical-Critical Approach) المتداخل مع أطر نظرية محددة:

[246] محمد حسن علوان، "رجل السقف الذي لا يخشى مسافات الحلم والخسارات: تلك المرأة مقلقة للكون بأسره وليس الرجل فحسب"، حوار: عبير البراهيم، جريدة الرياض السعودية

[247] محمد العباس، "قراءة نقدية في البناء السردي والمكاني لـ سقف الكفاية"، جريدة الرياض السعودية، العدد 13019

1. **التحليل النفسي الأدبي** :الاستعانة بمرئيات سيغموند فرويد حول "الحداد والسوداوية[248]"، وطروحات جاك لاكان عن "الرغبة والنقص الرمزي" ومركب.[249](*Objet petit a*)
2. **النقد الثقافي والاجتماعي** :تطبيق مفهوم "الأنساق الثقافية المضمرة" عند عبد الله الغذامي[250] لتفكيك الهيمنة الجمعية.
3. **جماليات السرد** :الاستعانة بأطروحات حسن بحراوي[251] وعبد الملك مرتاض[252] في تحليل الزمان والمكان والبناء الفني.

**الفصل الأول: الأبعاد النفسية وبنية الشخصيات**

## 1. التأسيس النظري: الفقد والسوداوية (فرويد ولاكان)

يتأسس النص على حركية الداخل النفسي. يقدم فرويد تفسيراً لسلوك الذات الساردة ببيانه أن صدمة الفقد العاطفي تحول الذاكرة إلى مسرح للجلد الذاتي؛ حيث يقول" :في السوداوية، ينصبّ ظلّ الموضوع المفقود على الأنا، فيغدو الأنا موضعاً للمحاكمة والجلد النفسي من قِبل سلطة معاقبة"[253].

أما لاكان، فيرى أن "الرغبة" تولد من رحم "النقص الأساسي"، وحين يصطدم الفرد بالنظام الرمزي للمجتمع يحدث ما يسمى الخصاء الرمزي. يوضح لاكان ذلك بقوله" :الرغبة الإنسانية تتشكل دوماً في فجوة النقص، وحين يصطدم الفرد بالقانون الرمزي للمجتمع، يتحول الموضوع المرغوب إلى رمز للغياب المستمر"[254].

### 2. تفكيك بنية الشخصيات

**أ. شخصية "ناصر" (البطل السارد المأزوم):**

يمثل ناصر نموذج الاغتراب الوجودي؛ إذ انقسمت حياته بعد فقد (مها) إلى ذات قاطنة في الذاكرة تستمتع باجترار الألم" :*كنت ساذجاً في حزني كلاسيكياً في اجترار الأوجاع والتعايش معها*."[255] وفي منفاه الجغرافي (فانكوفر)، يكتشف أن تغيير المكان لا يداوي الجراح السيكولوجية" :*جلست أكتب... ولكن يبدو أن أقدار كتابتي صحراوية مهما حدث*،

---

[248] Sigmund Freud, *Mourning and Melancholia*, Standard Edition, Vol. 14, (London: Hogarth Press, 1917), p. 243.

[249].Jacques Lacan, *Écrits: A Selection*, trans. Alan Sheridan (London: Tavistock Publications, 1977), p. 104..

[250] عبد الله الغذامي، *النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، الطبعة الثالثة، (الرياض: المركز الثقافي العربي، 2005)، ص 78

[251] حسن بحراوي، *بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية*، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1990)، ص 134.

[252] عبد الملك مرتاض، *في النظرية الروائية: بحث في تقنيات السرد*، عالم المعرفة، العدد 240، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998)، ص 167.

[253] Freud, *Mourning and Melancholia*, p. 243.

[254] Lacan, *Ecrits: A Selection*, p. 104.

[255] محمد حسن علوان، *سقف الكفاية*، الطبعة الأولى، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002)، ص 23.

*ويبدو أن بعض الأحزان لا تتناسل إلا في مواطنها الأصلية* "[256] ويرتفع مفهوم "سقف الكفاية" لديه ليمتنع عليه استبدال المحبوبة" :*تلك التي ستكفيني بعد أن رفعت أنت سقف الكفاية إلى حد تعجز عنه النساء؟ هذا السقف الشاهق معجزتك معي، ومأساتي معك*[257] ".

وقد أشار غازي القصيبي إلى هذه الملحمية في تقديمه للرواية بقوله: "هذه ملحمة.. والملحمة قصيدة طويلة.. وهذه قصيدة عشق طويلة... استطاع هذا الروائي الشاب أن يحول ملحمة العشق إلى عمل روائي متكامل"[258]. ثم أشار إليها مجدداً بعبارته الشهيرة في كتابه "الخليج يتحدث شعراً ونثراً :"*تمكن هذا الروائي الشاب من أن يحول قصة حب عادية إلى ملحمة كاملة، وكتابة الملاحم ليست بالأمر السهل، ولا هي بالشيء الذي يتكرر كل يوم. لكم البشرى! يولد اليوم روائي موهوب اسمه محمد حسن علوان، تذكروا هذا الاسم، قبل أن يفرض نفسه عليكم فرضاً*[259]"

**سقف الكفاية» بوصفه بنية رمزية للرغبة والفقد**

لا يقتصر مفهوم "سقف الكفاية" في النص على كونه عنواناً عابراً، بل يتحول إلى بنيوية رمزية تختزل أزمة (ناصر) النفسية؛ حيث أضحت "مها" المعيار التأسيسي المستحيل التجاوز. وتتجسد هذه الرمزية في ثلاثة مستويات:

- ❖ المستوى النفسي :استقرار صورة المحبوبة في اللاشعور بوصفها الحد الأقصى لإمكانية الحب.
- ❖ المستوى اللاكاني :تحول المحبوبة إلى رمز للغياب المستمر والخصاء الرمزي، حيث تعجز أي امرأة أخرى عن ملء فجوة النقص.
- ❖ المستوى الرمزي :دلالة "السقف" كعائق يمنع الأنا من التطلع نحو مستقبل عاطفي جديد، مما يعيد إنتاج أزمة الفقد بشكل دائري.

**ب. شخصية "مها" (الغائب الحاضرواغتراب الذات الأنثوية) :**

يمكن قراءة شخصية "مها" في ضوء مفهوم جاك لاكان حول موضوع الرغبة العصي على الإشباع (Objet petit a)؛ فهي تظهر في السرد بوصفها حضوراً مستمراً عبر الغياب. ولم تكن مأساتها مجرد تجربة عاطفية عابرة، بل جاءت تجسيداً لوطأة السلطة الذكورية والقسر الاجتماعي الذي يمارسه النسق الجمعي على الذات الأنثوية. ويتجلى هذا القهر المزدوج عندما تُجبر على التخلي عن عاطفتها والاستسلام لقواعد الزواج التقليدي، حيث يقول السارد واصفاً لحظة توقيع عقد زواجها :"على أوراق ذلك الدفتر، وقعتِ بيدكِ المرتعشة قرار إعدامي[260]"

---

[256] المرجع نفسه، ص 12

[257] المرجع نفسه، ص 18

[258] غازي القصيبي، تقديم رواية "سقف الكفاية "لمحمد حسن علوان، (بيروت: دارالفارابي، الطبعة الأولى، 2002م)، ص 5-6.

[259] القصيبي، غازي .*الخليج يتحدث شعراً ونثراً* .المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003.

[260] محمد حسن علوان، *سقف الكفاية*، الطبعة الأولى، دارالفارابي، بيروت، 2002م، ص 31

يتقاطع هذا الوضع مع ما يطرحه طه وادي بقوله: «إن صورة المرأة المأزومية في الرواية المعاصرة تتشكل غالباً تحت وطأة السلطة الذكورية والقسر الاجتماعي» [261]؛ حيث تُسلب «مها» حرية الاختيار لتبقى ضحية صامتة للتناقض بين رغبتها الذاتية وإكراهات الواقع الجمعي.

**ج. شخصية "ديار" (القرين والسطح المرتد):**

تمارس شخصية "ديار" وظيفة إجرائية تحددها هذه الدراسة بـ "المرآة السيكولوجية[262](Psychological Mirror) "؛ ونقصد بها المساحة الرمزية التي تنعكس عليها أزمات البطل الخفية وتكسر عزله الشديدة عبر التداعي والمواجهة. فهو لا يتحرك كشخصية مستقلة بقدر ما يعمل كسلسلة استرجاع تُسقط عليها الذات الساردة مخاوفها وتناقضاتها: " أدين لديار بأيام طويلة، كان الحزن أولى بي منه فيها، ولكنه انتشلني منه بعنفه، هو الرجل الذي يملأ المكان صخباً إذا أراد، ويقتله صمتاً إذا اشتهى، وأنا سعفة النخيل التي طوّحت بها الريح بعيداً عن أرضها، وهو القادم من الأرض التي تلد النخيل."[263].

**الفصل الثاني: الأبعاد الاجتماعية والاصطدام بالتقاليد**

**1. سلطة المؤسسة التقليدية والأنساق المضمرة**

يؤكد عبد الله الغذامي أن الخطاب السردي يخفي صراعاً بليغاً بين الذات والأنساق الجمعية؛ حيث يقول: إن الأنساق الثقافية المضمرة تمارس هيمنتها عبر القمع الرمزي، حيث تُقاس شرعية الفرد بمدى امتثاله للنموذج الموروث لا بصدق تجربته الوجدانية.[264] وتأكيداً لهذا البعد السوسيولوجي، نجد أن الخطاب الروائي الحديث يعكس بوضوح ذلك الصراع الحاد بين طموح الذات الفردية للتحرر وبين سطوة التقاليد الجمعية التي تحاول استيعاب الفرد وقمع رغبته[265]

يتجلى هذا القمع في مصادرة حق الحب وإجباره على الموت : "خطأ ما وقع، لا ندري أين، لا ندري متى، محا الحب من قائمة المشاعر، وكتبه في قائمة الفضائح، فصار هذا الحب منبوذاً قبل أن يُفهم، مرفوضاً قبل أن يتكلم، ومنفياً خارج

---

261 طه وادي، *صورة المرأة في الرواية المعاصرة*، دار المعارف، القاهرة، 1999م، ص 45.

262 يُقصد بـ "المرآة السيكولوجية" هنا مصطلحاً إجرائياً تبنّته الدراسة لوصف الوظيفة السردية لشخصية (ديار) بوصفه انعكاساً ينطق بالمسكوت عنه في لاشعور الشخصية الرئيسة (ناصر) .

263 علوان، *سقف الكفاية*، ص 291.

264. نُقِل بالمعنى والتصرف عن: عبد الله الغذامي، *النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، الطبعة الثالثة (الدار البيضاء/بيروت: المركز الثقافي العربي، 2005)، ص 18، 85-86.

265 .**نُقِل بالمعنى والتصرف عن :**عبد المحسن طه بدر، *تطور الرواية العربية الحديثة في مصر(1938 - 1870)* ، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار المعارف، 1983م)، ص 50-52، 75-78.

حدود الوطن حتى قبل أن يفكر في التمرد"[266]، وقوله:"لا عجب، في الرياض يعلموننا أحياناً كيف نكون ذكوراً قبل أن يعلمونا كيف نكون إنساً، تكتمل ذكورتنا قبل إنسانيتنا، ويجتهد الجميع في تلقين هذا الدرس، حتى النساء أنفسهن، يربين أولادهن على الذكورة الصرفة، ويوحين للابن منذ طفولته بأنه رجل، لا يجدر به اللعب مع البنات[267]."

**سوسيولوجيا المكان: التضاد بين "الرياض" و"فانكوفر"**

يعتمد النص على الثنائية المكانية النقدية:

- **الرياض (مركز السلطة والرقابة)** :فضاء مشحون بالرقابة الجمعية والجفاف العاطفي" . والرياض هذه الأيام هولوكوست حقيقية، تحشر ملايينها القليلة في أتون الموسم الحار، وتنام مثل سفينة فضائية هائلة، جثمت فوق الصحراء منذ مائة عام، ولم تتحرك حتى الآن، ولكن حتى هذه القائلة القائظة لم تكن لتُسكت شوارعها المزدحمة عن الحركة[268] ."

**فانكوفر (المنفى البارد)** :فضاء يمنح الحرية لكنه يكرس العزلة . "أشعر منذ وصلتُ إلى كندا أن المطر هنا لا يبالي بوجودي، إنه يواصل انهماره منذ ساعات بنفس مستوى الرتابة، وأنا أتقلبُ تحته بألف طقس وطقس دون أن يلقي لي بالا".[269] "لماذا اخترتُ مدينةً مَطِريّةً كهذه، أنا الذي أفتقدُ الدفء كثيراً؟، ولماذا المدينة التي لا أعرف فيها أحداً، ولا أحفظ فيها شارعاً".[270]

تظهر المفارقة المكانية في النص في كون (فانكوفر) منحَت ناصر حرية الفضاء الجغرافي والابتعاد عن رقابة المجتمع، لكنها عجزت عن منحه حرية الذاكرة؛ فصار المنفى الجغرافي امتداداً وحشياً للمنفى النفسي الداخلي، بينما بقيت (الرياض) مسرحاً للأنساق القامعة التي تشكل الوعي الأول للصدمة .

ويتطابق هذا الطرح مع ما يراه حسن بحراوي من: إن الفضاء - وفق هذا التحديد - شمولي، إنه يشير إلى « المسرح » الروائي بكامله، والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقاً بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي .[271]"كما تتفق هذه الدراسة مع الطرح النظري الذي يقدمه **حسن بحراوي**؛ حيث يتجاوز المكان الروائي كونه مجرد خلفية ثابتة تجري

---

[266] علوان، *سقف الكفاية*، ص 20

[267] المرجع نفسه، ص 35

[268] المرجع نفسه، ص 12

[269] المرجع نفسه، ص 87

[270] المرجع نفسه، ص 89

[271] حميد لحمداني، **بنية النص السردي: من منظور النقد الأدبي**، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، 1991م، ص 63.

عليها الأحداث، ليعمل كـ «فاعل حقيقي» يعكس أزمة الشخصية النفسية ويعزز شعورها بالأزمة والاغتراب [272]. يظهر ذلك جلياً في التضاد بين فضاء «الرياض» المكبل بالرقابة، وفضاء «فانكوفر» المنفتح المليء بالعزلة، مما يمنح المكان أبعاداً ديناميكية تشكل وعي الشخصية وحركتها.

**الفصل الثالث: التقنيات الفنية والأسلوب السردي**

**1. تفتيت الخطية الزمنية (الزمن النفسي)**

يحل "الزمن النفسي" محل الزمن التقويمي، حيث يعتمد السرد على تقنية الاسترجاع" :(Flashback) "أحياناً يَعِدُ الماضي، بخرابِ القادم. إنه لا يموت، يظل ينعقُ كالغراب في حجرات الذكرى، حتى يلفت الأنظار."[273]. وهو ما يتوافق مع طرح عبد الله إبراهيم في "موسوعة السرد العربي" الذي يرى أن السرد الحديث يمتلك قدرة فائقة على إعادة تشكيل المرجعيات الواقعية من خلال اختراق وعي الشخصية وتفكيك تعاقب الزمن التقليدي[274]

**2. تيار الوعي والمونولوج الداخلي**

يتحرك السرد وفق التداعي الحر للأفكار؛ حيث يوضح عبد الملك مرتاض ذلك بقوله: إن تقنية 'تيار الوعي' في الرواية الحديثة تُسهم في تجاوز الرقابة الواعية لدى الشخصية، للغوص في أعماق اللاشعور وتداعيات النفس الباطنة[275] يظهر ذلك لدى علوان في روايته «سقف الكفاية» حين تتدفق الأفكار والذكريات لدى الشخصية الرئيسية (ناصر) دون نظام زمني أو منطقي متسلسل، حيث يقول:"...وأنا تأتيني صرخات السيارات المارقة من بعيد رغم أزيز جهاز التكييف المجهد، وشَغَبُ الأفكار المتحالفة مع ارتجالية ذاكرتي"[276]. "وشرذمة أفكار متفاوتة النمو؛ بعضها نطفة، وبعضها علقة، ومضغة، ولحم، وعظام، كانت تمنحني مساحة البوح الشاسع..."[277] وتتجسد تقنية تيار الوعي بصورة أوضح حين تتداخل المشاعر والخواطر العفوية في ذهنه لتلغي منطق الكتابة المترتبة، فيعبر عن حركة اللاشعور

---

[272] انظر بتصرف : حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي: الفضاء - الزمن - الشخصية**، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، 1990م، ص 34.

[273] علوان، *سقف الكفاية*، ص 123.

[274] ينظر: عبد الله إبراهيم، *موسوعة السرد العربي*، الجزء الخامس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2016، ص ص. 98-99، 106-107؛ حيث يلخص هذا المنظور فكرة الباحث حول وظيفية السرد الحديث وتفكيك الزمن ووعي الشخصية

[275] عبد الملك مرتاض، *في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد*، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (سلسلة عالم المعرفة، العدد 240)، 1998م، ص 159-160.

[276] علوان، *سقف الكفاية* ، ص 12.

[277] المرجع نفسه، ص 14.

الباطنة قائلاً: "بوح الكتابة بريء، وجريء، تتلون فيه الهموم الراتيبة، يتمطى ظهر الحزن، ويطقطق القلق أصابعه"[278]

### 3. شعرية اللغة والتشخيص الرمزي

تتجاوز اللغة في هذا النص وظيفتها التقريرية المباشرة لتنعتق في آفاق "اللغة الشاعرية"، حيث تتداخل الاستعارات والرموز لتقوم بتشخيص المعاني الوجدانية وتجسيدها:

**أ) شعرية فعل الكتابة :** "جامحة هي الكتابة التي تستمدّ مدادها من الذاكرة، التي تغمس يراعها في الوجع، التي تشرب من ماء الروح الشحيح بينهم، التي تخرج إلى الحياة، قبل أن أحجز لها مكانا فيها.[279]"

**ب) التشخيص الرمزي للحب والأنثى:** "لم تكوني أنتِ امرأة عادية حتى يكون حبي لك عادياً، كنت طوفاناً يجرف أمامه كل أشجار القلق، وجلاميد الترقب والتروي، كنت قادمة كوجه الفجر الذي يُسقط رهبانية الليل الطويلة، كنت نازلة على جبين الكوكب المهجور، وبين يديكِ ماء، وحياة، ومخلوقات ودورة شمسية جديدة."[280]

**الخاتمة والنتائج(Conclusion & Findings)**

أثبتت الدراسة أن رواية "سقف الكفاية" تجاوزت السرد الرومانسي التقليدي لتغدو وثيقة نقدية تحلل أزمات الذات المعاصرة.

**أهم النتائج:(Key Findings)**

**التلاحم الهيكلي بين الشكل والمضمون** :جاء كسر الخطية الزمنية واستخدام تيار الوعي انعكاساً مباشراً لبنية الصدمة النفسية.(Trauma)

**سلطة النسق و إنتاج الاغتراب** :أظهر التحليل السوسيولوجي أن الأعراف الجمعية حوّلت الحب إلى فضيحة، مما فرض على الذات إما الموت النفسي (مها) أو الهروب نحو المنفى (ناصر).

**رمزية "سقف الكفاية :"**يعبر العنوان عن العجز السيكولوجي عن تجاوز التجربة العاطفية الأولى.

**شعرية اللغة كتمرد** :شكّلت كثافة الاستعارات أداة مقاومة وجودية لاستعادة السلطة على الذات المفقودة.

وتتمثل الإضافة الأساسية لهذه الدراسة في الكشف عن التفاعل الحيوي بين البنية النفسية للشخصيات والنسق الثقافي الجمعي والفضاء الروائي؛ بما يبرز أن أزمة (ناصر) و(مها) ليست مجرد أزمة عاطفية فردية فحسب، وإنما هي نتيجة حتمية لتشابك الرغبة الذاتية مع السلطة الاجتماعية والذاكرة والمكان.

---

[278] المرجع نفسه، ص 14.

[279] المرجع نفسه، ص 13.

[280] المرجع نفسه، ص 9.

**توصيات البحث و آفاق الدراسة:(Research Recommendations)**

بناءً على النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، يوصي الباحث بفتح آفاق بحثية جديدة تُثري دراسة الخطاب السردي لدى محمد حسن علوان والرواية السعودية الحديثة، وذلك من خلال:

1. **دراسة التطور الأسلوبي والسيكولوجي** :إجراء دراسات مقارنة تتتبع التحول الأسلوبي والنفسي في مسيرة علوان الروائية؛ من الغليان الوجداني والفقد الحاد في "سقف الكفاية" إلى الرصانة والتجلي الصوفي في "موت صغير."
2. **السيمياء وتناص الأسماء :(Nominal Irony)** دراسة سيمياء التسمية والمفارقة الضدية في شخصيات علوان الروائية (مثل شخصية "ناصر" المكسورة و"سقف الكفاية") ومدى عكسها لأزمات الذات المعاصرة.
3. **دراسات الترجمة والأدب المقارن** :بحث كيفية انتقال الشفافية الشعرية والغموض الدلالي في نص "سقف الكفاية" إلى اللغات الأجنبية (كالفرنسية والإنجليزية)، ومدى قدرة المترجم على نقل الكثافة العاطفية للنص الأصلي.
4. **توسع الدراسات البينية :(Interdisciplinary Studies)** تشجيع البحوث الأكاديمية على تطبيق المناهج البينية التي تدمج بين اللسانيات العصبية/النفسية والنقد الثقافي لتفكيك الظواهر السردية الحديثة في الأدب الخليجي.

# قائمة المصادر والمراجع

**أولاً: المصدر الأولي(Primary Source)**

- علوان، محمد حسن . سقف الكفاية .الطبعة الأولى، دار الفارابي، 2002.

**ثانياً: المراجع الثانوية(Secondary Sources)**

- إبراهيم، عبد الله .موسوعة السرد العربي ، الجزء الخامس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2016
- بحراوي، حسن .بنية الشكل الروائي: الفضاء - الزمن - الشخصية .المركز الثقافي العربي، 1990...
- الغذامي، عبد الله .النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية .الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، 2005.
- فرويد، سيغموند .الحداد والسوداوية .ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، 1982.
- القصيبي، غازي. "قراءة في 'سقف الكفاية .'"جريدة الشرق الأوسط، العدد 8600، 15 مايو 2002، ص 10.
- ---.الخليج يتحدث شعراً ونثراً .المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003.
- لاكان، جاك .كتابات .(Écrits) ترجمة مصطفى صفوان، دار المعارف، 1980.
- لحمداني، حميد .بنية النص السردي: من منظور النقد الأدبي .الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، 1991.
- مرتاض، عبد الملك .في النظرية الروائية: بحث في تقنيات السرد .عالم المعرفة، العدد 240، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998.
- وادي، طه .صورة المرأة في الرواية المعاصرة .دار المعارف، 1999.

**المو اقع الإلكترونية:(Web Resources)**

- سير المشاركين: محمد حسن علوان ."الجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر)، www.arabicfiction.orgتاريخ الوصول: 4 سبتمبر 2026.
- علوان، محمد حسن .الموقع الرسمي للروائي محمد حسن علوان، www.alalwan.comتاريخ الوصول: 4 سبتمبر 2026

# صورة المرأة في الرواية العربية السعودية نظرة إلى أثير عبدالله النشمي



**وزيره جان،**

**باحثة الدكتوراه، جامعة بابا غلام شاه بادشاه**

**راجوري، جامو وكشمير ، الهند**

Vazeerabgsbu200@gmail.com

**Abstract: The novel holds a prominent position among literary genres because of its ability to portray reality and explore social issues. The representation of women is a major theme in Arabic literature, particularly in the novel, where women's experiences, relationships, and concerns are depicted from diverse perspectives.**

**This study, entitled "The Representation of Women in the Arabic Novel: A Study of Athir Abdullah Al-Nashmi," examines the portrayal of women in selected novels by the Saudi novelist Athir Abdullah Al-Nashmi, including *I Loved You More Than I Should*, *Forgive Me*, *Lost Self*, and others. Despite existing research on some of these works, further study is needed to explore new dimensions of female representation in her fiction. The study focuses on the diverse images of women, including their roles as mothers, wives, and daughters, and investigates how the novelist presents women's lives and experiences within Saudi society.**

## التمهيد:

إن الرواية لها مكانة مميزة بين الأنواع الأدبية المختلفة، حيث أصبح هذا الناتج السردي يحتل قوائم الإصدارات الأدبية من شعر ونثر، حتى أصبحت الناتج السردي بل الأدبي الذي يحتل المكان الأول بالمقارنة مع باقي الأنواع لأنها حملت في جانباتها طاقة تحاورية جعلت الكثير يتخذونها وسيلة للتعبير عن الواقع وما يصدر عنه من أمور ومشاكل فأصبحت الرواية بذلك ديوان الحياة حيث تحولت إلى سرد مفتوح على عوالم المرأة يعالج قضاياها وأوضاعها من حب وزواج وطلاق.

تعد صورة المرأة من الموضوعات البارزة التي تناولها الأدب خاصة الرواية في معالجة قضاياها من حيث مشكلاتها الاجتماعية والفنية، بإعتبارها ظاهرة حساسة ومحور هاما، سجلت حضورا قويا في صناعة التاريخ بمراحل مختلفة.

ومن خلال مؤلفات حيث نالت أهمية كبرى في ميدان السرد والحكي في معالجة قضية المرأة العربية بشكل محفوظ، لأن المرأة كانت ولا زالت الأيقونة التي يلان يمكن الإستغناء عنها خاصة في الرواية العربية، وعاملا مساعدا في إستكمال

أحداثها ومن الكتاب الذين تطرقوا إلى قضية المرأة الروائي "أثير عبد الله النشمي" وذلك من خلال معظم أعماله الروائية كرواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" و "فلتغفري" و"ذات فقد" وغيرها.

وقد عنوانا موضوعا بصورة المرأة في الرواية العربية نظرة إلى أثير عبدالله النشمي لتكون موضوعا لدراستنا محاولين بذلك الكشف عن صورة المرأة من خلالها، رغم وجود دراسات سابقة له كصورة المرأة في رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" و "فلتغفري" و صور أخرى للمرأة في روايات لكتاب آخرين كرواية "ذات فقد" و "في ديسمبر تنتهي كل الأحلام" وغير ذلك، بقدر ما أخذنا الشغف على تتبع صورة جديدة للمرأة في روايات أثير عبدالله النشمي خاصة وأن الدراسة حول كتاباته قليلة.

وقد شكلت المرأة محورا أساسا في الرواية العربية السعودية حيث أصبحت مادة خامة يتنافس عليها كل من الرجل الكاتب والمرأة الكاتبة، أما صورة المرأة في روايات أثير عبدالله النشمي استخرجنا من خلالها صورة المرأة " الأم والزوج والأب والزوجة والطفلة...، ولهذا يمكننا أن نقول حول أثير عبدالله النشمي فقدمت صورة المرأة في رواياتها بشكل بنواحي مختلفة.

**صورة المرأة في الرواية العربية:**

صورة المرأة في الرواية العربية مساحة كبيرة ومؤثرة، فلقد اهتم الروائيون بموضوع المرأة، حيث أخذت صورتها تختلف من أديب إلى آخر، فإن التعرف إلى طبيعة وجودها أساس مهم من الأسس الموضوعية والفنية للرواية، ولعل أفضل مثال على ذلك المكانة التي احتلتها المرأة داخل الخطاب السردي، فهي شخصية روائية مهمة ومقياس للفصل أو الوصل بين مجريات الحياة الاجتماعية والصيرورة الإبداعية، لهذا نجد أن الروائي يسعى إلى إبراز المرأة بصورة مختلفة، وأن حضورها يمثل قضية ما[281].

ومن بين الروايات التي سلطت الضوء على موضوع المرأة رواية "زينب" بمحمد حسين هيكل حيث قدم لنا امرأتين مسلمتين الأولى امرأة مسلمة ريفية بسيطة من الطبقة العاملة "زينب" أما الثانية فهي امرأة مسلمة من الطبقة الأرستقراطية "عزيزة"، وجعلهما متناقضتين ليبرز من خلالهما الفوارق الاجتماعية بين الطبقة الشعبية الكادحة والطبقة الأرستقراطية المرهفة، فالمرأة الأولى زينب فلاحة بسيطة عاملة زراعية، تخالط الرجال أثناء العمل في الحقول تنعم بالحياة، وتنطلق على سجيتها وسط الطبيعة دون رقيب، وفي حرية تامة، أما عزيزة المرأة الأرستقراطية التي تعيش سجينة عزلة والديها لا تخرج منها إلا في حالة الضرورة القصوى، مما يجعلها حزينة عبوسا ضيقة النفس عليلة الروح مريضة على الدوام[282].

ومن هنا يقلب هيكل الأفكار والتصورات فيصور "زينب" بأنها امرأة تتمتع بالحرية، أما "عزيزة" الأرستقراطية هي المرأة الحبيسة مريضة النفس المتشوقة لرؤية نور الشمس وهنا أراد هيكل أن يعرض في روايته آراءه في قضية تحرير المرأة

---

[281] غدير رضوان طوطح، المرأة في روايات سحر خليفة، كلية الأدب، جامعة بيروت، لبنان، 2006م، ص18.

[282] محمد يوسف سواعد، المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة (مصر نموذجا)، دارزهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2010م، ص86.

التي كانت الشغل الشاغل لمعظم المفكرين في مصر في ذلك الوقت، لقد جعل هيكل من "عزيزة" الفتاة بنت التاسعة عشر مصلحا اجتماعيا يعرض قضية تحرير المرأة في مصر، وكأنها محامية ضليعة في مجال حقوق الإنسان.

أما "توفيق الحكيم" فقد قدم صورة النساء وهم في الريف سواء كان ذلك في ورواية "عودة الروح" أو "يوميات نائب في الأرياف" كطبقة دنيا سحيقة، فالمرأة لازالت تخضع لأوضاع اجتماعية مختلفة فهي جاهلة وأمية خشنة وتتمثل هذه المرأة في "أم السعد" وكذلك في المرأة التي استدعيت للتحقيق في حادثة "ريم" وغيرها من نساء الريف، أما المرأة التي تنتمي إلى البرجوازية، فهي لا تقل جهلا وغباء زما زالت تحمل الجواري البيض، وتتمثل هذه المرأة في زوجة المأمور، وامرأة القاض في "يوميات نائب في الأرياف" حيث صورهما الحكيم وهما يتبادلان السباب وهنا تلبس كل واحدة منهما ملابس زوجها وتفتخر به مقالة من أهميته[283].

وكذلك حظيت المرأة بنصيب وافر في رواياته وتحدث عنها بكثير من الإجلال والاحترام الذي يقترب من التقديس فهي تتميز بالإيجابية والتفاعل ولها تأثير واضح في الأحداث ودفع حركة الحياة.

وإضافة إلى نجيب محفوظ الذي اعتبر صورة المرأة في رواياته تعبير عما يزخر به المجتمع من أنماط بشرية، وعلى هذا نستطيع أن نصف صورة المرأة في هذه الروايات إلى ثلاثة نماذج تستقطب الشخصيات التي وردت في هذه الأعمال، وهي في نفس الوقت محصلة لما أفرزه الوضع الاجتماعي للمرأة أثناء الفترة الزمنية التي تصورها هذه الروايات.

إن صورة المرأة الفقيرة تمثلها إحسان شحاتة في القاهرة الجديدة، "نفيسة" في رواية "بداية ونهاية" حيث انتهت علاقاتهن بالقوى الاجتماعية المحيطة بهن إلى السقوط بسب شراسة الاوضاع السيئة التي يعيشها الفرد في المجتمع، وصورة المرأة البرجوازية المتوسطة التي تمثلها "نوال" في رواية "خان الخليلي" و "بهية" في رواية "بداية ونهاية" وكذلك صورة المرأة الأرستقراطية التي تمثلها "كريمة أحمد بيك يسري" في "بداية ونهاية"، وتضيف إلى هذه النماذج صورة الأم التي نرى بداية باهتة لها في "خان الخليلي"، ومن هنا يبدو نجيب محفوظ في روايته وروائي واقعي يصور الواقع تصويرا أمينا، إضافة إلى الوضع الإنساني الذي تعيشه المرأة ككائن بلا كينونة أو إنسان بلا إرادة، فهي مجرد أنثى عندما تصبح زوجة تتحول إلى مصنع لإنتاج الذكور والإناث، وخادمة في البيت وعبدة الزوج[284].

أما الكتابات النسوية العربية، فإن موضوع المرأة من أكثر المواضيع التي أسالت حبر الكثيرات من الأدبيات، وهذا الأمر هلا غرابة فيه، فهي الدعامة الثانية للمجتمع، فمن الواضح أن ظهورها في الكتابات النسوية يختلف اختلافا كبيرا عنه في الكتابات الرجالية.

فقد قدمت الكاتبة سحر خليفة صورة مميزة ومتعددة للمرأة في مختلف رواياتها، فطرحت قضاياها المرأة بكل شفافية وصراحة، حيث صورت المرأة بقوتها وضعفها، بحزنها وفرحها، بإيجابياتها وسلبياتها ومعناناتها في المجتمع

[283] ينظر،محمد الصالح الشنطي، الرواية في أدب توفيق الحكيم، عمان، دار جليس الزمان، ط1، 2010م-2011م.

[284] طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، مطبعة القاهرة الجديدة، ط2، 1970م، ص 254.

الشرقي، وتحت ظل الاحتلال، وتمثل ذلك في شخصية "سعدية" في روايتي" الصبار وعباد الشمس" و "شخصية سعاد" في ورواية "ربيع حار"[285].

فإضافة إلى صورة أخرى مثل: المرأة المثقفة، العامة الأم المومس، المناضلة، الزوجة، وكذلك من خلال شخصية "سمر"فتاة مثقفة ومتعلمة في رواية "باب الساحة" ونجد أيضا شخصية عفاف في رواية "مذكرا امرأة عبر واقعية"[286].

كما تعد المرأة في المملكة العربية السعودية العنصر الأكثر أهمية في المجتمع وينظر إليها على أنها العامل المحوري الأكثر أهمية في البنية الأسرية، ولقد عملت المرأة السعودية في مجتمعها المحافظ المملكة العربية السعودية دورا قويا وفعالا في مجال الحياة الاجتماعية والأعمال الخيرية حتى قامت كل من الأميرتين سارة ولطيفة الفيصل والسيدتين سميرة خاشقجي ومظفر أدهم لبنات أول جمعية خيرية نسائية، أطلق عليها "جمعية المهضة النسائية الخيرية".

إضافة إلى رواية سميرة خاشقجي التي تعكس صوت المرأة اللبرالي وتحسب أن المرأة ممكن لها أن تحقق ذلك من خلال الحب، وتهتم الكاتبة بانشاط في حقوق المرأة ولأسرة معا، وتطالب بحرية المرأة وبتعليمها وحقها ومشاركة الحرية والحب[287].

وهكذا تعتبر المرأة عامل مهما في الأعمال الإبداعية والأدبية خاصة في الرواية، لأن الرواية تصور حياة الشخوص بدقة وبحرية تامة وبكامل التفاصيل.

ومن الروايات السعودية اللتي ساهمن في هذا المجال فمنهم: سميرة خاشقجي، ورجاء عالم، ورجاء الصانع، وأميمة الخميس، وأثير عبدالله النشمي وغيرهم، إن روايات أثير عبدالله النشمي تستحق بجدارة تلك الصدى والشهرة، لأنها ألفت العديد من الروايات العربية، ومن أبرزها هي "أحببتك أكثر مما ينبغي" و "فلتغفري" و "عتمة الذاكرة" و "ذات فقد" و "في ديسمبر تنتهي كل الأحلام"، وجميع روايات حققت نجاحا مميزا، وإقبالا عظيما.

**حياة عن شخصية أثيرعبدالله النشمي:** ولدت أثير عبد الله النشمي الأسعدي العتيبي عام 1984م، بمدينة الرياض ،عاصمة المملكة العربية السعودية، ونشأت وترعرعت في كنف مجتمع عربي وقد يكون أكثر المجتمعات العربية تحفظا كونه موطن الديانة الإسلامية والمركز الرئيسي لكل رموزها وثقافاتها ومعتقداتها، لذلك كانت مستعدة لكل الآراء و الانتقادات كما يتعرض كل كاتب وناقد للنقد والتحجيم ، ينجح أحيانا ويفشل في بعض الأحيان ، لا يطمئنني تقدمه ولا يحبطني تأخره، مثلما لا أتكئ على المديح أنا أيضا لا أتاثر بالتعليقات السلبية، وتلقت تعليمها الإبتدائية والثانوية بها، ودرست علم الاجتماع والتاريخ فيها، بدأت موهبة أثير الأدبية في الظهور في المرحلة الابتدائية ، وكانت أول رواية قرأتها " العنكبوت" لمصطفى محمود، وشغفت بالرواية كأدب منذ ذلك الحين، ثم تميل إلى دراسة روايات ألبير كامو و

---

[285] وائل على فالح الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، عمان، وسط البلد، شارع الملك حسن، الطبعة العربية 2010م.

[286] عبد الغني، مصطفى، نقد الذات في الرواية الفلسطينية، القاهرة: سينا للنشر، 1994م.

[287] صحيفة الخليج، ضمن استعراضها لتاريخ النشائية في الخليج، أكدت أنها رائدة الرواية النسوية في السعودية، بروايتها ودعت آمالي، 1958م.

سفيتلانا أليكسييفيت، وبعد ذلك أيقنت عائلة أثير منذ طفولتها بأن الكتابة هي الطريق التي ستسلكه ابنتهم وأنها سيطهر على المسرح الكتابة ككاتبة شهيرة ومرموقة ، فعاشت أثير حياتها مؤمنة بأن الكتابة هي قدرها[288].

## صورة المرأة في رو ايات أثيرعبدالله النشمي:

تزخر السعودية بالكثير من الكاتبات الأدبيات، والشاعرات المبدعات واللاتي يصلن بمؤلفاتهن إلى آفاق شاسعة وتحظين حدودا بعيدة وأثبتن أنهن قادرات على منافسة شريكهن الرجل في المجال الأدبي، ومن بينهن أثير عبدالله النشمي.

تعد الروائية أثير عبدالله النشمي من إحدى هؤلاء الأدبيات التي ساهمت في هذا الميدان في رواياتها أن تحتل مكانا مرموقا بين الروائيين وتسجل اسمها في قائمة الكتاب الأفاضل في المملكة العربية السعودية، ومن خلال تأليفاتها أنها حاولت أن تكشف الستار عن أحوال المرأة التي تواجهها في المجتمع السعودي، وكذلك أنها سلطت على حقوق المرأة، وأحوال المرأة، والحب، وانتماء الإنسان إلى الوطن، وعلاقة الأبناء مع والديهم وعلاقة البنات مع والديهن وما إلى ذلك.




إتسمت صورة المرأة في الخطاب الروائي العربي الحديث بالتنوع والتعدد، فقد صورها الروائيون في نماذج مختلفة وفي حالات متنوعة بين نظرة سلبية وأخرى إيجابية، فمنهم من كرس نموذج المرأة الفقيرة الأمية المنحلة خلقيا والضائعة اجتماعيا حتى صار هذا النموذج ممجوجا، ومنهم من صورها في صورة المتدينة المتشددة التي تكفر بكل شيئ وتكفر جميع الناس وتربي أولادها على هذا المنهج، ومنها المرأة الغنية المتسلطة، وقد تأرجحت المرأة في نماذجهم بين ثورية واعية وسيلة مغتربة عن مجتمعها ومتمردة على قيمها.

[288] - كاتبة وروائية سعودية أهدت المجتمع العربي والسعودي زبدة إبداعاتها الفكري على شكل روايات.

وصورة المرأة في روايات أثير عبدالله النشمي وهي دون شك صورة قد تختلف عن النماذج السابقة، لأن المرأة عند أثير عبدالله النشمي قد حظيت في معظم رواياتها بقدر جيد من الإحترام والتقدير وإتخذت نماذج أبرزت مكانتها ودورها الحقيقي إلى جنب الرجل لتشاركها رحلة النضال، وتقف معها في معركة الصمود والتحرير.

فالمرأة عموما كانت شديدة الحضور عند أثير عبدالله النشمي، فقد جعلت منها البطلة في أشكال مختلفة في رواياتها كما في رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" حيث كانت جمانة بطلة الرواية دون منازع[289]، وكذلك كانت (جمانة) في رواية "فلتغفري" و (ياسمين)[290] في رواية "ذات فقد" وغيرها من الروايات التي جعلت فيها المرأة بطلة أو شخصية محورية تدور حولها جميع أحداث الرواية.

والحق أن أثير عبدالله النشمي ذكرت جميلة وحسنها وجمالها في عيون قراءها، وذكرت القبيحة وكرهتها في عيون قراءها لتساعد في تثبيت الهدف من رواياتها، وهو إصلاح المجتمع التي تعيش فيها، وذلك بذكر ما في هذا المجتمع من أمراض وعلل ليتنبه إليها الغافل وليبادر إلى إصلاحها العاقل، وما في هذا المجتمع من حسنات وميزات ليتمسك بها الناس ويرعوها.

صورة المرأة في روايات أثير عبدالله النشمي هي تصنع شخوصها من الواقع المحيط بنا والمألوف لدينا، إنها نماذج نقابلها بل نعاشرها أو نتعايش معها في كثير من الأحيان، ولكنها تشكلها بذكاء وتختارها بوعي.

وشخصيات في روايات أثير عبدالله النشمي التي بين أدينا تزخر بالحياة في مجموعها، صحيح أن بعضها يندرج تحت ما تسمى الشخصيات الجاهزة أو المسطحة، ولكننا نعثر على شخصية رئيسة على الأقل في كل رواية تقدم لنا معالمها من الداخل والخارج في حياتها الخاصة والعامة، بحيث نراها بلا أصباغ تتفاعل مع الحياة في حال قوتها وحال ضعفها، إنها شخصية بشرية بكل ما يعتري الشخصية البشرية من تقلبات وتغيرات.

ويمكن أن نعثر على عدد هائل من الشخصيات في روايات أثير عبدالله النشمي ذات ألوان متعددة ومشارب شتى، رجالا ونساءا وأطفالا، من الصالحين أو الطالحين، والخيار والأشرار، وسوف نحاول أن نركز الضوء على أهم هذه الشخصيات وملامحها، من خلال تصنيفها إلى مجموعات متشابهة في السلوك والقيم والأدوار، لنكتشف مدى إتساقها مع الأداء الروائية، ومدى إنسجامها في التعبير عن رؤية الكاتبة.

## الخاتمة:

صورة المرأة في الرواية العربية السعودية العامة وخاصة في روايات أثير عبدالله النشمي، حيث تناولت في رواياتها العديدة المتنوعة، فقدمت صورة المرأة السعودية في رواياتها المختلفة فمثلا: "أحببتك أكثر مما ينبغي" و "فلتغفري" و "ذات فقد" وغيرها، وعرضت فيها أشكال مختلفة، فظهرت الرواية للمرأة هي أساس المجتمع

[289] أثير عبدالله النشمي، رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" دار الفاربي، بيروت، لبنان، 2009م.

[290] أثير عبدالله النشمي، رواية "ذات فقد" دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2015م.

لذا كان من الضروري أن يجسدها الوضع السياسي آنذاك لكن منذ ظهورها الأول اقتحمت الساحة الأدبية، وروايتها هي من أهم الأنواع الأدبية.

فقدمت في رواياتها صورة المرأة حضور قوي بصورة عامة، وبصورة خاصة نزرا للدور الفعال لعبته في المجتمع، ارتبطت الرواية السعودية وخاصة النسوية في نشأتها وتطورها بمعالجة القضايا الإجتماعية وفي مطلعها قضايا المرأة وهمومها ومشاكلها، تعددت صورة المرأة في الرواية كل حسب وضعها وتفكيرها وطبيعتها فكانت صورة المرأة الطفلة، الأمية، والمغتصبة، العانس، الزوجة، وأم الزوجة، فكشفت لنا الروائية معناة المرأة في المجتمع السعودي وخاصة في فترة الاستعمار من خلال رصدها للقهر والحرمان والظلم التي عانت منه المرأة داخل المجتمع بجنسية الأنثوي الذكوري فسلطت الضوء على المرأة الضحية بسبب وحشية المجتمع.

## المصادروالمراجع:

[1] صحيفة الخليج، ضمن استعراضها لتاريخ النشائية في الخليج، أكدت أنها رائدة الرواية النسوية في السعودية، بروايتها ودعت آمالي، 1958م.

[2] طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، مطبعة القاهرة الجديدة، ط2، 1970م، ص 254.

[3] عبد الغني، مصطفى، نقد الذات في الرواية الفلسطينية، القاهرة: سينا للنشر، 1994م.

[4] غدير رضوان طوطح، المرأة في روايات سحر خليفة، كلية الأدب، جامعة بيروت، لبنان، 2006م، ص18.

[5] أثير عبدالله النشمي، رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" دار الفاربي، بيروت، لبنان، 2009م.

[6] محمد يوسف سواعد، المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة (مصر نموذجا)، دارزهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2010م، ص86.

[7] وائل على فالح الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، عمان، وسط البلد، شارع الملك حسن، الطبعة العربية 2010م.

[8] ينظر،محمد الصالح الشنطي، الرواية في أدب توفيق الحكيم، عمان، دار جليس الزمان، ط1، 2010م-2011م.

[9] أثير عبدالله النشمي، رواية "ذات فقد" دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2015م.

[10] كاتبة وروائية سعودية أهدت المجتمع العربي والسعودي زبدة إبداعاتها الفكري على شكل روايات.

# الشيخ أحمد كمال عبد الرحمن الندوي المدني وجهوده العلمية والتربوية في شرق أترابراديش الهند



**د/ عبد الحكيم**

الباحث الأكاديمي والمترجم الهندي

**Abstract:This paper attempts to shed light on the life and legacy of Sheikh Ahmad Kamal Abdul Rahman Nadwi Madani (may Allah have abundant mercy upon him), exploring his birth, early life, and upbringing. It examines his educational, social, and spiritual journey, as well as his significant contributions to the promotion and dissemination of Arabic and Islamic studies through his books, writings, and scholarly articles. The study also highlights his role in establishing Islamic educational institutions and his enduring influence on his students and the wider community. In addition, the paper aims to present a vivid and human portrait of his remarkable personality through real-life experiences and personal observations of the author, who had the privilege of studying at the institution founded and administered by Sheikh Nadwi. Drawing upon these firsthand experiences, the study offers a deeper understanding of his life, educational vision, character, leadership, and scholarly contributions.**

**Keywords: Sheikh Ahmad Kamal Al-Nadwi; birth and early upbringing; higher education; journey to the Islamic University of Madinah; Islamic education; Arabic language; Islamic educational institutions; establishment of schools and institutes; educational influence; da'wah and reform; India.**

**الملخص:** تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على حياة الشيخ أحمد كمال عبد الرحمن الندوي المدني رحمه الله رحمة واسعة، وميلاده وبيان نشأته العلمية، ورحلاته التعليمية والتربوية، وجهوده في خدمة التعليم الإسلامي واللعلوم العربية مع إبراز دوره في تأسيس المؤسسات العلمية الإسلامية، وتأثيره في طلابه والمجتمع المحيط به. كما تحاول الدراسة أن تقدم صورة إنسانية حية لشخصيته الفذة من خلال شهادات وتجارب واقعية عاشها الكاتب بنفسه أثناء فترة الدراسة في المدرسة التي أسسها الشيخ الندوي وأدارها طول حياته.

**الكلمات الرئيسية:** الشيخ أحمد كمال الندوي، المولد والنشأة، التعليم العالي، الرحلة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، التعليم الإسلامي، اللغة العربية، المؤسسات التعليمية الإسلامية، تأسيس المدارس والمعاهد، التأثير التربوي، الدعوة والإصلاح، الهند.

**المدخل:**يعد العلماء والدعاة والمربون والأساتذة المخلصون من أعظم الثروات التي تمتلكها الأمم، لأنهم يحملون رسالة العلم والتوجيه والإصلاح، ويؤثرون في بناء الأجيال وصناعة الوعي الحضاري والفكري. وقد عرفت الهند عبر تاريخها الطويل عدداً كبيراً من العلماء الذين خدموا الإسلام واللغة العربية والعلوم الشرعية، وقاموا بمساهمات جبارة في تأسيس وبناء المدارس والجامعات والمعاهد العلمية في أنحاء البلاد كلها، وكان لهم دور بارز في نشر العلم والدعوة والتربية. ومن بين هؤلاء العلماء البارزين والأساتذة المخلصين والمشائخ العظام الشيخ أحمد كمال عبد الرحمن الندوي المدني رحمه الله، الذي كان واحدًا من الشخصيات العلمية والتربوية المؤثرة في منطقة كسيا بمديرية كوشينغر بولاية أترابراديش-الهند. لقد شكلت وفاة الشيخ الندوي في الرابع والعشرين من أبريل سنة 2026م صدمة كبيرة لطلابه ومحبيه وأبناء المنطقة، لما كان يتمتع به من مكانة علمية وروحية واجتماعية. فقد عرفه الناس عالمًا مربيًا، وإداريًا ناجحًا، وخطيباً مصقعًا، ومؤسسًا لعدد من المؤسسات التعليمية والمدارس الإسلامية التي تخرج منها العديد من طلبة العلم والدعاة. وأن هذه الطلبة الأعزة ما مازالوا يخدمون الدين والملة في أنحاء العالم كله. فنظرًا إلى أهمية هذا الموضوع، قد قسمت هذه المقالة المتواضعة إلى مبحثين، تناولت في المبحث الأول مولده ونشأته مسيرته العلمية والأدبية والثقافية وأما المبحث الثاني فقد ألقيت الضوء على جهوده التعليمية والتربوية في شمال ولاية أترابراديش بالهند كما أبرزت أثره الاجتماعي والدعوي في المجتمع الإنساني، وفي الأخير ختمت المقالة بخلاصة لأبرز النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة.

**المبحث الأول: مولده ونشأته العلمية**

وُلد الشيخ أحمد كمال عبد الرحمن الندوي المدني رحمه الله في شهر فبراير عام 1949م في قرية سيمرا هردو كتكوئيا التابعة لمنطقة بادراونا بمديرية كوشينغر في ولاية أترابراديش الهند. وكانت هذه البيئة الريفية البسيطة ذات طابع ديني محافظ، وأن هذا الأمر الذي ساهم في تكوين شخصيته العلمية والدينية منذ طفولته الأولى، وقد نشأ وترعرع نشأة دينية صالحة تقية، ولقد تقلب في أعطاف العلم منذ نعومة أظفاره إذ كان أبوه عبد الرحمن ورجلاً دينيًا معروفًا بالصلاح والتقوى والفروق عن المنكرات والأعمال التي لا علاقة لها بالإسلام عن بعيد، فاتضح من ذلك كله أنه نشأ في أسرة دينية علمية لها صيت وفضل كبير في الأوساط العلمية والأدبية والثقافية في مديرية كشي نغر بولاية أترابراديش الهند.

تلقى الشيخ الندوي تعاليمه الأولي على يد والده الكريم، فحفظ المبادئ الأساسية للعلوم الإسلامية واللغة العربية، ثم توجه بعد ذلك إلى المؤسسات العلمية المعروفة في المنطقة طلباً للعلم والمعرفة. وقد ظهرت عليه منذ صغره علامات الذكاء والجد والاجتهاد، فكان محبًا للقراءة والبحث والتحقيق، وكان شديد الحرص على الاستفادة من العلماء والمشائخ والصوفياء الكرام. قد التحق الشيخ بعد ذلك بجامعة الرشاد بأعظم جراه، حيث درس العلوم العربية

والإسلامية على أيدي نخبة من الأساتذة والعلماء المعروفين آنذاك. وقد كانت هذه المرحلة من أهم مراحل تكوينه العلمي، إذ أتاحت له التعمق في دراسة اللغة العربية وعلوم الشريعة، كما ساعدته على صقل مواهبه الخطابية والإدارية.

ثم واصل رحلته العلمية فالتحق بـ دار العلوم التابعة لندوة العلماء، وهي من أبرز المؤسسات العلمية الإسلامية في الهند، وحصل منها على شهادة العالمية عام 1968م، ثم نال شهادة الفضيلة عام 1970م. وقد تأثر خلال هذه المرحلة بالمنهج الفكري والعلمي لعلماء الندوة، القائم على الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع وبين الدين الخالد الذي لا يتغير والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم والعناية باللغة العربية وآدابها. وبعد تخرجه من دار العلوم لندوة العلماء، تم ابتعاث الشيخ أحمد كمال الندوي إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث واصل دراساته العليا في العلوم الإسلامية واللغة العربية. وكانت هذه المرحلة نقطة تحول كبيرة في حياته العلمية والفكرية، إذ قد التقى بعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، واستفاد من البيئة العلمية المزدهرة في المدينة المنورة. درس الشيخ في الجامعة الإسلامية سنوات عديدة، وتخرج فيها عام 1984م، كما التحق بمعهد تدريب الأئمة والدعاة بمكة المكرمة، وتحصل على شهادة متخصصة في التدريب اللغوي والدعوي والفكري العميق. وقد مكّنته هذه الدراسات من اكتساب مهارات عالية في الإلقاء والخطابة والتدريس.

وكان الشيخ الندوي يتميز بإتقان اللغة العربية إتقانًا كبيراً، حتى إن من يسمعه يتحدث بها يظن أنه عربي الأصل، لما كان يتمتع به من فصاحة وسلامة لغوية وطلاقة في التعبير. وقد انعكس ذلك على أسلوبه في التدريس والخطابة، حيث كان يلقي المحاضرات والخطب باللغة العربية الفصحى بصورة مرتجلة وطبيعية. ورغم ما وفرته له المملكة العربية السعودية من فرص علمية ومكانة اجتماعية، ظل قلبه متعلقاً بوطنه الهند، يحمل هموم أبناء بلده، ويفكر في كيفية خدمتهم علميًا وتربويًا. ولذلك أراد أن يرجع إلى الهند بعد تفكير طويل إيمانًا منه بأن خدمة المجتمع المحلي ونشر العلم بين أبناء وطنه رسالة عظيمة لا تقل أهمية عن أي منصب أو مكانة خارج البلاد.

**المبحث الثاني: جهوده التعليمية والتربوية في الهند**

عاد الشيخ الندوي إلى الهند وهو يحمل مشروعًا علميًا وتربويًا واضح المعالم، فبدأ عمله في جامعة الرشاد بأعظم جراه تحت إشراف الشيخ مجيب الله الندوي رحمه الله، حيث تولّى تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية سنواتٍ طويلة. وقد عُرف خلال تلك المرحلة بالنشاط والاجتهاد والإخلاص في العمل، فلم يكن مجرد مدرس يؤدي واجبه الوظيفي، بل كان مربّيًا وموجّهًا ومصلحًا اجتماعيًا يسعى إلى إعداد جيل صالح يجمع بين العلم والأخلاق النبلية الحسنة، ومازال يكتب المقالات في اللغتين العربية والأردوية في المجلات والصحف الأردية والعربية المحلية.

ومن أبرز إنجازاته التعليمية مشاركته الفاعلة في تأسيس جامعة عمر الفاروق بكسيا عام 1994م، وهي مؤسسة تعليمية أصبحت فيما بعد من المدارس المعروفة في مديرية كوشينغر بولاية أترابراديش الهندية. وقد بذل الشيخ جهودًا

عظيمة في تأسيس هذه المؤسسة، فلم يقتصر دوره على الإدارة والتخطيط، بل كان يشارك بنفسه في أعمال البناء والتنظيم، ويحمل الطوب مع الطلاب أثناء تشييد المسجد الجامع داخل الحرم التعليمي.

ولم يكن الشيخ يرى الإدارة منصبًا للتشريف أو الوجاهة، بل كان يعدّها مسؤولية وخدمة، ولذلك ظل قريبًا من الطلاب، يعيش همومهم اليومية، ويتابع أحوالهم الدراسية والتربوية باهتمام بالغ.

وقد شهد الكاتب بنفسه جانبًا من هذه الجهود أثناء دراسته في المدرسة عام 2000م، حيث كان الطلاب والأساتذة يشاركون في أعمال البناء، بينما كان الشيخ الندوي يعمل معهم بجد واجتهاد دون تكلف أو تردد. ويذكر الكاتب أنه التحق بهذه المدرسة في الصف الثالث الثانوي، ودرس فيها قرابة سنتين، وتتلمذ خلالها على أيدي عدد من الأساتذة الأفاضل، منهم: المولانا مستقيم المفتاحي رحمه الله، والمفتي علاء الدين المفتاحي، والأستاذ تفضل الحق، والأستاذ ناصر الدين الندوي، والأستاذ إكرام الحق الندوي، وغيرهم كثير. وقد كان هؤلاء الأساتذة مثالًا للإخلاص والإتقان في تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية. وقد توفي بعضهم، ولا يزال بعضهم على قيد الحياة، نسأل الله تعالى أن يحفظ الأحياء منهم، ويرحم من توفي، ويجعل الجنة مأواه.

ويذكر الكاتب أيضًا أنه في الأيام الأولى من التحاقه بهذه المدرسة زار بيت الشيخ الندوي، فاستقبله بحفاوة، وسأله عن اسمه والولاية التي قدم منها، ثم جلس معه مدة طويلة يتحدث عن الدراسة وأحوال الطلاب، مما ترك أثرًا عميقًا في نفسه. وقد قدّم له التمر فأكل منه بسرور وطمأنينة، فرأى فيه رجلًا مهيبًا كريم الأخلاق، قوي الشخصية، تبدو عليه سمات الوقار والعلم. وكانت له لحية كثيفة وهيئة عربية جميلة، ولم يكن يفارق العمامة والجبة في أكثر أوقاته، فلا يكاد يخرج إلى الناس إلا بهما.

وكان رحمه الله يتمتع بمواهب علمية وإدارية متميزة؛ فكان خطيبًا بارعًا وواعظًا مؤثرًا، يدعو الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة بأسلوب حكيم ولغة عربية فصيحة. وكان إذا تحدث بالعربية ظنه السامع عربيًا أصيلًا، لما امتاز به من طلاقة اللسان وحسن الأداء وصفاء اللهجة. ولا يزال الكاتب يذكر خطبته المرتجلة يوم الجمعة في مسجد عمر الفاروق، حيث كان يخطب بالعربية الفصحى بطلاقة وقوة، حتى إن السامع لا يشعر بأنه عالم نشأ في ربوع الهند، بل يظنه أحد علماء البلاد العربية.

ورغم أن الكاتب درس في تلك المدرسة، فإنه — وللأسف — لم يتمكن من الاستفادة الكاملة من الشيخ بسبب الظروف التي مرت بها المؤسسة آنذاك. فقد كان الشيخ يلقي أحيانًا كلمات بعد صلاة المغرب، فيستمع الطلبة إليه بإعجاب وتأثر. وذات مرة، في عطلة رمضان، بينما كان الكاتب يستعد للعودة إلى بيته، سمع من بعض الأساتذة أن المدرسة ستُغلق، وأن الشيخ قد استقال من جميع مسؤولياته بسبب خلافات حادة وقعت بينه وبين بعض القائمين على المؤسسة، الأمر الذي اضطره إلى ترك المناصب التي كان يتولاها منذ تأسيس المدرسة.

ويؤكد الكاتب أنه شاهد على أن جامعة عمر الفاروق قد بُنيت بجهود الشيخ الندوي وتضحياته منذ عام 1994م، كما يذكر جيدًا أنه كان يشارك مع زملائه في أعمال البناء، يحملون الطوب ويعملون في تشييد المسجد الجامع داخل الحرم، بينما كان العرق يتصبب من أجسادهم طوال النهار. وقد رأى بعينيه الشيخ أحمد كمال الندوي يحمل الطوب الأحمر مع الطلاب بنفسه، يعمل بجد واجتهاد دون تكبر أو تردد، فكان قدوة لهم في التواضع والعمل والتفاني.

وقد امتاز الشيخ أحمد كمال الندوي بعدد من الصفات التي جعلته محبوبًا لدى طلابه والمجتمع المحيط به. فقد كان رجلًا ذا شخصية قوية وهيبة ظاهرة، طويل القامة، كث اللحية، يلبس العمامة والجبة بصورة دائمة، مما كان يضفي عليه وقار العلماء وهيبتهم. كما كان معروفًا بالكرم وحسن الاستقبال، إذ اعتاد استقبال الطلاب في بيته، والسؤال عن أحوالهم وأماكن قدومهم، وتشجيعهم على مواصلة طلب العلم.

وكان الشيخ يتمتع كذلك بقدرات خطابية متميزة، فكان يخطب في يوم الجمعة باللغة العربية الفصحى بطلاقة نادرة، ويعظ الناس بأسلوب مؤثر يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية. وقد اشتهر بخطبه المرتجلة التي كان يلقيها دون تكلف، مع قوة في التعبير وسلامة في اللغة.وكان شديد الاهتمام باللغة العربية وآدابها، ولذلك حرص على تعليم الطلاب كتب الأدب والإنشاء والقراءة العربية، إيمانًا منه بأن اللغة العربية هي مفتاح العلوم الإسلامية وأساس فهم التراث الشرعي فهمًا صحيحًا.

**تأسيس جامعة رحمانية رحمان نغركسيا كوشي نغر**

شهدت حياة الشيخ الندوي مرحلة صعبة عندما وقعت خلافات إدارية بينه وبين بعض المسؤولين في جامعة عمر الفاروق بكسيا، الأمر الذي أدى إلى استقالته من المؤسسة التي كان أحد أبرز مؤسسيها. وقد أحدث هذا الخبر صدمة كبيرة بين الطلاب، لأن الشيخ كان يمثل العمود الأساسي للمؤسسة من الناحية العلمية والتربوية. وبعد فترة قصيرة أسس الشيخ مؤسسة جديدة في قرية سيمرا تحت اسم جامعة رحمانية رحمان نغر.

كانت بداية المؤسسة متواضعة جداً، فلم يكن هناك عند افتتاحها سوى قطعة أرض خالية، بينما كان الطلاب يقيمون في بيت الشيخ محيي الدين، شقيق الشيخ أحمد كمال الندوي. أما الدراسة فكانت تتم في المسجد الجامع القريب من القرية. وعلى الرغم من هذه الظروف الصعبة، واصل الشيخ العمل بإصرار وعزيمة، حتى تم بناء المدرسة خلال فترة قصيرة، وأصبحت لاحقاً من المؤسسات العلمية المعروفة في المنطقة. ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الندوي كان ينتقل يومياً بين كسيا وسيمرا رغم مشقة السفر متابعةً لأعمال البناء والتنظيم والتدريس، مما يعكس مدى إخلاصه وتفانيه في خدمة التعليم والتربية.

**دوره في تعليم الطلاب وتربيتهم**

لم يكن الشيخ الندوي مجرد مدير أو مؤسس مؤسسة تعليمية دينية، بل كان معلمًا حقيقيًا عاش مع طلابه داخل الصفوف الدراسية، وشاركهم رحلتهم العلمية والتربوية.

وقد درس الكاتب على يديه عددًا من الكتب العربية والإسلامية، منها:

- القراءة الراشدة للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي.
- معلم الإنشاء الجزء الثاني للأستاذ عبد الماجد الندوي
- مختارات من أدب العرب للعلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي
- نصوص من "الحماسة" لأبي تمام.
- تفسير القرآن الكريم.
- القصص النبيين الجزء الثالث والرابع للعلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي
- المنثورات للعلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي

وكان الشيخ يهتم بطريقة التدريس اهتمامًا كبيرًا، فيحرص على شرح النصوص بأسلوب واضح، ويربط بين اللغة والأدب والحياة الواقعية. كما كان يشجع الطلاب على التحدث باللغة العربية داخل المدرسة، حتى أصبحت العربية لغة حية في البيئة التعليمية التي أنشأها. ومن أبرز ما تميز به في تدريسه اهتمامه بالتربية والأخلاق إلى جانب العلم، فكان يغرس في الطلاب قيم الإخلاص والتواضع وخدمة المجتمع.

وإلى جانب عمله التعليمي، كان الشيخ الندوي نشيطًا وفاعلاً في المجال الدعوي والاجتماعي. فقد كان يخطب في المساجد المختلفة الواقعة في المنطقة، ويشارك في المؤتمرات والندوات، ويعبر عن آرائه في القضايا الاجتماعية والوطنية عبر وسائل الإعلام. وكان يحمل هموم الأمة الإسلامية، ويدعو دائماً إلى الإصلاح والوحدة والتعاون بين أبناء المجتمع. كما كان يؤكد على أهمية التعليم في نهضة المسلمين وتقدمهم. وقد تركت شخصيته المعتدلة وأسلوبه الحكيم أثراً كبيرًا في الناس، فأصبح مرجعًا دينيًا واجتماعيًا لكثير من أبناء المنطقة.

**وفاته**

في الرابع والعشرين من أبريل سنة 2026م الموافق السادس من ذي القعدة 1447هـ، توفي الشيخ أحمد كمال الندوي إثر نوبة قلبية بعد معاناة مع المرض استمرت عدة أشهر، عن عمر ناهز الثامنة والسبعين عاماً. وقد انتشر خبر وفاته بسرعة بين طلابه ومحبيه داخل الهند وخارجها، خاصة بين خريجي المدارس التي أسسها أو عمل فيها. وشعر الجميع بحزن عميق لفقدان عالم ومربٍّ أفنى حياته في خدمة العلم والدعوة. لقد مثّل رحيل الشيخ خسارة كبيرة للمجتمع العلمي والتربوي في منطقة شرق أترابراديش، لكنه ترك وراءه إرثًا علميًا وتربويًا عظيمًا يتمثل في المؤسسات التي أسسها، والطلاب الذين تربوا على يديه، والأفكار التي نشرها في المجتمع.

ولقد ترك الشيخ الندوي وراءه سبعة أبناء وسبع بنات، أما الأبناء فهم الحافظ والمقرىء عبد العلي الرحماني، والأخ أبو دجانة أحمد الرحماني، والأخ وزميلي في الدرس الأستاذ خالد أحمد مكي الندوي، والأخ محمد أسامة الرحماني، والأخ مصعب أحمد، والأخ محمد أحمد، والأخ مسعود أحمد وزوجة صالحة عمرها 65 حفظها الله من كل سوء.

**الخاتمة**

يتضح من خلال هذه الدراسة أن الشيخ أحمد كمال عبد الرحمن الندوي المدني رحمه الله كان واحداً من العلماء المخلصين الذين جمعوا بين العلم والعمل والتربية والدعوة. فقد كرّس حياته لخدمة الإسلام واللغة العربية والتعليم، وأسهم في إنشاء مؤسسات علمية خرّجت أجيالاً من الطلاب والدعاة. كما تميز بشخصية قوية، وأخلاق رفيعة، وقدرات علمية وإدارية كبيرة، جعلته يحظى بمحبة الناس واحترامهم. ولم يكن تأثيره مقتصرًا على المجال التعليمي فقط، بل امتد إلى الجوانب الاجتماعية والدعوية والفكرية. ورغم رحيله، فإن آثاره العلمية والتربوية ستبقى حية في نفوس طلابه ومحبيه، وستظل المؤسسات التي أسسها شاهدة على جهوده وإخلاصه. نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يجعل ما قدمه في ميزان حسناته، وأن يرزق طلابه ومحبيه الصبر والسلوان، وأن يهيئ للأمة الإسلامية علماء ومربين يواصلون مسيرة العلم والإصلاح.

**.إنا لله و إنا إليه راجعون**

## المصادروالمراجع:

1. البعث الإسلامي، العدد السابع، المجلد الثاني والسبعون، الصادرة من دار العلوم لندوة العلماء، لكناؤ-الهند.
2. الندوي، أحمد كمال، تأثرات، الجزء الأول، الناشر: مكتبة رحمانية، رحمان نغر سيمرا هردو كتكوئيان كشي نغر، أترابراديش الهند، بدون سنة الطباعة.
3. قد حصل الكاتب على بعض المعلومات عبر التواصل الاجتماعي من ابنه البار الأستاذ محمد أحمد الرحماني.

# تمثلات الموت في روايات بشير مفتي الجزائري

**فوزية موژين**



**باحثة الدكتوراه تحت إشراف:**

**الأستاذ مشارك الدكتور شكيب كي تي**

**بكلية أنوار الإسلام ،**

**مونغام، التابعة لجامعة كالكوت، الهند.**

**Abstract: This study aims to examine the representation of death in the novels of Bachir Mufti and its role in constructing events and characters. In his novels, death is not limited to the end of physical life but is also associated with psychological and social suffering and conflicts arising from harsh political and social conditions. The study examines physical death, including murder, suicide, and natural death, as well as sympolic death, reflected in the loss of conscience and the decline of human values. It also explores the motives for killing, such as power struggles, revenge, and material interests, and connects the theme of death to Algerian reality, particularly the Black Decade and the violence and human tragedies it witnessed**

**Keywords: Representations of death, Algerian novels, Bachir Mufti, physical death, symbolic death, the Black Decade.**

**الملخص**: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن تمثلات الموت في روايات بشير مفتي ودوره في بناء الاحداث والشخصيات. فالموت في رواياته لا يقتصر على نهاية الحياة الجسدية,بل يرتبط أيضا بالمعانات النفسية والاجتماعية والصراعات الناتجة عن الظروف السياسية والاجتماعية القاسية. وتتناول الدراسة أشكال الموت المادي, مثل القتل والانتحار والموت الطبيعي, والموت المعنوي الذي يظهر في فقدان الضمير وتراجع القيم الانسانية. كما تبحث في دوافع القتل, كالصراع على السلطة والرغبة في الانتقام والمصالح المادية, وتربط موضوع الموت بالواقع الجزائري, ولا سيما العشرية السوداء وما شهدته من عنف ومآس إنسانية.

**الكلمات المفتاحية:** تمثلات الموت, الرواية الجزائرية, بشير مفتي, الموت المادي, الموت المعنوي, العشرية السوداء.

**مقدمة :** يعد الموت من القضايا الإنسانية التي شغلت فكر الإنسان منذ القدم، لما يرتبط به من تساؤلات حول الحياة والوجود والمصير. وقد اهتم به الفلاسفة والأدباء والشعراء، فعبّر كل منهم عنه بطريقته الخاصة، سواء من خلال التأمل في معناه أو تصوير أثره في حياة الإنسان. ولم يقتصر حضور الموت في الأدب على كونه نهاية للحياة، بل أصبح وسيلة للتعبير عن المعاناة الانسانية والصراعات النفسية والاجتماعية التي يعيشها الإنسان. وفي الرواية الجزائرية المعاصرة، يكتسب الموت أبعادا تتجاوز معناه المباشر، إذ يرتبط في كثير من الأحيان بالواقع التاريخي والاجتماعي وبالتجارب الإنسانية التي عاشها المجتمع الجزائري. ويبرز هذا الجانب بوضوح




في أعمال عدد من الروائيين الذين اتخذوا من الكتابة وسيلة لفهم الماضي والتعبير عن أدوات الحاضر. ويأتي بشير مفتي من الروائيين الجزائريين الذين تناولوا هذه القضايا في أعمالهم الروائية. فالموت في رواياته ليس مجرد حدث ينتهي عنده مصير الشخصيات، بل يتداخل مع تجاربها النفسية والاجتماعية، ويكشف عن جوانب مختلفة من الواقع الذي تعيشه. كما تتعدد دلالاته من رواية إلى أخرى، تبعا لطبيعة الأحداث والشخصيات وسياقات التي تتحرك فيها. من هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى البحث في تمثلات الموت في روايات بشير مفتي، من خلال الوقوف على كيفية توظيفه في بناء الأحداث وتشكيل الشخصيات وإبراز الدلالات الفكرية والإنسانية. كما تحاول الدراسة الكشف عن العلاقة بين الموت والواقع الاجتماعي والتاريخي، وبيان دوره في التعبير عن المعاناة الفردية والجماعية.

**مفهوم الموت:** يعد الموت النهاية الحتمية لحياة كل كائن حي، وهو حقيقة لا يستطيع الإنسان الهروب منها. وقد ورد في لسان العرب في مادة (موت) "الموت خلق من خلق الله تعالى. غيره الموت والموتان ضد الحياة. والموات، بالضم: الموت مات يموت موت"[291] يفهم من ذلك أن الموت هو نقيض الحياة، إذ تتوقف عنده وظائف الجسم نتيجة خروج الروح منه، وينتقل الإنسان من العالم الدنيوي إلى العالم الأخروي.

منذ القدم، ظل الموت من أكثر الحقائق التي تشغل تفكير الإنسان وتثير تساؤلاته، فهو نهاية لا مفر منها، سواء أكانت تأتي بصورة مفاجئة أم بعد حياة طويلة. وقد ينظر إليه الإنسان باعتباره خاتمة الحياة وبلوغها غايتها، لكنه في الوقت نفسه يمثل إحدى أصعب التجارب التي يواجهها الإنسان، لما يحمله من رهبة وقسوة، ولأنه يكشف له حقيقة وجوده وحدود قدرته على مواجهة المصير المحتوم.

وهكذا يصبح الموت اختبارا حقيقيا لقيمة الإنسان، رغم ما يحيط به من غموض وصعوبة. ولم يقتصر التفكير في الموت على عامة الناس، بل كان موضوعا أساسيا في تأملات الفلاسفة والمفكرين منذ العصور القديمة، حيث اختلفت آراؤهم في تفسيره وفهم معناه. ومن هذا المنطلق، ارتبط الموت في الفكر الفلسفي بأسئلة الوجود وطبيعة النفس و إمكانية الخلود.

**تمثلات الموت في روايات بشير مفتي:** تتسم روايات بشير مفتي بوعي سردي واضح، إذ يسعى الكاتب إلى توظيف الواقع الإنساني بأسلوب فني يكشف أبعاد الوجود الإنساني. ويظهر الموت في أعماله بوصفه عنصرا أساسيا يرتبط بمصائر الشخصيات وتجاربها، حيث تعيش معظم الشخصيات الروائية صراعات متعددة، وتنتهي أحيانا إلى مواجهة الموت أو الإحساس بقسوته. وقد ارتبطت شخصياته في كثير من الأحيان بمصير مأساوي،سواء أكانت قاتلة أم مقتولة. وفي تصويره لفترة العشرية السوداء، يحاول الروائي تجاوز قيود الواقع المأزوم من خلال الإبداع، لأن الإنسان لا يستطيع أن يظل مستسلما لحدود القهر، بل يمكنه أن يتخطاها عن طريق الكتابة والتعبير الفني. ومن هذا المنطلق، يصبح الإبداع وسيلة لمواجهة القهر وتجاوزه، كما يشير إلى قدرة الكاتب على مقاومة الواقع المفروض عليه. وقد مثّلت تجربة بشير مفتي الروائية خلال فترة الأزمة إحدى التجارب المهمة التي تناولت ظاهرة الموت العشوائي، وكشفت عن حضور الموت بأشكال متعددة، منها الموت المادي والموت المعنوي.

[291] محمد بن مكرين منظور, لسان العرب، دار المعارف، مجلد ٦ مادة موت، ص ٤٢٩٤

**الموت المادي:** يقصد بالموت المادي انتهاء الحياة الجسدية للإنسان وانتقاله من العالم والدنيوي الى العالم الآخر. وتحقق هذا النوع من الموت من خلال ثلاثة أشكال رئيسية، هي القتل والانتحار والموت الطبيعي.

**القتل:** يتمثل القتل في إنهاء حياة شخص آخر بصورة متعمدة، بهدف تحقيق مصلحة معينة، سواء كانت شخصية أو مرتبطة بمصالح أفراد آخرين. و تتعدد الدوافع التي تقف وراء هذه الظاهرة، فقد تكون مرتبطة بتحقيق المصالح الخاصة أو السعي إلى السيطرة والنفوذ.

**القتل في سياق الصراع على السلطة:**تمارس التصفيات الجسدية ضد الخصوم بهدف الحفاظ على السلطة، أما القتل فقد ظهر لاحقا، عندما تعقّدت الأحداث وأصبح من الصعب على أصحاب السلطة السيطرة عليها وفقا لرغباتهم الغربية، فسعوا إلى وضع حدّ للمشكلات والقضاء عليها. وانتشرت عمليات الاغتيال في مختلف أنحاء الجزائر، حيث "كان القتل يزدهر في كل منطقة من الجزائر، ويحصد آلاف من الرؤوس البشرية كل يوم"[292]، حتى إن بعض الأشخاص تعاملوا مع بعضهم بأسلوب التصفيه الجسدية، متجاهلين العلاقات والصداقات التي كانت تجمعهم. ويتضح ذلك في رواية خرائط لشهوة الليل للكموندار مسعود، إذ يقول: "أعرف بأنهم يكرهونني جدا، يحقدون عليّ، بعد التفاوض سيحاولون دفعي لكي أختفي من الوجود. هذا مؤكد. أنا من قام بالأشياء القذرة من أجلهم"[293]

يستخدم القتل أحيانا وسيلة لمحو الماضي وتخلّص من آثاره، حتى إن كان الضحايا من الأصدقاء والمقرّبين، إذ يحاول بعض الأشخاص تبرير أفعالهم وتخلّص من الشعور بالذنب، كما يظهر في مشهد قتل الرجل السمين في رواية دمية النار. "حينما خرجت من بيت الرجل السمين، وقد خلفت ورائي جثة تسبح في دمائها التي سالت بغزارة، حتى إنني ظننت أنها ستغرق الغرفة كلها"[294]، وفي رواية وحدا في الليل، يقدم يوسف على قتل زميله وصديقه دون أن يظهر أي رحمة أو شفقة، ويصف تنفيذ العملية قائلا: "وافقت ونفذت العملية بسهولة... هنالك سأتركه يدخل الملهى، وأقوم بواجبي مع السيارة على أحسن وجه. وعندما ينتهي من السهر والسمر، سيقود سيارته التي سيفقد القدرة على الضغط على فراملها حتى يسقط في المنحدر ويموت"[295]

لا تهتم هذه الفئة بتوزيع الثروة أو السلطة بشكل عادل، بل تسعى إلى تحقيق مصالحها الخاصة، ولا تتردد في إقصاء منافسيها أو حتى أصدقائها إذا شعروا بأنهم قد يشكلون تهديدا لها. وقد أقامت علاقة خاصة مع

---

[292] بشير مفتي، اختلاط المواسم أو وليمة قتل الكبرى، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٩، ص ٢٩.

[293] بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، منشورات الاختلاف، الجزائر الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٧٨.

[294] دمية النار، ص ١٣٩

[295] بشير مفتي، وحيدا في الليل، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط١، ٢٠١٩، ص ١٧٤

المواطنين الذين يقبلون الخضوع لها، حتى تتمكن من الاستمرار في الحكم. ولتحقيق ذلك، اعتمدت على القمع والاستبداد، واستخدمت أجهزة الدولة مثل المخابرات والشرطة والجيش لإخضاع الناس والسيطرة عليهم. كما منحت هذه الفئة نفسها حرية التصرف والقتل بأساليب مختلفة، حتى ضد الأبرياء، من أجل حماية مصالحها والحفاظ على مكانتها في السلطة.

ومن جهة أخرى، سعى الطرف المقابل إلى انتزاع السلطة من الطبقة الحاكمة بالقوة، فانتشرت العمليات الإرهابية التي قامت بها الجماعات المسلحة بهدف الوصول إلى الحكم بأي ثمن. وقد عبّرت هذه الجماعات عن إصرارها على تحقيق أهدافها من خلال العبارة الآتية: "فإن حققنا ما نريده نجحنا، وإن لم يتركونا نصل إلى الحكم، فسنكون على استعداد تام للجهاد في سبيل الله"[296] ويقصد بالجهاد هنا العمليات الإرهابية التي انتشرت في تلك الفترة. ومع نهاية الثمانينيات، ظهرت لدى هذه الجماعات أفكار مختلفة حول الموت والجهاد، سواء من الناحية الفكرية أو من حيث الممارسة الفعلية. كما تبنّت ثقافة الموت من خلال التضحية الجسدية، وكفّرت الجماعات المتطرفة في الجزائر كل من خالف أفكارها، واعتبرت نفسها صاحبة الحق في الحكم، مما أدى إلى انتشار الاضطراب والفوضى في المجتمع الجزائري.

عاش الشعب الجزائري فترة مليئة بالمآسي والدمار، حتى إن العقل يعجز عن استيعاب ما خلّفه الإرهاب من آثار في حياة المجتمع، "ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي يقترفها، بل بفظاعتها ودرجة وحشيتها. وعندما يتعلق الأمر بالجزائر فإن الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعا، إذ استغرق مدة غير قصيرة وارتكب جرائم كبيرة وارتكبها بفظاعة بلغت أقصى ما بلغته الهمجية"[297]، اقتحم البيوت وأحرقها، وقتل الأطفال، واغتصب النساء، ودمّر قرى بأكملها، حتى لم يبق منها سوى الاسم والآثار.

وقد واجهت هذه الجماعات المسلّحة السلطة وأفراد المجتمع الأعزل، ونشرت بينهم مشاعر الرعب والخوف. كما سادت الفوضى والغنف، وانتشر الذعر والهلع بين أعداد كبيرة من الناس، "فأطلقنا أنا والشاب صرخة واحدة: الله أكبر، وحدث الانفجار"[298]، وقد أدّت هذه الجرائم إلى تدمير حياة كثير من الأبرياء، وتركت آثارا عميقة في المجتمع الجزائري، إذ لم تقتصر معاناتهم على فقدان الأرواح، بل شملت أيضا تدمير البيوت والقرى وتشريد السكان، مما جعله تلك المرحلة من أصعب الفترات في تاريخ الجزائر.

---

[296] بشير مفتي، أشباح المدينة المقتولة، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط٢، ٢٠١٧، ص١٤٢

[297] مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سورية، ص ٨٩

[298] أشباح المدينة المقتولة، ص ١٥٠

**دلالات القتل والانتقام في الرواية :** يحتل القتل والانتقام مكانة بارزة في روايات بشير مفتي, إذ يرتبطان بالظلم والصراعات النفسية والاجتماعية والرغبة في استعادة الحقوق أو فرض السيطرة. ولا تقتصر اثارهما على الضحية, بل تمتد إلى الشخصيات والمجتمع, مما يكشف عن ارتباط العنف بالظروف السياسية والاجتماعية.

ومن خلال هذا التصوير، يتضح أن الكاتب لا يكتفي بسرد حوادث القتل، بل يجعل منها وسيلة للكشف عن أبعاد المعاناة الإنسانية وما تخلّفه من آثار نفسية واجتماعية. وهكذا، يصبح القتل في الرواية أكثر من مجرد حدث، إذ يكشف عن طبيعة العلاقات الإنسانية في ظل الظلم والصراع، وعن النتائج التي تتركها هذه التجارب في حياة الفرد والمجتمع.

وأحيانا يكون الانتقام موجها إلى شخص آخر قريب من القاتل، فيقتله لأنه يراه سببا في الألم الذي يعاني منه المحبوب. "لكن لأول مرة أريد أن أقتل لأساعد إنسانا للتخلص من آلامه، هذا شيء جديد، وغير طبيعي بالنسبة لي، وحتى لو كنت مدركا أنها لن تقبل أن أقتل أولئك الرجال الذين سببوا لها تعاسة لا تنتهي، مشاعر مفرطة في الحزن والسوداوية واليأس"[299]

ولا يجتمع الحب دائما مع الخيانة، ففي رواية لعبة السعادة، تنتهي حياة مراد زاهر على يد محبوبته نريمان. ولم يشعر بالحزن، بل فرح، كما يقول: "قتلتني بطعنة واحدة لا غير، وفرحت. كان قتلها رغم كل شيء مفرحا لي، لسبب بسيط شعرت أنني إن بقيت على قيد الحياة سأقتل في يوم من الأيام بطعنة غريب لا أعرفه، ربما ينفذ أوامر سيده، أو أكون أنا القاتل من يدري، ثم رأيتها تهرع هاربة وتتركني على الأرض"[300]

وقد يكون قتل المحبوب ناتجا عن حب مريض "تعرفت بالأخص واحدة لا غير، وفرحت. كان قتلها رغم كل شيء على ذلك الذي كان مسجونا بتهمة قتل فتاة كان يحبها، وهو ما جعلني أسأله أسئلة كثيرة: كيف وصلت إلى قتلها؟ فكان رده الوحيد "الغيرة". وعندما وجدها مع شخص آخر لم يستطيع تقبل ذلك فقتلها بسرعة ومن دون تردد، كما أخبرني بأنه لم يندم على فعلته"[301]

قد يلجأ الإنسان إلى القتل بدافع الانتقام من صديق ظالم، خاصة عندما يغيب القانون ولا يجد من ينصفه أو يعيد إليه حقه. ويظهر ذلك في حالة "ابن شخص نافذ اعتدى على ابنته، هذا كل ما في الأمر وهو يريد التأثر ولجأ لصديق الطفولة(ع) كي يساعده على أخذ حقه, تظاهر (ع) بالرفض طبعا، ولكنه كما أخبرني

[299] أشباح المدينة المقتولة، ص ١٧٧

[300] بشير مفتي، لعبة السعادة أو الحياة القصيرة لمراد زاهر، منشورات ضفاف بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٦، ص ١٧٨

[301] أشباح المدينة المقتولة، ص ١٣٠

قرر مساعدته، وقال لي هذا الكلب يجب أن يقتل حتى يتعلم الدرس"[302] يعبر النص عن الصراع بين الرغبة في الانتقام وغياب العدالة القانونية والاجتماعية.

**القتل بدو افع الدفاع عن الوطن:** يحدث القتل أحيانًا بدافع الدفاع عن الوطن وحمايته، والحفاظ على أمنه واستقراره. ويتضح ذلك في رواية "رميت عليهم قنبلتين مسيلتين للدموع، توقف إطلاق الرصاص من طرفهم، فقذفتهم بوابل من رصاص رشاشي، حتى نفذت ذخيرتي فأخرجت المسدس وتقدمت أكثر ثم دفعت الباب بقوة ودخلت، ووجدت الثلاثة مطروحين أرضًا"[303]. ويُعدّ هذا النوع من القتل من أشكال التعبير عن الإيمان بالوطن، والجهاد في سبيله واجب.

**القتل بدو افع المتعة النفسية:** يحدث القتل أحيانًا بدافع تحقيق المتعة النفسية وحدها، دون وجود غاية أخرى، وهو ما قد يرتبط باضطرابات نفسية. ويتضح ذلك في رواية اختلاط المواسم من خلال شخصية القاتل الذي يقول: "كنت مشغولًا بالهاجس الأول، الرغبة في أن أقتل وأشعر مع القتل باللذة الروحية والجسدية على السواء"[304]، فهو يمارس القتل لإشباع رغبة نفسية شديدة، إذ يصرّح: "على الأقل لا أقتل لطلب شيء، أنا أقتل تقريبًا من عالمي الداخلي الذي يسمونه بالظلمات"[305]، مما يكشف عن شخصية مضطربة تجعل القتل وسيلة لإشباع رغباتها الداخلية المريضة.

**القتل والمال:** يعد القتل مقابل المال من الأنواع الشائعة للقتل في العالم، إذ ينفذ مقابل الحصول على منفعة مادية. ويظهر ذلك في حالة الضابط (ع) الذي تخلى عن منصبه، وأقام علاقة مع منظمة إجرامية متخصصة في القتل، وعمل لحسابها الخاص. وقد اتفقنا على تنفيذ هذه الأعمال مقابل الحصول على مبالغ مالية كبيرة من الخدمات التي سنقدمها لرجال الأعمال الأغنياء. ومع مرور الوقت، أصبح البلد يحقق أرباحا تقدر بالملايين والمليارات، بعدما كان لا يعرف قبل عشر سنوات سوى مبالغ محدودة لا تتجاوز اثنين أو ثلاثة في أحسن الأحوال. وفي هذا النوع من القتل، لا تهم هوية الضحية، سواء أكانت صالحة أم طالحة، فالمهم هو المقابل المادي المدفوع.

**القتل بوصفه خلاصا من المعانات :** قد يبدو الموت في بعض الحالات وسيلةً للخلاص، وأقلَّ الحلول ضررًا لجميع الأطراف، كما يظهر في مقتل مسعود في رواية "مات مسعود، قتلته بيدي، خلصته، ولم يخلصني، نظرته

[302] اختلاط المواسم، ص ٦٨
[303] اختلاط المواسم، ص ٣١
[304] اختلاط المواسم، ص٣٨
[305] اختلاط المواسم، ص ٣٩

ذابت في السماء، واستسلم للموت بشجاعة"[306]. فعندما تصبح الآلام والأزمات جزءًا من الواقع، قد يبدو الموت مخرجًا من المعاناة، بل قد يُنظر إليه بوصفه أهون من الاستمرار في حياة مليئة بالعذاب. وهذا ما حدث مع سميرة قطاش، التي عجزت عن الانتحار، فوجدت في القاتل وسيلةً لإنهاء معاناتها، معتقدةً أن الموت أرحم من مواصلة الحياة بكل ما تحمله من ألم.

ويؤكد هذا المعنى قول الرواية: "كان ذلك هو الشكل الوحيد الذي يليق بمسيرة قطاش ...لقد كانت ترغب في رحيل هادئ، ولأول مرة مارست قتلا شاعريا ورومانسيا، وحقق لي رغم كل ذلك لذة قصوى لا تقاوم..."[307]

**الموت والانتحار:** قد يرى الإنسان في الموت وسيلة للتخلص من المعاناة التي يعيشها، خاصة عندما يشعر بأنه لم يعد قادرا على مواصلة حياته. ويتجلى هذا المعنى في رواية خرائط لشهوة الليل لخالد، حيث أدى الاستنزاف النفسي الذي عاشته شخصية إلى التفكير في الموت بوصفه مخرجا من واقعها، فاختارت الانتحار "فعلها دون أن يشعر بجدوى تبرير موته الداخلي قبل أن يقدم على موته الحقيقي"[308]، وقد يرتبط الانتحار أيضا بالرغبة في التحرر من ضغوط المجتمع وقيوده، كما نلاحظ في شخصية رشيدة في رواية أشباح المدينة المقتولة التي فضلت الموت على الزواج من رجل لا ترغب فيه، رغم إصرار عائلتها على هذا الزواج. في حالات أخرى، قد يؤدي الألم الناتج عن فقدان الحبيب إلى الشعور بالعجز عن مواصلة الحياة، وهكذا تكشف هذه النموذج عن ارتباط الموت في بعض الروايات بالمعاناة النفسية والاجتماعية، وبمحاولة الشخصيات الهروب من واقع لم تعد قادرة على تحمله.

**تمثلات الموت الطبيعي في الرواية:** يحدث الموت الطبيعي عندما تنتهي حياة الإنسان دون تدخل خارجي، سواء أكان ذلك بسبب المرض أم نتيجة أسباب أخرى. وقد يأتي الموت بصورة مفاجئة دون سابق إنذار، فيشعر الإنسان وكأن الحياة قد انتزعت منه رغم تمسّكه بها ورغبته في الاستمرار. فالأم تحب الحياة وتتمنى أن تعيش أكثر، ولذلك يبدو الموت وكأنه يسلبها الحياة رغم إرادتها، وكأنها فقدتها انتزاعا لا اختيارا.

**الموت المعنوي وفقدان القيم الانسانية:** لا يرتبط الموت المعنوي بانتهاء الحياة الجسدية، بل يتمثل في بقاء الإنسان حيا من الناحية الجسدية، مع فقدانه بعض أهم مقومات إنسانيته. ويظهر هذا النوع من الموت عندما يفقد الإنسان ضميره وإحساسه بالقيم، فيصبح مجرد كائن حي، لكنه يفتقر إلى الجوهر الإنساني الذي يمنحه معنى وجوده.

---

[306] خرائط لشهوة الليل، ص ٤٤

[307] اختلاط المواسم، ص ٢٣٨

[308] خرائط لشهوة الليل، ص ٤٤

**موت الضمير و أثره في السلوك الإنساني:** يعد الضمير من أهم العناصر التي تساعد الإنسان على التمييز بين الصواب والخطأ، فهو الذي يجعله يراجع أفعاله ويشعر بالندم عندما يرتكب خطأ في حق الآخرين. لكن هذا الدور يتراجع عندما يفقد الإنسان إحساسه بالمسؤولية الأخلاقية، فلا يعود يهتم بما يترتب على أفعاله من نتائج. ويتضح ذلك من خلال شخصية بطل الرواية، الذي يقول إنه لم يعد يؤمن بالضمير بوصفه فكرة تستحق التضحية بالحياة من أجلها، كما كان يعتقد في شبابه. فقد تغيرت نظرته إلى هذه الفكرة، ولم تعد تمثل بالنسبة إليه قيمة تستحق التمسك بها، بل أصبحت وسيلة لإثارة الخوف لدى الآخرين ومنعهم من الاقتراب مما يراه مجالا خاصا بهم.

ويظهر غياب الضمير بصورة واضحة في موقف البطل من الجريمة التي يرتكبها، إذ لا يشعر بالذنب ولا يحسّ بما يشعر به الإنسان عادةً عندما يرتكب فعلًا مؤذيًا. فهو يتعامل مع ما حدث وكأنّه لم يرتكب أي خطأ، الأمر الذي يكشف عن تغيّر نظرته إلى أفعاله وفقدانه القدرة على إدراك خطورتها. وهكذا، لا تعود الجريمة في نظره فعلًا يستوجب الندم، بل تصبح أمرًا عاديًا لا يثير داخله أي شعور باللوم أو المسؤولية.

ويتجلى هذا المعنى أيضا في الطريقة التي ينظر بها البطل إلى ضحاياه، فهو يقلل من شأنهم ويعتبرهم أشخاصا لا أهمية لهم، ولا يرى في موتهم خسارة تستحق الاهتمام. ويكشف هذا الموقف عن تراجع إحساسه بقيمة الحياة الإنسانية، إذ لم يعد يتعامل مع الآخرين بوصفهم بشرا لهم حقوق ومشاعر، بل ينظر إليهم باحتقار واستخفاف. ومن خلال هذه النظرة، تبرز الرواية أثر موت الضمير في سلوك الإنسان، حيث يؤدي غياب الإحساس بالذنب إلى تبرير العنف والاستهانة بحياة الآخرين. كما تعكس هذه الصورة واقعا تسوده علاقات القوة والاستغلال، فيسيطر القوي على الضعيف، ويستغل الغني الفقير، بينما يغيب الشعور بالمسؤولية تجاه ما يتعرض له الآخرون من ظلم ومعاناة.

## الخاتمة :

تكشف روايات يشير مفتي عن تعدد تمثلات الموت, الذي يظهر في صور مختلفة, منها القتل والانتحار والموت الطبيعي, إلى جانب الموت المعنوي الناتج عن فقدان الضمير وتراجع القيم الانسانية. ولا يقتصر حضور الموت في هذه الأعمال على نهايات الشخصيات, بل يرتبط بصراعاتها النفسية والاجتماعية وبالظروف التي تؤثر في مصائرها. كما يرتبط تصوير الموت بالواقع الجزائري خلال العشرية السوداء, وما شهده من عنف وماس إنسانية. ومن خلال ذلك, يبرز بشير مفتي الاثار النفسية والاجتماعية للموت, ويكشف عن تحوله إلى جزء من التجربة الانسانية والذاكرة الجماعية للمجتمع الجزائري. فلم يقتصر الكاتب على عرض أشكال الموت وأسبابه وطرقه المختلفة. بل تناول أيضا مواقف الشخصيات منه، وما تعيشه من صراع بين تقبله ورفضه والاستسلام له.

## المصادروالمراجع

١. بشير مفتي، خرائط لشهوة الليل، منشورات الاختلاف، الجزائر الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط١، ٢٠٠٨

٢. بشير مفتي، دمية النار، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٣.

٣. بشير مفتي، أشباح المدينة المقتولة، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط٢، ٢٠١٧

٤. بشير مفتي، لعبة السعادة أو الحياة القصيرة لمراد زاهر، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٦.

٥. بشير مفتي، اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٩.

٦. بشير مفتي، وحيدا في الليل، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط١، ٢٠١٩

٧. .محمد بن مكر بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مجلد ٦، مادة موت، ص ٤٢٩٤

٨. مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سورية.

# قضايا المرأة في أدب أحمد شوقي:

دراسة تحليلية

**واصف علي**

باحث في الدكتوراه, جامعة عالية ,كلكتا, الهند

وأستاذ بالكلية الحكومة, كلية الشهيد نورالاسلام,

24 فرغانة الشمالية, الهند

---

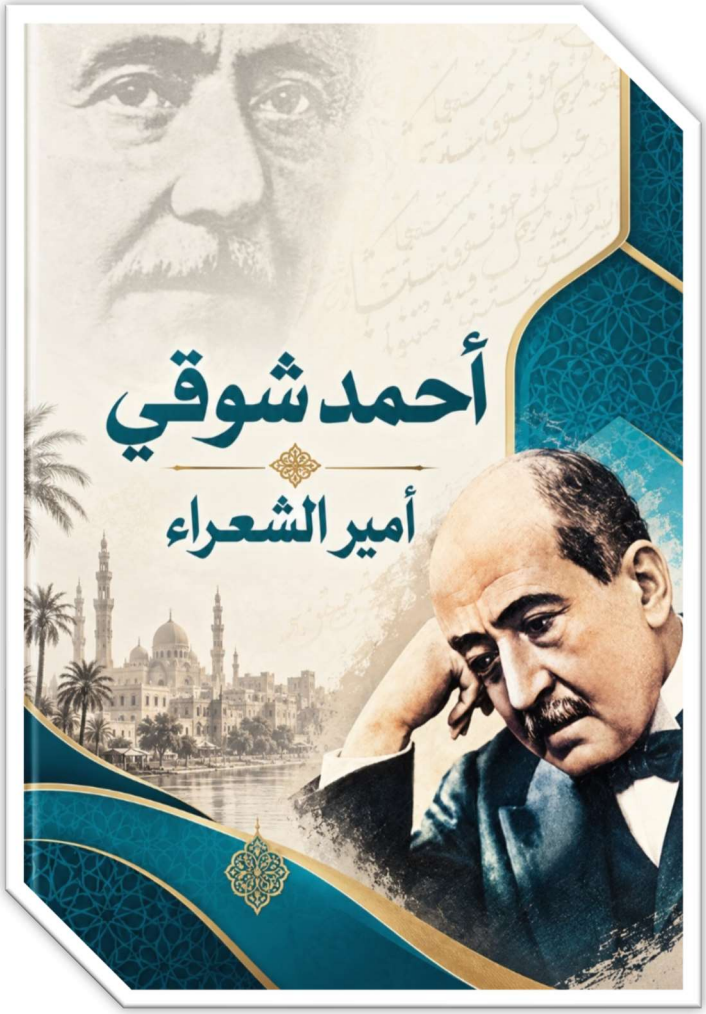
**الملخص** : يتناول هذا البحث قضايا المرأة في أدب أحمد شوقي، أحد أبرز شعراء النهضة العربية الحديثة وأمير الشعراء، ويهدف إلى الكشف عن صورة المرأة ومكانتها في شعره ومسرحياته، وبيان موقفه من أهم القضايا الاجتماعية التي كانت تواجهها المرأة في عصره. وقد تناول شوقي قضية المرأة في سياق التحولات الفكرية والاجتماعية التي شهدها المجتمع العربي في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فلم يقتصر تصويره للمرأة على الجمال والغزل، بل تجاوز ذلك إلى قضاياها الإنسانية والاجتماعية. ويركز البحث على أبرز القضايا التي تناولها شوقي، وفي مقدمتها تعليم المرأة، وحقها في اختيار الزوج، والزواج القائم على المصلحة، والعنف الأسري، والحجاب والسفور، وحرية المرأة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية .كما يتناول البحث بعض النماذج النسائية في مسرحياته، ولا سيما شخصيات الست هدى وبثينة وليلى، للكشف عن قدرة شوقي على تقديم المرأة بوصفها شخصية واعية ذات إرادة ورأي، لا مجرد صورة جمالية أو عاطفية.

ويخلص البحث إلى أن شوقي أسهم من خلال شعره ومسرحياته في إثارة الوعي بقضايا المرأة، وانتقد عددًا من العادات الاجتماعية التي ألحقت بها الظلم، ودعا إلى تعليمها وصيانة كرامتها وإتاحة قدر أكبر من الاختيار والحرية لها، مع تأكيده على القيم الأخلاقية والاجتماعية. وبذلك تمثل معالجة قضايا المرأة جانبًا مهمًا من تجربته الأدبية، كما تعكس جانبًا من التحولات الفكرية والاجتماعية التي عرفها المجتمع العربي في عصر النهضة.

**الكلمات المفتاحية :**أحمد شوقي، المرأة، قضايا المرأة في أدب شوقي.

**مقدمة:** لم تكن قضية المرأة في الأدب العربي الحديث قضية هامشية، بل أصبحت منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من أبرز القضايا الاجتماعية والفكرية التي شغلت الأدباء والمصلحين والمفكرين. فقد شهد المجتمع العربي في تلك المرحلة تحولات فكرية واجتماعية واسعة، وبرزت الحاجة إلى إعادة النظر في وضع المرأة وحقوقها، ولا سيما في مجالات التعليم والزواج والعمل والمشاركة في الحياة العامة. وقد كان الأدب أحد أهم المجالات

التي عبّرت عن هذه التحولات، إذ لم يكتف الأدباء بتصوير المرأة من الناحية الجمالية والعاطفية، كما كان شائعًا في كثير من مراحل الأدب القديم، بل بدأوا يتناولون قضاياها الإنسانية والاجتماعية، ويناقشون ما تتعرض له من قيود ومشكلات.




وفي هذا السياق يبرز أحمد شوقي ، الملقب بأمير الشعراء، بوصفه واحدًا من أبرز شعراء العصر الحديث الذين تناولوا قضايا المجتمع والإنسان في شعرهم ومسرحياتهم. وعلى الرغم من أن شعره لم يكن مخصصًا لقضية المرأة وحدها، فإن المرأة حضرت في عدد من قصائده ومسرحياته حضورًا واضحًا، فتناول تعليمها، وحقها في اختيار الزوج، وما تتعرض له من ظلم داخل الأسرة، كما ناقش قضية الحجاب والسفور، وقدم عددًا من الشخصيات النسائية التي تمتلك الوعي والرأي والقدرة على اتخاذ القرار.

ومن هنا تحاول هذه الدراسة الكشف عن أهم قضايا المرأة في أدب أحمد شوقي، وبيان موقفه منها، مع التركيز على بعض قصائده ومسرحياته، ولا سيما مسرحية **الست هدى**.

أحمد شوقي (1868–1932م) : وُلِد أحمد شوقي في القاهرة سنة 1968[309]م ونشأ فيها. وينتمي أصله، بحسب ما ذكره في بعض الروايات، إلى أصول كردية وعربية. توفي والده في وقت مبكر، فتولت جدته لأمه رعايته وتربيته، وكانت على صلة بالقصر الخديوي.

بدأ شوقي تعليمه في كتّاب الشيخ صالح، ثم واصل دراسته حتى التحق بمدرسة الحقوق، وانتقل بعدها إلى قسم الترجمة، وحصل على شهادته. ثم اختاره الخديوي توفيق ضمن حاشيته وأرسله إلى فرنسا لاستكمال دراسته، فأقام عامين في مونبلييه وعامين في باريس، حيث اطلع على الثقافة والآداب الأوروبية. بعد عودته إلى مصر التحق بالمعية

[309] . أحمد حسن الزيات, تاريخ الأدب العربي, الإتحاد, ص: 369

الخديوية، وتدرج في المناصب حتى أصبح رئيسا للقلم الأفرنجي في عهد الخديوي عباس الثاني. غير أن اندلاع الحرب العالمية الأولى أدى إلى نفيه خارج مصر، فاختار برشلونة في إسبانيا مقرًا لإقامته. وعاد إلى مصر بعد انتهاء الحرب، ثم اتجه شعره بصورة أكبر إلى التعبير عن مشاعر الشعب والدفاع عن قضاياه.

وفي عام 1927م[310] أقيم له احتفال كبير في دار الأوبرا الملكية، حضره عدد من كبار رجال الأدب والشعر في مصر والعالم العربي، وبويع فيه أميرا للشعراء .وظل شوقي يحتل مكانة بارزة في الحياة الأدبية العربية حتى وفاته سنة 1932م.

شوقي الشاعر ومكانته الأدبية

يعد أحمد شوقي من أعظم شعراء النهضة العربية الحديثة، ويرى كثير من النقاد أنه أعاد للشعر العربي مكانته وقوته بعد قرون طويلة من الضعف. وقد تميز شعره بقوة الأسلوب، وجمال التعبير، وعمق المعاني، ودقة التصوير، وحسن اختيار الألفاظ.

كان شوقي محافظًا على التراث العربي والإسلامي، وأكثر من استلهام الشخصيات التاريخية والدينية، كما تأثر بشعراء العصر العباسي، وخاصة في الأوزان والقوافي. ومع ذلك لم تمنعه محافظته من التجديد، فقد وسّع موضوعات الشعر العربي وانتقل به من الغنائية إلى الشعر القصصي والتمثيلي. ومن أهم مظاهر تجديده إبداعه في المسرحية الشعرية، حيث ألّف عددًا من المسرحيات، منها :مصرع كليوباترا، مجنون ليلى، قمبيز، علي الكبير، عنترة والست هدى .كما جمع معظم شعره في ديوانه المعروف الشوقيات الذي صدر في أربعة أجزاء. ولم يقتصر إنتاجه على الشعر، بل كتب النثر أيضًا، ومن أشهر كتبه النثرية المسجوعة أسواق الذهب، كما كتب عددا من القصص والأعمال النثرية، منها لادياس، ورقة الآس، مذكرات بنتاؤور وأميرة الأندلس.

وبذلك جمع أحمد شوقي بين المحافظة على التراث والتجديد في الأدب، وأسهم بصورة بارزة في تطوير الشعر العربي الحديث، مما جعله واحدًا من أهم أعلام الأدب العربي في العصر الحديث.

المرأة: تعد المرأةُ أحدَ العناصر الأساسية في بناء الأسرة والمجتمع، وهي شريكةُ الرجل في الحياة الإنسانية، وفي بناء الحضارة وتربية الأجيال. ولا يقتصر مفهوم المرأة على كونها أما أو زوجةً أو ابنةً، بل يشمل كيانها الإنساني المستقل، وما تتمتع به من حقوق وما تتحملّه من واجبات، فضلًا عن أدوارها العلمية والثقافية والاجتماعية.

ومن الناحية اللغوية، تُطلَق كلمة **المرأة** على الأنثى من الإنسان، وهي مؤنث "المرء". وقد جاء في *لسان العرب* أن المرأة مؤنث امرئ، ويُستعمل اللفظ للدلالة على الأنثى البالغة من الإنسان.[311] أما في الاصطلاح الاجتماعي، فالمرأة هي الإنسانة التي تؤدي أدوارًا متعددة داخل الأسرة والمجتمع، وتشارك في مجالات التربية والتعليم والثقافة والعمل والحياة

[310] . المرجع السابق: ص:370

[311] . ابن منظور، **لسان العرب**، مادة «مرأ»، دار صادر، بيروت.

العامة.

وقد تطور مفهوم المرأة في الفكر العربي الحديث، فلم تعد تُنظر إليها باعتبارها عنصرًا تابعًا للرجل فحسب، وإنما أصبحت تُناقش بوصفها صاحبة حقوق وشخصية وإرادة. ولذلك برزت قضايا **تعليم المرأة، وحقها في اختيار الزوج، وملكيتها، وكرامتها، ومشاركتها في الحياة الاجتماعية** ضمن أبرز القضايا التي تناولها المصلحون والأدباء في عصر النهضة.[312]

وفي الأدب العربي الحديث، اتسعت صورة المرأة، فلم تعد حاضرة بوصفها موضوعًا للغزل ووصف الجمال فقط، بل أصبحت رمزًا للأسرة والوطن والمجتمع، كما ظهرت بوصفها شخصيةً واعيةً تسعى إلى العلم والحرية والكرامة. وقد كان أحمد شوقي من الأدباء الذين أسهموا في معالجة هذه القضايا، إذ تناول في شعره ومسرحياته عددًا من المشكلات التي كانت تواجه المرأة في عصره، ولا سيما **التعليم والزواج والعنف الأسري والحجاب والسفور وحق المرأة في الاختيار**.[313]

ومن ثم يمكن القول إن مفهوم المرأة في سياق هذا البحث يتجاوز الدلالة البيولوجية للأنثى إلى مفهوم إنساني واجتماعي أوسع، يجعلها شريكًا أساسيًا في بناء الأسرة والمجتمع، ويبحث في حقوقها وواجباتها ومكانتها ودورها في الحياة.

**المرأة في المجتمع العربي قبل العصر الحديث**

كانت مكانة المرأة في المجتمعات القديمة تختلف باختلاف البيئات والعصور، إلا أن كثيرًا من النساء عانين أشكالًا متعددة من التهميش والحرمان من الحقوق. وقد عرف المجتمع العربي قبل الإسلام بعض العادات التي ألحقت بالمرأة ظلمًا شديدًا، ومن أبرزها وأد البنات، وهو ما سجله القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾[314].

وجاء الإسلام فأعاد النظر في مكانة المرأة، وأثبت لها حقوقًا مالية واجتماعية، وقرر لها نصيبًا من الميراث، وحث على حسن معاملتها، ورفع من شأن الأم والزوجة والبنت والأخت. وقد شهد التاريخ الإسلامي نماذج بارزة لنساء شاركن في الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية، ومن أشهرهن عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها التي كانت من كبار رواة الحديث وأهل العلم[315].

---

[312] . قاسم أمين، **تحرير المرأة**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2011م.

[313] . أحمد شوقي، الشوقيات، مكتبة مصر، القاهرة، الأجزاء الأول والثاني؛ وانظر أيضًا: أحمد شوقي، الست هدى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

[314] . القرآن الكريم، سورة التكوير، الآيتان 8–9.

[315] . ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج8، ص 58وما بعدها .وتَرِد ترجمة عائشة بنت أبي بكر في هذا الموضع من الكتاب.

غير أن الممارسة الاجتماعية في بعض العصور لم تكن دائمًا مطابقة للمبادئ التي قررها الإسلام، فظهرت في مجتمعات مختلفة ممارسات حدّت من حرية المرأة وفرصها في التعليم والمشاركة الاجتماعية، وظلت آثار هذه الممارسات ممتدة إلى العصر الحديث.[316]

**قضية المرأة في العصر الحديث**

مع بداية النهضة العربية الحديثة بدأت أصوات الإصلاح ترتفع مطالبة بإعادة النظر في وضع المرأة. وكان التعليم من أهم القضايا التي ارتبطت بتحريرها؛ لأن المرأة، في نظر كثير من المصلحين، هي التي تؤدي دورا أساسيًا في تربية الأجيال، ولذلك فإن جهلها ينعكس على الأسرة والمجتمع كله. وقد أسهم عدد من المفكرين والأدباء في إثارة هذه القضية، ومن أبرزهم رفاعة رافع الطهطاوي، ومحمد عبده، وقاسم أمين، وعائشة التيمورية وغيرهم. وقد اتخذت قضية المرأة أشكالًا متعددة من النقاش، شملت التعليم والزواج والحجاب والعمل والمشاركة في الحياة العامة. وفي هذا المناخ الفكري ظهر أحمد شوقي، الذي لم يكن بعيدًا عن القضايا الاجتماعية التي شغلت عصره.

ولم يكن اهتمام شوقي بالقضايا الاجتماعية أمرًا عابرًا، بل تناول في شعره ومسرحياته عددًا من المشكلات التي كانت تشغل المجتمع المصري والعربي، ومن بينها قضية المرأة.

**تعليم المرأة**

يأتي التعليم في مقدمة القضايا النسائية التي تناولها شوقي. فقد أدرك أن نهضة المجتمع لا يمكن أن تكتمل مع بقاء المرأة أسيرة الجهل، لأنها تؤدي دورًا أساسيًا في تربية الأبناء وتكوين شخصياتهم.

ويعبّر شوقي عن هذه الفكرة بوضوح في قصيدته **العلم والتعليم** حين يقول:

وجد المساعدُ غيرَكم، وحرمتم في مصر عون الأمهاتِ جليلا

وإذا النســـاء نشـــأن في أُمِّيَّة رضع الرجال جهالة وخمولا[317]

فالشاعر لا ينظر إلى تعليم المرأة بوصفه حقًا فرديًا لها فحسب، بل يربطه بمستقبل المجتمع كله. فإذا كانت الأم جاهلة، انتقل أثر الجهل إلى الأبناء، ومن ثم إلى المجتمع.

وفي قصيدته **"مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات"** يستحضر شوقي نماذج من النساء العالمات في الحضارة الإسلامية، فيقول:

العـــلمُ كان شـــــريعة لـــنسائِهِ المتفقِّهات

رُضنَ التجارة والسياسةَ والشؤونَ الأخرياتِ

[316] . قاسم أمين، تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2010م،

[317] . أحمد شوقي، *الشوقيات* ديوان أحمد شوقي، المجلد الأول، قصيدة "قم للمعلم وفّه التبجيلا."

وحضارةُ الإسلامِ تنطقُ عن مكانِ المسلماتِ[318]

وهنا يحاول شوقي أن يلفت أنظار المجتمع إلى أن مشاركة المرأة في العلم والحياة العامة ليست أمرًا غريبًا عن الحضارة الإسلامية.

**المرأة وحق اختيار الزوج**

من القضايا المهمة التي تناولها شوقي قضية الزواج، ولا سيما حرمان المرأة من حقها في اختيار شريك حياتها.

وتظهر هذه القضية بصورة واضحة في مسرحيته **"الست هدى"** التي يصور فيها حياة امرأة ثرية تزوجت عددًا من الرجال، كان بعضهم يتزوجها طمعًا في مالها. ومن خلال هذه القصة يكشف شوقي عن بعض العيوب الاجتماعية المرتبطة بالزواج، ويبين كيف يمكن أن تتحول المرأة إلى ضحية للطمع والاستغلال.

ويظهر ذلك في قول عبد المنعم:

إني لم أخطبكِ يا هدى لفرط حسنكِ

ولا تزوجتكِ يا صغيرتي لسنكِ

ولا وقعتُ في البلاءِ لسوادِ عينكِ

بل إذن لطينكِ[319]

فالزواج هنا لا يقوم على المحبة أو التوافق، وإنما على المصلحة المادية.

كما يعبّر شوقي عن مشكلة حرمان الفتاة من اختيار زوجها على لسان بهية، فتقول:

ما اخترتُ يا عمتي، ولكن أبي وأمي تخيَّرا لي

بناتُ مصرَ يُخطَبن لكن لا يتناقشنَ في الرجالِ

نُباعُ يا عمتي ونُشرى وما نحنُ إلا عُروضُ مالِ[320]

وتكشف هذه الأبيات عن رؤية نقدية واضحة لعادات اجتماعية كانت تجعل الفتاة بعيدة عن اتخاذ القرار في مسألة الزواج.

**العنف ضد المرأة**

لم يكتف شوقي بطرح قضية الزواج، بل كشف كذلك عن صورة أخرى من صور معاناة المرأة، وهي العنف داخل الحياة الزوجية.

---

[318] . أحمد شوقي، *الشوقيات* ، المجلد الأول،

[319] . احمد شوقي، **الست هدى** القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2020 المشهد الثالث، ص 47-46

[320] . نفس المصدر، ص 26

وتعد **"الست هدى"** من أبرز أعماله في هذا المجال؛ إذ تظهر البطلة وهي تعاني من سوء معاملة أزواجها، ويظهر زوجها التاسع بصورة الرجل الذي يستغل مال زوجته ويعاملها بعنف وإهانة.

ومن خلال هذه الشخصية يكشف شوقي عن مشكلة اجتماعية تتجاوز شخصية هدى نفسها، لتصبح رمزًا للمرأة التي تعاني من ظلم الرجل داخل الأسرة.

وفي قصيدته **"عبث المشيب"** يقول:

ظلمَ الرجالُ نساءَهم وتعسَّفوا هل للنساءِ بمصرَ من أنصارِ؟
شاطرنَهم نِعَمَ الصبا وسقينَهم دهرًا بكأسٍ للـــسرورِ عُـقارِ
الـــوالداتُ بنـــيهم وبناتهم الحائطاتُ العرضَ كالأسوارِ
الصـــابراتُ لِضُرَّةٍ ومضرَّةٍ المُحـــيـــياتُ الـــليـــلَ بالأذكارِ[321]

ويظهر في هذه الأبيات تقدير شوقي للدور الذي تقوم به المرأة داخل الأسرة، وانتقاده في الوقت نفسه لما تتعرض له من ظلم وتعسف.

**الحجاب والسفور**

كانت قضية الحجاب والسفور من أكثر القضايا إثارة للجدل في المجتمع العربي الحديث، ولا سيما مع ازدياد الاحتكاك بالثقافة الأوروبية.

ولم تكن القضية مقتصرة على ستر الوجه أو كشفه، بل ارتبطت بمسائل أوسع، مثل تعليم المرأة وخروجها من المنزل ومشاركتها في الحياة الاجتماعية. وقد تناول شوقي هذه القضية في عدد من قصائده، ومنها **"المرأة العثمانية"** و"كوك صو" و"بين الحجاب والسفور". ويبدو من شعره أنه لا يجعل قيمة الحجاب في الثوب وحده، وإنما يربطه بالأخلاق والأدب، يقول:

إذا لم يسترِ الأدبُ الغواني فلا يُغني الحريرُ ولا الدمقسُ[322]

وفي هذا البيت ينتقل شوقي من مفهوم الحجاب المادي إلى مفهوم أوسع يقوم على الاحتشام والأخلاق.

وفي قصيدة **"بين الحجاب والسفور"** يستخدم الشاعر صورة الطائر المحبوس في القفص رمزًا للمرأة التي تشعر بأن القيود الاجتماعية تحد من حريتها. يقول:

يا طيرُ، لولا أن يقولوا: جُنّ، قلتُ: تعقلْ اسمع، فرب مفصل لكَ لم يُفِدْكَ كمُجملِ

---

321 . عبث المشيب، الشوقيات، ج1، ص 121

322 . كوك صو، الشوقيات، ج2، ص 53

صبرًا لما تشقى بهِ أو ما بدا لكَ فافعلْ إن طرتَ عن كَنَفِي وقعتَ على النسورِ الجُهَّلِ[323]

وتكشف هذه الصورة الرمزية عن موقف شوقي من قضية الحرية؛ فهو يدرك رغبة المرأة في الخروج من القيود، لكنه في الوقت نفسه يحذر من أن تتحول الحرية إلى باب للاستغلال أو الضياع.

**صورة المرأة القوية في مسرحيات شوقي:** من الجوانب المهمة في أدب شوقي أنه لم يقدم المرأة دائمًا في صورة الضعف والخضوع، بل قدم شخصيات نسائية تتمتع بالوعي والكرامة والقدرة على إبداء الرأي.

ففي مسرحية **أميرة الأندلس**تظهر بثينة شخصية مثقفة ذات رأي مستقل، ولا تقبل أن تكون مجرد طرف سلبي في قضية زواجها. كما تظهر ليلى في **"مجنون ليلى"** بصورة امرأة قادرة على التعبير عن رأيها ومناقشة القضايا التي تحيط بها. وهذه الشخصيات النسائية لا تؤدي وظيفة جمالية أو عاطفية فحسب، وإنما تسهم في التعبير عن رؤية الشاعر إلى المرأة بوصفها إنسانًا له عقل وإرادة وموقف.

**المرأة بين الصورة الجمالية والصورة الإنسانية**

ظل وصف جمال المرأة حاضرًا في الشعر العربي منذ أقدم عصوره، ولم يخرج شوقي عن هذا التقليد تمامًا؛ فقد تناول جمال المرأة ووصف محاسنها في عدد من قصائده. غير أن أهمية تجربته تكمن في أنه لم يحصر حضور المرأة في الجمال والغزل، بل منحها مساحة أكبر في القضايا الاجتماعية والإنسانية.

ومن هنا يمكن القول إن المرأة في أدب شوقي تظهر في صورتين متكاملتين: صورة المرأة التي تمثل الجمال والعاطفة، وصورة المرأة التي تمثل الأم والزوجة والمثقفة وصاحبة الرأي والإنسان الذي يطالب بحقه في الكرامة والاختيار.

## خاتمة:

يتضح من خلال هذه الدراسة أن قضية المرأة احتلت مكانًا مهمًا في أدب أحمد شوقي، وإن لم تكن الموضوع الوحيد الذي شغل شعره ومسرحياته. فقد تناول عددًا من القضايا الأساسية التي كانت تواجه المرأة في المجتمع العربي الحديث، وفي مقدمتها التعليم، والزواج، وحق اختيار الزوج، والعنف الأسري، والحجاب والسفور، والمشاركة في الحياة الاجتماعية. وقد اتخذ شوقي من الشعر والمسرح وسيلة لطرح هذه القضايا وإثارة الوعي بها، فلم يكتف بوصف معاناة المرأة، وإنما قدم كذلك نماذج لنساء يتمتعن بالوعي والإرادة والقدرة على اتخاذ القرار.

وتبرز أهمية مسرحية **"الست هدى"**بصورة خاصة في هذا السياق؛ إذ استخدم شوقي السخرية والمفارقة المسرحية للكشف عن الطمع والاستغلال والعنف الذي قد تتعرض له المرأة في حياتها الزوجية. كما أن

[323] . بين الحجاب والسفور، الشوقيات، ج1، ص 168

اهتمامه بتعليم المرأة يكشف عن إدراكه للعلاقة الوثيقة بين نهضة المرأة ونهضة المجتمع؛ فالمرأة ليست عنصرًا هامشيًا في بناء الأمة، وإنما هي شريكة أساسية في تكوين الأسرة وتربية الأجيال.

ومن ثم يمكن القول إن موقف شوقي من قضايا المرأة يجمع بين المحافظة على القيم الأخلاقية والاجتماعية من جهة، والدعوة إلى رفع مستوى المرأة العلمي والاجتماعي وصيانة كرامتها من جهة أخرى. ولذلك تظل معالجة شوقي لقضايا المرأة جديرة بالدراسة، لا بوصفها جزءًا من تجربته الأدبية فحسب، بل بوصفها أيضًا شاهدًا على التحولات الفكرية والاجتماعية التي شهدها المجتمع العربي في عصر النهضة.

## المصادروالمراجع

أحمد شوقي، الشوقيات، الجزء الأول، قصيدة قم للمعلم وفّه التبجيلا.

قاسم أمين، تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي اللتعليم والثقافة، طبعة 2011

أحمد شوقي، الشوقيات، الجزء الأول، قصيدة عبث المشيب ص 121.

أحمد شوقي، الشوقيات ، مكتبة مصر، 1989، الجزء الثاني

أحمد شوقي، الشوقيات، الجزء الثاني، قصيدة كوك صو، ص 53.

أحمد شوقي، الست هدى، مؤسسة هنداوي اللتعليم والثقافة، طبعة 2012

أحمد شوقي، أميرة الأندلس، مؤسسة هنداوي اللتعليم والثقافة، طبعة 2012.

أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة الرابعة

أحمد شوقي، الشوقيات، الجزء الأول، قصيدة بين الحجاب والسفورص 168.

# الرؤية القرآنية للنفس الإنسانية: دراسة في مفاهيم النفس وأحوالها

**د. علي أكبر**

**مدرس اللغة العربية في مدرسة الحكومية كيرلا**

**Abstract: This study explores the concept of the human soul (*nafs*) in the Holy Qur'an from psychological and educational perspectives. It examines the various meanings, attributes, and states of the soul, including the *nafs al-ammārah*, *nafs al-lawwāmah*, and *nafs al-muṭma'innah*. The study highlights the Qur'anic approach to understanding, purifying, and reforming the human soul, emphasizing its spiritual, moral, and behavioral dimensions. It concludes that self-purification and spiritual discipline are essential for achieving psychological balance and attaining success in this life and the Hereafter.**

**Keywords: The Holy Qur'an, Human Soul, Islamic Psychology, Self-Purification, *Nafs al-Ammārah*, *Nafs al-Lawwāmah*, *Nafs al-Muṭma'innah*.**

**ملخص البحث:** يتناول هذا البحث مفهوم النفس في القرآن الكريم من منظور نفسي وتربوي، مبينًا أن القرآن الكريم قدّم منهجًا متكاملًا لفهم النفس الإنسانية وتهذيبها وعلاج انحرافاتها. ويهدف البحث إلى الكشف عن دلالات لفظ النفس في القرآن الكريم، وبيان صفاتها وأحوالها المختلفة، واستنباط الأسس النفسية التي أرساها القرآن لبناء الإنسان الصالح المتوازن.

وقد عرض البحث المعاني المتعددة لكلمة النفس في القرآن الكريم، حيث جاءت بمعانٍ مختلفة منها: ذات الإنسان، والروح، وأصل البشرية، والشخص بعينه، والنية والجوهر الداخلي، وغيرها من الدلالات. كما تناول الصفات التي نسبها القرآن إلى النفس، مثل الإيمان والعمل والكسب واللوم والشح والهداية والضلال، مما يدل على طبيعتها الديناميكية وقدرتها على الاختيار وتحمل المسؤولية.

كما ركّز البحث على أقسام النفس وأحوالها الرئيسة في القرآن الكريم، وهي: النفس السوية الملهمة التي فطرها الله على معرفة الخير والشر، والنفس الأمّارة بالسوء التي تدعو إلى الشهوات والمعاصي، والنفس اللوّامة التي تحاسب صاحبها وتدعوه إلى التوبة والإصلاح، والنفس المطمئنة التي بلغت درجة السكينة والرضا والإيمان. وبيّن البحث أن هذه الأحوال ليست نفوسًا مستقلة، بل هي حالات متغيرة للنفس الواحدة بحسب قربها من الله أو بعدها عنه.

وخلص البحث إلى أن القرآن الكريم سبق الدراسات النفسية الحديثة في تقديم رؤية شاملة للنفس الإنسانية، تجمع بين الجوانب الروحية والأخلاقية والسلوكية، وتؤكد أن تزكية النفس وجهادها سبيل تحقيق التوازن النفسي والسعادة في الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، النفس الإنسانية، علم النفس الإسلامي، النفس الأمارة بالسوء، النفس اللوامة، النفس المطمئنة، تزكية النفس.

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الإنسان وكرمه بالعقل والإدراك، وجعل القرآن الكريم نورا وهداية للناس أجمعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه المبعوث ورحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن القرآن الكريم منهج حياة الإنسان أنزله الله تعالى ليهدي العالمين إلى الطريق الطبيعي ويعالج ما بهم من خلل واضطراب ويشفي ما بهم من أمراض البدن والنفس والقلب. حثّ القرآن الإنسان على التفكر في نفسه، وعلى دراستها ومعرفة أسرارها: "وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِين. وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُون"(1). وفي هذا المعنى ورد الخبر: "من عرف نفسه فقد عرف ربه". إن معرفة الإنسان لنفسه تساعده على ضبط أهوائها ووقايتها من الإنحراف وتوجيهها إلى طريق الإيمان والعمل الصالح والسلوك السليم، مما يهيئ للإنسان الحياة الآمنة المطمئنة، ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة. وقد تضمن القرآن كثيرا من الآيات التي تعرضت لوصف أحوال النفس المختلفة، وبينت أسباب انحرافها ومرضها، وطرق تهذيبها وتربيتها وعلاجها.

## مفهوم النفس

تتميّز النفس التي أكرم الله بها الإنسان عن غيره من المخلوقات بأنها جمعت العقل مضافا إلى الغريزة والشهوة، خلافا للحيوانات التي وضع الله فيها الغريزة والشهوة فقط، والملائكة التي أكرمها الله بعقل بدون غريزة وشهوة، فإن الإنسان لابد له من أن يستخدم العقل في تعديل المتطلّبات التي تمليها الشهوة والغريزة حتى يسلك حدّ الاعتدال، قال الله تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ،فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاها"(2).

(1) الذاريات: 20،21

(2) الشمس: 7،8

## كلمة النفس في القرآن

وردت كلمة "النفس" أومشتقاتها في القرآن 259 مرة. وقد وردت كلمة مجردة 61 مرة. أما بالنسبة لمشتقات هذه الكلمة وورودها مسندة لضمائر فقد تكررت على النحو التالي: "نفسا" 14 مرة و"نفسك" 10 مرات و"نفسي" 13 مرات و"نفسه" 40 مرة و "نفسها" مرتين و"الأنفس" 6 مرات و"النفوس" مرة واحدة و"أنفسكم" 49 مرة و"أنفسنا" 3 مرات. وقد حملت كلمة "نفس" ومشتقاتها في القرآن الكريم معان مختلفة، وأبرزها التالية:

### 1- النفس بمعنى ذات الإنسان أوكليته:

"وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ"(1)

" وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"(2)

"وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (3)

**2- النفس بمعنى الروح:**

"يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ"(4)

أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ"(5)

**3- النفس بمعنى أصل البشرية :**

"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" (6)

---

(1) البقرة: 47

(2) المائدة: 45

(3) الزخرف:71

(4) الفجر: 27

(5) الأنعام :93

(6) الأعراف:189

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" (1)

**4- النفس بمعنى الذات الإلهية:**

"قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ" (2)

"وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ" (3)

**5- النفس بمعنى شخص بعينه:**

"فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا" (4)

والمراد هنا شخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

"قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (5).

والمقصود هنا شخص موسى عليه السلام.

"وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ".(6)

والمقصود هنا شخص يوسف عليه السلام .

**6- النفس بمعنى نية الإنسان، وجوهره الداخلي:**

"رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا" (7)

"إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"(8)

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ"(9)

**7- النفس بمعنى القبيل أو الجنس:**

-1

(1) النساء:1

(2) الأنعام: 12

(3) آل عمران :30

(4) الكهف :6

(5) المائدة : 25

(6) يوسف : 32

(7) الإسراء: 25

(8) الرعد:11

(9) ق:16

"لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ"(1) أي منكم و بلغتكم.

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا"(2)

**8-النفس بصيغة الجمع لتفيد تبادل الفعل: ويتضح ذلك في قوله تعالى :**

"فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ"(3). أي ليقتل بعضكم بعضا.

"فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ"(4). أي ليسلم بعضكم على بعض.

لمفهوم "النفس" معنيين رئيسين في القرآن، معنى عام يتعلق بالإنسان ككل متكامل من جسم وروح، ومعنى خاص يتعلق بالجزء كالروح.

إن مفهوم "النفس" ورد في السنة النبوية الشريفة بالمعنى العام الشمولي أيضا، ويتضح ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (5)، كما ورد بالمعنى الخاص في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألم تروا الإنسان إذا مات شَخَصَ بصرُه، قالو بلى، قال: فذلك حين يتبع بصره نفسَه" (6)

**ديناميات النفس في القرآن الكريم**

تتعدد صفات النفس الإنسانية في القرآن، فالنفس مخلوقة ويتضح ذلك في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ"(7). وتضم مركز الحس والإدراك، قال تعالى: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا"(8). ومن الصفات الأخرى للنفس الإنسانية:

- النفس تؤمن ، قال تعالى: "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ"(9)
- وتجزي، قال تعالى: "لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ"(10)

-1

(1) التوبة: 128

(2) الروم: 21

(3) البقرة:54

(4) النور:61

(5) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث: 12

(6) رواه المسلم، في كتاب الجنائز باب شخوص بصر الميت يتبع نفسه، رقم الحديث: 1529

(7) الأعراف: 189

(8) الزمر:42

(9) يونس: 100

(10) ابراهيم: 51

- وتعمل، قال تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ"(1)

- وتكسب، قال تعالى: "يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ"(2)

- وتشح، قال تعالى: "وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"(3)

- وتقتل ، قال تعالى: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا".(4)

- وتوفى ،قال تعالى: "ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ".(5)

- وتجادل، قال تعالى: "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا".(6)

- وتظلم ، قال تعالى: "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا".(7)

- وتعلم ، قال تعالى: "عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ"(8).

- وتتطلع ، قال تعالى: "وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ"(9).

- وتجيئ ، قال تعالى: "وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ"(10).

- وتهتدي ، قال تعالى: "فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ"( 11).

- وتشكر، قال تعالى: "وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ" (12).

- وتنفق ، قال تعالى: "وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ"(13)

- وتنهى ، قال تعالى: "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى"(14).

-2

---

(1) فصلت: 46

(2) الرعد: 42

(3) الحشر: 9

(4) المائدة: 3

(5) آل عمران: 161

(6) النحل: 111

(7) الأعراف: 23

(8) التكوير: 14

(9) الحشر: 18

(10) ق:21

(11) يونس: 108

(12) لقمن: 12

(13) البقرة: 272

(14) النازعات: 40

- وتموت ، قال تعالى: "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا"( 1).
- ويخفى عليها ما تكسب غدا ، قال تعالى: "وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا" (2).
- وتخفى عليها معرفة بأي أرض تموت،قال تعالى: "وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ"(3)

## أحوال النفس المتعددة في القرآن الكريم

**تقع في أربع أحوال هي:**

**1- النفس السوية الملهمة**

قال تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا".(4) ويفسر ابن كثيرهذه الآية بأن الله سبحانه "خلق النفس سوية مستقيمة على الفطرة القوية"، كما قال تعالى: " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ"(5). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة".(6) وفي صحيح مسلم: "يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم"(7). وعليه فقد ساوى الله تعالى بين الخلق كلهم في الفطرة، فلا تفاوت بين الناس في ذلك، وهذه هي الحال الأولى للنفس الإنسانية. وقال تعالى: "فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا"(8). وقد ورد في مختصر تفسير ابن كثير في سياق هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد "أرشدها الى فجورها وتقواها"، أي بين لها وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن عباس :"بين لها الخير والشر"، وقال سعد بن جبير: "ألهمها الخير والشر"،

إن الإلهام الوارد في قوله تعالى: "فألهمها فجورها وتقواها"(9) هو إلهام بالفطرة أو بيان بالوحي. فالله سبحانه وتعالى أودع في النفس الإنسانية طريقي التقوى والفجور، وهداها

-1

(1) آل عمران: 145

(2) لقمن: 34

(3) لقمن: 34

(4) الشمس: 7

(5) الروم: 30

(6) رواه مسلم: 2658

(7) الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير

(8) سورة الشمس: 8

(9) سورة الشمس: 8

بالفطرة إلى التمييز بين الطريقين. فإذا بقيت على أصل الفطرة فإنها لا تأمر إلا بالخير، أما إذا انحرفت عن هذا الأصل فإنها تأمر بالفجور. عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا أعرب عنه لسانه إما شاكرا وإما كفورا".(1) وقال صلى الله عليه وسلم "ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية، فقال رجل: يا رسول الله إنما هم أولاد المشركين، فقال: ألا إن خياركم أبناء المشركين، ثم قال: "ألا لا تقتلوا ذرية، ألا لا تقتلوا ذرية"(2)، وقال صلى الله عليه وسلم "كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها".(3)

**2- النفس الأمارة بالسوء**

قال سبحانه وتعالى: "إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ"(4) هذه الآية تصف حال النفس المذمومة التي تنحرف عن الفضيلة، وتنساق وراء الشهوات فتسيطر عليها الغرائزالحيوانية، وتدعو صاحبها الى ارتكاب المعصية إلا من ثبتها الله وأعانها، قال تعالى: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا"(5). وقال سبحانه لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: "وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا" (6). فالله سبحانه أيد رسوله الكريم وثبته وعصمه من شر أعدائه، فلا يكله لأحد من خلقه. فالشر كامن في النفس، فإن وفقها الله وأعانها نجت وإن تخلى عنها هلكت. وامتحن الله سبحانه وتعالى الإنسان بالنفس الأمارة بالسوء ونسب الأمر بالسوء إلى النفس عند أول عدوان وقع على الأرض عندما قتل قابيل أخاه هابيل(7) قال تعالى: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ"(8)، وقال تعالى على لسان السامري(9) "وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي"(10) وقال سبحانه على لسان يعقوب عليه السلام: "قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ"(11).

-2

(1) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: 14277

(2) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: 15218

(3) مسند الإمام أحمد رقم الحديث: 15037

(4) يوسف: 53

(5) النور: 21

(6) الإسراء: 73

(7) ابنا آدم عليه السلام

(8) المائدة:30

(9) رأس الشرك الذي صنع لبني إسرائيل صنما ذهبيا في صورة عجل حينما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه

(10) طه:96

(11) يوسف:18

تشير الآيات الكريمة المذكورة إلى أن السوء فعل منسوب إلى النفس. فهي التي تسوّل وتطوع وتأمر بالسوء، ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفتتح خطبه بقوله "الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له"(1)، ومواضع أخرى في القرآن الكريم تشير الى نسبة الأمر بالسوء إلى الشيطان، منها قوله تعالى: "فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ"(2) وقوله تعالى: "وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي".(3) فالشيطان قرين النفس الأمارة بالسوء. فهو الذي يقذف فيها الباطل ويزينه لها، ويعدها ويمنيها ويستعين عليها بإرادتها وهواها. فهو الذي يوسوس للنفس وهي التي تستجيب وتنفذ، قال تعالى مخبرا ما يقوله الشيطان لأولياءه "وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ"(4). لذلك يتحمل الإنسان مسؤولية الاستجابة للشيطان يوم القيامة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من شر النفس وشر الشيطان، فيقول "أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه".(5)

3- **النفس اللوامة**

قال تعالى: "وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ"،(6) وفي قوله تعالى: "أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ".(7) وهي حال النفس التي أقسم الله بها. ويلخص ابن القيم الجوزية في كتابه "الروح" اختلاف المفسرين فيها، "فمنهم من رأى أنها تصف حال النفس المترددة المتقلبة التي تنيب وتجفو، وتفرح وتحزن، وتتقي وتفجر، وترضى وتغضب، وتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض ومنهم من رأى أنها تصف حال النفس المؤمن وصفتها المجردة، ومنهم من رأى أنها نفس المؤمن توقعه في الشر ثم تلومه عليه، وهذا اللوم دليل الإيمان، ومنهم من رأى أنها نفس السعيد تلوم صاحبها على ارتكاب

الذنب، ونفس الشقي تلوم صاحبها على فوات حظها. وقد ذهب بعضهم إلى أن اللوم يكون يوم القيامة،عندما تلوم النفس صاحبها على الذنب

(1) الدارمي، كتاب النكاح رقم الحديث: 2105

(2) القصص: 15

(3) يوسف: 100

(4) إبراهيم: 22

(5) رواه الترمذي، الدعوات ، رقم الحديث : 3314

(6) القيامة: 2

(7) الزمر: 56

إن كان مذنبا، وعلى التقصير إن كان محسنا"(1). وهذه الأقوال في النفس اللوامة لا تتضارب مع بعضها. فالنفس موصوفة بكل هذه الأوصاف، ولذلك سميت حالها باللوامة، وقد امتحن الله سبحانه النفس بها، وهي من أعظم آياته.

ويورد ابن الجوزي في تفسيره "زاد المسير في علم التفسير" ثلاثة أقوال في النفس اللوامة: "أحدهما النفس المذمومة(2) لأنها نفس جاهلة، ظالمة يلومها الله وملائكته، والثانية هي النفس المؤمنة (3) التي تلوم صاحبها على التقصير في طاعة الله أو على ارتكاب الأخطاء، فتحاسب نفسها وتنيب الى الله. والثالثة هي النفس الإنسانية أي جميع النفوس".(4)

واللوم عملية عقلية تعكس حال التفكير والحوار الداخلي الذاتي التي تمارسه النفس بقصد التميز بين الخير والشر، أو التحول من الأمر بالمنكر إلى الأمر بالمعروف، أي لتزكية النفس وجهادها. قال مجاهد بن جبير في كتابه "التفسير" "إن النفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها على ما فات وتندم، وتلوم صاحبها على الشر لِمَ لَمْ تفعله، وعلى الخير لِمَ لَمْ تستكثر منه". وروى شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله".(5)

**4- النفس المطمئنة**

قال تعالى: "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي،"(6). وهي حال النفس المنيبة المخبتة التي أيقنت أن الله ربها فأطاعت أوامره، وسكنت إلى ربها دون سواه. وأنست بقربه فاطمأنت إلى عبوديته ومحبته وذكره، قال تعالى: "الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"(7). كما اطمئن إلى لقائه ووعده، فرضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا، لذلك تشعر بالسعادة والرضا في الحياة الدنيا عن الدين الذي اختارته وعن السلوك الذي اتبعته، فاطمأنت للنتيجة

-1

(1) الروح، ابن القيم الجوزية، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط-1986 ص 304-305

(2) أي اللوامة الملمومة

(3) أي اللوامة غير الملمومة

(4) الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987، ج 8، ص: 133

(5) رواه الترمذي' كتاب صفة القيامة والرقائق والورع' رقم الحديث: 2383

(6) الفجر: 27- 30

(7) الرعد: 28

وهي السعادة في الدنيا والسعادة في الآخرة. ويقول ابن القيم في كتابه "الروح" أقوال المفسرين في النفس المطمئنة. وقد قال ابن عباس ﷺ: "المطمئنة المصدقة" وقال قتادة: "هي المؤمنة التي إطمئنت إلى ما وعد الله" وقال الحسن: "المصدقة بما قال الله تعالى" وقال مجاهد: "هي النفس التي أيقنت بأن الله ربها، المسلّمة لأمره فيها هو فاعل بها. وروى منصور عنه قال: "النفس التي أيقنت أن الله ربها وربطت جأشا لأمره وطاعته، فكلام السلف في النفس المطمئنة يدور على طمأنينة العلم والإيمان وطمأنينة الإرادة والعمل".(1) إن ذكر أحوال النفس الإنسانية على الهيئة التي أوردتها لا يعني بأي حال من الأحوال ترتيبها أو تسلسل حركتها وتقبلها. إن الحال الأولى التي تخلق عليها النفس الإنسانية هي الحال السوية الملهمة، ثم تتقلب إلى حال أو أحوال أخرى. وأحوال النفس تتفاوت في مقاصدها ونياتها وأفعالها، ولكنها نفس واحدة تكون أمارة تارة ولوامة أخرى ومطمئنة ثالثة.

ويصف ابن القيم في كتابه "الروح" في فصل "النفس الأمارة في مقابل النفس المطئنة" الصراع بين حالي النفس الأمارة بالسوء والمطمئنة، بصورة ديناميكة، بقوله: "وقد انتصبت الأمارة في مقابل المطمئنة، فكلما جائت به تلك من خير ضاهتها هذه وجائت من الشر بما يقابله حتى تفسده عليها. فإذا جاءت بالإيمان والتوحيد جاءت هذه بما يقدح في الإيمان من الشك والنفاق وما يقدح في التوحيد من الشرك ومحبته غير الله وخوفه ورجائه، ولا ترضى حتى تقدم محبته غيره وخوفه ورجائه، على محبته سبحانه وخوفه ورجائه فيكون ماله عندها هو المؤخّر وما للخلق هو المقدم. فتقوم الحرب بين هاتين النفسين والمنصور من نصره الله. وهذا حال أكثر هذا الخلق، ومن أعجب أمرها أنها تسحر العقل والقلب، فتأتي إلى أشرف الأشياء وأجلها فتخرجه في صورة مذمومة، والأفعال تصدر عن الإرادات وتظهر عن الأركان من النفسين الأمارة والمطمئنة، فيتباين العقلان في الباطن ويشتبهان في الظاهر، ولذلك أمثلة كثيرة منها المداراة (من المطمئنة) والمداهنة (من الأمارة بالسوء)، وخشوع الإيمان وخشوع النفاق، والتواضع والمهانة، والاقتصاد والشح، فالشئ الواحد تكون صورة واحدة وهو منقسم إلى محمود ومذموم".(2)

-2

(1) ابن القيم الجوزية، الروح، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط-1986 ص: 301

(2) ابن قيم الجوزية ، الروح، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، 1986، ص: 308

يتناول هذا البحث مفهوم النفس الإنسانية في القرآن الكريم من منظور شامل يجمع بين البعد الروحي، والأخلاقي، والنفسي. يهدف إلى بيان طبيعة النفس، وأحوالها، ومسار تطورها كما يصوره القرآن، مع إبراز دلالاته التربوية والنفسية. يُبيّن البحث أن النفس في الرؤية القرآنية ليست كيانًا ماديًا فقط، بل هي جوهر مركّب يحمل الاستعداد للخير والشر، كما في قوله تعالى: "فألهمها فجورها وتقواها". ويؤكد أن القرآن يقدم تصورًا متوازنًا لطبيعة الإنسان، بعيدًا عن النظرة التشاؤمية أو المثالية المطلقة. كما يركّز البحث على أحوال النفس الأربعة:

النفس السوية الملهمة: وهي النفس البشرية على فطرتها السوية السليمة ما لم تدنسها الإنحرافات الخرجية أو الداخلية

النفس الأمّارة بالسوء: وهي التي تميل إلى الشهوات والانحراف إذا غابت عنها الهداية.

النفس اللوّامة: تمثل حالة الصراع الداخلي والوعي الأخلاقي، حيث يلوم الإنسان نفسه على التقصير.

النفس المطمئنة: وهي أعلى مراتب النفس، حيث تصل إلى السكينة والرضا بقضاء الله.

ويشير البحث إلى أن هذه الأحوال ليست ثابتة، بل تمثل مراحل ديناميكية يمكن أن تنتقل بينها النفس بحسب الإيمان والعمل والتزكية. كما يبرز دور العبادات، والذكر، والتوبة في تهذيب النفس والارتقاء بها. ويخلص البحث إلى أن الرؤية القرآنية للنفس تقدم نموذجًا متكاملًا في علم النفس الإسلامي، يوازن بين الجسد والروح، ويؤسس لفهم عميق للسلوك الإنساني قائم على المسؤولية والاختيار، مع التأكيد على إمكانية الإصلاح والتغيير.

النتيجة الأساسية: القرآن الكريم لا يكتفي بوصف النفس، بل يوجّه إلى تربيتها وتزكيتها، مما يجعل منه مصدرًا غنيًا لبناء نظرية نفسية أخلاقية متكاملة.

## نتائج البحث

1. يقدم القرآن الكريم تصورًا متكاملًا للنفس الإنسانية، يجمع بين الجوانب الروحية والعقلية والسلوكية، ويُعد أساسًا لفهم الشخصية الإنسانية وتوجيهها.

2. وردت كلمة النفس ومشتقاتها في القرآن الكريم 259 مرة بدلالات متعددة، مما يدل على أهمية مفهوم النفس في البناء القرآني.

3. تعددت معاني النفس في القرآن الكريم، فجاءت بمعنى الذات الإنسانية، والروح، وأصل البشرية، والشخص بعينه، والنية والجوهر الداخلي، والجنس أو القبيل.

4. النفس في القرآن كيان مسؤول ومحاسب؛ فهي تؤمن وتعمل وتكسب وتهتدي أو تضل، وتتحمل نتائج أفعالها في الدنيا والآخرة.

5. أكد القرآن أن النفس الإنسانية مفطورة على معرفة الخير والشر، وأن الله ألهمها طريق التقوى وطريق الفجور، ومنحها القدرة على الاختيار بينهما.

6. النفس الأمّارة بالسوء تمثل جانب الانحراف والشهوات، وهي تدفع الإنسان إلى المعصية إذا لم يجاهدها ويزكّيها بالإيمان والعمل الصالح.

7. النفس اللوّامة تؤدي دور الضمير الأخلاقي، إذ تحاسب صاحبها وتلومه على التقصير والذنوب، مما يسهم في إصلاح السلوك وتقويمه.

8. النفس المطمئنة تمثل أعلى مراتب الكمال النفسي والإيماني، حيث تنعم بالسكينة والرضا والثقة بالله تعالى.

9. أحوال النفس ليست أنواعًا منفصلة، بل حالات متغيرة للنفس الواحدة؛ فقد تكون الملهمة في موقف وأمّارة بالسوء في موقف، ولوّامة في موقف آخر، ومطمئنة عند اكتمال الإيمان واليقين.

10. الصراع بين النفس الأمّارة بالسوء والنفس المطمئنة يمثل جوهر الجهاد الداخلي للإنسان، وهو العامل الرئيس في تشكيل السلوك الإنساني.

11. تزكية النفس ومجاهدتها من أهم وسائل تحقيق الصحة النفسية والاستقرار النفسي في المنهج القرآني.

12. سبق القرآن الكريم النظريات النفسية الحديثة في تناول كثير من القضايا النفسية، من خلال تحليله الدقيق لدوافع الإنسان وصراعاته الداخلية وأساليب إصلاحه وتربيته.

13. السعادة الحقيقية في المنظور القرآني ترتبط بتهذيب النفس وتقويتها بالإيمان والطاعة، لا بمجرد إشباع الرغبات والشهوات.

14. المنهج القرآني في دراسة النفس يجمع بين التشخيص والعلاج؛ فهو يبين أسباب الانحراف النفسي ويضع الوسائل العملية لإصلاحه والارتقاء به.

**خلاصة العامة**

يتناول هذا البحث موضوع "علم النفس في القرآن الكريم" هو من الموضوعات المهمة التي تجمع بين الدراسات القرآنية والدراسات النفسية، حيث يهدف إلى بيان رؤية القرآن للنفس الإنسانية، والكشف عن خصائصها وصفاتها وأحوالها المختلفة، ودورها في توجيه سلوك الإنسان وأفعاله.

## المصادروالمراجع

**ا- 1) القرآن الكريم**

ب- التفاسير

2) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم .

3) الإمام إبن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير.

ج- كتب الأحاديث

4) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري.

5) لإمام مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم.

6) الإمام محمد بن عيسى الترمذي، جامع الترمذي.

7) الإمام أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي.

د- الدراسات

8) د. عبد الحليم محمود، النفس في الإسلام، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط 1، 2005م

9) د. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ط 7، 2001م

10) د. سعد رياض، علم النفس في القرآن الكريم، مؤسسة اقرأ، 2004م

11) د. سهير كامل أحمد، مدخل إلى علم النفس، مركزالإسكندرية للكتاب، ط 2، 2002م

13) د. عبد الحميد صفوت، علم النفس الإجتماعي والتعصب، دار الفكر العربي، ط 1، 2000م

14) د. عائض القرني، لا تحزن، الطبعة الثانية والعشرين، شركة العبيكان، 2008م

15) د. أمل الأحمد، مشكلات وقضايا نفسية، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2004م

16) د. عائض القرني، محمد كأنك تراه، دار ابن حزم،ط 2، 2005م

17) د. محمد على الهاشمي، شخصية المسلم، دار البشائر الإسلامية، ط 7، 1997م

18) د. السيد محمد نوح، توجهات نبوية على الطريق، دار اليقين، ط 1،1997م

19) عبد الله زعل العنزي، التربية والتعليم بالقدوة الحسنة، دار القاسم، ط 1 ،2007م

20) جمال عبد الرحمان، أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين، دار طبيعة الخضراء، ط 5، 2001م

21) حسن بن أحمد حسن همام، مواقف النبي مع الأطفال، دار الحضارة، ط 2، 2006م

22) عبد العزيز بن ناصر الجليل، أين نحن من أخلاق السلف، دار طيبة، ط 8، 2001م

# جهود الشيخ زين الدين المخدوم الكبير في خدمة الأدب العربي



**د إسماعيل ب ك،**
أستاذ المشارك، كلية دار الإرشاد العربية

**Abstract:** **This article examines the life and scholarly contributions of Sheikh Zainuddin ibn Ali Makhdoom the Elder, one of the prominent Muslim scholars of Kerala, India, during the ninth century AH and the fifteenth–sixteenth centuries CE. Born into a distinguished scholarly family, he received his early education from his uncle, Sheikh Zainuddin Ibrahim, and subsequently travelled to Makkah and Egypt to pursue advanced studies under renowned scholars. After returning to Kerala, he settled in Ponnani, served as a judge, and contributed significantly to the development of Islamic education through teaching circles that attracted students from different parts of Kerala and beyond.**

**The article highlights his contributions to Islamic jurisprudence, Arabic literature, grammar, history, religious instruction, and Sufism. His understanding of Sufism emphasized spiritual purification, moral discipline, sincerity, and adherence to Islamic law. Among his important works, *Hidayat al-Adhkiya ila Tariq al-Awliya* presents ethical and spiritual guidance, emphasizing piety, asceticism, the pursuit of knowledge, and service to humanity. His work *Tahrid Ahl al-Iman ala Jihad Abadat al-Sulban* reflects the historical challenges faced by Muslims in the Malabar region during Portuguese expansion and expresses his opposition to oppression and attacks on Muslim communities. Other works, including *Murshid al-Tullab ila Karim al-Wahhab*, *Siraj al-Qulub wa Ilaj al-Dhunub*, and *Dhikr al-Mawt*, demonstrate his concern for religious education, spiritual development, and moral reform.**

**The article concludes that Sheikh Zainuddin Makhdoom the Elder was not merely a religious scholar but also an educator, spiritual guide, and influential Arabic author. His writings contributed to the preservation and development of the Arabic-Islamic intellectual tradition in Kerala and helped shape the region's educational, religious, and literary heritage.**

**Keywords:** **Zainuddin Makhdoom the Elder, Kerala Muslim scholars, Arabic-Islamic heritage, Arabic literature, Islamic Sufism, Hidayat al-Adhkiya, Tahrid Ahl al-Iman, Murshid al-Tullab, Shafi'i jurisprudence, Malabar.**

**ملخص البحث:** يتناول هذا المقال حياة الشيخ زين الدين بن علي المخدوم الكبير، أحد أبرز علماء كيرلا في الهند خلال القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي، وإسهاماته في العلوم الإسلامية والأدب العربي والتصوف والفقه والنحو والتاريخ. وُلد في أسرة علمية مشهورة، وتلقى تعليمه الأول على يد عمه الشيخ زين الدين إبراهيم، ثم رحل لطلب العلم إلى مكة المكرمة ومصر، حيث درس على أيدي عدد من العلماء، وأخذ إجازات في الحديث، قبل أن يعود إلى كيرلا ويستقر في فنان (بوناني)، حيث تولى القضاء وأسهم في النهضة العلمية والتعليمية، وأسس حلقات علمية استقطبت طلاب العلم من مختلف المناطق.

ويبرز المقال دوره في نشر العلوم الشرعية وترسيخ التصوف المرتبط بالشريعة الإسلامية، إذ نظر إليه بوصفه وسيلة لتزكية النفس وتهذيب الأخلاق، لا مجرد مظهر أو عزلة عن الحياة. كما يتناول أهم مؤلفاته، ومنها هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء، وهي منظومة صوفية تركز على التقوى والإخلاص والزهد وطلب العلم وخدمة الناس، وتحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان، الذي يعكس موقفه من الاعتداءات البرتغالية على المسلمين في ساحل مليبار، ويدعو إلى مقاومة الظلم والدفاع عن المجتمع المسلم. ويتناول المقال كذلك مؤلفاته في التصوف والفقه والوعظ، مثل *مرشد الطلاب إلى كريم الوهاب* و*سراج القلوب وعلاج الذنوب* و*ذكر الموت*.

ويخلص المقال إلى أن الشيخ زين الدين المخدوم الكبير كان عالمًا ومربيًا ومؤلفًا أسهم في إثراء التراث العربي الإسلامي في كيرلا، وجمع في مشروعه العلمي بين التعليم والإصلاح الديني والتوجيه الأخلاقي والتفاعل مع قضايا مجتمعه. وقد تركت مؤلفاته أثرًا واضحًا في الحياة العلمية والدينية، وأسهمت في استمرار تقاليد الدراسة الإسلامية باللغة العربية في المنطقة.

**الكلمات المفتاحية :**زين الدين المخدوم الكبير، علماء كيرلا، التراث العربي الإسلامي، الأدب العربي، التصوف الإسلامي، هداية الأذكياء، تحريض أهل الإيمان، مرشد الطلاب، الفقه الشافعي، مليبار.

الشيخ زين الدين بن علي من أعظم علماء كيرلا في القرن الخامس عشر الميلادي، وصاحب مؤلفات كثيرة باللغة العربية في العلوم الإسلامية والدعوة والإرشاد والفقه والتاريخ والنحو والتصوف وغيرها.

ولد بكوشن بعد طلوع الشمس من يوم الخميس الثاني عشر من شهر شعبان سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاثة – على أقوال - وسبعين وثمانمائة (873 هـ/1467م)([4]) من أسرة مشهورة في مجال العلم والشرف اسم والده علي بن أحمد المعبري. وكانت نشأته الأولى في محل ولادته، وترعرع هناك إذ درس على يد عمه الشيخ زين الدين إبراهيم هو كان قاضيا في ذلك الوقت انتقل إلى فنان ليتولى مهمة القضاء هناك، فرافق التلميذ أستاذه تعلم مبادئ العلوم والقرأن من عمه ثم من العلماء الكبار في ذلك الوقت مثل شهاب الدين بن عثمان .ثم التحق بالعالم الكبير أبي بكر فخر الدين رمضان الشالياتي، وأخذ عنده الفقه وأصوله ثم ذهب إلى مكة والتحق بمعهد الديني لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ثم ذهب إلى مصر ليعلم الحديث وعلومه والتحق في درس محمد بن حلي اليمني وعبد الرحمان العدمي المصري وحصل منه إجازة على رواية الحديث ثم رجع إلى مكة بعد خمس سنوات، ومنها إلى الهند بعد قضاء الحج والعمرة، واستقر في فنان قاضيا ومجددا بها، وبنى مسجد الجامع الكبير تجديدا بمساعدة اغنياء البلدان ومن البلدان المجاورة وبدأت فيها الحلقة الدراسة المشهورة التي التحق بها الطلاب من أنحاء كيرلا ومن خارجها.

## عائلته:

للمخدوم الكبير ثلاثة بنين وبنتان، وكان يحيى أكبرهم؛ قد انتقل إلى رحمة الله تعالى في صغر سنه، وكان الولد الثاني محمد الغزالي عالما كبيرا ومتورعا مشهورا، وقد أنجب الله منه علما بارزا من أعلام العلم والفقه وهو زين الدين المخدوم الصغير؛ صاحب كتاب فتح المعين.

أما الابن الثالث عبد العزيز المخدوم المتوفى سنة 994هـ/1585م، الذي كان عالما ماهرا في جميع الفنون والعلوم، وله الفضل الكبير في إحياء فقه الإمام الشافعي في الهند، بتصانيفه وتلاميذه. أما بنتاه فلا توجد معلومات مفصلة حول حياتهما، وتزوج بواحدة منهما الشيخ عثمان بن جمال الدين المعبري المتوفى سنة 991هـ/1582.

**زين الدين المخدوم الكبيروالصوفية**

قال صاحب نزهة الخواطر أنه «أخذ الطريقة الجشتية عن الشيخ قطب الدين بن فريد الدين بن عز الدين الأجودهني، فألبسه الخرقة ولقنه الذكر الجلي، ثم أجازه لتربية المريدين وتلقين الذكر وإلباس الخرقة والإجازة لمن يجيز.

ولكنه يري التصوف وسيلة لتزكية النفس. التصوف الذي يراه المخدوم ليس خارجا عن الشريعة الإسلامية وليست الصوفية لبس الصوف والعزلة عن الدنيا. إنه ويري الحياة والزهد كجانبي نقد واحد. انتقل الشيخ زين الدين بن علي إلى رحمة الله بمدينة "بوناني" في السابع عشر من شعبان المعظم سنة 928 هـ - 1521

## مؤلفاته

للشيخ زين الدين مخدوم كتب النادرة ومن أشهرها:

1. قصيدة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء، هي مطبوعة في الهند اولا ثم في مصر.
2. تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان. تحفة المجاهدين.
3. مرشد الطلاب إلى الكريم الوهاب في التصوف، مطبوع في مطبعة مفاتيح الهدى بترورنغادي – كيرلا، الهند، عام 1324هـ
4. شمس الهدى في الموعظة والتذكير.
5. تسهيل الكافية شرح كافية ابن الحاجب في النحو.
6. حاشيتان على التحفة الوردية للإمام عمر بن الوردي.
7. حاشية على الإرشاد لابن المقرئ في الفقه.
8. قصص الأنبياء.
9. رسائل متعددة نظما ونثرا إلى الملوك والأمراء

10. سراج القلوب وعلاج الذنوب في التصوف.
11. إرشاد القاصدين في اختصار منهاج العابدين للإمام الغزالي.
12. الصفا من الشفا للقاضي عياض في السيرة النبوية.
13. كفاية الطالب في حل كافية ابن الحاجب، حاشية عليها.
14. حاشية مختصرة على ألفية ابن مالك في العربية.
15. السيرة النبوية.
16. قصيدة فيما يورث البركة وينفي الفقر مأخوذ من كتاب البركة للوصالي.
17. شعب الإيمان معرب لشعب الإيمان للإيجي.
18. كفاية الفرائض في اختصار الكافي في الفرائض في الفقه.
19. إرشاد الأولياء، وأشار بروكلمان إلى نسخته المخطوطة توجد في آصفية.
20. إرشاد الألباء إلى مرآة الأذكياء،

## هداية الأزكياء إلى طريقة الأولياء

"هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء" منظومة في التصوف، تعتبر هذه المنظومة من أروع ما يقرأ ويدرس في علم التصوف بولاية كيرالا – الهند، وله قبولا واسعا في العالم الإسلامي أجمع، فقام علماء من خارج الهند بشرحها ومن أشهره "كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء على هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء" للشيخ أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي المعروف بـ "السيد بكري الملكي" رحمه الله؛ وفي هذه القصيدة مئة وثمانية وثمانون بيتا، هذا الكتاب ملوء بالنصائح والإرشادات على خير البريات وبيان الطريقة الموصولة إلى الآخرة ويدافع الناس إلى التوبة والإخلاص والتوكل والزهد. كتب هذه القصيدة في بحر الكامل و فيها كثير من التشبيه. هذه المنظومة متداولة في الدراسة الإسلامية، يبين الشيخ موضوعات متنوعة تحت عنوان مختلفة مثل الشريعة والطريقة والزهد وآداب تلاوة القرأن، ويذكر عن أهمية الأخلاق الإسلامية في كل مجال حياة الإنسان وحرص على تلاوة القرأن مع فكر معانيه.

ويبدأ المنظومة بالحمد والصلاة:

الحمد لله الموفق للعلى حمدا يوافي بره المتكاملا

ثم الصلاة علي الرسول المصطفي والال مع صحب وتباع ولا

ثم يبين عن أهمية التقوى في حياة الإنسان:

تقوي الإلاه مدار كل سعادة وتلاع اهوي رأس شرحبائلا

ويشبه الشريعة بالسفينة التي هي مركب إلى إدراك الدر من أعماق البحر ويشبه الطريقة بالبحر هوالسبيل إلى إدراك السعادة في جهده.

فشريعة كسفينة وطريقة كا البحر ثم حقيقة در غلا

فشريعة اخذ بد ين الخالق وقيامه بالأمر والنهي انجلا

وطريقة اخذ بأحوط كالورع وعزيمة كرياضة متبتلا

وحقيقة لوصوله للمقصد ومشاهد نور التجلِي بانجلا

ثم يبين آراءه عن الأعمال الصالحات وهو يقول إن لكل جهد إنسان عظمة لكل عمل درجة عظيمة وأجرهم عند ربهم، لكل من سلك في أي أعمال صالحة درجة رفيعة عند ربه إن كان عمله بنية خالصة لكل هؤلاء الناس طريقة.

"ولكل واحدهم طريق من طرق يختاره فيكون من ذواصلا

كجلوسه بين الأنام مربيا وككثرةالأوراد كالصوم الصلاة

وكخدمة الناس والحمل الحطب لتصدق بمحصل متمولا"

ويقول لكل واحد من القوم مسلك بعض يجلس بين الناس ليربيهم بإرشادهم إلى العبادة والأخلاق الحسنة. وبعضهم يكثرون العبادات من الصلاة والصوم. وبعضهم يخدمون العلماء والصالحين وبعضهم يشاركون في أعمال أخرى مثل حمل الحطب وبيع في السوق لأجل التصدق فيحصلون بركات دعوات المسلمين.

ثم يبين عن أهمية طلب العلم أنه أفضل عمل من العبادات النافلة.

"فالعالم فضل على من يعبد فضل بدور على الكوكب في الجلي

إن الإله وأهل كل سماءه والأرض حتى الحوت مع نمل الفلا

كل يصلي يا حبيبي على الذي قدعلم الخير الأناس محصلا

من في طريق لتعلم يسلك فإلى الجنان له طريق سهلا"

هذه الأبيات كلها على ضوء الكتاب والسنة، و مقتبسة من القرأن والسنة كما قال صلم "من سلك طريقة لطلب العلم سهل الله له طريق الي الجنة".

يختتم هذا الشعر بهذه الأبيات:

هذا الذي أوصى الشيوخ الكمل الله وفقنا له متفضلا

الحمد للباقي الرؤوف مصليا أعلا الصلاة على الرسول محوقلا

اعتمد زين الدين المخدوم لهذا النظم مراجعا كثيرة فوق القرأن والسنة مثل كتاب "العوارف المعارف" لشهاب الدين سهروردي

**تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصليبين :**

يصف الشيخ في هذه القصيدة أحوال المؤلمة للمسلمين عند استعمار البرتغاليين في كيرالا، وهم دخلوا في هذه الولاية للتجارة، ثم صاروا ظالمين وحقوا بيوت المسلمين ومساجدهم، ويريد بهذة القصيدة تشجع المسلمين على الجهاد ضد المستعمرين الظالمين. تحتوي القصيدة على ثلاثة وسبعين ومأة بيتا رائعا يبدأ بالحمد لله وباالصلاة على الرسول والدعاع لله كعادة الشعراء المسلمين:

لك الحمد يا الله في كل ساعة وأنت عليهم بالكروب وحاجة
صلاة وتسليم على خير خلقكا محمد الداعي إلى خير ملة
وندعوك يا رحمان ياخير ناصر لدفع بليات وجلب لبيغية
وتنصر من يغزو لإيقاذ أمة من الكرب والضراء وكفر وذلة

ثم يخاطب الشاعر الملك السامري وهو ناصر المسلمين في ذلك الوقت وبطلب منه النصر للمسلمين المستضعفين الذين يوجهون الشدائد مؤلمة من المستعمرين الظالمين:

سلام عليكم يا مآلالآمل معاذا لمضطر ملاذا لأمة
مددنا إليكم كف ضعف وحاجة وذل وافتقار لدفع ملمة
فإنا كربنا بارتكاب شدائد بإفرنج عباد الصليب وصورة
طغوا في بلاد الله من كل ممكن وقد أكثروا فيها الفساد بشهرة

ثم يبين الشائر أنشطة العنف الإفرنج ضد المسلمين وهم يتحرقون أموال المسلمين ويهدمون المساجد ويصدون عن الحج ويفتلون الحجاج الذين سافرو من هذه البلاد:

وتحريق أموال وتحنيف مسلم وتعويق أسفار وتعطيل عيشة
وصد عن الحج والمعظم قدره بتعطيل أسفار إلى خير بلده
وقتل لحجاج وسائر مؤمن بأنواع تعذيب وأصناف مثلة
وجلد وقطع من يقول محمد وسب رسول الله من غير خيفة
وتكليفهم مالا يطيقون من عمل وتخويفهم لو خالفوا بأذية
وتحريضهم أن يسجدوا لصليبهم وتحضيضهم أن يقبلوا قول ردة
وسخر من الإسلام والمسلم الذي يمر طريقا ثم ضحك بجهرة

في هذه الظروف المؤلم يشجع الشائر المسلمين على جهاد ضد المستعمرين وهو يقول الجهاد واجب علي كل مسلم.

جهادهم فرض على كل مسلم قوي بنفس ثم زاد وعدة

حتى على عبد بلا إذن سيد ووولد بلا إذن وزوج فوية

ولو كان فيما فوق قصر صلاتنا إذا لم يكن من دونه ذا كفاية

ثم يخاطب الشائر السادات المسلمين والرئساهم ويخبرهم عن حال المسلمين في مليبار وبطلب منهم المساعدة ليوجه هذا الكرب.

فيا أيها السادات أنتم رجاؤنا بفضل إله العرش في كل شدة

ونحن عطاش أنتم السحب تمطر فيا ليت شعري هل تفوز برية

فإن أنتم أنقدتمونا من الكرب وجدتم ثواب ليس يحصي لكثرة

**سراج القلوب**

هذا كتاب غير مطبوع يفصل التصوف بأدلة الشرعية في ضوع القرأن والسنة قسمه بخمس وخمسين بابا .يحتوي كثيرا من الحكايات الصوفية.

مثلا "قال اللإمام عبدالله اليافي في روض الريحان عن بعض الصالحين أنه عبد الله عز وجل أربعين سنة فلما كان بعض الليالي أخذته دالة على الله قال رب أرني ما قد أعدت لي في الجنة وأخبرني ما قد أعدت لي من "حور" الحسان فما استمر كلامه حتى انشق المحراب فخرجت منه "حورية" له خرجت إلى الدنيا لقنها فقال لها انسيتت أنت فانشاءت تقول:

شكوت إلى المولى وقد علم الشكوى وأطاك ما ترجوا وقد كشف الباقي

وأرسلني إنسانا إليك وإنني أنا جيك طول الليل لو تسمح النجوى

فقال يا "حورية" لمن أنت فقالت أنا لك فقال كم لي مثلك "حورية" قلت مأة "حورية" ولكل حورية مأة خادمة ولكل خادمة مأة فهرمانية ففره فقال يا حورية هل أعطيني أكثر مني قالت يا مسكين أعطاك عطا البطالت الذين يقولون استغفر الله فيفر لهم ثم يستغفرون الله عند غروب الشمس فيغفر الله لهم ثم أنشأت تقول شعر خصائص مصطفون لحبه اختارهم في سالف الأزمان. احتارهم من قبل فطرت حلقه[324]

## مرشد الطلاب إلى كريم الوهاب :

هذ كتاب مشهور بين العلماء مقرر في الدروس المساجدية في كيرلا يفصل في هذ الكتاب أحكام الإسلام هذاول كتاب مكتوب بطريقة جديدة حسب احتياجات الفترة لهذ الكتاب شرحا كثيرا مثل "معلم ألف الألباب" لمحمد كوت مسليار " كرباكل" بدأ هذا الكتاب بقول:

[324] سراج القلوب .هذخط يدوي ،موجود في مكتبة الجامع الكبير بفناني بدون ارقام الصفحات والسنة

إن الإخوان في الله أسعدهم الله ووقهم وأيانا التمسومني أن أعظمهم وأذكرهم فلم أجد كتابا جامعا يليق بأحوالهم إذا الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم فجمعته من كتب العلماء الأعلام البحارين من أئمة الحديث والتفسير والفقه والتذكير بعون الكريم القدير رجاء أن يوفقني الله تعالى ومثلي من العوام للتقوي ويحمينا من الوقوع فيما يضر بالعقبي إنه كريم مفصل وسميه مرشدالطلاب إلى كريم الوهاب[325]

تضمن هذالكتاب تسعة عشر أبواب

1 باب الإيمان

2 باب العلم

3 باب الصلاة

4 باب الزكاة

5 باب الصوم

6 باب الحج

7 باب الربا

8 باب الظلم

9 باب الوفاء باالنذر

10 باب تحريم مال اليتيم

11 باب حق الوادين

12 باب صلة الرحمة

13 باب الجهاد

14 باب النهي عن الإتيان الكهان والتطير

15 باب الزني

16 باب شرب الحمر

17 باب آفة اللسان

18 باب الإستغفار

[325] مرشد الطلاب الي كريم الوهاب ,لزين الدين محدوم الكبير ,ص 4.5 .ملابرم 1990

انتهى الكتاب بقوله "اعلم يا أخي وفقك الله وأيانا إني لما وضعت هذ الكتاب لإرشاد مثلي من العوام اقتصرت على التوبة التي هي أول منازل السالكين ولم أطول بذكر سائر منازلهم مبوبة مفصلة ولكن أحببت أذكر منهاج العابدين سردا من غير تفصيل لتكون تذكرة لمن وفق الله لمرضاته وكراماته:

تعلم ما عليك من اللوازم فعلمك بالإله عليك لازم

وعلمك باالعبادةوامساعي لقلبك أن علمت فنت عالم[326]

**ذكر الموت**

هذ كتاب يشير المصنف الناس إلى مهمة ذكر الموت وحث على أكثار ذكره بأصلوب خاصة على ضوء أدلة القرأن والسنة أسلوبه يذكر آية القرأن ثم يبين بالأحاديث النبوية ثم يأتي بالأشعار الملائمة

مثلا:

(إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت )[327]

تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتي تكون منهم كمقدار ميل[328]

ثم أنشد بيتا جميلا عن أحوال يوم القيامة:

مثل لقلبك أيها المعرور يوم القيامة والسماء سمور

قد كورت شمس النهار واضعفت حرا على رأس العباد نفور

وإذا الجبال تقاعت عن أهلها حلت الديار فما بها معرور

وإذا النجوم بساقطت وتناشر وتبدلت بعد الضياء كدور

ولذا الوحوش لدي القيمة الحضرت وتقول الأملاك اين نصير

فيقال سيرو تشهدون فضائحا وعجائبا قداحضرت وأمور

وإذا الجنين بأمه متعلق خوف الحساب وقلبه مدعور

يتضمن إحدي عشر بابا كل هذا الأبواب الأمور المتعلقة بالموت وبعثة بعدها وحياة الأخرة

نتائج البحث

[326] مرشد الطلاب الي كريم الوهاب ,لزين الدين محدوم الكبير ,ص 238 .ملابرم 1990

[327] سورة التكرير

[328] رواه مسلم

1. يُعَدُّ الشيخ زين الدين المخدوم الكبير من أبرز علماء كيرلا الذين أسهموا في نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية في ساحل مليبار خلال القرن التاسع الهجري.
2. أسهمت رحلاته العلمية إلى مكة المكرمة ومصر في توسيع معارفه الشرعية واللغوية، وتعزيز صلته بالتقاليد العلمية في العالم الإسلامي.
3. لم تقتصر إسهاماته على التدريس والقضاء، بل امتدت إلى التأليف في الفقه والتصوف والنحو والسيرة النبوية والوعظ والإرشاد.
4. تمثل منظومته *هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء* نموذجًا بارزًا للأدب الصوفي العربي في كيرلا، لما تتضمنه من توجيهات تربوية وأخلاقية تؤكد التقوى والإخلاص والزهد وطلب العلم وخدمة الناس.
5. يكشف كتابه *تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان* عن ارتباط الأدب العربي بقضايا المجتمع والتاريخ، ويبرز موقف المؤلف من التوسع البرتغالي وما صاحبه من اعتداءات على المسلمين في ساحل مليبار.
6. يتضح من مؤلفاته الصوفية، ولا سيما *مرشد الطلاب إلى كريم الوهاب* و*سراج القلوب وعلاج الذنوب*، اهتمامه بربط تزكية النفس بالأحكام الشرعية، وتوجيه المسلمين نحو إصلاح السلوك والالتزام بتعاليم الإسلام.
7. تكشف مؤلفاته في الوعظ والتذكير بالموت عن توظيف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار في ترسيخ الوعي بالآخرة وتعزيز القيم الأخلاقية والروحية.
8. أسهمت كتاباته في تعزيز مكانة اللغة العربية بوصفها لغةً للتعليم والتأليف والتواصل العلمي في البيئة الإسلامية في كيرلا، كما ساعدت في ترسيخ تقاليد الدراسة العربية في المؤسسات الدينية.
9. يتجلى في مشروعه الفكري التكامل بين المعرفة الشرعية والتربية الروحية والإصلاح الاجتماعي، مما يجعل دراسة آثاره مهمة لفهم تاريخ الفكر الإسلامي والأدب العربي في جنوب الهند.
10. تبرز الحاجة إلى مزيد من الدراسات التحليلية والنصية لمؤلفاته المخطوطة والمطبوعة، مع توثيق مصادرها وتحقيق نصوصها، للكشف عن أبعادها اللغوية والأدبية والفكرية والتاريخية.

# اللغة العربية في الهند عند الدكتور مفتدى حسن الأزهري:

## (دراسة في رؤيته اللغوية والأدبية)



**د. طلحة فرحان الندوي**
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابه،
جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد،الهند

**Abstract:** **This study presents an examination of Dr. Muqtada Hasan al-Azhari's article, "The Arabic Language in India," highlighting the position of Arabic in India's academic and cultural life, the contributions made by Indian scholars to its advancement over the centuries, and the rich scholarly and literary heritage they have produced in the fields of Qur'anic exegesis, Hadith, Islamic jurisprudence, linguistics, rhetoric, and history. It also sheds light on the role of Arabic and Islamic seminaries and Indian universities in promoting the Arabic language and training scholars and researchers. Furthermore, it discusses the major challenges facing Arabic language education, including students' inadequate language skills, insufficient emphasis on grammar and composition, and the imbalance between teaching and scholarly writing and authorship. The study also highlights the importance of the Arabic journalism in developing writing skills and guiding younger generations, emphasizing the need for curriculum reform, greater practical engagement with the language, and encouragement of research and authorship. It seeks to identify the principal ideas presented by al-Azhari and examine the distinctive features of his style, characterized by clarity, simplicity of expression, and logical organization of ideas, while combining appreciation of the scholarly heritage with a critical assessment of existing shortcomings. The study concludes that al-Azhari's optimism about the future of Arabic in India is grounded in its rich historical and scholarly legacy, as well as in the efforts of educational institutions, the Arabic journalism, and researchers. It further argues that sustaining the progress of Arabic requires dedicated effort, systematic reform, and the effective use of lessons from the past to address present challenges and build a brighter future.**

**Keywords:** **Dr. Muqtada Hasan al-Azhari, the Arabic Language in India, Indo-Arabic Heritage, the Future of Arabic Language.**

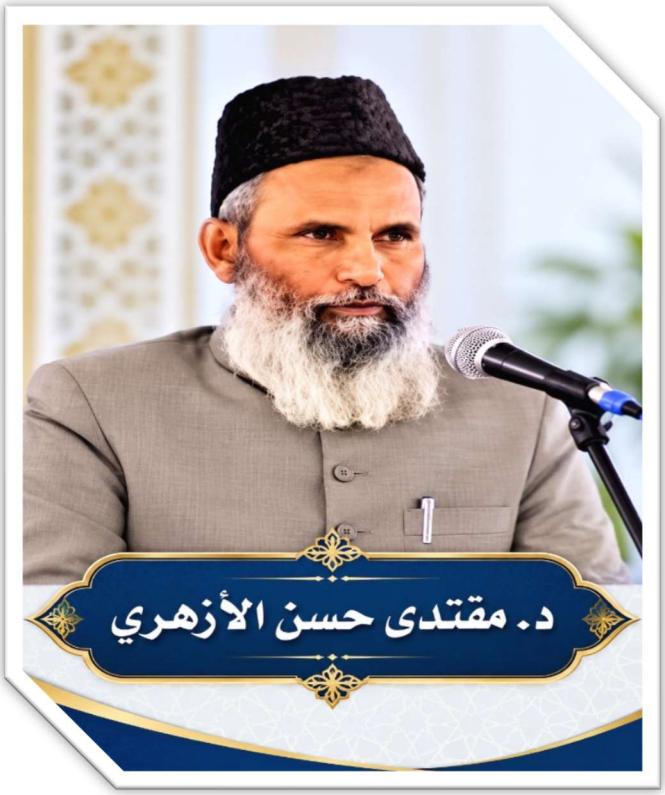
**الملخص:** يتناول هذا البحث دراسة لمقال الدكتور مقتدى حسن الأزهري "اللغة العربية في الهند"، مبرزا مكانة العربية في الحياة العلمية والثقافية الهندية، وجهود العلماء الهنود في خدمتها عبر العصور، وما خلفوه من تراث علمي وأدبي في التفسير والحديث والفقه واللغة والبلاغة والتاريخ. كما يسلط الضوء على دور المدارس العربية والإسلامية والجامعات الهندية في نشر العربية وإعداد العلماء والباحثين، ويناقش أبرز التحديات التي تواجه تعليمها، ومنها ضعف بعض المهارات اللغوية لدى الطلاب، وقلة العناية بالقواعد والإنشاء، والتفاوت بين الاهتمام بالتدريس والتأليف والتصنيف. ويبرز كذلك أهمية الصحافة العربية في تطوير الكتابة وتوجيه الأجيال

الجديدة، مؤكدا ضرورة إصلاح المناهج، وتعزيز الممارسة اللغوية، وتشجيع البحث والتأليف. ويهدف البحث إلى الكشف عن أبرز أفكار الأزهري وخصائص أسلوبه، الذي يتسم بالوضوح وسهولة العبارة وحسن ترتيب الأفكار، مع الجمع بين الاعتزاز بالتراث ونقد جوانب القصور. وتخلص الدراسة إلى أن تفاؤله بمستقبل اللغة العربية في الهند يستند إلى رصيدها التاريخي والعلمي وإلى جهود المؤسسات التعليمية والصحافة والباحثين، وأن مواصلة نهضتها تتطلب العمل الجاد، والإصلاح المنهجي، والاستفادة من تجارب الماضي لمواجهة تحديات الحاضر وبناء مستقبل أكثر إشراقا.

**الكلمات المفتاحية:** د.مقتدى حسن الأزهري، اللغة العربية في الهند، التراث العربي الهندي، مستقبل اللغة العربية.

وقبل الحديث عن مكانة اللغة العربية في الهند في نظر الدكتور مقتدى حسن الأزهري، وما تكشف عنه كتاباته من رؤى أدبية ولغوية، يحسن بنا أن نتوقف بإيجاز عند حياته ونشأته ومسيرته العلمية، وما أداه من خدمات جليلة في ميدان التعليم والتدريس، إذ إن معرفة الخلفية العلمية والفكرية للكاتب تساعد على فهم آرائه، وتكشف عن الصلة بين تكوينه العلمي والقضايا التي اهتم بها.

## نشأته ومسيرته التعليمية:




يعد الدكتور مقتدى حسن الأزهري رحمه الله من الشخصيات العلمية البارزة التي ظهرت في الهند بعد الاستقلال، وقد كرس حياته لخدمة الدين والعلم والتعليم. ولد في الثامن من أغسطس سنة 1939م في منطقة دومن فوره بمئوناث بنجن[329]، في ولاية أترا براديش، ونشأ في هذه البيئة التي تلقى فيها تربيته وتعليمه الأول. وقد كان للعلم والتعليم حضورواضح في أسرة والدته، إذ كان جده لأمه، الشيخ محمد نعمان الأعظمي رحمه الله، من أهل العلم، وقد تلمذ على الشيخ نذير حسين

[329] ڈاکٹر مقتدی حسن ازہری حیات اور علمی نقوش، مرتبہ: عبد الکریم عبد العلیم، مقال "آئینہ حیات ڈاکٹر مقتدی حسن ازہری رحمہ اللہ" لمحفوظ الرحمن السلفي، روشان پرنٹرس، دہلی، بار اول، 2017ء، ص8

المحدث الدهلوي رحمه الله[330]، وقضى مدة طويلة في تدريس الحديث بجامعة دار السلام في عمر آباد. وقد أسهمت هذه الصلة العلمية في إبراز مكانة العلم والتعليم في محيط أسرته.

بدأ الدكتور مقتدى حسن الأزهري مسيرته التعليمية في الجامعة العالية العربية، ثم التحق بدار العلوم، فرع مرزا هادي فوره بمئو، حيث أتم حفظ القرآن الكريم. وفي سنة 1959م أكمل دراسته في الجامعة العالية العربية حتى المرحلة الثانوية[331]، ثم التحق بجامعة فيض عام بمئو، واستفاد من علمائها وأساتذتها. وبعد ذلك انتقل إلى جامعة أثرية دار الحديث، حيث أتم دراسته وحصل على درجة الفضيلة سنة 1961م[332]. وإلى جانب دراسته الدينية والعربية، اجتاز الامتحانات النظامية التي أشرف عليها مجلس إله آباد، فحصل على شهادات المولوي والعالم والفاضل، جامعا بذلك بين التعليم الديني والتعليم النظامي.

وفي سنة 1963م سافر إلى مصر لمواصلة دراسته العليا، فالتحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وحصل منها على درجة الماجستير سنة 1966م[333]. وخلال إقامته في القاهرة، عمل مدة عامين في الخدمة الأردية بإذاعة القاهرة، فجمع بين الدراسة الجامعية والخبرة في المجال الإعلامي. ثم عاد إلى الهند سنة 1967م، والتحق بالجامعة السلفية في أبريل سنة 1968م[334]، ليبدأ مرحلة مهمة من حياته العلمية والتربوية، امتدت نحو أربعين عاما من العمل في هذه المؤسسة.

ولم يكتف الدكتور الأزهري بما حصله من علوم، بل واصل دراساته العليا في جامعة عليكره الإسلامية، فحصل سنة 1972م على درجة الماجستير في الفلسفة لبحثه "منصور الفقيه: حياته وشعره"، الذي نشر لاحقا في مجلة المجمع العلمي الهندي سنة 1977م. ثم حصل على درجة الدكتوراه سنة 1975م تحت إشراف البروفيسور مختار الدين آرزو، وكانت رسالته تحقيق الجزء الثاني من كتاب العلامة ابن عبد البر "بهجة المجالس و أنس المجالس". وقد أعد فهرسا للكتاب، وخرج ما ورد فيه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار[335]، وهذا يدل على عنايته بالبحث العلمي وتحقيق التراث العربي. كما حرص على توسيع معارفه اللغوية، فتقدم إلى

---

[330] مجلة "افكار عالية" العدد الخاص في الدكتور مقتدى حسن الأزهري، مقال "ڈاکٹر مقتدى حسن ازہری کا خاندانی پس منظر" للشيخ أسعد الأعظمي، أبريل 2012 – يونيو 2013، ص219

[331] ڈاکٹر مقتدى حسن ازہری حیات اور علمی نقوش، مرتبہ: عبد الکریم عبد العلیم، مقدمة المرتب، روشان پرنٹرس، دہلی، بار اول، 2017ء، ص12

[332] ڈاکٹر مقتدى حسن ازہری حیات اور علمی نقوش، مرتبہ: عبد الکریم عبد العلیم، مقدمة المرتب، روشان پرنٹرس، دہلی، بار اول، 2017ء، ص12

[333] مجلة "افكار عالية" العدد الخاص في الدكتور مقتدى حسن الأزهري، مقال "میرے دیرینہ ساتھی مخلص رہنما" للدكتور عبد العلي الأزهري، أبريل 2012 – يونيو 2013، ص32

[334] ڈاکٹر مقتدى حسن ازہری حیات اور علمی نقوش، مرتبہ: عبد الکریم عبد العلیم، مقدمة المرتب، روشان پرنٹرس، دہلی، بار اول، 2017ء، ص12

[335] ڈاکٹر مقتدى حسن ازہری حیات اور علمی نقوش، مرتبہ: عبد الکریم عبد العلیم، مقدمة المرتب، روشان پرنٹرس، دہلی، بار اول، 2017ء، ص12

امتحانات اللغة الإنجليزية، فاجتاز امتحان المرحلة المتوسطة سنة 1971م، ثم امتحان المرحلة الثانوية سنة 1973م[336].

أما في ميدان التدريس، فقد احتلت الجامعة السلفية مكانة أساسية في حياة الدكتور مقتدى حسن الأزهري، إذ عمل فيها مدة طويلة، وكرس جانبا كبيرا من جهده لتعليم الطلاب وتربيتهم، ولا سيما في مجال الأدب العربي. ولم يقتصر دوره على أداء مهمته التعليمية، بل شارك في الإدارة والتنظيم والتوجيه، وأسهم في تطوير المؤسسة والارتقاء بمستواها العلمي والتربوي. وقد جمع في شخصيته بين الأستاذ والمربي والإداري والباحث، واستفاد في عمله من تكوينه العلمي الذي جمع بين الدراسات الدينية والأكاديمية. وإلى جانب التدريس، نشط في التأليف والتصنيف والصحافة والترجمة، فكان التعليم جزءا من رسالة أوسع جعلها لخدمة العلم والدين ونشر المعرفة. وهكذا مثلت حياته ومسيرته التعليمية نموذجا للعالم الذي واصل طلب العلم، ثم سخر معارفه وخبراته لخدمة الطلاب والمؤسسات العلمية، وظل مرتبطا برسالة التعليم والتربية طوال حياته.

الوعي التاريخي بمكانة اللغة العربية في الهند

يبدأ الدكتور مقتدى حسن الأزهري مقاله "اللغة العربية في الهند"[337] بالعودة إلى ذكريات أيامه قضاها في جامعة عليكره الإسلامية التي أدت دورا مهما في النهضة العلمية الحديثة، ويشير إلى أن هذه الجامعة قد أمضت سنوات طويلة في خدمة العلم والأدب، وأنها تحتاج إلى أن تعرف جهودها وأن توثق إنجازاتها. وفي هذا السياق يقول:

"أعود مرة أخرى إلى ذكرياتي الجامعية، وهي ذكريات أيام قضيتها في إحدى جامعات الهند الشهيرة التي لعبت دورا هاما في النهضة العلمية الحديثة".[338]

يتبين من هذه العبارة أن الكاتب ينظر إلى المؤسسات التعليمية بوصفها مراكز فاعلة في صناعة النهضة، وأن تاريخها لا ينبغي أن يترك للنسيان، بل يجب أن يستعاد ويدرس وتعرف أبعاده. كما أن استحضاره تجربته الجامعية يضفي على المقال مسحة شخصية واضحة، إذ يتحدث عن موضوعه من موقع من عرف البيئة العلمية الهندية وعايش بعض أحوالها، لا من موقع الباحث الذي يكتفي بنقل الأخبار والوقائع.

ولا يقف الدكتور مقتدى حسن الأزهري عند استذكار الماضي، بل يربط بين توثيق التاريخ والتعريف بالجهود العلمية وبين واجب الأجيال الجديدة. فهو يرى أن ما قدمته الجامعات والعلماء في خدمة العربية يستحق

---

[336] ڈاکٹر مقتدی حسن ازہری حیات اور علمی نقوش، مرتبہ: عبد الکریم عبد العلیم، مقدمة المرتب، روشان پرنٹرس، دہلی، بار اول، 2017ء، ص12

[337] قد نُشر هذا المقال المعنون بـ"اللغة العربية في الهند" للدكتور مقتدى حسن الأزهري في مجلة "صوت الجامعة"، في عددها الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م، الموافق جمادى الأولى 1396هـ.

[338] اللغة العربية في الهند، الدكتور مقتدى حسن الأزهري، صوت الجامعة، العدد الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م، ص5

أن يعرف، وأن التعريف به يساعد على استمرار العمل العلمي وتطويره. وتظهر هنا إحدى خصائص تفكيره، وهي الجمع بين الوفاء للماضي والمسؤولية تجاه المستقبل.

ومن الجوانب المهمة في رؤيته أنه لا يحصر تاريخ العربية في الهند في المؤسسات الجامعية الحديثة وحدها، وإنما يوسع دائرة النظر لتشمل جهود العلماء الهنود في التأليف والتفسير والحديث والفقه واللغة والبلاغة والتاريخ. وبهذا يربط ازدهار العربية بتاريخ العلوم التي كتبت بها، ويجعل الإنتاج العلمي نفسه شاهدا على عمق حضورها في الحياة الثقافية الهندية.

ويؤكد الدكتور مقتدى حسن الأزهري أن التراث العربي الذي خلفه علماء الهند يمثل مصدرا مهما للفخر والاعتزاز، إذ يقول:

> "وقد بدأ اهتمام الهنود باللغة العربية منذ أن تم اتصالهم بالعرب وجرى التبادل بين الأمتين في المجال التجاري والثقافي. وقد ازداد هذا الاهتمام بعد ظهور الإسلام ودخوله في أرض الهند حيث أقبل أهلها على تعلم اللغة العربية بدافع ديني بجانب الدافع التجاري والثقافي. وتتجلى قوة هذا الدافع إذا نظرنا إلى التراث العربي الضخم الذي أنتجه علماء المسلمين الهنود في مختلف الفنون من التفسير والحديث والقواعد واللغة والبلاغة والتاريخ وما إلى ذلك".[339]

وتشير هذه الفقرة إلى اتساع المجال الذي يضع فيه الكاتب إسهامات العلماء الهنود، فالعربية عنده ليست لغة لتدريس العلوم الدينية فحسب، بل هي كذلك لغة بحث وتأليف وتحقيق في فنون متعددة. وتكمن قيمة هذا التصور في أنه يخرج بتاريخ العربية في الهند من النظرة المحدودة التي تربطها بمجال واحد، ويبرز تنوع الوظائف العلمية والأدبية التي أدتها.

ومن ثم يمكن القول إن الدكتور مقتدى حسن الأزهري يسعى إلى تثبيت حقيقة أساسية، وهي أن تاريخ العربية في الهند لا يفهم فهما كاملا إلا بدراسة ما أنتجه العلماء الهنود بهذه اللغة، وما أسهموا به في تنمية علومها وآدابها، وما تركوه من مؤلفات يمكن أن يستفيد منها الباحثون والدارسون.

جهود العلماء الهنود في خدمة اللغة العربية وآدابها

من أبرز الجوانب التي يركز عليها الدكتور مقتدى حسن الأزهري إبراز جهود العلماء الهنود في التأليف باللغة العربية، وإظهار ما يتمتع به تراثهم من قيمة علمية وأدبية. فيشير إلى أن هذه المؤلفات تشمل ميادين

[339] اللغة العربية في الهند، الدكتور مقتدى حسن الأزهري، صوت الجامعة، العدد الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م، ص7

متنوعة، وأنها تقدم دليلا واضحا على قدرة العلماء الهنود على التعامل مع العربية، والتعبير بها عن موضوعات دقيقة في العلوم الإسلامية واللغوية.

ويذكر الكاتب عددا من المؤلفات والأعمال العلمية التي تمثل نماذج لهذا الإنتاج، ومن بينها كتب في اللغة والفقه والعلوم، ومؤلفات تتصل بالبيان والتفسير والحديث. ولا يورد هذه العناوين لمجرد التعداد، و إنما يجعلها شواهد على نشاط علمي متواصل، وعلى أن العربية كانت أداة أصيلة في بناء المعرفة لدى عدد من علماء الهند. ومن عباراته الدالة في هذا السياق قوله: "وكثير غيرها مما لا يقل أهمية وأصالة مما ذكر".[340]

تدل هذه الجملة على أن الأمثلة التي ذكرها لا تستوعب جميع الأعمال التي تستحق الدراسة، وأن التراث العربي الهندي أوسع من أن يحاط به في مقال واحد. كما توحي بوجود مجال رحب للبحث والتحقيق والتعريف بالمؤلفات التي لم تنل حظها الكافي من الدراسة والنشر.

ويبدو أن الدكتور مقتدى حسن الأزهري يريد من خلال هذه الإشارات أن يلفت أنظار الباحثين إلى ضرورة تجاوز الاكتفاء بالأسماء المشهورة، والبحث في مجموع الإنتاج العلمي الذي خلفه العلماء الهنود بالعربية. فالتاريخ الأدبي لا يكتمل بمجرد ذكر عدد محدود من الأعلام، و إنما يحتاج إلى فحص مؤلفاتهم، ودراسة موضوعاتها، وتحليل أساليبها، وتحديد قيمتها في تاريخ اللغة والأدب.

تتضح صلة مقال الدكتور مقتدى حسن الأزهري بإسهاماته في خدمة الأدب العربي في الهند من خلال اهتمامه بتوثيق جهود العلماء السابقين، والدعوة إلى مواصلة دراسة تراثهم و إبراز قيمته العلمية والأدبية، وتحفيز الباحثين على تحقيق مؤلفاتهم وتصنيفها والتعريف بها، وإعادة تقديمها إلى القراء، بما يسهم في توثيق الصلة بين الأجيال وتاريخ اللغة العربية في البلاد. وينطلق هذا الاهتمام من مفهوم واسع للخدمة الأدبية، لا يقتصر على نظم الشعر وكتابة المقالات الأدبية، بل يشمل كذلك دراسة تاريخ العربية، وتحقيق التراث، والتعريف بالمؤلفات، و إبراز جهود العلماء الذين جعلوا من العربية لغة للبحث والتفكير والتعبير. ومن ثم، فإن قيمة المقال لا تقف عند حدود العرض التاريخي لجهود العلماء الهنود، بل تتجاوز ذلك إلى التوجيه الثقافي والعلمي، من خلال الدعوة إلى مواصلة البحث في التراث العربي الهندي، وإحياء ما ينطوي عليه من ثروة علمية وأدبية، وتشجيع الأجيال الجديدة على الإفادة منه ومتابعة مسيرة العطاء.

اللغة العربية بين التراث العلمي والحياة الثقافية المعاصرة

يربط الدكتور مقتدى حسن الأزهري بين التراث العربي الذي خلفه علماء الهند ومكانة اللغة العربية في الحياة الثقافية الحديثة، مؤكدا أن هذا التراث لا يمثل مجرد شاهد على مرحلة تاريخية مضت، بل هو رصيد

[340] اللغة العربية في الهند، الدكتور مقتدى حسن الأزهري، صوت الجامعة، العدد الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م، ص8

علمي وأدبي تتواصل قيمته عبر الأجيال، ويمكن أن يستمر نفعه إذا حظي بمزيد من الدراسة والعناية والنشر. ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية إعادة قراءة المؤلفات القديمة، والتعريف بأصحابها، وتقديمها إلى الأجيال الجديدة، بما يتيح للدارسين الإفادة مما تشتمل عليه من مادة علمية وأدبية. وتعكس هذه الرؤية وعي الأزهري بضرورة مواصلة البحث في تراث علماء الهند وتقدير جهودهم، وإدراك الصلة الوثيقة بين الماضي والحاضر، بوصفها أساسا مهما في بناء مستقبل اللغة العربية.

ومن خلال المقال يتبين أن الدكتور مقتدى حسن الأزهري لا ينظر إلى تاريخ العربية في الهند نظرة جامدة تنتهي عند تسجيل الوقائع، بل يريد أن يتحول هذا التاريخ إلى قوة دافعة نحو العمل. فمعرفة ما أنجزه السابقون ينبغي أن تقود إلى تطوير ما يقوم به المعاصرون، وإلى تشجيع التأليف والبحث، وإلى تحسين مناهج التعليم، وإلى زيادة التواصل بين المؤسسات العلمية.

ومن الجوانب اللافتة في مقاله اهتمامه بالتراث بوصفه دليلا على كفاءة العلماء الهنود في استعمال العربية. فالإنتاج العلمي في هذه اللغة يدل، في نظره، على امتلاك أصحاب تلك المؤلفات قدرة على التعبير عن المسائل الدقيقة، ومعالجة موضوعات متخصصة، والإسهام في مجالات معرفية متعددة. وبذلك تصبح المؤلفات العربية الهندية شاهدا على أن اللغة العربية لم تكن غريبة عن النشاط العلمي في الهند، بل كانت إحدى أدواته المهمة.

غير أن اعتزاز الكاتب بهذا التراث لا يمنعه من رؤية ما يحتاج إليه الواقع المعاصر من تطوير. فالمؤلفات السابقة، مهما بلغت قيمتها، لا تغني عن البحث الجديد، ولا تعفي المؤسسات التعليمية من مراجعة طرائق التدريس ومناهج الدراسة. ومن هنا ينتقل المقال من الحديث عن الإنجازات التاريخية إلى مناقشة أحوال المدارس والجامعات، في محاولة لبيان المسافة بين ما تحقق في الماضي وما ينبغي إنجازه في الحاضر.

المدارس العربية والجامعات الهندية ودورها في النهضة

يولي الدكتور مقتدى حسن الأزهري المؤسسات التعليمية اهتماما خاصا، ويعرض دور المدارس العربية والإسلامية في نشر اللغة العربية، وإعداد الطلاب، وتكوين العلماء والباحثين. ويشير إلى أن بعض هذه المدارس استطاع أن يتجاوز حدود الهند، وأن يخرج طلابا برزوا في البحث والتحقيق وخدمة الدين والعلم، فيذكر في وصفه لهذه المؤسسات:

> "ومنها مدارس كبيرة جاوزت شهرتها حدود الهند ووصلت إلى البلاد الإسلامية الأخرى، وتخرج فيها طلاب برزوا في مجال البحث والتحقيق وخدموا الدين والعلم".[341]

[341] اللغة العربية في الهند، الدكتور مقتدى حسن الأزهري، صوت الجامعة، العدد الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م، ص8

يتجلى في هذه العبارة تقديرواضح للدورالذي أدته المدارس في تكوين الأجيال العلمية. كما أنها تبرزنظرة الدكتورمقتدى حسن الأزهري إلى التعليم بوصفه أساسا لنقل المعرفة واستمرارها، فالمدرسة لا تؤدي وظيفتها بمجرد تقديم الدروس، بل تتجلى قيمتها في نوعية خريجيها، وفي قدرتهم على متابعة البحث والإسهام في الحياة العلمية.

ومع هذا التقدير، لا يتعامل الكاتب مع المدارس تعاملا مثاليا خاليا من النقد. فهو يلاحظ أن هذه المؤسسات، على الرغم مما حققته من نجاح، تواجه مشكلات تتصل بالإمكانات والوسائل التعليمية والمناهج. ومن هنا تتسم رؤيته بالتوازن، إذ يذكر الإنجازات، ثم يلفت النظر إلى النو اقص التي قد تحد من أثرها، ويشير إلى الحاجة إلى الإصلاح والتطوير، فيقول في هذا المعنى:

> "ومع أن هذه المدارس تعاني من قلة الوسائل المادية وتواجه أنواعا من المشاكل، ولكنها ماضية في تحقيق أهدافها بإخلاص وأمانة. ولا شك أنها كانت - ولاتزال- بمثابة المعاقل والحصون للغة العربية والعلوم الإسلامية".[342]

توضح هذه العبارة أن الدكتورمقتدى حسن الأزهري يميزبين قيمة الرسالة التعليمية وبين الظروف التي تؤدي فيها المؤسسات عملها. فضعف الإمكانات لا يعني انعدام الإنجاز، كما أن الإخلاص في العمل لا يلغي الحاجة إلى تحسين الوسائل وتطوير البرامج. ويظهرفي هذا الموقف إنصافه للمؤسسات التي تؤدي دورها في ظروف صعبة، مع حرصه على ألا تتحول الإشادة بها إلى مبررلإهمال جو انب الإصلاح.

أما الجامعات، فيرى أنها تملك إمكانات أكبرفي تدريس العربية وآدابها، وأنها ينبغي أن تستفيد من طبيعة الدراسة الجامعية التي تسمح بالتخصص والبحث والمناقشة. لكنه يلاحظ أن العناية باللغة العربية في بعض المؤسسات لم تكن متوازنة في جميع المجالات، فالتدريس والتدريب على القواعد والإنشاء يحتاجان إلى مزيد من الاهتمام، كما أن التأليف والكتابة لم يبلغا المستوى الذي يتطلع إليه، فيشيرإلى هذا الجانب بقوله:

> "أما الكليات والجامعات الرسمية فالاهتمام فيها باللغة العربية وآدابها أكبر، ومنهج الدراسة ونظامها فيها أجود وأمثل، غيرأن ناحية القواعد والتمرين على الإنشاء لم تحظ بنصيبها في مناهج الجامعات، لذلك ضعف الطلاب في القواعد وفي الكتابة".[343]

---

[342] اللغة العربية في الهند، الدكتور مقتدى حسن الأزهري، صوت الجامعة، العدد الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م، ص8

[343] اللغة العربية في الهند، الدكتور مقتدى حسن الأزهري، صوت الجامعة، العدد الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م، ص9

يعترف الدكتورمقتدى حسن الأزهري بما تتمتع به الجامعات من تنظيم علمي وإمكانات تعليمية، غير أنه لا يكتفي بتقدير هذه الجوانب، بل ينظر إلى مدى انعكاسها على مستوى الطلاب ومهاراتهم في الكتابة والتعبير وقدرتهم على استخدام اللغة العربية. فهو يرى أن وجود المناهج الدراسية والأقسام الأكاديمية، مهما بلغت درجة تنظيمها، لا يكفي في حد ذاته ما لم يسهم في تحقيق نتائج ملموسة في تحصيل الطلاب وتنمية كفاءتهم اللغوية. ومن هنا تتجلى نزعته الإصلاحية في تقويم التعليم من خلال نتائجه الفعلية، والاهتمام بمدى تمكن الطلاب من اللغة، لا بمجرد توافر المقررات الدراسية والإمكانات التعليمية. وتعكس هذه النظرة إدراكه أن النهوض باللغة العربية وضمان مستقبلها يتطلبان تعليما جيدا يحقق التوازن بين المعرفة النظرية والممارسة اللغوية، ويترجم المناهج والإمكانات المتاحة إلى قدرة حقيقية على الكتابة والتعبير.

مشكلة التأليف والكتابة والحاجة إلى إصلاح المناهج

من أهم القضايا التي يناقشها الدكتورمقتدى حسن الأزهري في مقاله ضعف العناية بالتأليف والكتابة مقارنة بالعناية بالتدريس والتدريب. فهو يلاحظ أن الباحثين قد اهتموا بتعليم اللغة، لكن هذا الاهتمام لم ينعكس بالقدرنفسه على إنتاج المؤلفات والدراسات الجديدة، فيعبرعن هذه الملاحظة بقوله:

> "وقد لاحظ المناقشون أن مجال التأليف كان قليل الحظ بالنسبة لمجال التدريس، والعلماء قد اهتموا بالتدريس وبالإصلاح والتذكير أكثر من الكتابة والتصنيف ولذلك نرى أن آثارهم في مجال الكتابة أقل منها في المجالات الأخرى[344]".

وتكتسب هذه الملاحظة أهمية خاصة في رؤية الدكتور مقتدى حسن الأزهري للتعليم، إذ تكشف عن تمييزه بين تعليم اللغة العربية واكتساب القدرة على استخدامها في إنتاج المعرفة. فالتدريس، وإن كان يتيح للطلاب تعلم القواعد وفهم النصوص، لا يكفي وحده لتكوين كتاب وباحثين قادرين على إعداد الدراسات والتأليف في الموضوعات العلمية والأدبية. ومن ثم، يؤكد الأزهري أهمية جعل تنمية مهارات الكتابة جزءا أساسيا من العملية التعليمية، بحيث لا يقتصر أثر التعليم على استيعاب القواعد وفهم النصوص، بل يمتد إلى تمكين الطلاب من التعبيرعن أفكارهم والإسهام في التأليف والبحث العلمي.

ولا ينبغي فهم هذا النقد على أنه تقليل من قيمة التدريس، فالكاتب يقدر الجهود المبذولة فيه، لكنه يريد أن تتكامل مع التأليف والبحث. ومن شأن هذا التكامل أن يجعل العربية لغة للتعلم والإنتاج معا، وأن يتيح للباحثين الهنود أن يقدموا إسهامات جديدة إلى الأدب العربي بدل الاقتصارعلى تلقي المعرفة أو إعادة شرح ما سبق.

---

[344] اللغة العربية في الهند، الدكتور مقتدى حسن الأزهري، صوت الجامعة، العدد الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م، ص9

وتظهر القضية نفسها في حديثه عن المناهج الدراسية، إذ يدعو إلى العناية بقواعد اللغة ومهاراتها العملية، بحيث يستطيع الطلاب التعبير والكتابة على نحو صحيح. فالغاية من تعليم العربية ليست حفظ القواعد وحدها، بل اكتساب القدرة على توظيفها في القراءة والكتابة والتأليف.

كما يشير إلى أن التواصل بين الجامعات والمدارس العربية يمكن أن يسهم في تحسين العملية التعليمية. فالتعاون بين المؤسسات، وتبادل الخبرات، والاستفادة من التجارب المختلفة، كلها وسائل من شأنها أن تساعد على تطوير التعليم اللغوي، وتوسيع فرص البحث والتأليف.

وهذه الدعوة إلى الإصلاح ليست تفصيلا عابرا في المقال، بل تمثل أحد محاوره الرئيسة. فالأزهري يدرك أن ازدهار اللغة لا يتحقق بالاعتزاز بتاريخها وحده، وإنما يحتاج إلى عمل متواصل في المؤسسات التي تتولى تدريسها، وإلى مناهج توازن بين القواعد والتطبيق، وبين الدراسة النظرية والإنتاج الأدبي والعلمي.

الأدب العربي والصحافة العربية في الهند

لا يقتصر اهتمام الدكتور مقتدى حسن الأزهري على المدارس والجامعات، بل يمتد إلى دور الصحافة العربية في تنمية مهارات الكتابة وتوسيع دائرة القراء. ويشير إلى أن الصحافة العربية الحديثة بدأت تشهد تقدما ملحوظا، وأن بعض المجلات والصحف اكتسبت شهرة وقبولا لدى القراء، مما يهيئ المجال لتطوير الأساليب الكتابية وتشجيع المواهب الجديدة. وفي حديثه عن هذا الجانب يقول:

"أما الصحافة العربية فمع كونها حديثة السن تقوى وتقدم وتقوم بتوجيه الجيل الجديد وتأخذ بأيدي الناس إلى ما فيه الخير والسعادة[345]".

تبرز هذه العبارة تصوره لوظيفة الصحافة ودورها في المجتمع، فهي، في نظره، ليست مجرد وسيلة لنقل الأخبار، بل مؤسسة ثقافية تسهم في توجيه القراء، ونشر المعرفة، وفتح المجال أمام الأجيال الجديدة للتعبير والمشاركة. كما أن وصفه الصحافة بأنها "حديثة السن "يشير إلى حداثة نشأتها، في حين يؤكد حديثه عن قوتها وتقدمها وتوجيهها للجيل الجديد إيمانه بقدرتها على الإسهام في النهضة الثقافية. ومن ثم، فإن اهتمامه بالصحافة يرتبط برؤيته لتطوير الكتابة العربية وتوسيع أثرها، بما يجعلها أكثر قدرة على الاستجابة لحاجات العصر والتواصل مع القراء.

ويشير الكاتب كذلك إلى أن بعض المجلات العربية اكتسبت شهرة بين الناس، وأنها تمثل فرصة مهمة لتطوير أساليب الكتابة. ومن هذه الإشارة يمكن استنتاج أنه يرى في الصحافة ميدانا عمليا لتدريب الكتاب والباحثين، ومجالا لنشر المقالات والدراسات، وتبادل الآراء العلمية والأدبية.

[345]اللغة العربية في الهند، الدكتور مقتدى حسن الأزهري، صوت الجامعة، العدد الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م، ص10

وتكمن أهمية هذا التصور في أنه يربط تطور الأدب بتطور وسائل نشره. فالأدب لا ينمو في عزلة عن المجتمع، و إنما يحتاج إلى منابر تعرض الأعمال، وتتيح الحوار، وتعرف القراء بالإنتاج الجديد. ومن هنا تصبح الصحافة العربية جزءا من البنية الثقافية التي تساعد على استمرار العربية في الهند، وعلى توسيع حضورها خارج الفصول الدراسية والمؤسسات الأكاديمية.

كما تكشف هذه النظرة عن جانب من إسهام الدكتور مقتدى حسن الأزهري الأدبي، إذ إنه لا يكتفي بتناول النصوص الأدبية في ذاتها، بل يلتفت إلى البيئة التي تنتج فيها هذه النصوص وتنشر، وإلى الوسائل التي تساعد على تطويرها. وهو بذلك يربط بين اللغة والأدب والتعليم والصحافة في إطار واحد، قوامه أن ازدهار العربية يحتاج إلى منظومة ثقافية متكاملة.

أسلوب الدكتور مقتدى حسن الأزهري في المقال

يتسم أسلوب الدكتور مقتدى حسن الأزهري في هذا المقال بالوضوح والسهولة، مع اعتماد ملحوظ على العرض التحليلي الذي يجمع بين وصف الو اقع وتفسيره وتقويمه. فهو لا يثقل عباراته بالمصطلحات المعقدة، ولا يجعل المقال حشدا من المعلومات التاريخية، بل ينتقل من فكرة إلى أخرى انتقالا منطقيا، فيبدأ بالحديث عن التاريخ والتراث، ثم يعرض جهود العلماء والمؤسسات، وبعد ذلك يناقش مشكلات التعليم والكتابة، وينتهي إلى النظر في مستقبل العربية.

ومن خصائص أسلوبه كذلك اعتماده على الأمثلة والشواهد. فعندما يريد إبراز مكانة العربية في الهند، يستحضر مؤلفات العلماء في مختلف الفنون، وحين يناقش دور المدارس، يذكر ما حققته من انتشار وما تخرج فيها من باحثين، وعندما يتناول الجامعات، يوازن بين جودة نظامها التعليمي وبين ما يراه من قصور في بعض المهارات والمجالات. وبهذه الطريقة تصبح أحكامه متصلة بوقائع محددة، لا مجرد عبارات عامة في مدح العربية أو الدعوة إلى خدمتها.

ويظهر في المقال أيضا أسلوب المقابلة بين الإنجاز والنقص. فهو يثني على جهود المدارس، ثم يشير إلى قلة الإمكانات التي تواجهها، ويعترف بتقدم الجامعات في تنظيم الدراسة، ثم يلاحظ الحاجة إلى تقوية مهارات الكتابة، ويقدر التراث العربي الهندي، ثم يدعو إلى مواصلة البحث والتأليف. وهذا التوازن يمنح المقال طابعا و اقعيا، ويبعده عن المبالغة في تصوير الحاضر أو الاكتفاء بتمجيد الماضي.

ومن سمات عبارته أنه يوظف الجمل التفسيرية التي توضح العلاقة بين الأسباب والنتائج. فهو لا يذكر نقصا في التعليم ثم ينتقل إلى موضوع آخر، بل يربطه بأثره في مستوى الطلاب، ولا يشير إلى قلة التأليف بمعزل عن دورها في الحد من الإنتاج العلمي، بل يجعلها مدخلا للدعوة إلى إصلاح المناهج وتشجيع الكتابة. ويؤدي هذا التر ابط دورا مهما في بناء حجته و إقناع القارئ بضرورة الإصلاح.

أما من الناحية الأدبية، فإن قيمة المقال لا تقوم على الزخرفة اللفظية أو الصور البيانية الكثيرة، و إنما تظهر في حسن ترتيب الأفكار، ودقة الملاحظة، ووضوح المقصد، والقدرة على عرض قضية واسعة في لغة سهلة. وهذه سمة مناسبة لطبيعة المقال، لأنه يتوجه إلى قضية ثقافية وتعليمية تحتاج إلى البيان والإقناع أكثر مما تحتاج إلى المحسنات اللفظية.

وتكشف لغة المقال كذلك عن انشغال الكاتب بمصير العربية في الهند. فاختياره للموضوع، وطريقة عرضه للتراث، واهتمامه بالمدارس والجامعات والصحافة، كلها عناصر تدل على أن الكتابة عنده وسيلة لخدمة اللغة، وتحريك الوعي بأحوالها، والدعوة إلى تطوير المؤسسات التي تنهض بها. ومن هنا يتداخل الأسلوب الأدبي مع الرسالة الفكرية، فلا يكون المقال وصفا محايدا فحسب، بل يصبح خطابا ثقافيا يحمل رؤية واضحة للإصلاح والتقدم.

رؤية الدكتور مقتدى حسن الأزهري لحالة اللغة العربية ومستقبلها في الهند

تتجلى رؤية الدكتور مقتدى حسن الأزهري لمستقبل العربية في الهند من خلال جمعه بين الاعتزاز بما تحقق في الماضي، والتفكير النقدي في مشكلات الحاضر، والإيمان بإمكانات التطور. فهو يورد شواهد كثيرة على أن العربية حظيت بخدمة علماء هنود في مجالات متعددة، وأن المدارس والجامعات والصحافة أدت دورا مهما في استمرارها و انتشارها. لكنه في الوقت نفسه لا يتجاهل جوانب الضعف التي تحتاج إلى إصلاح.

ويشير في ختام مقاله إلى أن مستقبل العربية في الهند جدير بالتفاؤل، وأن اللغة يمكن أن تبلغ مكانة رفيعة وتنتشر في البلاد، فيقول:

> "وبعد هذه النظرة العابرة إلى ماضي اللغة العربية وحاضرها في الهند يمكن أن نقرر أن مستقبل هذه اللغة زاهر عظيم، وأنها تعم وتنشر في شبه القارة الهندية لدوافع دينية وسياسية وثقافية بعد أن دخلت مؤسسة الأمم المتحدة في العام الماضي".[346]

إن هذه العبارة تمثل خلاصة موقفه الفكري، فهو لا يجعل التفاؤل منفصلا عن الواقع، بل يقدمه بعد عرض التاريخ، ومناقشة أحوال التعليم، والإشارة إلى جهود العلماء والمدارس والجامعات والصحافة. وبذلك يبدو الأمل في المستقبل نتيجة لما يراه من مقومات حقيقية، لا مجرد أمنية خالية من الأساس.

ويتابع الدكتور مقتدى حسن الأزهري حديثه عن مستقبل العربية مشيرا إلى اتساع انتشارها في المؤسسات التعليمية، وإلى أثر التحولات الدينية والسياسية والثقافية في تجدد الاهتمام بها. كما يربط ازدياد

[346] اللغة العربية في الهند، الدكتور مقتدى حسن الأزهري، صوت الجامعة، العدد الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م، ص10

الإقبال على العربية بما تتيحه من صلة بالتراث الإسلامي، وبما تؤديه من وظيفة في التواصل العلمي والثقافي مع العالم العربي.

ولا يعني تفاؤل الدكتور مقتدى حسن الأزهري بمستقبل اللغة العربية أن الطريق إلى ازدهارها خال من العقبات، بل يرتبط هذا المستقبل، في نظره، بتو افر جملة من الشروط، من أهمها تحسين مناهج التعليم، وتنمية مهارات الطلاب في القواعد والكتابة، وتشجيع التأليف والتصنيف، وتطوير الصحافة العربية، وتعزيز التعاون بين المدارس والجامعات. وتكشف هذه الجو انب عن الطابع العملي لنظرته إلى مستقبل العربية، إذ إن ازدهارها لا يتحقق بمجرد الرغبة في خدمتها، بل يحتاج إلى مؤسسات قوية، وجهود منظمة، وعمل علمي مستمر. ومن هنا، يمكن فهم تفاؤله بوصفه دعوة إلى العمل، لا مجرد تعبير عن الأمل، فهو يستحضر ما قدمه العلماء الهنود من جهود، ويشير إلى ما أنجزته المؤسسات التعليمية، ثم يلفت النظر إلى أوجه النقص التي ينبغي تداركها. وبذلك يصبح حديثه عن المستقبل نتيجة منطقية لما عرضه في مقاله من شواهد وملاحظات، وتأكيدا أن مواصلة مسيرة اللغة العربية وتطوير مكانتها يتطلبان البناء على جهود الماضي، والاستفادة من إمكانات الحاضر، والعمل الجاد على معالجة مواطن الضعف.

وتكمن أهمية هذه الرؤية في أنها تجمع بين الثقة بالقدرات العلمية والثقافية في الهند وبين ضرورة النقد والإصلاح. فالأزهري لا يرى أن ضعف بعض الوسائل أو قلة الإنتاج في مجال معين دليل على عجز العربية عن النمو، بل يرى أن معالجة هذه المشكلات يمكن أن تفتح آفاقا أوسع أمامها. وهذا الموقف يبرز نزعة إصلاحية تقوم على الأمل والعمل معا.

يتضح من استعراض مقال "اللغة العربية في الهند" أن الدكتور مقتدى حسن الأزهري قدم معالجة تجمع بين البعد التاريخي والاهتمام الأدبي والنظر الإصلاحي. فقد أبرز مكانة العربية في التراث العلمي الهندي، وأشار إلى جهود العلماء في التأليف في مجالات متعددة، وناقش دور المدارس والجامعات في نشر اللغة وإعداد الباحثين، ثم تناول الصحافة العربية باعتبارها وسيلة مهمة لتطوير الكتابة وتوجيه الأجيال الجديدة.

كما كشف المقال عن وعي واضح بالتحديات التي كانت تواجه العربية في الهند، ولا سيما الحاجة إلى تطوير المناهج، وتقوية مهارات الطلاب في الكتابة والتعبير، وتحقيق التوازن بين التدريس والتأليف. ولم تمنعه هذه الملاحظات من الاعتزاز بما أنجزته المؤسسات والعلماء، بل جعلته أكثر حرصا على استمرار تلك الجهود وتطويرها.

أما أسلوبه الأدبي، فيتميز بالسهولة والوضوح، وحسن ترتيب الأفكار، والاستناد إلى الأمثلة والشواهد، والجمع بين الإشادة والنقد. وتظهر قيمة المقال في أنه لا يكتفي بوصف و اقع العربية، بل يحاول تفسيره، ويحدد بعض المسائل التي تحتاج إلى معالجة، ويقدم رؤية متفائلة لمستقبلها.

وهكذا تبرز أهمية المقال بوصفه شاهدا على اهتمام الدكتور مقتدى حسن الأزهري بقضايا العربية في الهند، وحرصه على وصل تاريخها بحاضرها ومستقبلها، وعلى جعل الاعتزاز بالتراث منطلقا لتطوير التعليم والبحث والكتابة. وهي رؤية تجمع بين الوفاء للماضي، والوعي بمتطلبات الحاضر، والثقة بإمكانات المستقبل.

## المراجع والمصادر:


- ڈاکٹر مقتدی حسن ازہری حیات اور علمی نقوش، مرتبہ:عبد الکریم عبد العلیم، روشان پرنٹرس، دہلی، بار اول، 2017ء.
- اللغة العربية في الهند، الدكتور مقتدى حسن الأزهري، صوت الجامعة، العدد الرابع، السنة السابعة، مايو 1976م.
- مجلة "افكار عالية" العدد الخاص في الدكتور مقتدى حسن الأزهري، أبريل 2012 – يونيو 2013.